جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية
الدراسات العليا
قسم الأدب

القصر وأساليبه

مع

بيان أسرارها

في

الثلث الأول من القرآن الكريم

بحث مقدم
لنيل درجة الماجستير في البلاغة العربية

من الطالبة:
نجاح أحمد عبد الكريم الظهار

اشراف

سعادة الدكتور: علي محمد حسن العماري

١٤٠٢هـ - ١٤٠٣هـ = ١٩٨٢م - ١٩٨٣م

بسم الله الرحمن الرحیم

وبه نستعین

شكر وتقدير

- الى والديّ الكريمين اللذين تفانيا في حب العلم ، ومهدا لي طريق الوصول الى هذه المرحلة ، وغرسا في اعماقي احترام العلم والعلماء .

- الى أستاذي المشرف الدكتور « علي محمد حسن العماري » الذي بذل جهوداً صادقة في تقويمي ومعاونتي وارشادي .

- الى جميع من مدّ لي يد العون من قريب او بعيد .

أقدم جزيل شكري وبالغ امتناني وعظيم تقديري .

نجاح احمد عبد الكريم الظهار

المقدمة

" بسم الله الرحمن الرحيم "

الحمد لله والصلاة والسلام على النبى الأمى الذى أرسله الله رحمة للعالمين ....

أما بعد :

فلما كان القرآن الكريم هو المصدر الأسمى للعربية الفصحى وبه كان التحدى للثقلين الانس والجن على أن يأتوا بسورة من مثله (وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله)(١)

فقد نشأت كثير من الدراسات من أجل خدمة القرآن وبيان اعجازه، ومن أهم تلك الدراسات الدراسة البلاغية ، ولما كانت معايشة لغة القرآن من خلال القرآن نفسه من أجل الدراسات وأمتعها. أحببت أن أشارك فى هذا المضمار الجليل.

ففى أثناء دراستى لحظت أن أسلوب القصر ، أسلوب شائع فى القرآن لاتكاد سورة تخلو منه. كما لحظت أن معظم الدراسات التى تناولته كانت من ناحية نظرية ، فبدا لى أن أتناوله من ناحية تطبيقيه تظهر لطائفه ودقائقه البلاغيه.

وكنت أوثر فى بداية الأمر دراسة هذا الأسلوب فى القرآن بأكمله ولكن تبين لى بعد الشروع فى البحث أن ذلك يستغرق وقتا أطول وجهدا مضاعفا فاقتصرت على الثلث الأول من القرآن راجية أن اكمل دراسة الباقى فى مرحلة دراسية قادمه ـ ان شاء الله ـ .

---

(١) البقرة: آية ٢٣ .

ولقد واجهت في البحث صعوبات منها :

- قلة المراجع والمصادر المتخصصة التي تتحدث عن أسلوب القصر حيث لم يتوفر لدي سوى :

- مفتاح العلوم .
- دلائل الاعجاز .
- شروح التلخيص .

وأن ما كتب في المراجع الأخرى لايخرج في كثير من الأحيان عن المعلومات التي جاءت بها هذه المصادر.

- ان كثيرا من كتب التفسير مطبوعة طبعة رديئة من غير ترقيم للآيات مما يصعب على الباحث الرجوع المباشر لكل آية. ومن أهم مراجع التفسير التي اعتمدت عليها :

- تفسير الطبري .
- الكشاف .
- البحر المحيط .
- الفخر الرازي .
- البيضاوي .
- ابن كثير .
- تفسير ابي السعود .
- روح المعاني .

ولقد بدأت بحثي بتمهيد يتضمن :

- حظ مبحث القصر من الدراسات الحديثة .

ولقد تعرضت لهذا الموضوع لبيان مدى اهتمام الباحثين بموضوع القصر

- ثم تحدثت عن القصر والحصر والاختصاص لغة واصطلاحا مستعينة ببعض المعاجم اللغوية القديمة والحديثة لمعرفة ما اذا كان هناك فرق بينها أو أنها مصطلحات تؤدى معنى واحدا .

وكذلك لمعرفة مدى ارتباط المعنى اللغوى بالمعنى الاصطلاحي .

- ثم تعرضت لتأريخ مصطلح القصر - على وجه التقريب - وكان هدفي من ذلك بيان أصالة هذا الموضوع ، فأني أعتقد أن الاجدى عند دراسة أي موضوع ، البحث عن أصوله وجذوره لمعرفة جميع ملابساته .

ثم بعد هذا التمهيد بدأت ب :

(الباب الاول)

ويتضمن فصلين :

الفصل الأول :

يتحدث عن تقسيمات القصر :

أ - من حيث الحقيقة والاضافة.

فينقسم من حيث الحقيقة الى :

أ - حقيقي تحقيقي .

ب - حقيقي ادعائي .

وينقسم من حيث الاضافه ثلاثة أقسام :

- افـــراد.
- قلـــب .
- تعييـن .

كما تضمن هذا الفصـــل تقسيم القصـر الى :

١ ـ قصـر موصوف على صـفة.

٢ ـ قصر صـفة على موصوف.

الفصـل الثانى :

ويتضـمن :

أســاليب القصـــر :

١ ـ أساليب غير اصطلاحية تفيد معنى القصر.

٢ ـ الأساليب الاصطلاحية وهى :

١ ـ العطف.

٢ ـ النفى والاستثناء.

٣ ـ انمـــا.

٤ ـ التقديم .

٥ ـ تعريف الجزءين .

٦ ـ ضمير الفصـــل

٣ ـ أوجه الاتفاق والاختلاف بين الطرق الاصطلاحية.

ولقد تعرضت للناحية النظرية ليكون الموضوع شاملا للناحيتين النظريـــة والتطبيقيـــة .

ولبيان مـــدى انطباق القواعـــد النظرية على الوجـــوه التطبيقيـــة.

(الباب الثانى)

وقد عمدت فيه الى استخراج أساليب القصر الستة .

ـ الراجعه عند علماء البلاغة ـ من الثلث الأول من القرآن .

وقمت ببحث كل آية من هذه الآيات فى جميع التفاسير ـ الوارده فى فهرس المصادر والمراجع ـ وكثيرا ما كنت أجد السكوت عن معالجة بعض أساليب القصر فى معظم هذه التفاسير ، واحيانا كنت أجد فى بعضها اشارة عابرة عن ورود القصر . فكنت ألجأ فى معرفة نوع القصر من حيث الصفة والموصوف الى موقع المقصور والمقصور عليه فى الجمله من الناحية الاعرابية .

ولمعرفة نوع القصر من حيث الحقيقة والاضافة ، ولمعرفة حال المخاطب أو المتكلم . كنت أبحث عن أسباب نزول الآية معتمدة فى ذلك على كتب الصحاح ـ أن كانت واردة فيها ـ والا فعلى كتب التفسير الموثقة .

ولمعرفة سر القصر كنت أبحث عن فقه الآية والسياق الذى وردت فيه بمعرفة ما سبقها وما لحقها من الآيات وقد تضمن هذا الباب ثلاثة فصول :

الفصل الاول :

أ ـ أسلوب النفى والاستثناء .

ب ـ أسلوب انما .

مع بيان :

ـ نوع القصر فى كل آية .

ـ أسرار استعمال كل فى كل موضع .

الفصل الثانى :

أ ـ أسلوب العطف .

ب ـ أسلوب التقديم .

مع بيان :

ـ نوع القصر فى كل آية .

ـ أسرار استعمال كل فى كل موضع .

الفصل الثالث :

أ ـ ضمير الفصل .

ب ـ تعريف الطرفين .

مع بيان :

ـ نوع القصر فى كل آية .

ـ أسرار الاستعمال فى كل فى كل موضع .

وأخيرا الخاتمة وتتضمن النتائج التى ظهرت لى فى هذا البحث .

وهذا خلاصة جهدى المتواضع أضعه بين أيدى أساتذتى الأفاضل طامعة منهم فى كل توجيه صادق ونقد بناء .

فان كنت فيه على شئ من التوفيق فهذا بفضل الله وتوفيقه (الذى علم الانسان مالم يعلم).(١)

---

(١) العلق آية (٥) .

وان كنت قد قصرت فالتقصير من طبيعة البشر .

وفى الختام أتقدم بجزيل الشكر والامتنان لكل من مد لى يد العون وبخاصة أستاذى المشرف" على محمد حسن العمارى" الذى فتح لى باب علمه أطرقه وقت ما أشاء - وما أكثر ماطرقته - من غير أن أسمع منه كلمة ملل أو ضجر .

كما أتقدم بالشكر الجزيل الى أعضاء اللجنة الأجلاء الذين نظروا فى هذا الجهد المتواضع بعين التقويم والتسديد والله الموفق الى سواء السبيل .....

خط مبحث القصر

من

الدراسات الحديثة

رست قواعد البلاغة على يد السكاكى (١) ، وان كان السكاكى ، لم يميز علوم البلاغة الثلاثة (المعانى ــ البيان ــ البديع) . الا ان الفضل فى جميع هذه العلوم ، يرجع اليه من غير شك ، فقد ألف كتابه (مفتاح العلوم) وضمنه خمسة علوم :

(١) النحو (٢) الصرف (٣) البلاغة (٤) المنطق (٥) العروض .

ثم جاء الخطيب القزوينى (٢) ، ولخص القسم الثالث من كتاب المفتاح فى متن سماه (متن التلخيص) ، ثم وضع كتابا كالشرح له سماه الايضاح ، وبنى الخطيب (التلخيص والايضاح) على خمسة مباحث :

(١) مقدمة فى الفصاحة والبلاغة .

(٢) علم المعانى .

(٣) علم البيان .

(٤) علم البديع .

(٥) خاتمة (السرقات الشعرية) .

ومنذ ذلك الحين اصبح العلماء ، يسيرون على نهجه ، فكل كتب البلاغة التى الفت فى عصره ، او بعده . تضمنت هذه الالوان الخمسة . وبعد الخطيب القزوينى ، جاء عصر الشروح والحواشى ، فظهر ابن السبكى (٣) وشرحه المسمى (عروس الافراح) وكذلك سعد الدين التفتازانى (٤) ، وله كتاب (المطول على التلخيص) و(المختصر على التلخيص) ، ثم جاء ابن يعقوب

---

(١) هو يوسف بن ابى بكر السكاكى . صاحب المفتاح . اخذ عن شيخ الاسلام محمود بن صاعد الحارثى . كان حنيفا اماما كبيرا عالما بارعا متبحرا فى النحو والصرف وعلم المعانى والبيان والعروض توفى سنة ست وعشرين وستمائة من الهجرة / شذرات الذهب ، جـ ٥ ، ص ١٢٢ .

(٢) هو جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن ابى دلف العجلى القزوينى الدمشقى الشافعى ولد بالموصل سنة ست وستين وستمائة من الهجرة وتفقه على ابيه ، وسكن معه الروم ولى الخطابة بدمشق ، ثم القضاء بها . كان لطيف الذات حسن المحاضرة كريم النفس توفى سنة تسع وثلاثين وسبعمائة من الهجرة دفن بمقابر الصوفية / شذرات الذهب جـ٦ ، ص ١٢٣ ــ ١٢٤ .

(٣) احمد بن على بن عبد الكافى بن على بن تمام السبكى ابن شيخ الاسلام تقى الدين ابى الحسن ولد سنة ٧١٩هـ . وقد شرع فى شرح مطول على الحازى وشرح مطول على مختصر ابن الحاجب وكمل قطعة على شرح المنهاج لابيه وله النظم الفائق توفى سنة ٧٧٣ بمكة بغية الوعاة ، جـ١ ، ص ٣٤٢ــ٣٤٣ .

(٤) هو مسعود (وقيل محمود) بن عمر بن عبد الله الامام العلامة عالم النحو والتصريف والمعانى والبيان ولد سنة اثنتى عشرة وسبعمائة بتفتازان وتوفى سنة احدى وتسعين وسبعمائة / شذرات الذهب ، جـ٦ ، ص ٣١٩ .

المغربى[1] وشرحه المسمى (مواهب الفتاح) . وكتب الدسوقى[2] كتابه (حاشية الدسوقى على مختصر السعد) .

وظلت هذه الكتب تدرس الى الان ثم ما كان بعد هذه المؤلفات، لا يتعدى التغيير فى الترتيب لا فى الاصول . اذ ان الباحثين فى البلاغة لم يزيدوا شيئا ذا بال على ما كتبه المتقدمون . ومن ذلك نعلم ، ان كل من ادعى ، انه جدد فى علم البلاغة ، لم يجاوز مجرد الدعوى ، فتنحصر جهود علماء عصرنا فى ثلاثة اشياء :

(١) افراد بعض العلوم بالتأليف .

(٢) نقل فصل من الفصول او الابواب من علم الى علم اخر .

(٣) الاكثار من الشواهد .

فاذا كان هذا هو حظ البلاغة بجملتها من الدراسات الحديثة ، فلا نعجب اذا قلنا : ان حظ مبحث القصر من الدراسات الحديثة ضئيل جدا .

فمعظم الدراسات التى قامت حوله دراسات غير متعمقة ، وانما هى مجرد تبسيط لقواعده وتقديمها للطلبة لتسهل دراستها ، ويظهر فيها الاختصار الشديد لهذه القواعد . ولا اجد له — فيما لدى من المراجع — دراسة مستقلة تحمل عنوانه ، وانما دُرس ضمن علم المعانى ، وربما كانت اكثر الدراسات تعمقا ، ما كتبه الدكتور محمد ابو موسى[3] فى كتابه " دلالات التراكيب " ، فقد افرد له فصلا طويلا من ص ١٤ — ١٩١ ، وناقش فيه اراء القدماء والمحدثين ، واوضح فيه مهمة القصر ودوره فى التراكيب ، ويلى هذا البحث من حيث القيمة

---

(١) المتوفى سنة ١١١٠ هـ / محاضرات فى تاريخ البلاغة العربية / عبد الرحمن الكردى ، ص ٥٤ .

(٢) هو محمد بن احمد بن عرفة الدسوقى المالكى من علماء العربية بمصر وكان من المدرسين فى الازهر له كتب منها (الحدود الفقهية) فى فقه الامام مالك ، و(حاشية على المغنى) توفى سنة ١٢٣٠ هـ / الاعلام جـ٦ ، ص١٧ .

(٣) استاذ مساعد بكلية اللغة العربية جامعة الازهر وهو استاذ متخصص فى علم البلاغة حصل على درجة الدكتوراه سنة ١٩٧٠ بمرتبة الشرف الاولى . قام بتدريس علوم العربية فى جامعة الازهر الشريف / (التصوير البيانى محمد ابو موسى) .
ويعمل حاليا بجامعة ام القرى بمكة المكرمة .

العلمية كتاب " علوم البلاغة " لاحمد مصطفى المراغي (١) • وان كان يميل الى المنهج المدرسى ، ثم كتاب (جواهر البلاغة) لأحمد الهاشمى (٢) ،ويسير ايضا على نهج سابقه • وذكر ان الدافع الذى دفعه الى التأليف على هذه الطريقة المدرسية ،اشتغاله بالمدارس الثانوية ،فقال :

(ولا شتغالى بتدريس البيان بالمدارس الثانوية ،كانت البواعث داعية الى تأليف كتاب (جواهر البلاغة) ، جامعا للمهمات فى القواعد والتطبيقات) (٣) •

اما كتاب (البلاغة الواضحة) تأليف على الجارم (٤) ومصطفى امين (٥) ،فهو اكثر الدراسات اتباعا للمنهج المدرسى • ومن الكتب الحديثة ايضا كتاب " علم المعانى " لدرويش الجندى (٦) ، وقد افرد للقصر بابا قصيرا من ص ١٢٧ــ ص ١٥٥• وكذلك كتاب علم المعانى لعبد العزيز عتيق (٧) ،وقد افرد للقصر فصلا من ص ١٦٠ــ١٧٣ •

وهناك ايضا كتاب (البلاغة فى ثوبها الجديد) لبكرى شيخ امين (٨) والحقيقة اننى لم اجد فيه اى ثوب جديد على مبحث القصر او غيره ، بل هو فى حقيقته اكثر الدراسات اختصارا •

---

(١) مفسر مصرى تخرج بدار العلوم سنة ١٩٠٩ ثم كان مدرس الشريعة الاسلاميه بها توفى بالقاهرة سنة ١٣٧١هـ•
له كتب منها : (تفسير المراغى) (الوجيز فى اصول الفقه) (الحسبة فى الاسلام)./ الاعلام جـ١ ص٢٥٨•

(٢) هو احمد بن ابراهيم بن مصطفى الهاشمى اديب ومعلم مصرى من اهل القاهرة كان مديرا لثلاث مدارس اهلية تلمذ على يد الشيخ محمد عبده • وصنف كتبا منها (اسلوب الحكيم) (ميزان الذهب) ولد سنة ١٢٩٥هـ وتوفى سنة ١٣٦٢هـ/الاعلام جـ١ ص٩٠ •

(٣) جواهر البلاغة ، احمد الهاشمى ، ص٣•

(٤) هو على بن صالح بن عبد الفتاح الجارم اديب مصرى من رجال التعليم له شعر ونظم كثير ولد فى رشيد وتعلم بالقاهرة وانجلترا وجُعل كبيرا لمفتشى اللغة العربية بمصر ولد سنة ١٢٩٩هـ وتوفى سنة ١٣٦٨هـ/الاعلام جـ١ ص٩٠ •

(٥) عالم مصرى معاصر للشيخ على الجارم ،اشتغل مفتشا بوزارة المعارف المصرية

(٦) دكتور بكلية دار العلوم جامعة القاهرة ،

(٧) استاذ بجامعة بيروت العربية ،من مؤلفاته : (فى تاريخ البلاغة العربية) (علم البيان) (علم البديع) ــ علم العروض والقافية) •

(٨) من اساتذة الادب العربى بالجامعات السورية (حلب ــ دمشق) •
له مؤلفات ادبية فى الادب السعودى من اهمها (الحركة الادبية فى المملكة) •

اما كتاب (بغية الايضاح) لعبد المتعال الصعيدى [١] ، الذى يقع فى اربعة اجزاء ، فكان شرحا للإيضاح وهناك مذكرات الشيخ سليمان نوار [٢] ، التى حوت دراسة متعمقة لبحث القصر ، وقد حاول فيها الخروج عن المعهود فى بعض مفاهيم القصر ، مثل اعتراضه على قول العلماء فى تعريف مصطلح القصر (بطريق مخصوص) ، فرأى اطلاق المصطلح ، وعدم تحديده بهذا القيد . الى غير ذلك ، مما سنتعرض له فى حينه .

---

(١) استاذ بكلية اللغة من كليات الجامع الازهر ، له مؤلفات فى البلاغة والادب واللغة منها (الكميت بن زيد) .

(٢) استاذ بكلية اللغة العربية فى جمهورية مصر العربية وعميد الكلية فيما بعد .

أ- معنى القصر لغة واصطلاحا

ب- معنى الحصر لغة واصطلاحا

ج- معنى الاختصاص لغة واصطلاحاً

د- أوجه الاتفاق والاختلاف بين هذه المصطلحات

يرى بعض العلماء ان القصر والحصر والاختصاص الفاظ تؤدى معنى واحدا ٠

ويرى اخرون ان هناك فروقا بينها ٠ فبدا لى انه من الضرورى معرفة المعنى اللغوى لكل لفظ من هذه الالفاظ، وتطور ذلك اللفظ، والزيادات التى طرأت على معناه ٠ ولهذا الهدف سرت فى عرض المعنى من المعاجم حسب الاسبقية فى التأليف — بحسب ما توفر لدى من معاجم — ٠

كما انه من الضرورى النظر الى اوجه الاختلاف والاتفاق فى المعنى الاصطلاحى ٠ وصلة المعنى اللغوى بالمعنى الاصطلاحى ٠ للتحقق من مدى صحة ما قيل عن الفرق بينهما او عدمه ٠

جاء فى جمهرة اللغة :[١]

القصـر واحد القُصُور معروف ـ والقصر العشي بين اصفرار الشمس الى غروبهـا ـ والقصر من قولهم (كان ذلك قصرى وقُصاراي) ، اى ما اقتصرت عليه · ويقولون (هذا قصـرك وقصارك وقصاراك) ، بمعنى ـ وكل شيء حبسته فى شيء فقد قصرته فيه ـ وجارية مقصـورة فى خِدرها اى محبوسة · ومنه قوله تعالى : (حورٌ مقصوراتٌ فى الخيام)[٢] ، اى محبوسـات والله اعلم · والنساء القصائر كذلك · واما قول الشاعر ـ كثير عزة[٣] ·

أُحبُّ من النسوان كلّ قصيـرة

لها نَسَبٌ فى الصالحينَ قَصيـــرُ[٤]

فالقَصِيرَة المُخدَّرَة ، وذات النسب القصير ، التى تكتفى باسم ابيها · وقال كثير :

وانتِ التى حَبَّبْتِ كلّ قصـيرة

الىّ وما تدرى بذاك القصائـــرُ

اردتُ قصيرات الخُدورِ ، ولم أُرِد

قِصار الخُطى شرُّ النساء البهاتـرُ[٥]

البُهترُ والبُحترُ واحد ، وهو القصير المجتمع الخلق ·

وقصَّرت فى الامر تقصيرا ، اذا توانيت فيه · واقصرت عنه ، عجزت عنه · وقصَرت عن الشـىء قُصورا ، اذا لم تنله · والمقصورة اصغر من الدار ، كأنها دار صغيرة ، يُقصر فيها اى يُحبس فيها ، ويُقتصَر عليها · والقَصير خلاف الطويل[٦] .

---

(١) لابن دريد ، ولد بالبصرة سنة ثلاث وعشرين ومائتين ، ونشأ بعمان ، وطلب علم النحـو ، واخذ عن ابى حاتم السجستانى و ابى الفضل الرياشى وعبد الرحمن ابن اخى الاصمعى · مات سنة احدى وعشرين وثلاثمائة من الهجرة / شذرات الذهب ٢ / ٢٨٩ نزهة الالباء ص ١٩١ ·

(٢) الرحمـن آيـة ٧٢ ·

(٣) هو ابو صخر كثير بن عبد الرحمن صاحب عزة · وانما صُغِّر لشدة قصره · وهو من غـلاة الشيعة الموقنين بالرجعة ، وكان بمصر وعزة بالمدينة توفى سنة خمس ومائة من الهجرة / شذرات الذهب ، ج ١ ، ص ١٣١ ـ ١٣٢ ·

(٤) ديوان كثير عزة ، جمعه وشرحه احسان عباس ، ص ٥٠٣ ·

(٥) وفى لفظ الديوان : عنيتُ قصيرات الحجال ولم أُرد
قصار الخطا شرُّ النساءِ البحاتر
ديوان كثير عزة ، جمعه وشرحه احسان عباس ص ٣٦٩ ·

(٦) جمهرة اللغة ، باب (ر ص ق) ·

وذكر الجوهري في الصحاح (١) ما ذكره ابن دريد ، وزاد معنى الاكتفاء ، وعدم المجاوزة الى الغير .

فقال : القَصْرُ : واحد القُصُور .

وقَصَرْتُ من الصلاة بالفتح ، أقصُرُ قَصْرا .

وقَصَرْتُ الشيءَ على كذا ، اذا لم تُجَاوِزْ به إلى غيره . يقال قَصَرْتُ اللِقحَةَ على فرسى ، اذا جعلت دَرَّ هاله . وامرأة قَاصِرَةُ الطرفِ ، لاتمدُّه الى غير بعلها .

وقَصَرْتُ الثوبَ أقصُرُه قصرا : دَقَقْتُهُ . والإقتصارُ على الشيء : الاكتفاء به ، وأَقْصَرْتُ عنه : كففت ، ونَزَعْتُ مع القدرة عليه ، فان عجزت عنه ، قلت قَصَرْت بلا الف . وأَقْصَرْتُ من الصلاة : لغة في قَصَرْتُ . (٢)

وكذلك ذكر ابن سيده : (٣) ايضا معنى الحبس وعدم المجاوزة ، فقال :

والقَصْرُ خلاف المد ، والفعل كالفعل والمصدر كالمصدر ، قصر الشيء يقصره قصرا : حبسه .

وامرأة مقصورة وقصيرة : مصونة محبوسة .

واقتصر على الامر لم يجاوزه ، وماء قاصر : يرعىٰ المال حوله لايجاوزه (٤) .

والى نفس هذا المعنى ذهب جارالله الزمخشرى (٥) — فى كتابه (اساس البلاغة) ، الا انه ذكر ، ان القصر يفيد معنى الاختصار الى جانب الحبس ، قصرته : حبسته ، وهو كالنازع

---

(١) هو اسماعيل بن حماد الجوهرى الامام ابونصر الفارابى . كان من اعاجيب الزمان ذكاء وفطنة وعلما . واصله من فاراب من بلاد الترك . كان اماما فى اللغة والادب قرأ العربية على ابى على الفارسى والسيرافى مات سنة ٣٩٦ هـ / بغية الوعاة م ١ ص ٤٤٦ — ٤٤٧ .

(٢) الصحاح ، باب الراء ، فصل القاف .

(٣) هو الحافظ ابوالحسن على بن اسماعيل المعروف بابن سيده المُرسى . كان اماما فى اللغة العربية حافظا لهما . وله كتاب (المحكم) فى اللغة وكتاب (المخصص) . توفى سنة ثمان وخمسين واربعمائة من الهجرة وعمره ستون سنة / وفيات الاعيان جـ ٣ ص ٣٣٠ .

(٤) المحكم والمحيط الاعظم ، ابن سيدة ، باب القاف والصاد والراء .

(٥) هو ابوالقاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمى الزمخشرى . الامام الكبير فى التفسير والحديث والنحو واللغة من مصنفاته (المحاجاة بالمسائل النحوية) (المفرد والمركب)
كان معتزلي الاعتقاد متظاهرا به ولد سنة سبع وستين واربعمائة بزمخشر وتوفى سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة من الهجرة بجرجانية خوارزم / وفيات الاعيان جـ ٥ ص ١٦٨ — ١٧٣ .

وأقصر عن الامر : كفّ عنه ، وهو يقدر عليه . وقصر عنه قصورا : عجز عنه ولم ينله . وخذ مخاصر الطرق ومقاصرها : وهى ما يختصر منها .

ومن المجاز : هو قصير اليد ، ولهم ايد قصار . واقصر المطر اقلع (١) .

وجاء ابن منظور (٢) بامثلة كثيرة من الشعر العربى ، والحديث النبوى لتوضيح معنى الحبس ، وان معنى القصر بلوغ الغاية . فقال :

ويقال قصرك ان تفعل كذا ، اى حسبك وكفايتك وغايتك . وكذلك قصارك وقصاراك ، وهو من معنى القصر الحبس ، لانك اذا بلغت الغاية ، حبستك .

وفى حديث معاذ : (فان له ما قصر فى بيته) (٣) اى ما حبسه . وفى حديث اسماء الاشهلية (٤) : انا معشر النساء محصورات مقصورات) (٥) .

وفى حديث عمر رضى الله عنه : (فاذا هم ركب قد قصر بهم الليل) (٦) اى حبسهم . يقال قصرت نفسى على الشىء ، اذا حبستها عليه . والزمتها اياه) (٧) .

واضاف ابوبكر الرازى (٨) ، ان قصر من باب نصر ، معناه حبس . وقصر وبابه دخل بمعنى عجز .

ويقصر (قصيرا) . يوزن عنب معناه عدم المجاوزة . فقال وقصر الشىء حبسه ، وبابه نصر وقصر عنه الشىء . عجز عنه ، ولم يبلغه . وبابه دخل يقال قصر السهم عن الهدف . وقصر الشىء بالضم ضد طال .

---

(١) اساس البلاغة ، كتاب القاف .

(٢) هو ابوالفضل جمال الدين محمد بن مكرم المشهور بابن منظور ولد سنة ٦٣٠هـ وتوفى سنة ٧١١ هـ / فوات الوفيات تحقيق احسان عباس ، ج٤ ، ص ٣٩ .

(٣) لم اقف عليه .

(٤) هى اسماء بنت يزيد بن السكن الانصارية إحدى نساء بنى عبد الاشهل ابنة عمة معاذ بن جبل ، وتكنى ام سلمة ، وقيل ام عامر روى عنها انها كانت من ذوات العقل والدين .

(٥) الاستيعاب فى معرفة الاصحاب لابن عبد البر ـ القسم الرابع تحقيق على محمد البيجاوى حديث رقم ٣٢٣٣ ، ص ١٧٨٧ .

(٦) لم اقف عليه .

(٧) لسان العرب ، باب الراء ، فصل القاف .

(٨) الامام محمد بن ابى بكر بن عبد القادر الرازى مؤلف مختار الصحاح فى اللغة فرغ من تأليفه سنة (٧٦٠ هـ) ولم يعثر على تاريخ وفاته / معجم المؤلفين ، ج ٩ ، ص ١١٢ .

يقصر الشيء على كذا ، لم يجاوز به الى غيره . وبابهما قصر . و (قصر) الثوب : دقه ، وبابه نصر . ومنه (القصار) و (قصره تقصيرا) مثله . والتقصير فى الامر التوانى فيه (١) .

واضاف صاحب المصباح المنير (٢) ، ان الفعل (قصَر) فعل متعدٍ : (قصرت الصلاة ومنها قصرا) من باب قتل ، وهذه هى اللغة العالية التى جاء بها القرآن . قال تعالى : (فلا جناح عليكم ان تقصروا من الصلاة) (٣) . و (قُصِرَت الصلاة) بالبناء للمفعول فهى (مقصورة) ، و (قصرت بنا النفقة) : لم تبلغ بنا مقصدنا ، فالباء للتعدية مثل خرجت به (٤) .

واوجز صاحب القاموس (٥) ايجازا شديدا فى بيان المعنى ، فاقتصر على قول : (القصر خلاف المد ، واختلاف الظلام والحبس والحَطب الجزل) (٦) .

وكذلك ذكر الزبيدى فى تاج العروس ، ان القصر ايضا معناه الحبس ، واستشهد بالاحاديث التى جاء بها ابن منظور . وزاد صاحب محيط المحيط زيادة طفيفة ، فذكر ان القصر معناه الحبس ، ثم بين انه مصدر . فقال : (القصر مصدرٌ ، ويستعمل اسما ايضا لخلاف الطول . والاقتصار عند اهل العربية الحذف من غير دليل على المحذوف ، (المقصور اسم مفعول) (٧) .

اما عن معنى الحصر لغة :

فجاء فى جمهرة اللغة :

والحصر مصدر حصرت الرجل احصُرُه ، وأحصِره اذا حبسته . وأصل الحصر الضيق ، ومنه الحَصْرُ

---

(١) مختار الصحاح ، باب القاف .

(٢) هو احمد بن محمد بن على الفيومى ثم الحموى لغوى اشتهر بكتابه المصباح ، ولد ونشأ بالفيوم ثم رحل الى حماة فقطنها واصبح خطيبا فى جامع الدهشة الذى بناه الملك المؤيد اسماعيل توفى سنة ٧٧٠ هـ / معجم المؤلفين ، جـ١ ، ص١٣٢ .

(٣) فى سورة آل عمران اية ١٠١ (فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة) .

(٤) المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير ، كتاب القاف مع الصاد .

(٥) للإمام محب الدين المرتضى الزبيدى وهو شرح للقاموس المحيط اخذ من عدة كتب اخصها شرح ابن الطيب ، ولسان العرب / معجم المؤلفين ، جـ١١ ، ص ٢٨٢ .

(٦) وهو الفيروزبادى : مجد الدين ابوالطاهر محمد بن يعقوب بن ابراهيم بن عمر الفيروزابادى اللغوى الشافعى . ولد فى ربيع سنة تسع وعشرين وسبعمائة بكازرون ونشأ بها وحفظ القرآن وهو ابن سبع . اخذ عنه الصفدى وابن عقيل وابن هشام توفى سنة سبع عشرة وثمانمائة من الهجرة / شذرات الذهب جـ٧ ص ١٢٤ـ ١٣١ .

(٧) القاموس المحيط فصل القاف ، باب الراء .

وهو احتباس النجو كناية عن ضيق المخرج • وحصِرَ الرجل فى خطبته او كلامه اذا عى عنها • والحَصِرُ: الذى لايبوح بسره (١) • قال الشاعر جرير بن عطية الخطفى :

ولقد تسقْطنى الوُشاة فصادفوا
حصِرا بسرّكِ يا أُمَيمَ ضَنينا (٢)

والحَصِيرُ ايضا المحبس، وكذا فُسِّرَ فى التنزيل فى قوله عز وجل (وَجَعَلْنا جَهنَّمَ لِلكافِرينَ حَصِيرا) (٣) اى محبسا • وأَحْصَرْتُ الرجل إحصارا : اذا منعته من التصرف • فكأن الحصر الضيق ، والاحصار المنع •

وفى التنزيل (فان أُحصِرتم) (٤) فان منعتم من مرض او غيره • وأحصر الرجل إذا منع من التصرف لمرض او عائق • وحَصَرت الرجل عن وجهه : اذا منعته عنه ، وحَصَرت البعير أحصره حصرا اذا شددته بالحصار ، وهو كساء يطرح على ظهره ، ثم يكتفل (٥) • وذكر الجوهرى فى الصحاح نفس المعانى ، التى ذكرها ابن دريد وزاد عليها معنى البخل : حَصَرَه يَحْصُرُهُ حَصْرا : ضيّق عليه واحاط به • الحَصِيرُ الضيّق : البخيل (٦) • وذكر ابن سيده معنى الحبس والضيق ، ولم يذكر معنى البخل ، وانما زاد معنى الاستيعاب • فقال : حَصَرَه يحصره حَصْرا ، فهو محصور وأَحْصَرَه كلاهما حبسه عن السفر وغيره • أَحْصَرهم فرض الجهاد : اى منعهم • وحَصَر الشىء حصره حَصْرا استوعبه (٧) •

وذكر الزمخشرى فى (اساس البلاغة) (٨) ، وابن منظور فى (لسان العرب) (٩) ، والرازى فى (مختار الصحاح) (١٠) ، والفيومى فى (المصباح المنير) (١١) جميع المعانى السابقه من : الضيق والحبس الامتناع — الاستيعاب — العى — البخل — العجز — نقلا عمن سبقوهم •

---

(١) اسمه حذيفة ، والخطفى لقبه • كان من فحول شعراء الاسلام وكانت بينه وبين الفرزدق مهاجاة ونقائض ، وهو اشعر من الفرزدق — عند اكثر اهل العلم — بهذا الشأن • توفى سنة عشر ومائة • وقيل سنة احدى عشرة ومائة من الهجرة / وفيات الاعيان ، م ١ ، ص ٣٢١—٣٢٦ •

(٢) شرح ديوان جرير ، تحقيق محمد اسماعيل عبد الله الصاوى ، ص ٥٧٨ •

(٣) الاسراء اية ٨ •

(٤) البقرة اية (١٩٦) (فان احصرتم فما استيسر من الهدى) •

(٥) جمهرة اللغة باب الحاء والراء مع باقى الحروف •

(٦) الصحاح باب الراء فصل الحاء •

(٧) المحكم والمحيط الاعظم ، باب الحاء والصاد والراء •

(٨) كتاب الحاء •

(٩) باب الراء ، فصل الحاء •

(١٠) باب الحاء •

(١١) المصباح المنير كتاب الحاء مع الصاد •

وجاء فى محيط المحيط ذكر المعانى السابقة، مع بيان معنى الحصر عند اهل العربية، وعند اهل البديع، وعند اهل المنطق، وعند العامة. ومما ذكر:

الحصر: مصدرٌ بمعنى الاحاطة والتحديد والتعديد والتضييق والحبس والمنع. وعند اهل العربية هو اثبات الحكم للمذكور، ونفيه عما عداه، كما يُعرف بالقصر ايضا. وعند البديعيين هو ان يعمد المتكلم الى بعض افراد الجنس، فيجعله الجنس بأُسره تعظيما. والحصر عند العامة الغم (١).

واما معنى الاختصاص فذُكِر فى جمهرة اللغة (خَصّه) بالشىء يخصه خصا وخصوصا وخصوصية، اذا فضله به، وخصه بالود كذلك. وخُصان الرجل: من يختصه من إخوانه والخُصّ: بيت من قصب او شجر، وانما سمى — خُصا — لانه يرى ما فيه من خَصاصة. والخصاص: الفَرَج والخصاصة: الحاجة (٢).

وقد ذكر الجوهرى نفس هذه المعانى، وزاد عليها ان الخاصة: خلاف العامة (٣).

وزاد ابن سيده المعنى وضوحا حين ذكر، ان الاختصاص: هو الانفراد دون الغير. فقال: خصّه بالشىء، يخُصُّه خَصا وخُصوصا، وخصّصَه واختصّه: افردَه به دون غيره. فأما قول ابى زُبيد:

---

(١) محيط المحيط: بطرس البستانى، باب الحاء. وما ذكره عن اهل العربية واهل البديع عبارة عن المعنى الاصطلاحى للقصر.

(٢) جمهرة اللغة، حرف الخاء وما بعده.

(٣) الصحاح باب الصاد فصل الخاء.

ان امرأ خَصَّنى عَمْدا مَودّتــه
على التنائى لَعِنْدى غير مَكفُــورِ (١)

فإنه أراد خَصَّنى بمودته ، فحذف الحرف، واوصلَ الفِعْلَ . ويجوز أنه يريد خَصَّنى لمودتـــه إيَّاى، فيكون كقوله :

(واغْفِر عَوْراء الكَرِيم ادّخـــــاره) (٢)

وانما وجهناه على هذين الوجهين، لانا لم نسمع فى الكلام أن خصصته مُتعديةً إلى مفعولين . والخاصة من تختصه لنفسك . وسُمع ثعلب يقول : اذا ذُكِرَ الصالحون فبخاصَّةٍ ابوبكر . واذا ذُكِرَ الاشراف فبِخاصةٍ علىٌّ . وخصَّه بكذا : اعطاه شيئاً كثيرا . (٣)

وزاد الزمخشرى فى اساس البلاغة المعنى المجازى (لخصص) ، ومن المجاز اصابته خصاصة : خلّة . واختص الرجل : اختل اى افتقر . وسددت خصاصة فلان : اى فقره . وسمعت اهـــل السراة يقولون : رفع الله خصَّتك (٤) .

وكذلك ذكر ابن منظور معنى الانفراد . فقال : واختصه : افرده به دون غيـره ويقال : اختص فلان بالامر ، وتخصص له اذا انفرد . وخص غيره واختصه ببره . ويقـــال : فلان مخصُّ بفلان : اى خاص به ، وله به خصِّية (٥) .

ولم يزد الرازى على هذه المعانى شيئا ، وكذلك صاحب المصباح المنير وان كل ما اضافه ان (خصصته بكذا ، اخصه خصوصا) من باب قعد بالفتح والضم لغة : اذا جعلتـه له دون غيره .

---

(١) هو لابى زبيد الطائى يمدح اخاه لامه وليد بن عقبه عامل الكوفه فى خلافة عثمـــان رضى الله عنه وسبب ذلك ان بنى ثعلب اخواله كانوا قد اخذوا له ابلا فاقتلعهـــا منهم وليد المذكور / شرح شواهد المغنـــى جـ٢ ص٩٥٣ رقم الشاهد ٨٤٤ .

(٢) صدر بيت لحاتم الطائى ، وعجزه (واعوض عن شتم اللئيم تكرما) .

(٣) المحكم والمحيط الاعظم ، باب الخاء والصاد .
قوله (فبخاصة ابوبكر ــ وبخاصة على) بالرفع لعله خطأ من الناسخ ، لان الإسم بعـــد خاصة يكون منصوبا دائما .

(٤) اساس البلاغة ، كتاب الخاء .

(٥) لسان العرب ، باب الصاد ، فصل الخاء المعجمة .

وخصصته بالتثقيل مبالغة واختصصته به، فاختص هو به وتخصص، و(خص الشيء خصوصا). من باب قعد خلاف العامة (١) .

وذكر صاحب القاموس المحيط، ان الفعل اختص يستعمل لازما ومتعديا : (اختصه بالشيء : خصه به ، فاختص وتخصص لازم متعد) (٢) . وكذلك صاحب تاج العروس، ان الفعل خصص يأتي لازما ومتعديا. وزاد على هذا ، بان اوضح المقصود من الانفراد ، فقال : (التخصيص) ضد التعميم، وهو التفرد بالشيء مما لاتشاركه فيه الجملة. واختصه بالشيء اختصاصا : (خصه به ، فاختص وتخصص لازم متعد). ويقال اختص فلان بالامر ، وتخصص له اذا انفرد) (٣) .

ولم يزد صاحب محيط المحيط على هذه المعاني شيئا (٤) .

---

(١) المصباح المنير، كتاب الخاء مع الصاد .
(٢) فصل الخاء باب الصاد .
(٣) تاج العروس، فصل الخاء من باب الصاد .
(٤) محيط المحيط ، باب الخاء .

بعد ان انتهيت من عرض هذه الالفاظ على معاجم اللغة ، ظهر لى انه لا فرق بينها فى المعنى اللغوى ، فالقصر كما رأينا معناه الحبس ، وعدم التجاوز الى الغير . وكذلك الحصر معناه الحبس .

فلا خلاف بين علماء اللغة ، وكذلك علماء المعانى ، فى كون هذين اللفظين بمعنى واحد فى الجملة .

وان كان الدسوقى يذكر لنا فرقا بين الحبس وعدم التجاوز . وان القصر مأخوذ من عدم التجاوز وليس من الحبس ، بدليل التعبير بعلى فقال :

(القصر فى اللغة الحبس ومنه قوله تعالى (حورٌ مقصورات فى الخيام) (١) اى محبوسات ثم يقول : (وقال بعضهم هو فى اللغة عدم المجاوزة الى الغير ، فهو من قصر الشيء على كذا ، اذا لم يتجاوز به الى غيره ، لا من قصرت الشيء حبسته بدليل التعبير بعلى) (٢) .

ورد ابن يعقوب على من قال هذا القول بقوله : (هو فى اللغة الحبس ، قال تعالى : (حور مقصورات فى الخيام) (٣) ، اى محبوسة : فيها .... وهو فى الاصطلاح مأخوذ من ذلك ، ولا ينافى ذلك تعدية بعلى) (٤) . فلاخلاف اذا بين علماء المعانى فى المعنى اللغوى بين القصر والحصر ، وانما وقع الخلاف بين معنى القصر والاختصاص ، ويبدو لى انه لا فرق فى معناهما اللغوى ايضا ، وذلك لقول ابن سيده ، فى معنى الاختصاص :

خصه بالشيء يخصه خصا وخصوصا وخصصه واختصه : افرده به دون غيره . ولقول صاحب تاج العروس : التخصيص ضد التعميم ، وهو التفرد بالشيء ، مما لاتشاركه فيه الجملة" . فكلاهما اذا بمعنى واحد ، والخلاف الذى وقع بين العلماء ، انما هو فى المعنى الاصطلاحى ، فمنهم من ساوى بينهما ، والى هذا الرأى ذهب اكثر اهل المعانى ، ومنهم من فرق وهم القلة . قال الدسوقى : " واعلم ان الاختصاص والقصر بمعنى واحد عند علماء المعانى ، وذلك لانهم نصّوا على ان تقديم ما حقه التأخير يفيد الاختصاص ، وقابلوه بالاهتمام ، فدل على انه غيره ،

---

(١) الرحمن ، اية (٧٢) .
(٢) شروح التلخيص ، حاشية الدسوقى ، جـ٢ ، ص ١٦٦ .
(٣) الرحمن : اية (٧٢) .
(٤) شروح التلخيص ، مواهب الفتاح ، جـ٢ ، ص ١٦٦ .

وعدوا التقديم المذكور من طرق القصر، وكون القصر لايتأتى فى بعض المواضع، مما لاينكره القوم، لانهم قالوا بافادته غالبا . واما قول ابن السبكى بالفرق بين القصر والتخصيص، فمخالف لما عليه اهل المعانى) (١) .

ومن الذين فرقوا بينهما ابن السبكى، نقلا عن والده فى بحث مطوّل سماه (الاقتناص فى الفرق بين الحصر والاختصاص) ومفاده :

" ويفهم كثير من الناس من الاختصاص الحصر، فاذا قلت : زيدا ضربت، يقول معناه ما ضربت الا زيدا، وليس كذلك، وانما الاختصاص شئ، والحصر شئ اخر، والفضلاء لم يذكروا فى ذلك لفظة الحصر، وانما قالوا الاختصاص ...) . ثم بعد هذه المقدمة البسيطة ذكر السبكى الفرق بين الاختصاص والحصر، فقال :

(فالاختصاص افتعال من الخصوص، والخصوص مركب من شيئين : احدهما مشترك بين شيئين او اشياء، والثانى منضم اليه يفصله عن غيره كضُرِبَ زيد، فانه اخص من مطلق الضرب، فاذا قلت ضربت زيدا، اخبرت بضرب عام وقع منك على شخص خاص، فصار ذلك الضرب المخبر به، خاصا لما انضم اليه منك، ومن زيد، وهذه المعانى الثلاثة، اعنى مطلق الضرب، وكونه واقعا منك، وكونه واقعا على زيد . قد يكون قصد المتكلم لها ثلاثتها على السواء، وقد يترجح قصده لبعضها على بعض، ويعرف ذلك بما ابتدأ به كلامه . فان الابتداء بالشئ يدل على الاهتمام به، وانه هو الارجح فى غرض المتكلم . فاذا قلت زيدا ضربت، علم ان خصوص الضرب على زيد هو المخصوص " .

فالفرق الاول يكون من جهة قصد المتكلم .

وقد تابع ابن السبكى سرد الفرق بين الحصر والاختصاص فذكر فرقا اخر من ناحية العموم، والخصوص فقال : " ولاشك ان كل مركب من خاص وعام له جهتان، فقد يقصد من جهة عمومه، وقد يقصد من جهة خصوصه . فقصده من جهة خصوصه هو الاختصاص، وانه هو الأهم عند المتكلم، وهو الذى قصد افادته للسامع، من غير تعرض ولا قصد لغيره باثبات ولا نفى .

---

(١) شروح التلخيص : حاشية الدسوقى، ج٢، ص ١٥٣ .

ثم بين ابن السبكى المقصود من الحصر، واشترط فيه وجود النفى والاثبات، بأن يصح تقدير ما وإلاّ فقال : (وأما الحصر فمعناه نفى غير المذكور، وإثبات المذكور يعبر عنه بما وإلاّ، أو بإنما فاذا قلت ما ضربت إلاّ زيدا ، كنت نفيت الضرب عن غير زيد ، وأثبته لزيد . وهذا المعنى زائد على الاختصاص . فقوله تعالى :

" أفغير دين الله يبغون " اختصاص، ولا يجوز فيها معنى الحصر، لانه لو جعلنا غير دين الله يبغون، فى معنى ما يبغون الا غير دين الله ، وهمزة الانكار داخلة عليه ، لزم ان يكون المنكر الحصر، لا مجرد بغيهم غير دين الله ، ولاشك ان مجرد بغيهم غير دين الله منكر . وجاز الحصر فى قوله تعالى (اياك نعبد واياك نستعين) (١) ، للعلم بانه لايعبد غير الله ، ولا يستعان بغيره) فالحصر هنا من خصوص المادة لا من موضوع اللفظ) (٢) .

فملخص رأيه : ان التخصيص هو قصد المتكلم إفادة السامع خصوص شئ من غير تعرض لغيره بنفى أو اثبات.

اما الحصر فقائم على النفى والاثبات .

وممن ذهب مذهب الإمام ابن السبكى الإمام السيوطى (٣) فذكر فى عقود الجمان، ان ابن الحاجب (٤) وابا حيان (٥) ،وصاحب الفلك الدائر، قدرفضوا كون التقديم يفيد الاختصاص، وان الذى اوقعهم فى ذلك ظنهم ان الحصر هو الاختصاص، فقال :

---

(١) الفاتحة اية (٥) .

(٢) شروح التلخيص عروس الافراح جـ٢ ص ١٥٧ .

(٣) هو الحافظ جلال الدين ابو الفضل عبد الرحمن بن ابى بكر السيوطى الشافعى المحقق المدقق صاحب المؤلفات الفائقة النافعة . ختم القرآن العظيم ، وله من العمر دون ثمان سنين ثم حفظ عمدة الاحكام ومنهاج النووى والفية ابن مالك ومنهاج البيضاوى فاجازه علماء عصره ولد سنة تسع واربعين وثمانمائة وتوفى سنة احدى عشر وتسعمائة من الهجرة / شذرات الذهب، جـ٧، ص ٥١ـ٥٢ .

(٤) هو ابو عمرو بن عثمان بن عمر بن ابى بكر المعروف بابن الحاجب الملقب بجمال الدين ولد سنة سبعين وخمسمائة من الهجرة بأَسْنَا وهى بُلَيدَة صغيرة من الاعمال القوصية بالصعيد الاعلى من مصر / وفيات الاعيان جـ ٣، ص ٢٤٨ـ٢٥٠ .

(٥) هو محمد بن يوسف بن على بن يوسف بن حيان الاندلسى الجيانى ، امام المفسرين . ولد بمطخشارس من حضرة غرناطة سنة اربع وخمسين وستمائة اخذ النحو عن ابى على الشلوبين وابى جعفر الطباع الرعينى وقرأ القراءات بالاسكندرية على يد عبد البصير المريوطى / توفى سنة خمس واربعين وسبعمائة من الهجرة / شذرات الذهب، جـ ٦ ، ص ١٤٥ .

((... على ان بعضهم كابن الحاجب، ابى ان يكون التقديم يفيد الاختصاص، ووهم من ظن ذلك، واستدل بقوله تعالى (فاعبد الله مخلصا له الدين) (١) ، وبقوله تعالى : (بل الله فاعبد) (٢) ، وتابعه ابو حيان، وكذا صاحب الفلك الدائر، واستدل بقوله تعالى — (كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل) . والذى اوقعهم فى ذلك ظن ان الاختصاص هو الحصر) (٣) .

فيفهم من عبارة السيوطى هذه ، انه يفرق بين الحصر والاختصاص .

وكذلك ذهب الامام الشهاب (٤) الى التفرقة بينهما ، حيث قال : بعد ان بين رأى ابن السبكى ولخصه :

(.. الحق ان ما ذكر من الفرق بين الحصر والاختصاص مسلم ، فان اختصاص شىء بشىء ثبوته له ، على وجه خاص به ، فلا يقتضى القصر، وان كان لا ينافيه، ولذا حمل عليه فى كثير من المواضع ...) (٥) .

وحتى الذين ساووا بينهما ، فرقوا بينهما فى التعدية . فقولنا " تخصيص شىء بشىء " يكون المقصور عليه هو الشىء الاول ، والباء داخلة على لفظ الشىء الثانى ، وهو المقصور . اما قولنا قصرت كذا على كذا ، فعلى العكس يكون المقصور هو الشىء الاول ، والمقصور عليه هو الشىء الثانى .

ويظهر لى ان المعنى الاصطلاحى للمصطلحات الثلاثة (الحصر والقصر والاختصاص) معنى واحد . وان للمعنى اللغوى علاقة وثيقة الصلة بالمعنى الاصطلاحى .

---

(١) الزمر، اية (١١) .
(٢) الزمر، اية (٦٦) .
(٣) عقود الجمان السيوطى : ص ١٥٣ .
(٤) هو احمد بن محمد بن عمر، شهاب الدين الخفاجى المصرى قاضى القضاة وصاحب التصانيف فى الادب واللغة ، ولد ونشأ بمصر ورحل الى بلاد الروم ، واتصل بالسلطان مراد العثمانى من اشهر كتبه (ريحانة الالبا) و(شفاء العليل فيما فى كلام العرب من الدخيل) .. ولد سنة ٩٧٧هـ وتوفى سنة ١٠٩٦هـ/ الاعلام ، جا ، ص ٢٣٨ .
(٥) حاشية الشهاب ، جا ، ص ١٢٠ .

فالقصر او الحصر فى اللغة : الحبس والمنع ، وقصرت الشئ على كذا ، اذا لم تجاوز به غيره . فقولنا قصرت الشئ على كذا تضمن معنى الاثبات، وقولنا (اذا لم تجاوز به غيره) تضمن معنى النفى . وكذلك الحال فى الاختصاص، فالاختصاص فى اللغة : الانفراد بالشئ دون الغير .

فقولنا الانفراد بالشئ، تضمن معنى الاثبات ، وقولنا دون الغير، تضمن معنى النفى . وهذا هو حاصل معنى القصر عند البلاغيين ، فالقصر قائم على معنى النفى والاثبات، فاذا كان ذلك كذلك فاعلم ان القصر والحصر والاختصاص بمعنى اصطلاحى واحد ، لا فرق بينهما . وعلى هذا يكون معنى القصر او الاختصاص كما جاء فى مفتاح العلوم للسكاكى .

" وحاصل معنى القصر راجع الى تخصيص الموصوف عند السامع بوصف ثان .... او بوصف مكان اخر .... او الى تخصيص الوصف بموصوف " (١) .

وركز البيانيون العبارة ، وعرفوا القصر بانه تخصيص شئ بشئ بطريق مخصوص (٢) .

وشرح الدسوقى المقصود من هذه العبارة ، فقال : قوله " تخصيص شئ بشئ " ، اى تخصيص موصوف بصفة ، او صفة بموصوف . فالباء داخلة على المقصور ، والشئ الاول ان اريد به الموصوف ، كان المراد بالشئ الثانى الصفة والعكس . وذلك لان التخصيص يتضمن مطلق النسبة المستلزمة لمنسوب ومنسوب اليه ، فان كان المخصص منسوبا ، فهو الصفة ، وان كان منسوبا اليه فهو الموصوف ، والمراد بتخصيص الشئ بالشئ الاخبار بثبوت الشئ الثانى للشئ الاول دون غيره) (٣) . فالشئ الاول هو المقصور عليه ، والشئ الثانى هو المقصور . والطريق المخصوص هو احد طرق القصر المصطلح عليها عند علماء المعانى . وايضا عرّفه السيوطى بقوله : (أمّا الحصر ويقال له القصر ، فهو تخصيص أمر باخر بطريق مخصوص . ويقال ايضا اثبات الحكم للمذكور ونفيه عما عداه) (٤) . وكلا التعريفين بمعنى واحد ، وان اختلفت الالفاظ .

---

(١) مفتاح العلوم . السكاكى ، ص ١٣٩ .
(٢) شروح التلخيص ، مختصر السعد ، جـ٢ ، ص ١٦٦ .
(٣) شروح التلخيص ، حاشية الدسوقى جـ٢ ، ص ١٦٦ .
(٤) الاتقان ، السيوطى ، جلال الدين عبد الرحمن ط ٤ ، جـ٢ ، ص ٦٤ .

ولقد قيد علماء المعانى معنى القصر بقولهم (بطريق مخصوص) احترازا من التعميم فى تعريف القصر، الذى ذهب اليه بعض المعاصرين ومنهم الشيخ سليمان نوار، الذى قال معترضا على وضع هذا القيد : (زاد العلماء فى تعريف القصر قيدا سمعته ،وهو بطريق مخصوص ـ لماذا ؟ قالوا لاخراج نحو (والله يختص برحمته من يشاء) (١)، وهكذا من كل تخصيص، عبر عنه بشىء من مادة قصر او حبس او خص. لان هذه ليست من الطرق المخصوصة، التى هى النفى والاثبات ـ العطف ـ انما ـ التقديم ـ ضمير الفصل ـ تعريف المسند ـ تعريف المسند اليه بلام الجنس ـ الاستثناء من الاثبات ، على ما يراه بعض العلماء ، كذلك اخرجوا بهذا القيد نحو : محمود مقصور على الكتابة. ونحن نرى ان نحو قول الله تعالى : (يختص برحمته من يشاء) (٢) من القصر، لان صيغة اختص، وقصر، وحبس، هى الصيغ الاصلية. ولست ادرى لماذا يجعلون شبه ومشبه به من صيغ التشبيه ، ولا يجعلون نحو اختص من صيغ القصر.

وعرّف القصر بقوله :

(خير ما يقال فى تعريف القصر، انه دلالة جملة واحدة على اختصاص امر باخر، سواء اكان منشأ تلك الدلالة الوضع، ام العقل، ام الذوق ، فيشمل نحو:

لايَسلمُ الشرفُ الرفيعُ مِنَ الأذَى
حتى يراقَ على جوانبِهِ الدَمُ (٣)

وهكذا من كل اسلوب ينحدر منه الذهن الى معنى القصر، وان لم توجد اداة من ادواته المعروفة .

نعم لايشمل نحو:

وليسَ أخى من ودَّنِى رأى عَيْنِه
ولكنّ أخى من ودَّنِى وَهُو غَائِبُ (٤)

---

(١) البقرة، اية ١٠٥ .
(٢) ال عمران، اية ٧٤.
(٣) البيت لابى الطيب المتنبى احمد بن الحسن الجعفى الكندى/ ديوان ابى الطيب المتنبى بشرح ابى البقاء، جـ٤ ،ص ١٢٥ .
(٤) لم أقف على قائل .

مما كان التخصيص فيه مستفادا من جملتين ، او من جملة (١) واحدة . كذلك لايشمل القصر العملي ، لان الاول ليس فيه اختصار ، والثاني ليس من مباحث علوم اللغة ، التي تبحث عن الكلام لا عن الاعمال) (٢) .

ويبدو لي أن في تعريفي هذا توسعا وتعميا . ولعل اخراج العلماء لمثل هذه الالفاظ — التي ذكرها الشيخ سليمان نوار — ووضعهم لهذا القيد ؛ لانه لايترتب عليها احكام ولطائف .

---

(١) الظاهر ان هناك خطأ مطبعيا فالعبارة الصحيحة كما يبدو لا من جملة واحدة .

(٢) مذكرات الشيخ سليمان نوار ، ص ١٣٢ — ١٣٣ .

تأريخ مصطلح القصر

استخداماً وتقعيداً

انه لمن الصعب جدا ان نضع تأريخا لمصطلح "ما" على وجه الجزم والتاكيد . ولكن هذا لايمنع من اظهار تاريخه على وجه التقريب . ويبدو لي — وذلك حسب ما توفر لدي من مراجع — ان فكرة القصر ظهرت اول ما ظهرت بمعناها في القرن الثاني الهجري عند سيبويه (١) .

وصحيح انه لم يذكر مصطلح القصر كما هو عند البلاغيين ، ولكنه اعطانا معناه واضحا ، وتناوله في اداتين من ادواته . " العطف بلا — والنفي والاستثناء " . فأما حديثه عن العطف بلا ، فكان حديثا مقتضبا ، ويتضح من خلال حديثه عن النعت ، اذ يقول :

((ومنه مررت برجل راكع لا ساجد ، لاخراج الشك ، او لتأكيد العلم فيهما)) (٢) .

فقوله لاخراج الشك ، هو ما اطلق عليه علماء البلاغة قصر التعيين ، فالمخاطب هنا متردد في كون الرجل راكعا ، او ساجدا ، فاراد المتكلم ازالة هذا الشك ، فقال : راكع لاساجد . واما قوله لتأكيد العلم فيهما ، فالمتكلم اراد ان يؤكد للمخاطب ان الرجل راكع وليس بساجد ، وهذا ما اصطلح البلاغيون على تسميته بقصر القلب ، او قصر التعيين . لان قصد التوكيد يصلح ايضا مع قصر التعيين . اما حديثه عن القصر عن طريق النفي والاستثناء ، فذكر في باب (ما يكون استثناءً بإلاّ) :

((اعلم ان الا يكون الاسم بعدها على وجهين .....

فاما الوجه الذي يكون فيه الاسم بمنزلته قبل ان تلحق الا ، فهو ان تدخل الاسم في شيء تنفي عنه ما سواه ، وذلك (قوله) :

ما اتاني إلا زيد ، وما لقيتُ الا زيدا ، وما مررتُ إلا بزيدٍ ، تُجرِي الإسمَ مجراه ، اذا قلت ما اتاني زيدٌ ، وما لقيتُ زيدا ، وما مررتُ بزيدٍ . ولكنّك ادخلت الا لتوجِب الافعالَ لهذه الاسماء ، ولتَنفِيَ ما سِواها . فصارت هذه الاسماءُ مُستثناةً . فليس في هذه الاسماء في هذا الموضع

---

(١) هو ابو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب سيبوية مولى بني الحارث بن كعب ، وقيل ال الربيع بن زياد الحارثي كان اعلم المتقدمين والمتأخرين بالنحو : اخذ النحو عن الخليل بن احمد وعن عيسى بن عمر ويونس بن حبيب واخذ اللغة عن الاخفش الاكبر توفي سنة ثمانين ومائة وقيل سنة سبع وسبعين من الهجرة وعمره اثنين واربعون سنة / وفيات الاعيان ، ج ٣ ص ٤٦٣ — ٤٦٤ .

(٢) الكتاب ، تحقيق عبد السلام هارون ، ج ١ ، ص ٤٣٠ .

وجهٌ سوَى ان تكون على حالها قبل ان تلحق إِلاّ ٠٠٠٠٠٠) (١) ٠

والوجه الذ ى ذكره،هو ما اطلق عليه النحويون الاستثناء المفرغ،وهذا الاسلوب يفيد القصر عند جميع علماء البلاغة ٠

ثم جاء الفراء (٢) ،وذكر ايضا القصر بمعناه ،فتحدث عن (انما) ،وخطّأ من قال : انها للتحقير، وذكر فيها معنى النفى ،والاثبات، ونقل رأيه هذا ابن فارس (٣) فى كتابه الصاحبى ، فى باب (انما) قال : (سمعت عليّ بن ابراهيم القطان يقول : سمعت ثعلبا يقول : سمعت سلمة يقول : سمعت الفرّاء يقول : اذا قلت ((انما قمت)) ، فقد نفيت عن نفسك كلّ فعلٍ الا القيامَ ، وإذا قلت : ((إنما قام أنا)) فإنك نفيت القيام عن كلّ أحدٍ وأثبتّه لنفسك .

قال الفرّاء : يقولون : (ما انتَ إِلا اخى) ، فيدخلُ فى هذا الكلام الافرادُ كانه ادّعى انه اخٌ ومولىً وغيرَ الاخوّة ، فنفى بذلك ما سواها ٠ قال : وكذلك اذا قال : (انما انت اخى) ٠ قال الفراء : لايكونان ابداً الا رداً ٠ يعنى إن قولك : ما أنت الا اخى "٠و" انما قام انا "، لايكون هذا ابتداءً ابداً ، وانما يكون ردًّا على اخَرَ، كأنه ادّعى انه اخٌ ومولى واشياءُ أُخَر ، فنفاها وأقرّ له بالاخوّة٠او زعم زاعم : انه كانت منكَ اشياءُ سوى القيام ،فنفيتها كلّها ماخلا القيامَ ٠

وقال قوم : ((انما)) معناه التحقير٠ تقول : (انّما أَنَا بَشَر مِثْلُكُم) (٤) محقرا لنفسك٠ وهذا ليس بشىء ،قال الله جل ثناؤه : (انما اللهُ الهٌ واحد) (٥) ٠فأين التحقير هاهنا ؟

---

(١) الكتاب، جـ٢، ص ٣١٠ ٠

(٢) هو ابوزكريا يحيى بن زياد المعروف بالفراء مولى بنى اسد وقيل موسى بنى منقر كان ابرع الكوفيين واعلمهم بالنحو واللغة و فنون الادب له كتاب (الحدود)و(المعانى) وكتاب (اللغات) توفى سنة سبع ومائتين من الهجرة / وفيات الاعيان جـ٦ ص ١٧٦ـ ١٨١٠

(٣) هو ابوالحسين احمد بن فارس بن زكريا قيل انه من اهل قزوين كان كريما جوادا ، وكان فقيها شافعيا ،له من التصانيف كتاب المجمل وكتاب متخير الالفاظ، كتاب مقاييس اللغة، توفى سنة تسع وستين وثلاثمائة وقيل سنة ستين وثلاثمائة ورجح السيد صقر ان وفاته سنة ٣٩٥هـ / معجم الادباء،م٢ ،جـ٤ ،ص ٨٢ـ٨٤ ٠

(٤) سورة الكهف اية ١١٠ ٠

(٥) النساء ايـة ١٧١ ٠

وعلق ابن فارس على قول الفراء :

(والذى قاله الفراء صحيح ، وحجته قوله صلى الله تعالى عليه وسلم :
(انما الولاء لمن اعتق)) (١) ،(٢) .

لو تأملنا هذا النص نجد انه ذكر من طرق القصر الى جانب (انما) طريق (النفي والاستثناء) ، فى قوله (ما انت الا اخى) . ويبدو من نصه هذا ، انه لم يتطرق الا الى القصر الاضافى ، حيث قال : لا يكون هذا ابتداءً ابدا ، وانما يكون ردا على آخر . الا انه لم يفرق بين اقسامه (الافراد — القلب — التعيين) .

حيث ذكر تعريفا ، جعل فيه قصر الافراد والقلب بمعنى واحد . فعند تعليقه على الامثلة — (انما انت اخى) ، (ما انت الا اخى) — قال : فيدخل فى هذا الكلام الافراد ، كأنه ادعى انه اخ ، ومولى ، وغير الاخوة . فنفى بذلك ما سواها .
فقوله : ادعى انه اخ ، ومولى ، هو ما اصطلح البيانيون على تسميته قصر افراد . اما قوله وغير الاخوة ، فهذا قصر قلب .

فيبدو لى ان الاظهر ان تكون العبارة كما يلى :

كأنه ادعى انه اخ ومولى ، او غير الاخوة ، بدل من (واو) العطف .

وكذلك يلمح من كلام الامام الطبرى (٣) ، عند تفسيره لقوله تعالى : (لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم) (٤) .

ان الاية مفيدة للقصر حيث قال : (وتأويل ذلك انك انت يا ربنا العليم من غير تعليم بجميع ما قد كان وما هو كائن والعالم للغيوب دون جميع خلقك) (٥) فذكر القصر هنا بمعناه فقط .

---

(١) رواه مسلم ، كتاب العتق ، باب بيان ان الولاء لمن اعتق ، م ٥ جـ ١٠ ص ١٤٨ . ورواه البخارى ، كتاب فى اللقطة فى المظالم والغصب ، باب ما يجوز من شروط المكاتب ، جـ٣ ، ص ٢٠٠ .

(٢) الصاحبى ، تحقيق السيد احمد صقر ، ص ١٨٢—١٨٣ .

(٣) هو ابوجعفر محمد بن جرير الطبرى كان اماما فى فنون كثيرة منها التفسير والحديث والفقه والتاريخ ، كان من الائمة المجتهدين لم يقلد احدا ولد سنة اربع وعشرين ومائتين وتوفى سنة عشر وثلثمائة من الهجرة ببغداد / وفيات الاعيان جـ٤ ص ١٩١ .

(٤) البقرة اية ٣٢ .

(٥) الطبرى ، م ١ ، ص ١٧٥ .

ويبدو لي ان القصر لم يظهر كمصطلح علمي يدل على تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص — الا في القرن الخامس الهجري فنجده عند الامام عبد القاهر الجرجاني (١) في كتابه دلائل الاعجاز. فقد تحدث عن انما ومواقعها — طريق التقديم — النفي والاستثناء — التعريف. وتكلم عن العطف بلا ص ٢٥٩ وما قبلها وما بعدها.

كذلك نجده عند الامام الزمخشري (المتوفى سنة ٥٣٨هـ) في كتابه الكشاف، اذ تطرق الى افادة التقديم للاختصاص، وكذلك النفي والاستثناء — انما — ضمير الفصل — التعريف.

ثم اتى ابو يعقوب يوسف بن ابي بكر محمد بن علي السكاكي (المتوفى سنة ٦٢٦هـ) فذكره مشروحا مفصلا بمعناه، وطرقه في كتابه (مفتاح العلوم). وعنه نقل القزويني ومن جاءوا بعده.

---

(١) هو عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني ابو بكر النحوي صاحب التصانيف منها المغني في شرح الايضاح ثلاثون مجلدا وكان شافعيا اشعريا اخذ النحو بجرجان عن ابي الحسين الفارسي ابن اخت ابي علي الفارسي توفي سنة احدى وسبعين واربعمائة من الهجرة / شذرات الذهب ج٣ ص ٣٤٠.

الباب الأول

« دراسات البلاغيين للقصر »

الفصل الأول :

تقسيمات القصر :

آ -

(١) حقيقي

(٢) إضافي :

افراد

قلب

تعيين

ب - (١) صفة على موصوف

(٢) موصوف على صفة

بعد ان تناولت فى الفصل السابق معنى القصر لغة واصطلاحا ، واوضحت علاقة المعنى اللغوى بالمعنى الاصطلاحى ٠

سأشرع فى هذا الفصل - ان شاء الله - فى بيان تقسيمات القصر من حيث الحقيقة والاضافة ، ورأى العلماء فى هذا التقسيم ، ثم تعريف القصر الحقيقى مع بيان اقسامه (حقيقى تحقيقى - حقيقى ادعائى) ٠ ثم تعريف القصر الاضافى ، مع ايضاح اقسامه ايضا :

(افراد - قلب - تعيين)

كما سأتعرض لتقسيمه الى قصر موصوف على صفة ، وقصر صفة على موصوف ٠ وكذلك سأبين المقصود من الصفة فى باب القصر ، والفرق بينها وبين النعت النحوى ٠

ينقسم القصر باعتبار الحقيقة والواقع قسمين : (١)

(١) قصـــر حقيقى ٠

(٢) قصر غير حقيقى ، وهو الاضافى ٠

ويرى بهاء الدين السبكى ، ان المراد بالحقيقى هو المعنى المقابل للمجاز ، وغير الحقيقـــى عنده هو المجازى ٠ يقول :

(٠٠٠ وهو منقسم بالاستقراء الى قصر حقيقى ، وقصر غير حقيقى اى مجــــازى ٠
واعلم ان القصر الحقيقى ينظم حكمين : اثبات الحكم للمذكور ، ونفيه عما عداه ، وكلاهما حقيقة ٠
والقصر المجازى ينظم حكمين : اثبات الحكم للمذكور ، ونفيه عن غيره ، وهو مجاز " (٢) ٠

وينبغى ان يراد (بغيره) فى كلامه — (غيرا) معينا ٠

والى مثل هذا ذهب العلامة السيد فى حواشى المطول ، فذكر : (ان الحقيقى نسبه للحقيقة ، بالمعنى المقابل للمجاز ، وان المراد بالاضافى المجاز بمعنى ان تخصيص الشىء بالشــــىء بحسب الاضافة الى شىء معين ، مجازى له)) (٣)

وعلق الدسوقى معترضا على قول العلامة السيد بقوله :

---

(١) لم يذكر صاحب المفتاح هذا التقسيم ٠
(٢) شروح التلخيص : عروس الافراح ، جـ٢ ، ص ١٦٦ ٠
(٣) نقلا عن شروح التلخيص : حاشية الدسوقى ، جـ٢ ، ص ١٦٦ ٠

(وفيه نظر لان كلا من المعنيين حقيقى للقصر . وليس الغرض من سوق الكلام ، افادة ان بعض المعنيين معنى حقيقى للفظ القصر ، والبعض الاخر معنى مجازى له . كما فهمه العلامة السيد فلا يصح ما ذكره ...) (١) .

ثم رجح الدسوقى رأى الحفيد (٢) ، الذى يقوم على ملاحظة حال المخاطب ، فالحقيقى عنده ما لوحظ فيه الحقيقة ، ونفس الامر بدون ملاحظة حال المخاطب ، والاضافى ما لوحظ فيه الحقيقة ، ونفس الامر مع ملاحظة حال المخاطب .

قال الدسوقى : (والاولى كما قال الحفيد ، ان المراد بالحقيقى ما لوحظ فيه الحقيقة . ونفس الامر بدون ملاحظة حال المخاطب ، من تردد او اعتقاد خلاف او شركة . والاضافى ما لوحظ فيه الحقيقة ، ونفس الامر مع ملاحظة حال المخاطب السابق .

ومن ثم صرحوا بان قصر الافراد ، وقصر القلب ، وقصر التعيين ، اقسام للقصر غير الحقيقى ، لانه هو الذى يعتبر فيه حال المخاطب) (٣) .

كذلك رد ابن يعقوب على قول بهاء الدين السبكى ، ومن ذهب مذهبه بقوله : (وليس المراد بالحقيقى هنا ما يقابل المجازى ، لان التسمية فى كليهما حقيقة اصطلاحا) . ثم ذكر ان الذى اوجب تسمية احدهما بالحقيقى ، والاخر اضافى ، هو كمال الحقيقة فى احدهما دون الاخر ، ولتحقق نفى المشاركة فيه مطلقا ، عن كل ما عدا المقصور عليه .

اما القصر الاضافى ، فهو تخصيص شئ بشئ ونفيه عن بعض ما عدا المقصور عليه ، اى بالنسبة الى شئ معين مخصوص .

فلصحة وجود مشاركة اخرى فيه ، امتنع عن تسميته بالحقيقى ، وان كان فيه تخصيص مضاد للمشاركة ، الا انه تخصيص بالاضافة الى معين .

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٦٦ — ١٦٧ .
(٢) هو احمد بن يحى بن محمد الهروى المعروف بحفيد التفتازانى سيف الدين عالم مشارك فى بعض العلوم كالبلاغة والفرائض من تصانيفه (حاشية على المختصر) للتفتازانى و (حاشية على المطول) للتفتازانى ، وكلاهما فى المعانى والبيان ، توفى سنة ٩١٦هـ/الاعلام ، م ١ ، ص ٢٧٠ / معجم المؤلفين م ١ ، جـ٢ ، ص ٢٠٥ — ٢٠٦ .
(٣) شروح التلخيص ، جـ ٢ ، ص ١٦٦-١٦٧ .

ويفترض ابن يعقوب سؤالا ، ويجيب عليه ، فافترض ان يقول قائل : بما ان الاختصاص ضد المشاركة ، فكيف تكون الحقيقة فى الاول اكمل ؟ مع ان المعروف ان الحقيقة لا تفاوت فيها . واجاب على ذلك :

ان الكمال حصل بنفى كل مشارك .

اما فى القصر الاضافى ، فكان نفى البعض (١) ، وقد اعترض بعضهم على تقسيم القصر الى حقيقى واضافى ، بحجة ان القصر هو التخصيص ، وهو من الامور الاضافية ، لكونه نسبة بين المقصور والمقصور عليه . بمعنى ان القصر الحقيقى كان بالاضافة الى كل ما عداه ، وان القصر الاضافى كان بالاضافة الى بعض ما عداه . فكل منهما اضافى ، اذ لا يتحقق فى احدهما ثبوت التخصيص الا بالنسبة الى سلب الغير ، فكيف يسمى احدهما اضافيا دون الاخر ؟

ويجيب السعد فى مختصره على هذا الاعتراض ، بان تقسيم القصر الى حقيقى واضافى ، لا ينافى كون التخصيص مطلقا من قبيل الاضافات ، فيقول : (وانقسامه الى الحقيقى والاضافى بهذا المعنى ، لا ينافى كون التخصيص مطلقا من قبيل الاضافات) (٢) . وكذلك يجيب ابن يعقوب على هذا الاعتراض بقوله : (فانقسام القصر الذى هو اضافى مطلقا كما قرر الى اضافى وغيره صحيح ، لان الاضافة المنقسم اليها خلاف مطلق الاضافة الموجودة فى كليهما وهو ظاهر) (٣) .

وفى موضع اخر يجيب بان احدهما خص باسم (الاضافى) ، لان المضاف اليه مخصوص معين ، ويجيب على هذا الاعتراض ايضا الدسوقى فى حاشيته بقوله :

(وحاصل الجواب انه ليس المراد بالحقيقى ، ما يكون تعقله فى حد ذاته ، لا بالقياس الى الغير . بل المراد به ما كان بالاضافة الى جميع ما يغاير . فهو حينئذ نوع من الاضافى ، بمعنى ما يكون تعقله بالقياس الى الغير . كما ان الاضافى هنا نوع منه ايضا ، وهو ما يكون بالاضافة الى بعض ما يغاير . والحاصل انه ليس المراد بالحقيقى ما ليس اضافيا مطلقا ، بل ما كان بالاضافة الى جميع المقصور عليه .

---

(١) شروح التلخيص ، مواهب الفتاح ، جـ٢ ، ص ١٦٧ــ١٦٨ .
(٢) شروح التلخيص ، مختصر السعد ، جـ٢ ، ص ١٦٨ .
(٣) شروح التلخيص ، مواهب الفتاح ، جـ٢ ، ص ١٦٨ .

كما ان المراد بالاضافى ، ما كان بالاضافة الى بعض ما عدا المقصور عليه . وحينئذ فكل منها قسم من مطلق اضافى) (١) .

ثم يضع الدسوقى فرقا بين الحقيقى والاضافى ، وذلك حسب اعتبار المعتبر . فقال :

(وحاصله ان الحقيقى والاضافى بحسب اعتبار المعتبر ، فان اعتبر التخصيص بالنسبة الى جميع الصفات الباقية ، فهو حقيقى ، سواء وجد الجميع ، ام لم يوجد شئ منه . وان اعتبر التخصيص بالنسبة الى بعضها ، فهو اضافى ، وان لم يكن موجودا الا ذلك البعض) (٢) .

---

(١) شروح التلخيص: حاشية الدسوقى ، جـ٢ ، ص ١٦٨ .
(٢) شروح التلخيص: حاشية الدسوقى ، جـ٢ ، ص ١٦٧ .

تقسيم القصر الحقيقـــــى

سبق ان قلت ان القصر باعتبار الحقيقة والواقع قسمان (١) :

(١) قصـــــر حقيقى .

(٢) قصر غير حقيقى ، وهو الاضافى .

والقسم الاول منهما ، وهو (الحقيقى) ينقسم قسمين :

(١) حقيقى تحقيقى .

(٢) حقيقى ادعائى .

فالحقيقى التحقيقى : (هو تخصيص الشيء بالشيء بحسب الحقيقة ، ونفس الامر بان لايتجاوزه الى غيره اصلا) (٢) . بمعنى ان الحقيقى التحقيقى ، هو تخصيص الشيء بالشيء بحســـب الحقيقة والواقع ، ونفيه عن كل ما عداه . وسمى قصرا حقيقيا ، لان النفى وقع على جميـــع ما عدا المذكور .

وتحقيقيا ، لان الواقع يشهد بذلك ، وقصر الموصوف على الصفة من الحقيقى التحقيقى متعذر ، لايكاد يوجد وذلك لتعذر الاحاطة بصفات الشيء (٣) . وقد تكلف البعض هـــذا المثال ـ انما الله تعالى متصف بكل كمال ، منزه عن كل نقص (٤) . اما قصر الصفة عـــلى الموصوف قصرا حقيقيا ، فكثير كقولنا : (لا اله الا الله) .

أثبتنا الالوهية لله وحده ، ونفيناها عن كل ما عداه ، فلا احد يتصف بالالوهية اتصافا حقيقيا غير الله سبحانه وتعالى .

واما الحقيقى الادعائى : فهو اثبات الشيء للشيء ، وجعل الغير فى حـــكم العدم مبالغة وادعاء . فقولنا : ما البطل فى البلد الا عامر . قصرنا الشجاعة على عامر ، وانزلنا كل من عداه منزلة العدم . ولكن الواقع مخالف لذلك . اذ ان فى البلد ابطالا كثيرين غير عامر . وهذا المثال من قبيل قصر الصفة على الموصـــــوف .

---

(١) لم يذكر صاحب المفتاح هذا التقسيم .
(٢) شروح التلخيص: مختصر السعد ، جـ٢ ، ص ١٦٧ .
(٣) الايضاح : القزوينى : تحقيق عبدالمنعم خفاجى ، جـ١ ، ص ٢١٣ .
(٤) بغية الايضاح : عبدالمتعال الصعيدى ، ط٧ ، جـ٢ ، ص ٤ .

اما قصر الموصوف على الصفة من الحقيقى الادعائى فمثاله :

(ما محمد الا كريم) • نريد ان محمدا لايتصف بغير الكرم من الصفات، مبالغة فى كمال كرمه ، فكأن غير صفة الكرم فى محمد — بالنسبه الى كرمه — معدومة • وسمى قصرا حقيقا ،لان النفى وقع على جميع ما عدا المذكور ، وادعائيا ، لان الواقع مخالف لذلك •

القصر الاضافى :

هو (تخصيص الشئ بالشئ ، بحسب الاضافة الى شئ اخر ، بان لايتجاوزه الى ذلك الشئ ، وان امكن ان يتجاوزه الى شئ اخر (١) • بمعنى ان القصر الاضافى ، هو تخصيص شئ بشئ ، ونفيه عن بعض ما عداه • مثال : ما كاتب الا على •

أثبتنا الكتابة لعلى ، ونفيناها عن زيد مثلاً •

ولم نقصد نفيها عن جميع الافراد •

انما كان النفي بالنسبة الى فرد معين مخصوص •

---

(١) مختصر السعد ، جـ٢ ، ص١٦٧ •
واعترض الدسوقى على قوله (وان امكن) ، لان معناه : والحال انه امكن ، فالواو للحال ، وان وصليه • فيرى ان القصر الاضافى ، لابد فيه من مجاوزة الشئ للشئ بالفعل • فقولنا (مازيد الا قائم) ، معناه ان زيدا لايتجاوز القيام الى القعود ، ولكن يتجاوزه الى غيره من العلم او الشعر او الكتابة • فالاولى ان يقول (وان تجاوزه) ، لان الذى ينافى الحقيقى ، انما هو المجاوزة بالفعل • واما الامكان فلا ينافيه واجيب بان المراد بالامكان ، الامكان الوقوعى لامطلق الامكان • فامكن فى كلام السعد بمعنى وقع • وهذا ايضا راى الصفوى • وذكر الحفيد ان الشرط فى الاضافى عدم التجاوز الى ما يعتبر القصر بالاضافة اليه ، كالقعود فى المثال المذكور • واما غيره فلا يشترط التجاوز اليه بالفعل ، بل يكفى فيه امكان التجاوز ، وان لم يوجد ، كما اشار اليه الشارح •
بخلاف الحقيقى ، فان عدم التجاوز فيه بالنسبة لجميع ما عدا المقصور عليه ، من غير امكان التجاوز لغيره •

اقسام القصر الاضافى :

ينقسم القصر الاضافى باعتبار حال المخاطب ثلاثة اقسام :

(١) افـــــراد .

(٢) قـــــلب .

(٣) تعييـــــن .

وانفرد القصر الاضافى بهذا التقسيم – لان القصر الاضافى يلاحظ فيه الحقيقة، ونفس الامر مع ملاحظة حال المخاطب – وليس كذلك القصر الحقيقى اذ انه يلاحظ فيه الحقيقة، ونفس الامر دون ملاحظة حال المخاطب .

(١) قصر الافراد :

هو التخصيص بشئ دون شئ، لمن يعتقد شركة صفتين فى موصوف واحد . فى قصر الموصوف على الصفة، وشركة موصوفين فى صفة واحدة، فى قصر الصفة على الموصوف .

فمثلا اذا اعتقد المخاطب اشتراك الموصوف فى صفتين، فنرد على اعتقاده هذا، بافراد الموصوف بصفة واحدة، كقولنا : " ما زيد الا كاتب " .
قصرنا زيدا على الكتابة، ردا على من اعتقد انه شاعر وكاتب . هذا فى قصر الموصوف على الصفة . واذا اعتقد شخص ان سعدا وبكرا ومحمدا اشتركوا فى صفة الكرم مثلا، فاننا نرد على اعتقاده هذا بقصر صفة الكرم على سعد دون غيره، فنقول : ما كريم الا سعد، وهذا من قبيل قصر الصفة على الموصوف . وسُمّى بقصر الافراد لقطع الشركة، اى لاننا نفينا به الشركة المعتقدة، فأفردنا موصوفا بصفة، او صفة بموصوف .

واشترط الامام القزوينى فى قصر الموصوف على الصفة افرادا، عدم تنافى الصفات اثباتا ونفيا، فالمنفى فى قولنا ما زيد الا شاعر، هو صفة الكتابة لا كونه غير شاعر . وشرط هذا الشرط فى قصر الافراد، ليتصور اعتقاد المخاطب اجتماعهما فى الموصوف (١) والشرط عام لقصر الموصوف على الصفة، والصفة على الموصوف، وانما خص الاول بالذكر، لجريانه فى جميع

---

(١) الايضاح : الخطيب القزوينى، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجى، ط٥، ج١، ص ٢١٤ .

صوره ، بمعنى ان الموصوفات لاتكون الا متنافية بخلاف قصر الصفة على الموصوف ،فانه انما يصح ، حيث يمكن اتصاف اثنين واكثر بصفة واحدة (١) .

(٢) قصر القلب :

التخصيص بشيء مكان شيء ، اذا اعتقد المخاطب عكس الحكم ، الذى اثبته المتكلم (٢) .

ففى قصر الصفة على الموصوف ، اذا اعتقد المخاطب ان القارىء على لا احمد ، فتقول نفيا لذلك الاعتقاد ما القارىء الا علي .

وفى قصر الموصوف على الصفة : اذا اعتقد المخاطب ان محمدا شاعر لا كاتب . فنقول نفيا لذلك الاعتقاد ما محمد الا كاتب .

" وانما يسمى قصر قلب ، لان فيه قلبا وتبديلا لحكم المخاطب كله بغيره . بخلاف قصر الافراد ، فانه وان كان فيه قلب وتبديل ، لكن ليس لكل حكم المخاطب ، بل فيه اثبات البعض ونفى البعض " (٣) .

واشترط الخطيب القزوينى فى قصر الموصوف على الصفة من قصر القلب ، تحقق تنافى الوصفين ؛ ليكون الإثبات مشعرا بانتفاء غيرها . فالمنفي في قولنا (ما زيد إلا قائم) ، كونه قاعدا وما إلى ذلك مما لا يمكن اجتماعه مع القيام .(٤)
واشترط في قصر الموصوف على الصفة إفرادا عدم تنافي الوصفين ليتصور اعتقاد المخاطب اجتماعهما .

ولقد اهمل السكاكى ما اشترطه القزوينى ، من عدم تنافى الوصفين فى قصر الموصوف على الصفة افرادا ، وضرورة تحقق تنافيهما فى قصر القلب . ولقد استحسن السعد (٥) ، والدسوقى (٦) ، وابن يعقوب (٧) ، اهمال السكاكى لهذا الشرط .

ورُد تعليل القزوينى واشتراطه ، بأن العقل مستقل بالحكم ، بعدم اجتماع المتنافيين فى قصر الافراد . وانه قد يقع القصر قلبا ، مع عدم تنافى الوصفين . كما فى قولنا (مازيد الا شاعر)

---

(١) عقود الجمان : السيوطى ، ص ١٥٨ .
(٢) شروح التلخيص: مختصر السعد ، جـ٢ ، ص ١٨٠ .
(٣) شروح التلخيص: جـ٢ ، شرح الدسوقى ، ص ١٨٠ .
(٤) الايضاح : القزوينى ، جـ١ ، ص ٢١٤ .
(٥) شروح التلخيص: مختصر السعد ، جـ٢ ، ص ١٨٣ .
(٦) المرجع السابق ، شرح الدسوقى ، جـ٢ ، ص ١٨٣ .
(٧) المرجع السابق ، مواهب الفتاح ، جـ٢ ، ص ١٨٤ .

لمن اعتقد انه كاتب، وليس بشاعر. فلا داعى اذا لهذا الاشتراط، لان اداة القصر ايضا مشعرة بالتنافى . كما ان الانتفاء قد يفهم من القرينة الموجودة فى العبارة (١) .

(٣) قصر التعيين :

اذا تساوى الامران عند المخاطب، بمعنى انه غير حاكم على احدهما بعينه ، ولا باحدى الصفتين بعينها ، فانه يسمى قصر تعيين ، لتعيينه ما هو غير معين عند المخاطب. فالمخاطب بقولنا ما زيد الا قائم لمن يعتقد انه اما قاعد ، واما قائم من غير علم بالتعيين. وبقولنا ما شاعر الا زيد ، لمن يعتقد الشاعر زيد او عمرو، من غير ان يعلمه على التعيين (٢) . ولا يشترط فى قصر التعيين تردد المخاطب بين شيئين فقط، بل لو تردد بين عدة اشياء، وعُين بعضها سمى قصر تعيين .

ولقد اختلف البلاغيون فى قصر التعيين ، هل هو قسيم للافراد والقلب، او يندرج تحت الافراد .

فنرى السكاكى يدرجه تحت الافراد . وذلك لان الافراد عنده ، ((هو قطع الشركة سواء كانت بطريق الاعتقاد او الاحتمال)) (٣) . وبذلك يكون القصر الاضافى عنده نوعين فقط . قصر افراد — قصر قلب .

اما القزوينى فمن رأيه ان الافراد ، هو ((قطع الشركة الاعتقادية فقط . فلا يتناول التعيين ، لانه قطع الشركة الاحتمالية ، لاشتراك الصفتين او الموصوفين فى ان كلا منهما ، يحتمل ان يكون ثابتا بدل الاخر)) (٤) . وعلى هذا يكون التعيين عنده قسيما لكل من الافراد ، والقلب .

---

(١) شروح التلخيص، جـ٢، ص ١٨٤ — ١٨٥ .
(٢) انظر شروح التلخيص، جـ٢ ، ص ١٨٥ .
عقود الجمان فى المعانى والبيان : (شرح العمرى) ، جـ١ ، ص ١٥٨ .
(٣) شروح التلخيص : حاشية الدسوقى ، جـ ٢ ، ص ١٨٢ .
(٤) المرجع السابق : نفس الصفحة .

وهكذا نرى ان الفرق بين قصر الافراد والتعيين دقيق جدا . فالافراد هو ازالة الشركة الحقيقية او الاعتقادية . والتعيين هو ازالة الشركة الاحتمالية .

ومما يجدر الاشارة اليه ، ان احدا من البلاغيين ، لم يدرج قصر الافراد تحت قصر القلب ، لظهور أن لا عكس فيه أصلا .(١)

(٢) ـ أ ـ قصر الموصوف على الصفة .

ـ ب ـ قصر الصفة على الموصوف .

قبل توضيح المقصود بقصر الموصوف على الصفة ، او الصفة على الموصوف . لابد من الاشارة الى المقصود بالصفة فى باب القصر ، هل هى النعت النحوى ، او خلافه . مع بيان الطريقة فى معرفة نوع القصر ، من حيث هو صفة على موصوف ، او موصوف على صفة .

فالمراد بالصفة فى باب القصر ، هى الصفة المعنوية لا النعت النحوى ، اى المعنى القائم بالغير ، سواء دل عليه بلفظ النعت النحوى كقائم ، او غيره . كالفعل نحو : مازيد الا يقوم (٢) ، أو كلّ ما يمكن ان يؤدى معنى الصفة كالحال ((ماجاء محمد الا ضاحكا)) .

كما يقع القصر بين اسم الاشارة والمشار اليه نحو : ((ما هذا الا مجتهد)) . والمعلوم ان الصفة فى باب النعت ، تكون فى المشتق . ولكنها فى باب القصر قد تأتى اسما جامدا ، نحو (هل الجود الا الجود بالنفس) ، (ما الورد الا خدّ) . فاعتبر احد الاسمين صفة والاخر موصوفا . وقد تكون متعلق ظرف او جار ومجرور .

فالصفة المعنوية اذا امر لوحظ قيامه بغيره . والموصوف : كل شىء لوحظ قيام غيره به ، والشىء الواحد قد يكون صفة لغيره ، وقد يكون موصوفا بغيره ، فيكون صفة من جهة ، وموصوفا من جهة اخرى ، والمدار على الجهة الملاحظة فى الاسلوب فان لوحظ جهة قيام غيره به ، جعلته موصوفا . وان لوحظ جهة قيامه بغيره ، جعلته صفة . فقولنا ((الاقبال على المصنوعات الوطنية ، لايزال ضعيفا)) . فالاقبال هنا لوحظ كونه موصوفا . ويصح فى مثال اخر ،

---

(١) المرجع السابق ، نفس الجزء والصفحة .
(٢) شروح التلخيص ، ج٢ ، ص ١٦٩ .

ان نجعله صفة، فنقول : عليّ مُقْبِل . ولا لزوم لتأويل العلماء الخبر في مثل هذا الاسلوب بالمسمى ، كما لا حاجة لما يراه بعض العلماء، من ان المشتق هو الخبر تقدم او تأخر (١) .

اما الطريقة التي نتعرف بها على نوع القصر، من حيث هو صفة على موصوف، او موصوف على صفة. فقد ذكر فيها الشيخ سليمان نوار كلاما مركزا سهل الدلالة ملخصه: ان القصر — في المبتدأ والخبر — اذا كان المبتدأ مشتقا ، فيكون من قصر الصفة على الموصوف: (انما الشجاع محمود) ، قصرت الشجاعة وهي صفة على محمود . واذا كان المبتدأ جامدا ، فهو من قصر الموصوف على الصفة : (انما حافظ شاعر) .

واذا كان المبتدأ والخبر مشتقين، فالاولى ان تُعتبر الصفة في جانب الخبر، فيكون الاسلوب، من قصر الموصوف على الصفة. مثال (انما الفائز المجد) . قُصر الفائز على المجد .

اما اذا كانا جامدين مثل : (انما الغِنَى غِنَى النَّفْس) ،فقد ذهب البلاغيون الى التأويل في جانب المقصور عليه . والامثلة المشهورة في ذلك قولهم : (ما زيد إلاّ أخوك ، وما الباب الاّ ساج ، وما هذا الاّ زيد) .فهذه كلها من باب قصر الموصوف على الصفة تأويلا ، اذ المعنى انه مقصور على الاتصاف، بكونه اخا او ساجا او زيدا . وقيل انه قد يعتبر التأويل في جانب المقصور على معنى قصر الكون زيدا على اخيك، والبابية على الساج ، والهاذية على زيد . فحينئذ يكون من قصر الصفة على الموصوف، لكنه لايخلو عن تكلف (٢) . وملخص القول ان الخبر اذا وقع مقصورا عليه ، وكان مشتقا او جامدا او جارا ومجرورا ، فهو من قصر الموصوف على الصفة . واذا وقع المبتدا مقصورا عليه ، يكون من قصر الصفة على الموصوف كقوله تعالى : (وإن تولّوا فانما عليك البلاغ) (٣) ،وقوله : (وما على الرسول الاّ البلاغ) (٤) . اما القصر في الفاعل ، اى وقوع الفاعل مقصورا عليه ، فيكون من قصر الصفة على الموصوف مثل (ما جاء الاّ على ،و (إنما يخشى اللّهَ من عبادِه العلماءُ) (٥) . وقصر الفاعل على المفعول في نحو (انما

---

(١) مذكرات الشيخ سليمان نوار، ص١٣٣–١٣٤ .
(٢) شروح التلخيص حاشية الدسوقي جـ٢ ص ١٧١ .
(٣) سورة ال عمران اية ٢٠ /
(٤) سورة النور اية ٥٤ / العنكبوت اية ١٨ .
(٥) سورة فاطر اية ٢٨ .

اخشى سيل تلعتى) . ذكر الشيخ سليمان نوار، ان اخصر طريق فيه ، ان يكون معنـاه قصر الفعل الصادر من الفاعل على المفعول، قصر الخشية على سيل التلعة، الا ان الخشية لما كانت وصفا للفاعل، وهو المتكلم لا للمفعول، وهو التلعة، اضطر العلماء ان يأخذوا من الفعل اسم مفعول، ويجعلونه نفس الصفة المقصورة، ففى المثال : يأخذون من اخشى (مخشى) ، ويكون نظم المثل فى التقدير : (انما المخشى سيل تلعتى) ، ولا ريب ان المخشى صفة لسيل التلعة — ويكون قصر الفاعل على المفعول فى المآل، من قصر الصفة على الموصوف ولك ان تلاحظ فى قصر الفاعل على المفعول، قصر الفاعل على الفعل المتعلق بهـذا المفعول، فيكون من قصر الموصوف على الصفة. وذكر الشيخ سليمان نوار ان الوجه الا ول متكلف، وان الاولى من هذين الاعتبارين ملاحظة ان الفعل مقصور على المفعول، بتأويل انه مقصور على تعلقه وارتباطه بذلك المفعول. ويؤيد هذا قولهم فى بحث المجـاز العقلى . وللفعل ملابسات شتى يلابس الفاعل، لقيامه به او صدوره منه . ويلابس المفعول بوقوعه عليه — على هذا نعتبر نفس الفعل موصوفا، وتعلقه بهذا المفعول صفة. تقـول ما ذاكرت الآن درسا واحدا ، وتريد قصر مذاكرتك على التعلق بدرس واحد ، فلا يتجاوزه الى التعلق بدرسين او ثلاثة . وهذا الوجه قليل التكلف ، ومنظور فيه الى المقصور. واذا كان المقصور عليه حالا ، فهو من قصر الموصوف على الصفة، لان الملاحظ هنا قصر صاحب الحال على الحال (١) .

ومما ينبغى توضيحه ايضا ، انه كثيرا ما يقع الجار والمجرور موقع المقصور عليـه ، فان كان متعلقا بفعل هو المقصور، فالمقصور عليه هو المجرور، كما فى قول الشاعر :

إلى اللهِ أشكُو لا إلى الناسِ أنني
أرى الأرضَ تبْقَى والأخلاءُ تَذْهَـبُ (٢)

ويكون القصر هنا من قبيل قصر الصفة على الموصوف، وان كان الجار والمجرور متعلقا بصفـة . وفى هذه الحالة يكون المقصور اسما ، فالمقصور عليه هو متعلق الجار والمجرور، كما فـى

---

(١) مذكرات الشيخ سليمان نوار، ص ١٣٨ــ ١٤١ .

(٢) هو للغطمش الضبى وهو شاعر جاهلى .

(الى الله المشتكى ، فالمشتكى مقصور، والى الله متعلق بحاصل مثلا، فهذا هو المقصور عليه ، ويكون من قبيل قصر الموصوف على الصفة (١) بعد ان اوضحت المقصود بالصفة في باب القصر، وعالجت الطريق الى معرفة نوع القصر، من حيث هو صفة على موصوف، او موصوف على صفة . ساشرع في بيانها في اقسام القصر الحقيقي والاضافي ، مع ضرب الامثلة التوضيحية لكل نوع .

٢ — ينقسم القصر الحقيقي والاضافي الى نوعين :

(١) قصر موصوف على صفة .

(٢) قصر صفة على موصوف .

(١) _قصر الموصوف على الصفة من الحقيقي :

هو ان لايتجاوز الموصوف تلك الصفة الى صفة اخرى، لكن يجوز ان تكون تلك الصفة لموصوف اخر (٢) .

وقصر الموصوف على الصفة من الحقيقي ، متعذر لايكاد يوجد ، لتعذر الاحاطة بصفات الشيء عادة ، حتى يمكن اثبات شيء منها ، ونفي ما عداها بالكلية . والعاقل لايحيط بصفات نفسه ، فكيف يحيط بصفات غيره . ولان لكل من الصفات المنفية نقيضا وهو ثبوتها ، وهو من الصفات التي لايمكن نفيها . لان نفي جميع الصفات، يترتب عليه لزوم ارتفاع النقيضين .

فاذا قلنا (ما محمد الآ شاعر) واردنا انه لايتصف بغير صفة الشاعرية، لزم من ذلك نفي اتصافه بالقيام والقعود والاكل ... ،ولزم ان لايتصف بالحركة ولابنقيضها ، ولزم ان لايتصف بالكتابة ولا بنقيضها . وهذا امر محال لامتناع ارتفاع النقيضين (٣) .

ولذا نجد البلاغيين يعبرون عنه بانه نوع عزيز لايكاد يوجد الا على سبيل المبالغة والادعاء، وبخاصة في مقام المدح والفخر ونحوهما ، كقول الشاعر :

هل الجودُ الآ أنْ تَجُودَ بأنْفُسٍ

على كلّ ماضِي الشفْرَتَينِ صَقِيلِ (٤)

---

(١) توضيح المعاني على محمد حسن، ط٦ ، ص٩٠-٩١ .
(٢) شروح التلخيص، مختصر السعد ، ج٢، ص ١٦٩ .
(٣) شروح التلخيص، ج ٢، ص ١٧٢-١٧٣ .
(٤) لم أقف له على قائل .

(ب) قصر الموصوف على الصفة من القصر الاضافى :

وهو الا يتجاوز الموصوف تلك الصفة الى صفة اخرى معينة ، وان امكن ان يتجاوزها الى صفات اخرى (١) • مثال قوله تعالى (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم • ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا) (٢) • قصر الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم على صفة الرسالة لايتعداها الى الخلود والحياة الدائمة • وان كان يتصف بصفات اخرى كالصحة والوقار والمحبة •

(جـ) قصر الصفة على الموصوف من الحقيقى :

ان لاتتجاوز الصفة موصوفها الى موصوف اخر مطلقا ، وان كان الموصوف يتجاوزها الى صفات اخرى، (٣) كقولنا : (لا اله الا الله) فالألوهية مقصورة على لفظ الجلالة ، لاتتعداه الى غيره ، وان كان المولى عز وجل يتصف بصفات اخرى كالاحياء والاماتة الى غيرها من الصفات الالهية الجليلة ، التى لاتعد ولا تحصى ، ومن قصر الصفة على الموصوف قصرا حقيقيا ، فيه مبالغة ، قوله تعالى : (انما يخشى الله من عباده العلماء) (٤) •

قصر الله سبحانه وتعالى خشيته على العلماء دون غيرهم ، لعدم الاعتداد بخشيته ذلك الغير •

قصر الصفة على الموصوف قصرا اضافيا :

هو ان يحكم بان هذه الصفة لاتتجاوز هذا الموصوف الى موصوف اخر معين متحد او متعدد ، وان كانت هى تتجاوز الى غير ذلك المعين ، كأن يعتقد المخاطب ان الشعر وصف لعمرو فقط ، او له ولزيد ، فتقول : ما شاعر الا زيد • فقصر الشعر على زيد بحيث لايتعداه الى عمرو فقط ، وان كان يتعدى الى غير عمرو •

ومعلوم ان هذا ايضا لايقتضى كون الموصوف مقصورا على صفة الشعر ، بل يجوز ان يتعداه الى الكتابة وغيرها (٥) • ومن قصر الصفة على الموصوف من القسم الاضافى على سبيل

---

(١) شروح التلخيص • مواهب الفتاح ، جـ٢ ، ص ١٦٨ •
(٢) سورة ال عمران • اية ١٤٤ •
(٣) المرجع السابق ، ص ١٦٩ •
(٤) سورة فاطر ، اية ٢٨ •
(٥) شروح التلخيص ، مواهب الفتاح ، جـ٢ ، ص ١٦٩ •

المبالغة والادعاء قولنا :(ما بطل الا على) ، اى لا محمد ، وان كان محمد يتصف بالبطولة ، ولكننا ننزل صفته هذه منزلة العدم ، لنبالغ فى صفة بطولة على ٠

الفصل الثاني

طرق القصر :

(١) - اساليب غير اصطلاحية تفيد معنى القصر

(٢) - الاساليب الاصطلاحية

(٣) - اوجه الاتفاق والاختلاف بين الطرق الاصطلاحية

هناك كثير من الاساليب التى تؤدى معنى القصر ، ولكنها لاتدخل فى بابـــه ، فعلماء المعانى ، وضعوا للقصر حدا وتعريفا ، منعا للفوضى فى مسائل العلوم ، فعرفـــوا القصر : بانه ((تخصيص شىء بشىء بطريق مخصوص) فقولهم بطريق مخصوص : اخرج مثـــل هذه الاساليب من باب القصر .

ولامانع هنا من ذكر بعض تلك الاساليب ، فمنها : محمد شاعر وحده .

وكذلك قولنا : اعبد الله دون غيره .

قام محمد منفـــردا .

خصنى عـــلى بالزيارة .

قصرت حبى على الله ورسوله .

ومنها قوله تعالى : " حور مقصورات فى الخيام " (١) .

ومنها ايضا :

(١) ١ــ قوة الكلام تدل على قصر الحصر بالادعاء :

ومما قاله السعد فى مختصره ، شرحا لقول البحترى يمدح المعتز ويعرض بالمستعين .

شَجْو حُسَّادِه وكَيْدَ عِدَاهُ

أنْ يرَى مُبْصِر ويَسْمَــعَ وَاعِ (٢)

(بل لايبصر الرائى الا تلك الاثار ، ولايسمع الواعى الا تلك الاخبار) .

وقد نبه بذلك على ان اسلوب البيت يفيد الحصر كما هو ظاهر .

ثم علق الدسوقى على قول السعد ، فقال : (قوله : بل لايبصر الرائى) .

اى من المحاسن الا تلك الاثار ، اى محاسنه ولايسمع الواعى : اى لاخبار احـــد الا تلك الاخبار ، اى اخبار مآثره . لانه لو رُوئيت غير محاسنه ، او سُمعت غير اخبار مآثره ، لتأتى ادعاء المشاركة ، فى استحقاق الامامة ، فلايكون وجود الرؤيـــة ، والسماع شجو حساده . فالمقصود انما يحصل بالانفراد فيه .

فان قلت: انه لايلزم من كون روئية آثاره ، وسماع اخباره لازمين لمطلق الرؤيـــة

---

(١) سورة الرحمن ، اية (٧٢) .

(٢) ديوان البحترى ، م ١ ، ص ١٥١ .

والسماع، ان يكون غير آثاره وأخباره . كذلك اذ ليس هنا ما يدل على الحصر، فروئية آثاره، لاتنافي روئية آثار غيره، وكذلك سماع اخباره، لاينافي سماع اخبار غيره، فيجوز حصول الامرين معا . اجيب بان قوة الكلام، تدل على قصد الحصر بالادعاء . لان ذلك انسب بالمقام، الذى هو مقام المدح باستحقاقه الامامة دون غيره، اذ لاشك ان هذا لايتم الا اذا كان فيه من المزايا، ما ليس فى غيره . لان اعداءه لايتهرون، ولايشهدون له باستحقاق الامامة دون غيره الا اذا كان كذلك .

والدسوقى فيما قاله تابع لابن يعقوب المغربى حيث يقول فى نفس الموضع:

(... بل ادعى اللزوم بين مطلق الروئية والسماع، وكون الرائى والسامع لايرى الا تلك المحاسن، ولايسمع الا تلك الاخبار . لانه لو رُوئيت غير محاسنه، او سمعت غير اخبار مآثره، تأتى ادعاء المشاركة فى الاستحقاق . فلا يكون وجود الروئية والسماع شجو حساده . فالمقصود انما يحصل فى الانفراد فيه . وعلى هذا لايرد ان يقال: لايلزم من استلزام مطلق الفعلين لهما، متعدين حصرهما فى محاسنه واخباره . لان قوة الكلام تدل على قصد الحصر بالادعاء . لان ذلك انسب بجعله منفردا، ففحوى الكلام يدل على ان قصد جعل الفعلين لازمين، يستلزمان انفسهما، متعدين مع حصرهما فيما تعديا له، وذلك نهاية المبالغة...) (١) .

(٢) مفهوم اللقب :

قال السعد تعليقا على بيت المتنبى :

نَهبْتَ مِنَ الأعْمارِ ما لو حَويتَـهُ
لهُنئت الدنيا بأنَّـك خـالدُ (٢)

(قال على بن عيسى الربعى : وفيه اى فى البيت : وجهان اخران من المدح . احدهما : انه نهب الاعمار دون الاموال، كما هو مقتضى علو الهمة . وذلك مفهوم من تخصيص الاعمار بالذكر .

والاعراض عن الاموال، مع ان النهب بها اليق . وهم يعتبرون ذلك فى المحاورات

---

(١) شروح التلخيص، جـ٢، ص ١٢٨ـ١٣٠ .
وبهذا تبين ان الدسوقى ليس ابا عُذر هذا الكلام، وكثيرا ما ينقل، ولاينبه .
(٢) ديوان ابى الطيب بشرح ابى البقاء العكبرى . جـ١ ص ٢٧٧ .

والخطابيات، وان لم يعتبره ائمة الاصول) ·

وعلق الدسوقى فى حاشيته على مختصر السعد : (قوله : انه نهب الاعمار دون الاموال، اى وهذا يستلزم مدحه بعلو الهمة، وان همته انما تتعلق بمعالى الامور، لان الذى يميل للمال ، انما هو ذو الهمة الدنية، والاموال يعطيها ولاينهبها ، والارواح ينهبها · فالعدول عن الاموال الى الاعمار، انما هو لعلو الهمة ، وذلك مما يمدح به ·

(قوله : وذلك) اى نفى نهب الاموال ، مفهوم من تخصيص الاعمار بالذكر، والاعراض عن الاموال· لان تخصيص الشىء بالذكر يقتضى الحصر· (قوله فى المحاورات: اى الخصومات، وقوله (والخطابيات) : اى الظنيات، (قوله وان لم يعتبره) : اى التخصيص المذكور، (ائمة الاصول) : اى اكثرهم· فهو لايفيد الحصر عندهم، لانه لقب، وهو لامفهوم له كقولهم: على زيد حجٌّ· واعتبره الدقاق والصيرفى (١) من الاصوليين·

وقد يقال : هذا ظاهر بالنظر للمجرور فقط، اى الاعمار، اما اذا نظر لمجموع الجار والمجرور فهو قيد ، وائمة الاصول يعتبرون مفهومه · (اهـ·س) ·

وقد سبق ايضا ابن يعقوب بما يتعلق بالحصر وسببه ،قال : (انه نهب الاعمار دون الاموال ،لان ذلك يستلزم كونه ممدوحا بعلو الهمة ،وان همته تتعلق بمعالى الامور، فالاموال يعطيها ولاينهبها ، والارواح ينهبها ·

فالعدول عن الاموال الى الاعمار، انما يكون لعلو الهمة، وذلك مما يمدح به ·

ولايقال : لايلزم من الاخبار بنهب الاعمار، العدول عن الاموال، لصحة الجمع بينهما ، فلا يدل الكلام على المدح بعلو الهمة ،لانه لامفهوم للقب، ولا حصر يفيد التخصيص·

لانا نقول : تخصيص الاعمار بالذكر، والاعراض عن الاموال، مع ان النهب اصله ، ان يتسلط على الاموال يفيد التخصيص، لانهم يعتبرون مفهوم اللقب من جهة ان تخصيصه بالذكر، انما يكون فى محاورة البلغاء وخطابياتهم لفائدة، وليس الا اخراج ما سواه عن الحكم، والا كان الصواب ان يقول مثلا : نهبت كل شىء للاعداء · وحيث عدل الى تخصيص الاعمار بالذكر، اعتبر له

---

(١) الصيرفى : فقيه شافعى ، كان اعلم الناس بالاصول بعد الشافعى ، كما يقول عنه القفال· توفى سنة ٣٣٠هـ· "/وفيات الاعيان ٣/٣٣٧ ــ طبقات الشافعية٣/١٨٦ " ·

المفهوم عند البلغاء فى محاوراتهم ، فكأنه يقول : مانهبت الا الاعمار دون الاموال ، لعلو همتك .

ولايضر الغاء ائمة الاصول مفهوم اللقب ، لان القائلين بذلك ، قالوا به بالنسبة لاستفادة الاحكام الشرعية ، التى ينبغى ان تحصل عن ظن قريب من اليقين . واما اعتبارات البلغاء التى يكفى فيها اى رمز ، فيصح فيها ما ذكر ، لان الخطاب فيما بينهم كذلك يتفاهم) (١) .

(٣)- تعين المسند اليه ، وهذا ما يرجح حذفه . ومعنى تعينه ان المسند معين للمسند اليه ، منحصر فيه ، فلا حاجة لذكره ، كقولك :

خالق لما يشاء : اى : الله . قال ابن السبكى : (ينبغى ان يلحق هذا بما يحصل به القصر ، ويذكر فى بابه) (٢) .

(٤)- مسألة : مثل قوله : (تحريمها التكبير ، وتحليلها التسليم) ولا قرينة عهد ، يفيد الحصر نطقا ، على كلام القاضى فى التعليق (٣) ، واختاره المقدس وابوالبركات والمحققون ، وقيل : فهما .

وعند ابن الباقلانى ، واكثر الحنفية لاتفيد الحصر) (٤) .

---

(١) شروح التلخيص ، ج٤ ، ص ٣٩٨ .
ولا حاجة الى التنبيه بمدى سطو الدسوقى على كلام ابن يعقوب .

(٢) شروح التلخيص ، ج١ ، ص ٢٨٠ .

(٣) التعليق : كتاب للقاضى ابى يعلى .

(٤) المختصر فى اصول الفقه على مذهب الامام احمد بن حنبل .
على بن محمد بن على بن عباس بن شيبان المعروف بابن اللحام ص ١٣٦ .

طرق القصر الاصطلاحية

(١)- العطف

(٢)- النفي والإستثناء

(٣)- إنما

(٤)- التقديم

(٥)- تعريف الجزئين

(٦)- ضمير الفصل

للقصر طرق عديدة اوصلها بعضهم الى اربعة عشر طريقا . كما فى الاتقان للسيوطى . ولكن المتفق عليه عند جمهور البلاغيين اربعة طرق هى :

١ـ العطف .

٢ـ النفى والاستثناء .

٣ـ انما .

٤ـ التقديم .

وزاد عليها بعضهم :

١ـ توسط ضمير الفصل .

٢ـ تعريف المسند او المسند اليه .

وبهذا تكون طرق القصر الاصطلاحية ستة طرق . وما يأتى خلاف ذلك، يعد من الطرق غير الاصطلاحية .

(١) العطف :

ويفيد القصر بالاحرف : لا، وبل، ولكن .

وينص فيه على المثبت والمنفى، بخلاف بقية الطرق . فان النص فيها على المثبت، اما النفى فيفهم ضمنيا . ويكون القصر بالعطف بحرف يقتضى ثبوت ضد حكم ما قبله لما بعده، والحكم الذى يفيد الحرف ثبوت ضده لما بعده . اما اثبات، فيكون الثابت لما بعده نفيا ــ كقولنا فى قصر الموصوف على الصفة افرادا : زيد شاعر لاكاتب . فأثبتنا له الشاعرية، وهى الصفة التى قبل لا، ونفينا عنه الكتابة، وهى الصفة التى بعد لا ــ واما نفى، فيكون الثابت بالحرف لما بعده اثباتا ــ كقولنا فى قصر الموصوف على الصفة افرادا : (ما زيد كاتبا بل شاعر) . فقد نفينا الكتابة اولا ثم اثبتنا الشاعرية . (١)

اشتهر عند بعض البلاغيين، ان القصر عن طريق العطف، لايكون الا اضافيا . فرد ابن يعقوب على هذا بقوله :

---

(١) شروح التلخيص، مواهب الفتاح، جـ٢، ص ١٨٦ـ١٨٧ .

(الحق أنه أكثرى لا كلى ، لصحة كونه من الحقيقى ، اذا كان هو جميع ما سوى المذكور. كقولك : زيد عالم البلد لاغيره ، اذا فرض أن لا عالم فى البلد سواه).(١) وذهب الدسوقى الى أن القصر عن طريق العطف يكون من الحقيقى والاضافى على حد سواء فقال : (واعلم أن العطف يكون للقصر الحقيقى والاضافى ، وذلك لأنه ان كان المعطوف خاصا نحو :(زيد شاعر لا عمرو) فالقصر اضافى ، وان كان عاما نحو : (زيد شاعر لاغير زيد) ، فالقصر حقيقى)(٢).

والعطف ب (لا) يستعمل فى قصر الافراد والقلب ، والتعيين. فان لوحظ كونه لرد الخطأ ، جاز استعماله فى قصر القلب والافراد ، وان لوحظ كونه لحفظ السامع من الخطأ جاز استعماله لقصر التعيين.(٣) خلافا للشيخ عبدالقاهر الجرجانى ، فعنده ان العطف ب (لا) ، لايستعمل الا فى قصر القلب فقط . ذكر فى الدلائل : (ثم اعلم أن قولنا فى (لا) العاطفة ، أنها تنفى عن الثانى ما وجب للأول ، ليس المراد به ، أنها تنفى عن الثانى، أن يكون قد شارك الاول فى الفعل ، بل انها تنفى أن يكون الفعل الذى قلت انه كان من الاول قد كان من الثانى دون الأول)(٤).

واشترط فى القصر ب (بل) أن تأتى بعد نفى. لأنها بعد النفى تفيد الاثبات للتابع ، فتفيد القصر . فقولنا :(ماعلى شاعرا بل كاتب) ، نفينا الشاعرية عن على وأثبتنا الكتابه له. أما اذا جاءت بعد الاثبات ، فلا تفيد القصر ، لأنها تجعل المتبوع فى حكم المسكوت عنه ، أى أن مهمتها اقتصرت على اثبات الشئ للشئ فقط ، دون نفيه عن غيره.(٥)

---

(١) شروح التلخيص ، مواهب الفتاح ، ج ٢ ، ص ١٩١
(٢) شروح التلخيص ، شرح الدسوقى ، ج ٢ ، ص ١٨٦
(٣) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٣٨٢
(٤) دلائل الاعجاز : تحقيق محمد رشيد رضا ، ط ٦ ، ص ٢٢٠
(٥) شروح التلخيص : حاشية الدسوقى ، ج ٢ ، ص ١٨٢

وقد اختلف النحاة والبلاغيون فى افادة (لكن) القصر ، فيرى النحاة أن (لكن) لاتستعمل الا فى قصر الافراد ، لانهم جعلوها للاستدراك . وهو رفع ما يتوهم من الكلام السابق .

أما لكن عند البلاغيين ، فتستعمل للاثبات بعد النفى لقصر القلب فقط ، ومدار الخلاف بينهما ، انما هو فى النفى دون الاثبات . واشترط بعض البلاغيين ، أن تُسبق (لكن) بنفى أو نهى ، فذكر الدسوقى أن :(لكن تخالف لا فى الاستعمال ، من حيث أن لا انما تستعمل بعد الاثبات ، ولكن انما تستعمل بعد النفى)(١) . وخالف ابن السبكى الجمهور فى كون العطف طريقا من طرق القصر ، فيرى ان العطف بلا ليس فيه معنى القصر ، وانما هو مجرد نفى واثبات . وأما القصر ببل فهو أبعد. قال: (أما العطف بلا فأى قصر فيه انما فيه نفى واثبات فقولك : (زيد شاعر لا كاتب) ، لا تعرض فيه لنفى صفة ثالثة ، والقصر انما يكون بنفى جميع الصفات غير المثبت اما حقيقة أو مجازا . وليس هو خاصا بنفى الصفة ، التى يعتقدها المخاطب وأما العطف ببل فأبعد ، فان قولك :(ما زيد قائما بل قاعد) ، لاقصر فيه ، وهو أبعد عن القصر عما قبله)(٢) .

والقصر عن طريق العطف ب (لا – بل – لكن) ، لايتحقق الا بتوفر شروط فى كل أداة من هذه الادوات .

وفيما يلى سأحاول بيان شرط كل اداة .

١ – لا :

وتأتى (لنفى الحكم الثابت لما قبلها عما بعدها . فلذلك لايعطف بها الا بعد الاثبات ، وذلك كقولك : (جاء نى زيد لا عمرو)(٣) .

---

(١) شروح التلخيص ، حاشية الدسوقى ، ج ١ ، ص ٣٨٣
(٢) شروح التلخيص ، عروس الأفراح ، ج ٢ ، ص ١٨٧
(٣) شرح شذور الذهب ، ص ٥٣١ .

ولقد لخص ابن هشام[١] في المغني شروط العطف بـ (لا) ، فقال:
(.. • الوجه الثالث أن تكون عاطفة ، ولها ثلاثة شروط ، أحدها : أن يتقدمها اثبات ، كـ (جاء زيد لا عمرو) ، أو أمر: كـ (اضربْ زيدا لا عمرا). قال سيبويه : أو نداء : هو (يا ابن أخي لا ابن عمي) ، وزعم ابن سعدان أن هذا ليس من كلامهم . الثاني : أن لا تقترن بعاطف . فاذا قيل" جاءني زيد لا بل عمرو " فالعاطف بل ، ولا رد لما قبلها ، وليست عاطفة. واذا قلت" ماجاءني زيد ولا عمرو " ، فالعاطف الواو ، ولا توكيد للنفي. وفي هذا المثال مانع آخر من العطف بلا ، وهو تقدم النفي. وقد اجتمعا أيضا في (ولا الضالين). والثالث : أن يتعاند متعاطفاها ، فلا يجوز جاءني (رجل لا زيد) ، لانه يصدق على زيد اسم الرجل . بخلاف (جاءني رجل لا امرأة) ، ولا يمتنع العطف بها على معمول الفعل الماضي. خلافا للزجاجي، أجاز (يقوم زيد لا عمرو) ، ومنع(قام زيد لا عمرو) ، وما منعه مسموع ، فمنعه مدفوع)[٢].

٢ - بل :

وبل العاطفة التي تحقق معنى القصر ، لابد أن يتقدمها نفي ، فتكون لتقرير ما قبلها على حالته ، وجعل ضده لما بعدها. نحو (ماقام زيد بل عمرو) ، و (لايقم زيد بل عمرو) ، أما إن تقدمها أمر أو ايجاب كـ (اضرب زيدا بل عمرا) ، و (قام زيد بل عمرو) . فهي تجعل ماقبلها كالمسكوت عنه ، فلا يحكم عليه بشيء ، واثبات الحكم لما بعدها[٣].

---

(١) وهو جمال الدين ابومحمد عبدالله بن يوسف بن احمد بن عبدالله بن هشام الانصاري الحنبلي النحوي ، ولد سنة ثمان وسبعمائة ولزم الشهاب عبداللطيف بن المرحل وتلا على ابن السراج وسمع على أبي حيان ديوان زهير بن ابي سلمى توفي سنة احدى وستين وسبعمائة من الهجرة / شذرات الذهب جـ ٦ ، ص١٩١

(٢) المغني ، جـ ١ ، ص٢٤١ - ٢٤٢

(٣) المرجع السابق ، جـ ١ ، ص١١٢

كما أنه لابد أن تكون عاطفة لمفرد على مفرد . جاء فى المغنى(وان تلاها مفرد فهى عاطفة)(١).

أما اذا عطفت جملة على جملة ، فتكون حرف اضراب ، ويكون معنى الاضراب (اما الابطال نحو (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون)(٢) .

وأما الانتقال من غرض الى آخر . وذكر ابن مالك(٣) فى شرح الكافية ، أنها لاتكون فى التنزيل الا على هذا الوجه ، قال : (وأما (بل) فللاضراب وحالها فيه مختلف ، فان كان الواقع بعدها جملة ، فهى للتنبيه على انتهاء غرض واستئناف غيره . ولاتكون فى القرآن الا على هذا الوجه)(٤).

وأورد ابن هشام فى المغنى أن ابن مالك ، قد زعم فى شرح كافيته ، أنها لاتقع فى التنزيل الا على هذا الوجه ووهمه ، وذكر أنها اذا كانت للاضراب فهى حرف ابتداء لا عاطفة. جاء فى المغنى :(بل حرف اضراب ، فان تلاها جملة ، كان معنى الاضراب : اما الابطال نحو (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه : بل عباد مكرمون)(٥) . أى بل هم عباد. ونحو (أم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق)(٦) . واما الانتقال من غرض الى آخر ، ووهم ابن مالك اذ زعم فى شرح كافيته ، أنها لاتقع فى التنزيل الا على هذا الوجه ، ومثاله (قد أفلح من تزكى ، وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحياة الدنيا)(٧).

ونحو (ولدينا كتاب ينطق بالحق . وهم لايظلمون ، بل قلوبهم فى غمرة)(٨).

---

(١) المرجع السابق ، نفس الجزء والصفحة.
(٢) الأنبياء : آية : ٢٦ .
(٣) شرح الكافية الشافية : تحقيق عبدالمنعم احمد هريدى ، ج ٣ ، ص١٢٣٣
(٤) هو محمد بن عبدالله بن محمد بن مالك جمال الدين صاحب التصانيف النحوى ولد سنة ستمائة أو احدى وستمائة أخذ العربية عن غير واحد وجالس بحلب ابن عمرون وغيره . كان شافعى المذهب . توفى بدمشق سنة اثنتين وسبعين وستمائة من الهجرة / شذرات الذهب ج ٥ ، ص٣٣٩
(٥) الانبياء : آية : ٢٦ .
(٦) المؤمنون : آية : ٧٠ .
(٧) الأعلى : آية : ١٦ .
(٨) المؤمنون : آية : ٦٢ .

وهى فى ذلك كله حرف ابتداء ، لا عاطفة على الصحيح.(١)

لكـــــن :

لكن المخففة على ضربين أحدهما مخففة عن الثقيله ، وهى حرف ابتداء لايعمل بل تفيد الاستدراك لا العطف ، لاقترانها بالواو. وذكر الفراء أن (لكن) اذا تقدمتها الواو آثرت العرب تشديدها ، فاذا أُلغِيَت الواو آثروا تخفيفها(٢) والضرب الثانى منها لكن العاطفة ، وقد أُخْتُلِفَ فى كونها عاطفة ، فـــرأى ابن مالك فى شرح الكافية ، أنه ان دخلت عليها الواو ، عَرِيَت عن العطـــف قال : (فان دخلت عليها الواو كقوله تعالى :(ولكن رسول الله)(٣)، عَرِيَت (لكن) من العطف ، وقُدِّر مابعدها جملة معطوفة على ما قبلها بالواو ، لأن بقاء (لكـن) بعد الواو عاطفة ، ممتنع لامتناع دخول عاطف على عاطف ، وجعـــل الواو عاطفة وحدها ، مع كون مابعد (لكن) مفردا ممنوع لمخالفته فى الحـكم للمعطوف عليه ، وحق المعطوف بالواو ان كان مفردا ، أن يستوى هو والمعطوف عليه فى الحكم. فان كانا جملتين اغتُفِرَ تخالفهما فى الحكم كقولك : (قـام زيد ولم يقم عمرو) ، و (أكرِم خالد وأهِين بشر) ، و (أطِع الله ولاتتبع الهـــوى) .

وزعم ابن خروف ، أن المعطوف بعد (لكن) لم يُسْتَعْمَل الا مـــع الواو .

وذكر بعض الائمة ، أن يونس لايرى (لكن) عاطفة) وكأنه انما لم يُعِدَّهـــا من حروف العطف ، لعدم استعمالها غير مسبوقة بواو).(٤) وكذلك اشـــترط اكثر النحويين فى كونها عاطفة ، عدم اقترانها بالواو (٥). وذكر الفـــراء فى معانى القرآن (فاذا الغيت من (لكن) الواو التى فى أولها ، آثـــروا تشديدها ، وانما فعلوا ذلك ، لأنها رجوع عما أصاب أول الكلام . فَشُبِّهَـــت ببل ، اذ كان رجوعها مثلها ، ألا ترى أنك تقول :(لم يقم أخوك بل أبـــوك) ثم تقول : (لم يقم أخوك لكن أبوك) ، فتراهما بمعنى واحد والواو لاتصلح

---

(١) المغني : ج ١ ، ص ١١٢
(٢) معانى القرآن ، ج ١ ، ص ٤٦٤
(٣) الاحزاب ، آية : ٤٠
(٤) شرح الكافية الشافية ، ج ٣ ، ص ١٢٣٠-١٢٣١
(٥) المغنى : ج ١ ، ص ٢٩٢

فى بل ، فاذا قالوا (ولكن) فأدخلوا الواو تباعدت من (بل) ، اذ لم تصلح الواو فى (بل) ، فآثروا فيها تشديد النون ، وجعلوا الواو كأنها واو دخلت لعطف لا لمعنى بل)[١] . وذكر البعض : انها عاطفة ، تقدمتها الواو ، أو لم تتقدمها[٢] . كما يشترط فى لكن : أن يتقدمها النفى أو النهى ذكر سيبويه أن لكن لايتدارك بها بعد ايجاب ، فقال(.. فان قلت مررت برجل صالح ولكن طالح ، فهو محال ، لأن لكن لايتدارك بها بعد ايجاب ، ولكنها يثبت بها بعد النفى)[٣] .

وذُكر فى شذور الذهب ، أن الكوفيين أجازوا العطف بها بعد الاثبات . (وأما لكن فلا يعطف بها الا بعد النفى أو النهى ، ومعناها كمعنى بل وعن الكوفيين جواز العطف بها بعد الاثبات ، قياسا على بل ، وأباه غيرهم لأنه لم يُسمع)[٤].

٢ - النفى والاستثناء :

اختلف علماء البلاغة فى طريق القصر (النفى والاستثناء)، هل يأتى من التام الموجب ، أم من التام المنفى ، أم من الاستثناء المفرغ ؟ فأجمعوا على أنه يأتى من الاستثناء المفرغ، أما التام الموجب ، فقد ذهب معظم البلاغيين ، الى أنه لايفيد القصر ، لأن الغرض منه الاثبات ، والاستثناء قيد ، فكأننا قلنا : (جاء القوم المغايرون لزيد) ، فلو عددنا هذا من طرق القصر ، لكان من طرقه أيضا الصفة. كما فى قولنا : (جاء الناس الصالحون). قال ابن يعقوب (... الاستثناء من الاثبات ، كقولك : جاء القوم الا زيدا ، ليس من طرق القصر ، اذ الغرض منه الاثبات ، والاستثناء قيد ، فكأنك قلت : جاء القوم المغايرون لزيد ،

---

(١) معانى القرآن ، ج ١ ، ص ٤٦٤ - ٤٦٥
(٢) أوضح المسالك ، ج ٣ ، ص ٣٧ - ٣٨
(٣) الكتاب ، ج ١ ، ص ٤٣٥
(٤) شرح شذور الذهب ، ص ٥٣١

ولو كان من طرقه ، لكان أيضا من طرقه نحو ، جاء الناس الصالحون)[١].

ولقد ذكر الاستاذ محمد ابوموسى فى كتابه (دلالات التراكيب) ، أن علماء البلاغة أجمعوا على اخراج الاستثناء الموجب من طرق القصر ، فقال :(أما الاستثناء فى الكلام الموجب فى مثل قولنا : جاء القوم الا زيد ، فلم يذهب أحد ممن لهم رأى فى هذا الباب ، الى أنه من طرق القصر ، لأن الغرض منه الاثبات. أى اثبات المجئ الى القوم ، والاستثناء يقع مصححا لهذا الغرض ، وقيدا فيه)[٢].

ويظهر لى أن هناك أناسا ممن لهم رأى فى علم البلاغة ، قد خرجوا عن هذا القول ، وعدوا الاستثناء الموجب من طرق القصر ، منهم ابن السبكى ، حيث قال : (والاستثناء قصر ، سواء كان مع النفى أم ، الايجاب ، كقولك : قام الناس الا زيدا ، فانك قصرت عدم القيام على زيد لايقال ، لو قصرت عدم القيام على زيد ، لكان فى قولك : قام الناس الا زيدا ، نفى لقيام غير الناس ، لأنا نقول هو قصر ، لعدم القيام بالنسبة الى الناس على زيد . كما أنك اذا قلت : ماقام الناس الا زيدا ، لم تقصر القيام على زيد مطلقا ، انما قصرت عليه القيام بالنسبة الى الناس. فقولهم من طرق الحصر النفى والاستثناء لايظهر فيه مناسبة للتعرض للنفى)[٣]. ولا يفهم من قولى هذا أننى أعتد برأى ابن السبكى ، وانما أقصد أنه ليس هناك اجماع ، كما ذكر الأستاذ محمد ابوموسى ، وأن ابن السبكى ممن لهم رأى فى علم البلاغة ، ولكنه يرى أن الاستثناء الموجب من طرق القصر.

أما القصر عن طريق الاستثناء التام المنفى ، فذهب ابن يعقوب وأيده الدسوقى ، الى أن القصر يأتى من النفى والاستثناء ، سواء ذكر

---

(١) شروح التلخيص ، مواهب الفتاح ، ج ٢ ، ص١٩١
(٢) دلالات التراكيب ، ص١٢٤
(٣) شروح التلخيص ، عروس الافراح ، ج ٢ ، ص١٩١

المستثنى منه أم لا. قال ابن يعقوب : (... سواء ذكر المستثنى منه أم لا ، فان الغرض منه النفى ثم الاثبات المحققان للقصر ، والحكم فى ذلك الاستعمال والذوق السليم المتقرر بتتبعه. ولذلك يستعمل النفى ثم الاستثناء عند الانكار ، دون الاثبات ثم الاستثناء ، ولو كان الاستثناء من الاثبات نفيا على الصحيح ، كالعكس لافادة السكوت عن المستثنى..) (١) .

ولقد اتفق علماء البلاغة على افادة الاستثناء المفرغ للقصر ، لأن الاستثناء المفرغ ، يتوجه النفى فيه الى مقدر ، وهو مستثنى منه. والاستثناء اخراج ، فيحتاج الى مخرج منه ، والمراد بالتقدير هنا التقدير المعنوى لا الصناعى ، ولابد أن يكون عاما ، لأن الاخراج لايكون الا من عام . ولابد أن يكون مناسبا للمستثنى منه فى جنسه ، مثل : (ماقام الا زيد) ، أى لا أحد ، و (ما أكلت الاتمرا) : أى مأكولا ، ولابد أن يوافقه فى صفته : أى اعرابه . وحينئذ يجب القصر إذا أوجب منه شئ بالاضرورة ، فيبقى ماعداه فى صفة الانتفاء. (٢)

ولقد آثار الدكتور ابراهيم أنيس (٣) فى كتابه (من أسرار اللغة). قضية (النفى والاستثناء) فى اللغة ، ورفض أن يكون طريقا من طرق القصر ، لأنه يرى أن الغرض منه التوكيد فقط ، وليس نفى الشئ عن الشئ واثباته لغيره ، وانما هو وسيلة من وسائل التلميح والتعريض . قال :(ان استعمال (النفى مع الا) كان فى أصله ، وفى معظم ماجاءنا من نصوص قديمة ، لايفيد ظاهر معناه. ولكنه وسيلة من وسائل التلميح والتعريض ، يهدف بها المتكلم الى تأكيد النفى فى كلام سابق). (٤)

---

(١) شروح التلخيص ، مواهب الفتاح ، ج ٢ ، ص ١٩١ - ١٩٢

(٢) المفتاح ، ص ١٢٩ / أنظر شروح التلخيص ، ج ٢ ، ص ٢٣٠ - ٢٣٢

(٣) استاذ معاصر من اساتذة كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، وهو عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة. له مؤلفات وبحوث لغوية عديده من مؤلفاته :(موسيقى الشعر) (الاصوات اللغوية).

(٤) من أسرار اللغة : ابراهيم أنيس ، ط ٦ ، ص ١٩١

وهو غير صحيح ، لاجماع العلماء على افادته القصر. ولما له من لطائف ودقائق بلاغية. وما سأذكره في الباب الثاني يدل على فساد ما ذهب إليه الدكتور إبراهيم أنيس. وان شواهد البلاغيين من القرآن والشعر صريحة في إفادته القصر.

٣ ـ انما :

وهى المركبة من (أن) التى هى لتأكيد النسبة ، وما الكافة وهو الصواب.

وقيل أن (أن) للاثبات ، وما للنفى ، فلابد أن يكون للقصر ، ليحصل بالقصر الجمع بين النفى والاثبات.

ورُد على هذا الرأى بأن (ما) هنا كافة ، وليست نافية (١).

وذكر السكاكى أن (أن) للتأكيد ، و (ما) كذلك ، فاجتمع تأكيدان فأفاد الحصر . قال : (وترى أئمة النحو يقولون ، انما تأتى اثباتا لما يُذكر بعدها ، ونفيا لماسواه . ويذكرون لذلك وجها لطيفا ، يُسند الى على بن عيسى الربعى ، (٢) وأنه كان من أكابر أئمة النحو ببغداد ، وهو أن كلمة أن لما كانت لتأكيد اثبات المسند للمسند اليه ، ثم اتصلت بها ما المؤكدة لا النافية ، على ما يظنه من لا وقوف له بعلم النحو ضاعف تأكيدها ، فناسب أن يضمن معنى القصر ، لان قصر الصفة على الموصوف وبالعكس ، ليس الا تأكيدا للحكم على تأكيد) (٣).

ورُد على هذا القول ابن السبكى ، بأنه لو كان اجتماع تأكيدين يفيد الحصر لكان قولنا : (ان زيدا لقائم) ، يفيد الحصر.

وقد يقال أن مراد السكاكى ، أنه لايجتمع حرفا تأكيد متواليان الا للحصر.

وهذا ممنوع . والتأكيد اللفظى والمعنوى ، كل منهما يتكرر ولا حصر (٤).

وذكر الجمهور : ان القصر ب (انما) يأتى من قصر القلب ، والافراد ، والتعيين ، وكذلك يأتى من القصر الحقيقى ، فمثاله من قصر الموصوف

---

(١) شروح التلخيص ، عروس الافراح ، ج ٢ ، ص ١٩٢ .

(٢) هو على بن عيسى بن الفرج بن صالح الربعى ابو الحسن الزهرى أحد ائمة النحو بين وحذاقهم الجيدى النظر ، الدقيقى الفهم والقياس ، اخذ عن السيرافى ورحل الى شيراز فلازم الفارسى عشر سنين ،

(٣) المفتاح ، ص ١٢٦

(٤) شروح التلخيص : عروس الافراح ، ج ٢ ، ص ١٩٣ .

على الصفة افرادا :

ألا انما الدنيا بلاغ لغايـــة
فاما الى غي واما الى رشـــد(١)

هذا لمن ظن أن الدنيا بلاغ وغير بلاغ فقصرت الدنيا على البلاغ ومعنى غير البلاغ أي أنها حياة دائمة لنا فيها مآرب غير ما نتزود به لغيرها .

ومثاله من قصر الموصوف قلبا او افرادا :(انما شجاع على) ، ويصلح أيضا مثالا للتعيين .

ومن قصر انما قصرا حقيقيا : (انما غدرك من دَلَّكَ على الاساءة).

ونهب الامام عبدالقاهر في كتابه دلائل الاعجاز ، الى غير ما نهب اليه الجمهور ، فرأى ان انما تستعمل في قصر القلب دون الافراد ، قال(.. فاذا قلت : (انما جاءني زيدا) ، لم يكن غرضك ان تنفي أن يكون قد جاء مع زيد غيره ، ولكن أن تنفي أن يكون المجيء الذي قلت انه كان منه كان من عمرو وكذلك تكون الشبهة مرتفعة . في أن ليس ههنا جائيان ، وأن ليس الا جاء واحد ، وانما تكون الشبهة في أن ذلك الجائي زيد أم عمرو ، فاذا قلت : (انما جاءني زيد ، حققت الامر في أنه زيد ، وكذلك لاتقول :(انما جاءني زيد) ، حتى يكون قد بلغ المخاطب ، أن قد جاءك جاء ، ولكنه ظن انه عمرو مثلا ، فأعلمته انه زيد)(٢).

ولقد ذهب فريق من العلماء الى انكار افادة انما القصر . فرد عليهم الجمهور بأنها تفيد القصر ، لتضمنها معنى ما والا.

أ ـ ولقول المفسرين في اطباق قوله تعالى (انما حرم عليكم الميتة)(٣) بنصب الميتة. فمعنى الآية (ماحرم عليكم الا الميتة) ، وهذا مطابق

---

(١) البيت لابن المعتز : هو ابوالعباس عبدالله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد. أخذ الادب عن ابي العباس المبرد وابي العباس ثعلب وغيرهما ولد سنة سبع واربعين وقيل ست واربعين ومائتين وقُتِل سنة ست وتسعين ومائتين قتله مونس الخادم . له من التصانيف (كتاب الزهر والرياض)، (البديع)، (الجوارح والصيد)./ شذرات الذهب ، ج ٢ ص ٢٢١ ـ ٢٢٣

(٢) دلائل الاعجاز ، ص ٢٢٠ .

(٣) البقرة : آية ١٧٣ .

لقراءة الرفع .

ومعنى الاية فيها (المُحرم عليكم الميتة) ، الا أن القصر فى القراءة الثانية مستفاد من تعريف الطرفين. فمطابقة القراءات أمر واجب ، ولا يتم الا اذا جعلنا انما بمعنى ما والا.

ومما يجدر الاشارة اليه ، أن تضمنها معنى ما والا ، لايعنى أنها نفس ما والا ، فليس كل كلام تصلح فيه ما والا ، تصلح فيه انما ، والعكس كذلك .

ب- ولقول النحاة المحتج بقولهم : أن انما تأتى اثباتا لما يذكر بعدها ونفيا لما سواه.

ج - ولصحة انفصال الضمير معها ، كقولك(انما يَضْرِبُ أنا) ، كما تقول (ما يضرب الا أنا) (١).

وعلق الاستاذ عبدالمتعال الصعيدى على هذه الأدلة بقوله: (لا يخفى أن دلالة - انما- على القصر بالوضع ، فلا يحتاج الى دليل فى دلالتها عليه)(٢).

ويبدو لى أن علماء البلاغة لاشك أنهم يعلمون أن القصر مفاد بالوضع ، ولكنهم احتاجوا الى سوق هذه الأدلة رداً على من أنكر افادتها للقصر.

واختلف النحاة والبيانيون فى المقصور عليه مع انما. فيرى البيانيون أن المقصور عليه مع انما ، هو المتأخر عنها دائما. أما النحاة فيقولون أن الاخير ، هو المحصور. ذكر ابن السبكى فى عروس الافراح :(واعلم أن النحاة يقولون أن الاخير هو المحصور ، فاذا قلت : (انمازيد قائم) ، فالقائم هو المحصور ، ومقتضاه أن تكون هذه الصيغة من قصر الصفة على الموصوف .

وعبارة البيانيين هى المحررة ، فان الأول هو المحصور ، والثانى محصور فيه.

---

(١) أنظر المفتاح ، ص١٢٦
الايضاح ، ج ١ ، ص٢١٦
شروح التلخيص ، ج ٢ ، ص ١٩٣ -٢٠١٠
(٢) بغية الايضاح ، عبدالمتعال الصعيدى ، ج ٢ ، ص ١٣

وعبارة النحاة فيها تجوز . والصواب : أن الاخير محصور فيه ، لا محصور . غير أنهم تساهلوا فى ذلك)(١).

والقصر بأنما المفتوحة ، مثله مثل القصر بانما بالكسر. فكلاهما متضمن لمعنى ما و الا .

قال الدسوقى(واعلم ان الموجب للحصر فى انما بالكسر ، موجود فى أنما بالفتح. فمن قال سبب افادة ، انما الحصر ، تضمنها معنى ما و إلاّ ، قال بذلك فى أنما المفتوحه . لوجود هذا السبب فيها . ومن قال ان السبب اجتماع حرفى توكيد ، قال به فى أنما أيضا)(٢).

التقديـــم :

وهو قسـمان :

١ ـ التقديم بين جزئى الجملة :

أ) تقديم المسند اليه.

١ ـ تقديم المبتدأ على الخبر الفعلى.

٢ ـ تقديم المبتدأ على الخبر المشتق .

ب) تقديم المســند .

٢ ـ التقديم فى المتعلقــات :

أ) تقديم المتعلقات على العامل.

ب) تقديم بعض المتعلقات على بعض .

---

(١) شروح التلخيص : عروس الافراح ، ج ٢ ، ص ١٩١

(٢) شروح التلخيص : شرح الدسوقى ، ج ٢ ، ص ١٩٤ .

١ ـ التقديم بين جزئى الجملة :

أ ـ تقديم المسند اليه.

١ ـ تقديم المبتدأ على الخبر الفعلى:

من دراسة تقديم المبتدأ على الخبر الفعلى ، يتضح أنه لايلزم افادته الاختصاص. فهو تارة يفيده ، وتارة يفيد التقوى. وقد اختلف علماء البلاغة فى صور افادته الاختصاص ، فاشترط الامام عبدالقاهر ، أن يتقدم المسند اليه حرف نفى ، سواء كان المسند اليه نكرة ام معرفة ، ظاهرا أم مضمرا ، فان لم يتقدمه حرف نفى أصلا ، أو كان متأخرا فتارة يفيد التقديم الاختصاص ، واخرى يفيد التقوى من غير تفريق بين النكرة والمعرفة ، ظاهرة أو مضمرة ، فحاصل مذهبه التعويل على حرف النفى.

أما السكاكى فحاصل مذهبه : ان كان المسند اليه نكرة فهو للتخصيص ، وان كان معرفة (اسما ظاهرا) ، فلا يكون الا للتقوى ، اما اذا كان معرفة مضمرة فيحتمل الامرين التقوى والتخصيص ، ولم يشترط السكاكى ، ما اشترطه الامام عبدالقاهر من تقديم حرف النفى ، وانما اشترط فى افادة التقديم الاختصاص عدة أمور منها :

جواز تأخير المسند اليه ، على أن يكون فاعلا فى المعنى فقط. كقول القائل :(أنا درست) ، فيجوز أن تقدر أن أصله درست أنا ، على أن يكون الضمير (أنا) تأكيدا للفاعل فى درست.

ومنها : تقدير كونه مؤخرا فى الاصل ، وقدم لافادة التخصيص.

ومن هذا يتضح لنا :

— أن تقديم الاسم الظاهر على الخبر الفعلى ، يفيد الاختصاص وجوبا عند الامام عبدالقاهر الجرجانى ، بشرط تقدم النفى على المسند اليه ، نحو: (مازيد قال هذا). وخالفه السكاكى ، فتقديم الاسم الظاهر على الخبر الفعلى ، يفيد عنده التقوى ليس غير.

ـ الاسم الظاهر الواقع قبل النفى ، نحو : (زيد ماقال هذا) ، فهو محتمل عند الشيخ عبدالقاهر ، متعين للتقوى عند السكاكى .

ـ واذا كان المسند اليه نكرة واقعه قبل النفي نحو (رجل ما قال هذا) ، فهو متعين للتخصيص عند السكاكى ، محتمل عند الشيخ .

ـ اذا كان المسند اليه معرفة مظهرة ، واقعة فى الاثبات ، نحو :(زيد قال هذا) فهو متعين للتقوى عند السكاكى ، محتمل عند الشيخ عبدالقاهر .

ـ النكرة الواقعه فى الاثبات ، نحو : (رجل قال هذا) ، فهو متعين للتخصيص عند السكاكى ، وجائز عند الشيخ عبدالقاهر .

ـ المضمر الذى ولى حرف النفى ، (ما أنا قلت هذا) ، فهو متعين للتخصيص عند الشيخ عبدالقاهر ، محتمل للتخصيص والتقوى عند السكاكى .

ـ واتفق الجميع على أنه اذا كان المسند اليه ضميرا سابقا لحرف النفى

ـ مثال : (أنا ماقلت هذا) ـ فهو محتمل للتخصيص والتقوى

ـ كما اتفقوا فى حالة كون المسند اليه نكرة ، وليست حرف النفى ، فيفيد الاختصاص عند الجميع .

مثال : (مارجل قال هذا) . فأفادت الاختصاص ، عند الشيخ عبدالقاهر لتقدم النفى ، وعند السكاكى لتنكير المسند اليه .

ـ واذا كان المسند اليه مثبتا مضمرا ، والمسند غير منفى . مثال : (أنا قلت هذا) . فيحتمل التقوى ، والتخصيص عند الجميع .(١)

---

(١) دلائل الاعجاز ، ط ٦ ، ص ٩٢ ـ ٩٤
المفتاح ، ص ١٠٠ ـ ١٠١

التقديم على الخبر المشتق :

اختلف علماء البلاغة فى افادة التقديم على الخبر المشتق القصر ، فمنهم من ذهب الى أن المشتقات كلها مشتركة فى سبب افادة التخصيص ، لأن الخبر اذا كان وصفا ، صدق عليه أنه فعلى ، لأنه يعمل عمل الفعل.

وممن ذهب الى هذا الرأى الامام الزمخشرى عند تفسيره لقوله تعالى:

(ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز)(١).

فقال (وقد دل ايلاء ضميره حرف النفى ، على أن الكلام واقع فى الفاعل لا فى الفعل ، كأنه قيل : وما أنت علينا بعزيز ، بل رهطك هم الاعزة علينا ولذلك قال فى جوابهم (أرهطى أعز عليكم من الله) ، ولو قيل وما عززت علينا ، لم يصح هذا الجواب ، فان قلت : فالكلام واقع فيه وفى رهطه ، وأنهم الاعزه عليهم دونه ، فكيف صح قوله أرهطى أعز عليكم من الله؟ قلت : تهاونهم به ، وهو نبى الله ، تهاون بالله ، فمن عز عليهم رهطه دونه كان رهطه أعز عليهم من الله)(٢).

وأيده فى ذلك السكاكى(٣) عند تعرضه لهذه الآية ، وكذلك ابن السبكى فى عروس الافراح ، حيث قال : (وقوله(٤) بالخبر الفعلى ، يدخل فيه الخبر الذى هو فعل . مثل أنا قمت ، أو صفة مثل ـ وما أنت علينا بعزيز ـ وانما أدخلنا الصفة ، لأن الخبر اذا كان وصفا ، صدق عليه أنه فعلى ، لأنه يعمل عمل الفعل)(٥).

وكذلك تبع الامام البيضاوى(٦) الزمخشرى فيما ذهب اليه ، وأيده الشهاب

---

(١) سورة هود : آية (٩١).
(٢) الكشاف ، م ١ ، ص ٢٨٩
(٣) المفتاح ، ص ١٠٠
(٤) يعنى بذلك صاحب الايضاح.
(٥) شروح التلخيص ، ج ١ ، ص ٤١٨
(٦) البيضاوى ، ج ٣ ، ص ١١٩
هو ناصر الدين ابو الخير عبدالله بن عمر بن محمد بن على قاضى ـ القضاة البيضاوى توفى سنة ٦٨٥ هـ وقيل ٦٩١هـ . صاحب المصنفات وعالم اذربيجان ولى قضاء شيراز ، وكان اماما مبرزا نظارا خيرا صالحا متعبدا توفى بمدينة تبريز / شذرات الذهب ج ٥ ص ٣٩٢ ـ ٣٩٣

فى حاشيته ، ورأى أن التقديم فى الآية مفيد للحصر ، وهو اما قلب أو افراد . والظاهر عنده انه قصر قلب ، فقال(وقوله[١] وفى ايلاء ضميره حرف النفى الخ) ، اشارة الى أن التقديم يفيد التخصيص ، وأنه قصر قلب أو قصر افراد ، والظاهر الاول ، وقد تبع فيه صاحب الكشاف)[٢]

وممن نهب الى رأى الزمخشرى الامام ابوحيان ، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى :

(انى جاعلك للناس اماما)[٣].

وكذلك الألوسى[٤] عند تفسيره لقوله تعالى :(ونحن له عابدون)[٥]. فقال (وتقديم المسند اليه ، لافادة قصر ذلك الاختصاص عليهم ، وعدم تجاوزه الى أهل الكتاب)[٦].

أما الخطيب القزوينى ، فقد نهب الى أن التقديم على الخبر الفعلى ، لايفيد الحصر ، فبعد أن ذكر تفسير الزمخشرى لقوله تعالى(لولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز) قال : (وقال الزمخشرى دل ايلاء ضميره حرف النفى ، على أن الكلام فى الفاعل ، لا فى الفعل كأنه قيل: وما أنت علينا بعزيز بل رهطك هم الاعزة علينا ، وفيه نظر ، لأنا لانسلم أن ايلاء الضمير حرف النفى ، اذا لم يكن الخبر فعليا يفيد الحصر)[٧].

فمراده بالخبر الفعلى ، هو ماكان فى أوله فعل ، وكان فاعله ضمير المسند اليه ، لا المتضمن لمعنى الفعل ، لتصريحه بأن الصفة المشبهة فى قوله تعالى (وما انت علينا بعزيز) ، ليست خبرا فعليا.

---

(١) يعنى بذلك الامام البيضاوى.
(٢) حاشية الشهاب ، ج ٥ ، ص ١٣٠
(٣) البقره : آية ١٢٤
(٤) هو ابوالفضل شهاب الدين السيد محمود الالوسى البغدادى ، مفسر ، محدث اديب ، من المجددين من اهل بغداد مولده ووفاته فيها ، كان سلفى الاعتقاد ، تقلد الافتاء ببلده ولد سنة ١٢١٧هـ وتوفى سنة ١٢٧٠هـ /الاعلام ج ٧ ، ص ١٧٦
(٥) البقره : آيه ١٣٨
(٦) روح المعانى ، ج ١ ، ص ٣٩٨
(٧) الايضاح ، ج ١ ، ص ١٤٦

تقديـــم المســـــند :

كتقديم الخبر على المبتدأ ، وشرط افادته القصر ، أن لايكون المبتدأ نكرة ، وقدم عليه الخبر. قال الدسوقى : (ومحل كون تقديم الخبر علـــى المبتدأ يفيد الحصر ، مالم يكن المبتدأ نكره ، وقُدم عليه الخبر ، والا فلا يفيد)(١).

ويقدم المسند ليخصص بالمسند اليه ، أى لقصر المسند اليه علـــى المسند . وهذا هو المشهور عند علماء البيان.

ومن أمثلة هذا التقديم قوله تعالى (لافيها غولٌ ولاهم عنها ينزفون)(٢).

قصر نفى الغول على خمور الجنة، بخلاف خمور الدنيا ، فانها تذهـــــب العقول.

ولم يقدم الظرف فى قوله تعالى (لاريب فيه)(٣)، لئلا يفيد ثبـــوت الريب فى سائر الكتب(٤). وقد ذكر الامام العلوى(٥) تحقيقا جميلا فى تقديم خبر المبتدأ عليه ، فقال (تقديم خبر المبتدأ عليه فى نحو قولك : (قائم زيد فى زيد قائم) ، فانك اذا أخرت الخبر ، فليس فيه الا الاخبار بأن زيدا قائمٌ لاغير ، من غير تعرُّض لمعنى من المعانى البليغة ، بخلاف ما اذا قدمته وقلت : قائم زيد ، فانك تفيد بتقديمه ، أنه مختص بهذه الصفـــة من بين سائر صفاته من الأكل ، والضحك ، وغيرهما ، أو تفيد تخصيصـــه بالقيام دون غيره من سائر أمثاله ،(٦) وتفيد وجها آخر ، وهو أنه يكـــون كلاما مع من يعرف زيدا ، ويُنكر قيامه . فتقول :(قائم زيد)، ردا لإنكـار من ينكره ، ومن هذا قوله تعالى " وظنوا أنهم مانِعَتُهُمْ حُصُونُهم من اللـــــه "(٦)

---

(١) شروح التلخيص : حاشية الدسوقى ، ج ٢ ، ص ٢٠٢

(٢) الصافات : آية (٤٧)

(٣) البقرة : آية (٢)

(٤) الايضاح : ج ١ ، ص ١٩٣

(٥) هو يحى بن حمزه العلوى اليمنى ولد سنة ١٢٧٠هـ وتوفى سنة ١٣٤٨هـ كان امام الائمة تقلد فى اليمن امارة المؤمنين سنة ١٣٢٨هـ .

(٦) من نص الإمام العلوي أنه اعتبر المقدم في مثل قائم زيد مقصورا مرة ومقصورا عليه مرة .

(٧) الحشر بعض آية (٢) .

فانما قدم قوله(مانعتهم حصونهم من الله) وهو خبر المبتدا فى أحد وجهيه ليدل بذلك على فرط اعتقادهم لِحصانتهم ، ومبالغة فى شدة وثوقهم بمنعها اياهم ، وأنهم لايُبالون معها بأحد ، ولا يُنَالُ فيهم نَيْلٌ ، وفى تقرير ضمير (هم) اسماء واسناد المنع والحصون اليهم ، دلالةٌ بالغةٌ على تقريرهم فى أنفسهم ، أنهم فى عزة ومنَعه ، لا تُرْقى حوزتهم ، ولا يُغْزَوْن فى عُقْرِ دارهم ، ولو أُخِّر الخبر لم يُعط شيئا من هذه الفوائد ،...)(١).

تقديم المتعلقات على العامل :

كتقديم المفعول به ، والمفعول معه ، والمفعول فيه ، والجار والمجرور ، والظرف ، والحال.

ويشترط فى كون التقديم مفيدا للاختصاص ، أن لايكون المعمول مقدما وضعا فان ذلك لايسمى تقديما حقيقة ، وذلك كأسماء الاستفهام ، وكالمبتدأ عند من يجعله معمولا لخبره.

وأن لايكون التقديم لمصلحة التركيب. مثل (وأما ثمود فهديناهم)(٢) على قراءة النصب ، وهذا خلافا لما فى الايضاح ، فقد أوجب الخطيب القزوينى فى هذه الآية ، كون التقديم للاختصاص. فقال : (وأما نحو قوله تعالى(وأما ثمود فهديناهم) ، فمن قرأ بالنصب فلا يفيد الاالتخصيص لامتناع تقدير أما فهدينا ثمود)(٣).

ورأى شراح التلخيص (السعد - ابن يعقوب - السبكى - الدسوقى) ، أن التقديم مع أما . لاصلاح اللفظ . وعللوا ذلك بانه لو كان التقديم فى هذه الآية مفيدا للتخصيص - كما قال الخطيب القزوينى - لاقتضى أنه ليس أحد من الكفار

---

(١) الطراز ، ج ٢ ، ص ٦٨-٦٩ (٢) فصلت آية : ١٧

(٣) الايضاح : تحقيق محمدعبدالمنعم خفاجى، ج ١ ، ص ٢٠٥

هدى ، أى دل على الطريق الموصل ، واستحب العمى على الهدى غير ثمود وليس الامر كذلك .(١)

أما اذا كان التقديم من باب الاشتغال. نحو :(زيدا عرفته). فان قُدر المفسر المحذوف قبل المنصوب ، أى : عرفت زيدا عرفته ، فهو من باب التوكيد ، أى تكريرا للفظ ، وان قُدر بعده أى زيدا عرفت عرفته أفاد التخصيص . ورأى الشيخ عبدالمتعال الصعيدى ان التقديم فى باب الاشتغال لايفيد الا التوكيد ، لانه يجب تقدير الفعل قبل الاسم الظاهر ، ليوافق مفسره فى تقدمه على الضمير.(٢)

وذكر جمهور البيانيين ان التقديم لازم للتخصيص غالبا . فقولهم غالبا اشارة الى عدم لزومه دائما ، لصحة أن يكون التقديم لاغراض أخرى كالاهتمام ، والتبرك . والاستلذاذ.

والاهتمام عندهم تابع لسر التخصيص ، ويكون بمعنيين : أحدهما : كون المقدم مما يعتنى بشأنه ، لشرف وعزازة وركنية . فيقتضى ذلك تخصيصه بالتقديم ، وهذا المعنى يناسب بحسب الظاهر ، أن يقال لانهم يقدمون الذى شأنه أهم ، وهم ببيانه-أى ذكر مايدل عليه-أعنى ، ونفس الاهتمام فى هذا الموجب للتقديم ، ولا يدل تقديمه الا على أن المتكلم له به الاعتناء المطلق . والآخر كونه مما فى تقديمه معنى لايحصل عند التأخير ، فان المفعول مثلا اذا تعلق الغرض بتقديمه لافادة الاختصاص ، فلم يتعلق الاهتمام بذاته وانما تعلق بتقديمه للغرض المفاد ، وليست الاهمية ههنا هى الموجبه للتقديم بل الحاجة الى التقديم هى الموجبة للاهتمام بذلك التقديم(٣)

وفهم ابن الاثير(٤) وتبعه العلوى ، ان مذهب الزمخشرى فى تقديم المفعول

---

(١) شروح التلخيص ، ج ٢ ، ص ١٤٩ ـ ١٥٠ ـ ٢٠٢
(٢) بغية الايضاح ، ج ١ ، ص ٢٦٦
(٣) شروح التلخيص ، حاشية الدسوقى ، مواهب الفتاح ، ج ٢ ، ص ١٥٤
(٤) هو ضياء الدين ابن الاثير ولد سنة ثمان وخمسين وخمسمائة من الهجرة حفظ كتاب الله الكريم وكثيرا من الاحاديث النبويه وطرفا صالحا من النحو واللغة وعلم البيان وشيئا كثيرا من الاشعار له كتاب (الوشي المرقوم) توفى سنة سبع وثلاثين وستمائة من الهجرة ببغداد/وفيات الاعيان ج ٥ ص ٣٨٩

وهو للاختصاص فقط.

ويبدو لى أن الامام الزمخشرى ، لايقول بلزوم التقديم للاختصاص دائما ، بل غالبا . وهو رأى جمهور البيانيين كما ذكرنا.

ورأى ابن الاثير ان التقديم ينقسم قسمين :

أحدهما يكون التقديم فيه هو الابلغ

وثانيهما : يكون التأخير فيه هو الابلغ.

فأما القسم الذى يكون التقديم فيه هو الابلغ ، فكتقديم المفعول على الفعل ، وتقديم الخبر على المبتدأ ، وتقديم الظرف أو الحال او الاستثناء على العامل. وهكذا يجرى الحكم فى تقديم الظرف كقولك : (ان الىّ مصير هذا الامر).

ثم قال :

" وقال علماء البيان ومنهم الزمخشرى - رحمه الله - : أن تقديم هذه الصورة المذكورة ، انماهو للاختصاص وليس كذلك ، والذى عندى فيه أنه يستعمل على وجهين :

أحدهما : الاختصاص .

والآخر : مراعاة نظم الكلام ، وذاك أن يكون نظمه لايحسن الا بالتقديم واذا أُخِّر المقدم نهب ذلك الحسن ، وهذا الوجه أبلغ ، واوكد من الاختصاص".

وذكر المثال الدال على الاختصاص قوله تعالى(قل أفغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون)(١).

وذكر مثال الوجه الثانى - الذى يختص بنظم الكلام -قوله تعالى (اياك نعبد واياك نستعين)(٢).

وذكر رأى الزمخشرى فى هذه الاية ، وأوضح أنه على خلاف منهبه فقال :

---

(١) الزمر : ٦٤

(٢) الفاتحة : ٥

" وقد ذكر الزمخشرى فى تفسيره ، ان التقديم فى هذا الموضع ، قُصِد به الاختصاص ، وليس كذلك فانه لم يُقَدَّم المفعول فيه على الفعل للاختصاص وانما قُدِّم لمكان نظم الكلام ، لأنه لو قال : نعبدك ونستعينك ، لم يكن له من الحسن مالقوله (اياك نعبد واياك نستعين) ".(١)

ورأى العلوى ان التقديم قد يفيد الاختصاص ، وقد يفيد مراعاة النظم، وقد يفيدهما معا فقال :

" والمختار عندنا أنه لامنافاة بين الامرين ، فيجوز أن يكون التقديم من أجل الاختصاص ، والتشاكل ، فيكون فى التقديم ، مراعاة لجانب اللفظ والمعنى جميعا ، فالاختصاص أمر معنوى ، والتشاكل أمر لفظى ، وعلى هذا ورد قوله تعالى" فأوجس فى نفسه خيفة موسى"(٢) . وقوله تعالى:" خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه"(٣). فبالتقديم تحصل ملاحظة الامرين جميعا)(٤).

ويبدو لى من خلال تحليلى للآيات ـ فى الباب الثانى ـ أنه لامانع من افادة التقديم الاختصاص ، مع افادته مراعاة النظم ، لانه لاتزاحم بين المقتضيات ورأى ابن السبكى أن القول برفض التقديم فى المعمولات للاختصاص ، مبنى على أن الاختصاص هو الحصر. وعنده أن الاختصاص غير الحصر(٥)ـ وقد ذكرنا رأيه عند الحديث عن الفرق بين الحصر والاختصاص .

---

(١) المثل السائر : ابن الاثير ، م ٢ ، ط ١ ، ص ٢١٨ ـ ٢١٩
(٢) سورة طه : آية : ٦٧
(٣) سورة الحاقة : آية : ٣١
(٤) الطراز ، ج ٢ ، ص ٦٧
(٥) شروح التلخيص : عروس الافراح ، ج ٢ ، ص ١٥٤

تقديم بعض المعمولات على بعض :

كتقديم الفاعل على المفعول . نحو : ضرب زيد عمراً . وتقديم المفعول الاول على الثانى . نحو : أعطيت زيدا درهما ، وكتقديم المبتدأ المعرف ، والفاعل على المفعول ، والحال والتمييز ، وكتقديم المفعول الذى وصل اليه الفعل بلا واسطة ، على المتعدى بالحرف الثانى .(١) فالتقديم هنا اما لأن ذلك التقديم هو الاصل ، ولا مقتضى للعدول عنه ، أو لان ذكره أهم ، واما لرعاية الفاصلة .

ونهب جمهور البلاغيين ، الى عدم افادته الاختصاص . ونهب ابن الاثير وتبعه العلوى الى خلاف مذهب الجمهور ، فرأى أن تقديم الظرف فى الكلام المثبت يفيد الاختصاص . نحو : ان الىّ مصير هذا الامر . فقال :" وهكذا يجرى الحكم فى تقديم الظرف كقولك : ان الىّ مصير هذا الامر . وقولك ان مصير هذا الامر الى ، فان تقديم الظرف دل على ان مصير الامر ليس الا اليك ، وذلك بخلاف قولك ان مصير هذا الامر الىّ . اذ يحتمل ايقاع الكلام بعد الظرف على غيرك ، فيقال الى زيد ، أو عمرو ، أو غيرهما "(٢).

وكذلك ذكر العلوى (.. أن الظرف لايخلو حاله ، اما أن يكون واردا فى الاثبات ، أو يكون واردا فى النفى . فاذا ورد فى الاثبات ، فتقديمه على عامله انما يكون لغرض لايحصل مع تأخيره ، فلا جَرَم التزم تقديمه ، لأنّ فى تأخيره ابطالا لذلك الغرض ، ثم هو على وجهين ، أحدهما : أن يكون واردا دلاله على الاختصاص ، وهذا كقوله تعالى (ألا الى الله تصير الأمور)(٣). لأن المعنى أن الله تعالى مختص بصيرورة الامور اليه دون غيره . ونحو قوله تعالى :" ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم "(٤) ، وقوله تعالى " له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير "(٥) فهذه الظروف لاوجه لتقديمها على عاملها ،

---

(١) أنظر التلخيص ص ١٣٥ // شروح التلخيص ، عروس الافراح ، ج ٢ ، ص ١٦٠
(٢) المثل السائر ، ج ٢ ، ص ٢١٧ .
(٣) سورة الشورى : آية : ٥٣
(٤) سورة الغاشية : آية : ٢٦
(٥) سورة التغابن : آية : ١

الا ماذكرناه من الاختصاص ...)(١).

وعلق ابن السبكي على رأى ابن الأثير في افادة تقديم بعض المعمولات على بعض الاختصاص . فبعد أن ذكر أغراض التقديم فيها قال :(وبقى من أسباب تقديم بعض المعمولات على بعض ، افادة الاختصاص. كما تقدم عن ابن الاثير في نحو : ان الينا ايابهم ، وجاء راكبا زيد. لكنه مخالف لكلام الجمهور والله تعالى أعلم).(٢)

تعريف المسند :

خص بعض علماء البلاغة أل الجنسية في افادة التعريف القصر. ولكن الظاهر أن أل الجنسية قد تفيد القصر ، وقد لاتفيده، وكذلك أل الاستغراقية وأل العهدية . فقولنا (زيد المنطلق) تأتى للتعريف بمعهود سابق ، فالخطاب في الجملة لمن عرف ، أن انطلاقا قد حصل ولكنه لايعلم ممن وقع ، أهو من زيد أم من عمرو. فقولنا (زيد المنطلق) تعيين لصاحب ذلك الانطلاق(٣). والتعريف بلام الجنس، قد يفيد قصر الخبر على المبتدأ ، وذلك من وجوه :

١ - يفيد التعريف بأل الجنسية قصر الجنس حقيقة، لعدم وجود معنى الجنس في غير ذلك المقصور عليه. نحو (زيد الامير) ، اذا لم يكن هناك أمير سواه.(٤)

٢ - يفيد القصر مبالغة لاحقيقة.

وذلك كما قال الشيخ عبدالقاهر:

" أن تقصر جنس المعنى على الخبر عنه لقصدك المبالغة ، وذلك قولك (زيد هو الجواد) ، و (عمرو هو الشجاع) ، تريد انه الكامل، الا أنك

---

(١) الطراز ، العلوى، م ٢ ، ص ٧٠ - ٧١
(٢) شروح التلخيص : عروس الافراح ، ج ٢ ، ص ١٦٥
(٣) دلائل الاعجاز : ط ٦ ، ص ١٢٤
(٤) دلائل الاعجاز ، ط ٦ ، ص ١٢٥

تخرج الكلام في صورة توهم ، أن الجود أو الشجاعة لم توجد الا فيه ، وذلك لأنك لم تعتد بما كان من غيره ، لقصوره عن أن يبلغ الكمال).(١)

٣ ـ ان نقصر الخبر على المبتدأ ، لا باعتبار ذاته بل باعتبار القيد (من وصف او حال أو ظرف. نحو قولك : (هو الرجل الكريم) ، أى انحصرت الرجولية الموصوفة بالكرم فيه لاتوجد فى غيره ، بخلاف مطلق الرجولية ، وقولك (هو السائر راكبا) ، أى انحصر فيه السير بحال الركوب دون مطلق السير)(٢).

وكقول الاعشى :(٣)

هو الواهب المائة المصطفاة

اما مخاضا واما عشارا(٤).

وعلق الشيخ عبدالقاهر على هذا البيت بقوله :

(فأنت تجعل الوفاء ـ فى الوقت الذى لايفى فيه أحد ـ نوعا خاصا من الوفاء ، وكذا تجعل هبة المائة من الابل نوعا خاصا ، وكذلك الباقى ثم أنك تجعل كل هذا خبرا على معنى الاختصاص ، وأنه للمذكور دون من عداه ألا ترى أن المعنى فى بيت الاعشى ، أنه لايهب هذه الهبة الا الممدوح)(٥).

وذكر الشيخ عبدالقاهر أن الخبر ، اذا كان اسم موصول ، فانه يفيد مع الاختصاص غرضا آخر نشأ من الصلة. مثل قوله تعالى:(وَهُوَ الَّذِى أَنْشَأَ لَكُم السَّمعَ والأَبْصَارَ والأَفْئِدَةَ)(٦) قد خول الالف واللام على المسند ، قد يفيد القصر ـ كما ذكرنا ـ وربما لا يفيد ، كقصر المعرف على ماحكم عليه به ، أى أن لا يقصد قصر المعنى فى جنسه على المذكور. كقول الخنساء :

(١) المرجع السابق نفس الصفحة.
(٢) شروح التلخيص ، مواهب الفتاح ، ج ٢ ، ص ١٠١
(٣) هو أعشى قيس بن قيس ، شاعر جاهلى اشتهر بوصفه للخمر.
والمخاض : الحوامل من النوق
والعشار : الوالدات من الابل واحدتها عشراء.
(٤) ديوان الاعشى : ص ٨٤ ، دار بيروت
(٥) دلائل الاعجاز : ص ١٢٦
(٦) المؤمنون : آية ٧٨

اذا قَبحَ البُكَاء على قَتِيلٍ
رأيتَ بُكاءكَ الحَسَنَ الجَمِيلا(١)

لم ترد (أن ماعدا البكاء عليه ، فليس بحسن ولا جميل ، ولم تقيد الحسن بشئ فيتصور ان يقصر على البكاء ، كما قصر الاعشى هبة المائة على الممدوح. ولكنها أرادت أن تقره في جنس ماحسنه الحسن الظاهر ، الذى لاينكره أحد ولايشك فيه شاك)(٢). وقد يُرَاد من تعريف الخبر بالالف واللام مجرد الاشارة الى بلوغ المسند اليه مبلغ الكمال في الصفة والحقيقة المقصورة في الذهن كقولنا (هو البطل المحامى ، وهو المتقى المرتجى) يقول الامام عبدالقاهر في هذا الوجه (...مسلك ثم دقيق ولمحة كالخلس ، يكون المتأمل عنده كما يقال يعرف وينكر. وذلك قولك : (هو البطل المحامى ، وهو المتقى المرتجى).

ففى هذا الوجه يلاحظ أنه لم يُقصد شئ مما تقدم ، فليس المراد الاشارة الى معنى ، قد علم المخاطب أنه كان ، ولم يعلم أنه ممن كان. كما في قولنا : (زيد هو المنطلق). كما أنه ليس المراد قصر المعنى على الخبر على معنى ، أنه لم يحصل لغيره على وجه الكمال. كما في قولنا :(زيد هو الشجاع.

ولكن وجه افادته أنك(تريد أن تقول لصاحبك : هل سمعت بالبطل المحامى ؟ وهل حصلت معنى هذه الصفه ؟ وكيف ينبغى أن يكون الرجل ، حتى يستحق أن يقال ذلك له وفيه ؟ فان كنت قلته علما ، وتصورته حق تصوره فعليك صاحبك واشدد به يدك ، فهو ضالتك وعنده بغيتك)(٣).

والمعوّل عليه في فهم هذا المعنى وادراكه ـ كما قال الشيخ عبدالقاهر ـ مراجعة النفس واستقصاء التأمل ويرى بعض علماء البلاغة ، أنه اذا عُرّف

---

(١) الخنساء : هي تماضر بنت عمرو بن الشريد ، الصحابية الشاعرة ، البكاءه على أخيها صخر / وفيات الاعيان ج ٦ ص ٣٤
(٢) دلائل الاعجاز ، ص ١٢٧
(٣) دلائل الاعجاز ، ص ١٢٧ ـ ١٢٨ .

أحد الجزئين بأل دون الآخر ، (فلا فرق بين تقديم المُعَرّف بأل على أنه مبتدأ أو تأخره على أنه خبر في افادة التركيب ، قصر الجنس المذكور له على حسب الاسم الآخر)(١).

ويرى الامام عبدالقاهر خلاف ذلك ، فعنده ان (مذهب الجنسية في الاسم وهو خبر ، غير مذهبها وهو مبتدأ)(٢). فقولنا :(أنت الشجاع)، أردنا قصر الشجاعة على المسند اليه دون غيره ، أما قولنا : (الشجاع أنت) فتفيد الاستغراق ، وكذلك فرق بين قولنا :(أنت الحبيب) ، و(الحبيب أنت)، فجملة (الحبيب أنت) معناها (أنه لافصل بينك وبين من تحبه ، اذا صدقت المحبة وأن مثل المتحابين مثل نفس يقتسمها شخصان. كما جاء عن بعض الحكماء أنه قال : الحبيب أنت الا انه غيرك : فهذا كما ترى فرق لطيف ونكتة شريفة ، ولو حاولت أن تفيدها بقولك : أنت الحبيب : حاولت مالايصح، لأن الذى يعقل من قولك أنت الحبيب ، هو ما عناه المتنبى(٣) في قوله :

أنت الحبيب ولكنى أعوذ بـه

من أن أكون محبا غير محبوب(٢)) (٣)

وذكر فرقا آخر دقيقا ، فقال:(فمتى رأيت اسم فاعل أو صفة من الصفات قد بُدِئ به ، فَجُعِل مبتدأ ، وجُعِل الذى هو صاحب الصفة في المعنى خبرا . فاعلم ان الغرض هناك غير الغرض اذا كان اسم الفاعل أو الصفة خبرا . كقولك : (زيد المنطلق)(٤).

---

(١) شروح التلخيص ، مواهب الفتاح ، جـ ٢ ، ص ٩٩
(٢) دلائل الاعجاز ، ص ١٣٥
(٣) هو أبوالطيب احمد بن الحسين الكندى الكوفى المعروف بالمتنبى الشاعر المعروف وقيل هو احمد بن الحسين بن مره بن عبدالجبار والله اعلم. التحق بسبت الدولة بن حمدان سنة سبع وثلاثين وثلثمائه ، مدح كافور الاخشيدى / وفيات الاعيان ، جـ ١ ، ص ١٢٠
(٤) ديوان ابى الطيب بشرح ابى البقاء ، جـ ١ ، ص ١٧٦
(٥) دلائل الاعجاز ، ص ١٣٢
(٦) المرجع السابق ، ص ١٣٠

ويذكر ابن يعقوب ان المُحلّى بأل الجنسية ، ان حُكِم به فانه يفيد الحصر ويلزم حينئذ تعريف المحكوم عليه كما تقدم. وان حُكِم عليه افاد الحصر، لو كان ماحُكِم به عليه نكرة. كقولنا :(التوكل على الله) ، أى لا على غيره والكرم في العرب لافي غيرهم [(١)] أى ان جُعِل المُعَرَّف بلام الجنس مبتدأ، فهو مقصور على الخبر ، سواء كان الخبر معرفة أو نكرة. وان جُعِل خبرا، فهو مقصور على المبتدأ.

وذكر بعض البيانيين أنه اذا عُرِّف كلا الجزءين باللام كقولك (القائم هو المتكلم) ، احتمل أن يكون المبتدأ مقصورا على الخبر ، وأن يكون الخبر مقصورا على المبتدأ ، ولكن الاظهر قصر المبتدأ على الخبر، لأن القصر مبني على قصد الاستغراق وشمول جميع الافراد. وذلك أنسب بالمبتدأ ، لأن القصد فيه الى الذات، وفي الخبر الى الصفة. وقيل يُقصَر الأعم على الأخص سواء قُدِّم الأعم وَجُعِل مبتدأ ، أو أُخِّر وجُعِل خبرا، نحو (العلماء الناس) أو (الناس العلماء). وان كان بينهما عموم وخصوص من وجه ، نلجأ الى القرائن كقولنا : (العلماء الخاشعون) اذ يُقْصَد تارة قصر العلماء على الخاشعين وتارة يُقْصَد قصر الخشوع على العلماء ، فان لم توجد قرينة ، فالاظهر قصر المبتدأ على الخبر. [(٢)]

تعريف ضمير الفصل :

هو حرف [(٣)] يقع بين المبتدأ وخبره. أو ما أصلهما كذلك ، وهو مايسميه البصريون فصلا ، كأنه فصل الاسم الأول عما بعده ، وآذن بتمامه وان لم يبق منه بقية من نعت ولابدل الا الخبر لاغير.

ويسميه الكوفيون عمادا ، كأنه عَمَّدَ الاسم الاول ، وقواه بتحقيق الخبر بعده. [(٤)]

(١) شروح التلخيص ، مواهب الفتاح، ج ٢ ، ص ١٠٠

(٢) شروح التلخيص ، حاشية الدسوقي ، ج ٢ ، ص ١٠١

(٣) يبدو لي انه من الافضل تسميته حرفا بدلا من ضمير، لان تسميته ضميرا من باب المجاز ـ كما سيأتي..

(٤) شرح المفصل : ابن يعيش، م ١ ، ج ٣ ، ص ١٠

وله ستة شروط منها مايتعلق بما قبله ، ومنها مايتعلق بما بعده ، ومنها ما يتعلق به .

فالذى يتعلق بما قبله أمران : أن يكون مبتدأ فى الحال أو فى الأصل ، نحو: (اولئك هم المفلحون)(١) و (انا لنحن الصّافّون)(٢).

والثانى : كونه معرفة ، وأجاز الفراء وهشام ومن تابعهما من الكوفيين كونه نكره نحو :(ما ظننت أحدا هو القائم) و (كان رجل هو القائم). وحملوا عليه (أن تكون أمة هى أربى من أمة)(٣) فقدروا أربى منصوبة .

ويشترط فيما بعده أمران :

أن يكون خبرا للمبتدأ فى الحال أو فى الاصل ، وكونه معرفة أو كالمعرفة . قال سيبويه (واعلم أن هُوَ ، لا يَحسُن أن تكون فصلا ، حتى يكون ما بعدها معرفةً أو ما أشبه المعرفةَ ، مما طال ولم تَدخُله الالفُ واللام ، فضارَعَ زيدا وعمرا نحو : خير منك ومثلك)(٤) فالمقصود بالشبيه بالمعرفة باب أفعل التفضيل ، لأنه مشابه للمعرفة ، لأنه غير مضاف(٥). فشرطه أن يكون اسما ، وخالف الجرجانى فى ذلك فألحق المضارع بالاسم لتشابههما . وجعل منه (انه هو يبدئ ويعيد)(٦).

والى مثل هذا ذهب الامام السكاكى(٧) والقزوينى (٨)، ومعظم اصحاب شروح التلخيص(٩) حيث مثلوا له بـ (زيد هو يذهب) (أو يقوم) ، حيث وقع الضمير بين مبتدأ خبره فعله واعترض عليهم ابن السبكى ، فقال :(وَمُثِّلَ فى

---

(١) سورة الاعراف : آية : ١٥٧
(٢) سورة الصافات : الاية : ١٦٥ (٣) سورة النحل: آية : ٩٢
(٤) الكتاب ، ج ٢ ، ص ٣٩٢
(٥) شرح المفصل ، ابن يعيش ، م١ ، ج ٣ ، ص ١١٢
(٦) سورة البروج : آية : ١٣
(٧) المفتاح ، ص ٨٣ .
(٨) الايضاح ، ج ١ ، ص ١٣٥
(٩) شروح التلخيص ، ج ١ ، ص ٣٨٦

الايضاح بقولك : (زيد هو يقوم) وليس بصحيح ، لانه ليس بفصل لأن بعده فعلا مضارعا . وأما المصنف والبيانيون فاتبعوا فيه الجرجاني، فانه ذكر ذلك في شرح الايضاح والجمهور على خلافه)(١).

ويشترط فيه ثلاثة أمور :

أحدها : أن يكون بصيغه المرفوع ، فيمتنع " زيد إيَّاه الفاضل) ، و(أنت اياك العالم) وأما (انك اياك الفاضل). فجائز على البدل عند البصريين وعلى التوكيد عند الكوفيين.

الثاني: ان يطابق ماقبله فلا يجوز (كنت هو الفاضل) . (٢)
فالمطابقة المقصودة هنا من حيث النوع (التكلم والخطاب والغيبة) .

الثالث : ان يشترط فيه كماذكرنا سابقا (ان يكون بين المبتدأ وخبره أو ماهو داخل على المبتدأ وخبره من الافعال والحروف . نحو : ان واخواتها وكان واخواتها وظننت واخواتها)(٣).

" واعلم ان الفصل لايظهر له حكم في باب ان واخواتها ، وباب المبتدأ والخبر لأن أخبارها مرفوعة . فاذا قلت :(زيد هو القائم) و (ان زيدا هو القائم). لم يعلم ان المضمر فصل او مبتدأ الا بالارادة والنية . ويظهر مع الفعل الناسخ ، لان اخباره منصوبة"(٤).

---

(١) شروح التلخيص : عروس الافراح ، ج ١ ، ص ٣٨٧
(٢) المغني ، ج ٢ ، ص ٤٩٥
(٣) شرح المفصل : ابن يعيش ، م١ ، ج ٣ ، ص ١١٠
(٤) المرجع السابق ، م ١ ، ج ٣ ، ص ١١١

محلة من الاعـــراب :

اُختُلِفَ فى محله من الاعراب ، وذكر البصريون أنه لامحل له ، وقـــال اكثرهم بأنه حرف فلا اشكال. وقال الخليل اسم ونظيره على هذا القـــول أسماء الأفعال عند من يراها غير معموله لشئ ، وأل الموصوله ـ غير أن اعراب أل الموصوله ظهر فيما بعدها ، بسبب كونها على صورة الحرف ـ وزعم الكوفيون أن له محل ، ثم قال الكسائى : محله بحسب مابعده ، وقال الفـــراء بحسب ماقبله ، فمحــله بين المبتدأ والخبر رفع ، وبين معمولى ظن نصب ، وبين معمولى كان رفع ، عند الفراء ونصب عند الكسائى، وبين معمــــولى ان بالعكس.(١)

ورجح الدسوقى فى شرحه على مختصر السعد ، أنه حرف جئ به على صورة الاسم وليس بضمير. ولا مرجع له ، وانما سمى ضميرا على سبيل الاستعارة والعلاقــــة المشابهة فى الشكل والصورة.(٢) وربما التبس الفصل بالتأكيد والبدل فــــى مواضع ، ولكن هناك فروقا دقيقة تفصل بينهما.

فالفرق بين الفصل والتأكيد ، انه اذا كان التأكيد ضميرا ، فلا يؤكــــد به الا مضمر نحو : (قمت أنت) و (رأيتك انت) ، والفصل ليس كذلك ، بــــل يقع بين المضمر والظاهر.

فاذا قيل :(كان زيد هو القائم) لم يكن (هو) هنا الا فصلا.. واذا قيل : (كنت أنت القائم) ، جاز فى (أنت) هنا ، أن يكون فصلا وتأكيدا ، ومــــن الفصل بينهما أنه اذا جُعل الضمير تأكيدا ، يبقى على أسميته ، ويحكم علـــى موضعه باعراب ماقبله ، وليس كذلك اذا كان فصلا. والفرق بين الفصل والبدل انه اذا أُبدِل من منصوب جئ بضمير المنصوب. فَيُقَال:(ظننتُك اياك خيرا من زيد" ، و (حسبته اياه خيرا من عمرو)، ولكن إذا أُكِّدَ اوفُصِل ، فلا يكـــون الا بضمير المرفوع. ومن الفرق بين التأكيد والبدل والفصل أن لام التأكيـــد تدخل على الفصل ولا تدخل على التأكيد والبدل.(٣)

---

(١) المغنى ، ج ٢ ، ص ٤٩٧
(٢) شروح التلخيص : حاشية الدسوقى ، ج ١ ، ص ٣٨٦
(٣) شرح المفصل : ابن يعيش ج ٣ ، ص ١١٣

فائـــــدته :

لضمير الفصل ثلاث فوائد :

فائدتان تتعلقان بعلم النحو. احداهما : لفظية ، وهى الاشارة الـى أن مابعده خبر لاتابع ، ولهذا سُمِى فصلا ، لانه فصل بين الخبروالتابع.

والثانية : معنوية، وهى التوكيد ، ولذا فهو لا يجامع التوكيد . فلا يقال: (زيد نفسه هو الفاضل).

الفائدة الثالثة: وهى من اختصاص البيانيين وهى : افادته الاختصـــــاص والحصر (١).

وقد ذكرها الزمخشرى عند تفسير قوله تعالى(أولئك هم المفلحون) فقـــال (و " هم " فصل وفائدته الدلالة على ان الوارد بعده خبرلا صفة ، والتوكيد وايجاب أن فائدة المسند ثابته للمسند اليه دون غيره)(٢).

واختُلِف فى ضمير الفصل ، هل هو لافادة تخصيص المسند اليه بالمسند أو العكس. فذهب السكاكى الى أنه لتخصيص المسند بالمسند اليه . فقال:(وأما الحالة التى تقتضى الفصل ، فهى اذا كان المراد تخصيصه للمسند بالمسـند اليه. كقولك :(زيد هو المنطلق ، زيد هو أفضل من عمرو ، أو خير منـــه زيد هو يذهب..)(٣).

وتبعه فى ذلك الامام البيضاوى (٤) والشهاب واكد الامام الشهاب أنه :(يفيد اختصاص المسند بالمسند اليه لا عكسه. كما ذهب اليه بعض شراح المفتـــاح وهذا مما اطلقوه وأثبتوه ، بقوله تعالى(كنت انت الرقيب عليهم)(٥).

وذكر الامام الزمخشرى انه لتخصيص المسند اليه بالمسند فقال عند شـــرحه لقوله تعالى (وأولئك هم المفلحون). ان من فوائد ضمير الفصل ، :" ايجاب

---

(١) المغنى ، ج ٢ ، ص ٤٩٦
(٢) الكشاف ، م١ ، ص١٤٦
(٣) المفتاح ، السكاكى، ص ٨٣
(٤) البيضاوى، ج ١ ، ص ٦٥
(٥) حاشية الشهاب ، ج ١ ، ص ٢٥١

أن فائدة المسند ثابتة للمسند اليه دون غيره)[١]. والى مثل هذا ذهب شرّاح التلخيص. وذكر ابن السبكى أن ماذهب اليه السكاكى، انما هو سهو منه. فقال: " قول المصنف تخصيصه أى تخصيص المسند اليه بالمسند، وهذه العبارة هى الصواب. وأما قول السكاكى فى المفتاح تخصيص المسند بالمسند اليه، فهو سهو).[٢]

ذكر الامام ابو حيان أن ضمير الفصل يأتى فى كل موضع، يحتاج الى تأكيد ورفع توهم من يتشكك فى المسند اليه الخبر، أو ينازع فيه، أو من يتوهم التشريك: فقال عند تفسيره لقوله تعالى(أولئك هم المؤمنون)[٣] أن(ادخال هو فى مثل هذا التركيب أحسن، لأنه محل تأكيد ورفع توهم من يتشكك فى المسند اليه الخبر، أو ينازع فيه، أو من يتوهم التشريك فيه. ألا ترى الى قوله تعالى :(أنه هو أضحك وأبكى وأنه هو أمات وأحيا وأنه هو أغنى وأقنى"[٤]. وقوله" وأنه خلق الزوجين الذكر والانثى وأنه أهلك عادا الاولى"[٥] كيف أثبت هو دلالة على ماذكر، ولم يأت به فى نسبة خلق الزوجين واهلاك عاد، اذ لايتوهم اسناد ذلك لغير الله تعالى، ولا الشركة فيه وأما الاضحاك والابكاء، والاماته والاحياء، والاغناء والاقناء، فقد يدعى ذلك او الشركة فيه متواقح كذاب كنمروذ. وأما قوله تعالى(وانه هو رب الشعرى) فد خول هو للاعلام بأن الله هو رب هذا النجم، وان كان رب كل شئ، لأن هذا النجم عُبد من دون الله، واتّخذ إلها، فأتى بهو لينبه بأن الله مستبد بكونه ربا لهذا المعبود، ومن دونه لايشاركه فى ذلك أحد)[٦] فذكر التوكيد هنا، ولم يذكر معنى الحصر، على الرغم من أن عبارته الاخيرة تشير الى ارادة الحصر. وذكر ابن السبكى ان السهيلى استدل على افادة ضمير الفصل التصر، بأنه يأتى فى كل موضع، ادعى فيه نسبة المعنى

---

(١) الكشاف، م ١، ص ١٤٦
(٢) شروح التلخيص، عروس الافراح، جـ ١، ص ٣٨٨
(٣) سورة آية
(٤) النجم آية
(٥) النجم آية
(٦) البحر المحيط، جـ ١، ص ٤٤

الخاص بالله الى غيره. كقوله تعالى(وأنه هو أضحك وأبكى) وذكر أن التنوخى نهب الى مثل هذا ، الا أنه لم يذكر الحصر ، وجعل الضمير للتوكيد ورد عليهما ، بقوله (وفيما قالاه نظر ، لقوله تعالى:(وأنه هو أمات وأحيا) خلاف مازعماه ، وان كان الاماته والاحياء قد نسب لغير الله تعالى ، كما تضمنه قول النمرود :" أنا أحيي وأميت" فقوله تعالى (وانه خلق الزوجين) لم يؤكده بالفصل مع أنه منه ، ثم ما قالاه ليس بصحيح ، لان هذا الضمير لايصح اعرابه فصلا ، لان الفصل لايقع قبل خبر هو فعل ماض)[1]. ويبدو لى أن ماذكره أبوحيان والسهيلى ، فى افادة ضمير الفصل القصر فى ذلك الموضع صحيح ، ولكن ليس على سبيل التعميم ، بل انه معنى لطيف ، لافادة الفصل القصر فى بعض المواضع .

واستدل ابن السبكى فى افادة الفصل القصر بقوله تعالى :(فلما توفيتنى كنت انت الرقيب عليهم)، لأنه لو لم يكن للحصر لما حسن ، لأن الله لم يزل رقيبا عليهم. وانما الذى حصل بتوفيه ، أنه لم يبق لهم رقيب غير الله تعالى وذكر أنه لهذا المعنى وجب اعرابه فصلا ، واستشهد أيضا بقوله تعالى : (لايستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون)[2]. ورأى أن الضمير هنا يتعين كونه فصلا ، فلا يعرب مبتدأ ولا تأكيدا ، الا فى حالة اعتبار ان القصر من تعريف الخبر.[3]

---

(١) شروح التلخيص ، عروس الافراح ، ج ١ ، ص ٣٨٦
(٢) الحشر : آية (٢٠)
(٣) شروح التلخيص : ابن السبكى ، ج ١ ، ص ٣٨٦

أوجه الاتفاق والاختلاف بين الطرق الاصطلاحيـة :

تتفق هذه الطرق فى افادتها القصر ـ كما ذكرنا سابقا فى بيان وجـه افادة كل طريق القصر ـ وهذه الطرق وان اتفقت فى افادتها القصر ، تختلف من وجوه عدة :

١ ـ ان التقديم يكون عن طريق الفحوى ، أى عن طريق الفهم والـذوق السليم ، بمعنى أن صاحب هذا الذوق ، يعرف أن التقديم يفيد القصر، وان كان غير ملم بأساليب البلغاء. أما الطرق الثلاثة الاولى ، وهى العطـف والنفى والاستثناء وانما ، فانها تدل على القصر بطريق الوضع ، لأن الواضع وضعها لمعان تفيد القصر .

٢ ـ الأصل فى العطف أن ينص فيه على المثبت والمنفى ، ويترك فـى مقام الاختصار لكراهة التطويل ، أما الطرق الثلاثة (انما ـ التقديم ـ النفى فتدل على المثبت دون المنفى.

٣ ـ ان النفى بلا العاطفة لا يجامع النفى والاستثناء. فلا يصح أن نقول (ما على الا كاتب لا شاعر) ، ويجامع النفى بلا العاطفة التقديم ، وانمـا فيجوز أن تقول : (هو يأتينى لا زيد).
وأن تقول : (انما محمد شاعر لا كاتب).
لأن النفى فى انما والتقديم ضمنى ، فلا يقبح تأكيد ما تضمناه ، أما النفـى بلا فهو بخلاف (ما والا) . فقد صُرِّح فيهما بالنفى ، وليس الصريح كالضمنى.
واشترط السكاكى فى مجامعة النفى بلا انما ، أن لا يكون الوصف مختصـا بالموصوف . كما فى قوله تعالى : (انما يتذكر أولوا الألباب)(١)، فلا يجوز القول : (انما يتذكر أولو الألباب لا الجهال).
أما الشيخ عبدالقاهر الجرجانى فلم يجعله شرطا للمجامعة ، انما جعـله شرطا للحسن . قال : (ومما يجب أن يُعلم ، أنه اذا كان الفعل بعدهـا فعلا ، لا يصح الا من المذكور ، ولا يكون من غيره. كالتذكر الذى يُعلم أنـه

(١) سورة الرعد : آية : ١٩

لايكون الا من أولى الالباب . لم يحسن العطف بلا فيه ، كما يحسن فيما لايختص بالمذكور ، ويصح من غيره تفسير هذا ، أنه لايحسن أن تقول : انما يتذكر أولو الالباب لا الجهال ، كما يحسن أن تقول :(انما يجئ زيد لا عمرو) [١] ونهب البلاغيون الى أن هذا أقرب من قول السكاكى. لأنه لا دليل على امتناع أن يقال ، انما يفهم العاقل لاغيره عند قصد زيادة التحقيق والتأكيد. أما مجامعة التقديم لانما ، فاختُلِف فى الذى يُسنَد اليه القصر قال بعضهم : أنه يُسند الى التقديم لانه أقوى ، وقيل يُسنَد الى انما لانها هى الأقوى . ويبدو لى أن نُقدم ما يقتضيه السياق والاسلوب .. ولقد ذكر الشيخ عبدالقاهر الجرجانى فى دلائل الاعجاز فرقا بين انما ولا العاطفة . فقال: (أعلم انها - أى انما - تفيد فى الكلام بعدها ايجاب الفعل بشئ ، ونفيه عن غيره . فاذا قلت : (انماجاءنى زيد) ، عُقِل منه أنك أردت ، أن تنفى أن يكون الجائى غيره . فمعنى الكلام معها شبيه بالمعنى فى قولك : (جاءنى زيد لا عمرو) ، الا أن لها مِزية ، وهى أنك تعقل معها ايجاب الفعل لشئ ، ونفيه عن غيره . دفعة واحدة وفى حال واحدة . وليس كذلك الامر فى : (جاءنى زيد لا عمرو) ، فإنك تعقلهما فى حالين . ومزية ثانية : وهى أنها تجعل الامر ظاهرا فى أن الجائى زيد ، ولا يكون هذا الظهور اذا جعلت الكلام بلا . فقلت : جاءنى زيد لا عمرو) [٢].

٤ - ان أصل النفى والاستثناء أن يكون لأمر يجهله المخاطب وينكره فلا يقال : (ماهو الا مخطئ) الا للشخص المنكر.

وكذلك اذا رأيت شبحا من بعيد ، فقلت : (ماهو الا زيد) ، لم تقل ذلك الا لاعتقاد المخاطب أنه ليس بزيد.

وكذلك يُستعمل النفى والاستثناء ، فيما اذا نُزِّل المعلوم منزلة المجهول .

---

(١) دلائل الاعجاز ، ص ٢٢٩
(٢) دلائل الاعجاز ، ص ٢١٩ - ٢٢٠

كقوله تعالى : (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل)..(١)

قصر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم على الرسالة ، لا يتعداها الى الخلود . ولقد خُوطِب الصحابة الكرام بهذا الخطاب انزالا لهم منزلة من أنكر هلاك الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم . كما سيأتى تحقيقه فى موضعه فى الباب الثانى ان شاء الله.

أما إنما فانها تجئ لخبر لا يجهله المخاطب ، ولا يدفع صحته ، أو لما يُنزل هذه المنزلة. فقولك للشخص : (انما هو أبوك) ، لايعنى أن ذلك الشخص جاهل بهذه الابوة أو يدفع صحتها ، وانما كان قصدك تنبيهه لواجب الأخوة وتذكيره بحرمتها.

ومنه قول المتنبى :

إنمّا أنْتَ والدٌ والأبُ القَا
طِعُ أحْنَى مِنْ وَاصِلِ الأوْلادِ(٢)

وعلق الشيخ عبدالقاهر على هذا البيت بقوله :

" لم يرد أن يُعلم كافورا أنه والد ، ولا ذاك مما يحتاج كافور فيه الى الاعلام ، ولكنه أراد أن يذكره منه بالأمر المعلوم لينبنى عليه استدعاء ما يوجبه كونه بمنزلة الوالد)(٣).

وقد يُنزل المجهول منزلة المعلوم لتخيل المتكلم ظهوره. قال الامام عبدالقاهر (.. قد تدخل فى الشئ على أن يخيل فيه المتكلم أنه معلوم ، ويدعى أنه من الصحة بحيث لايدفعه دافع".

كقول الشاعر :

إنمّا مُصْعَبٌ شِهَابٌ مِنَ اللّـه
(م) تَجَلّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظَّلْمَاءُ (١)

---

(١) سورة آل عمران : آية ١٤٤

(٢) البيت : لاحمد بن الحسين المعروف بأبى الطيب المتنبى ، والخطاب لكافور الاخشيدى .

(٣) دلائل الاعجاز ، ص ٢١٦

(٤) البيت لعبدالله بن قيس ، الرقيات فى مدح مصعب بن الزبير بن العوام.

ادعى الشاعر أن كون مصعب ـ كما وصفه ـ جلي واضح معلوم . وأهم مواضع انما التعريض ، بمعنى أن لايقصد بها نفس المعنى الظاهر. كقوله تعالى: (انما يتذكر أولوا الألباب)(١). فليس الغرض هو اعلام السامع ظاهر معنى الاية ، ولكن الغرض ذم الكفار ، فهم من فرط عنادهم في حكم من لاعقل له.(٢) ولقد ذكر الدكتور محمد ابوموسى كلاما لطيفا فى معانى انما مؤداه : أن المعانى التى تدخل عليها انما ، غالبا ماتكون معانى مألوفة ناعمة قريبة من النفس ولاتدخل على الحقائق الغريبة والافكار البعيدة ، وهذا بخلاف ما وإلاّ ، فانها تستعمل فى المعانى القوية الشديدة الوقع على النفس ، والتى يُسْمَع لها جلبة ورنين ، والحقائق النادرة التى من شأن النفوس أن تنكرها ، وتقيم دونها الأسوار.(٣)

---

(١) الرعد : آية : ١٩ / الزمر : آية : ٩
(٢) ينظر فيما سبق ، دلائل الاعجاز ، ص٢٢٨ ـ ٢٣٢
شروح التلخيص ، ج ٢ ، ص ٢٠٤ ـ ٢١٦
الايضاح تحقيق محمدعبدالمنعم خفاجى ، ج ١ ، ص٢١٧ ـ ٢٢٦
(٣) دلالات التراكيب ، محمد ابوموسى ، ص ١٥٠

الباب الثاني

أساليب القصر في الثلث الأول من القرآن الكريم

بعد أن انتهيت - بفضل الله - من البحث عن القصر من النواحي النظرية. وعالجت قضاياه من حيث المعنى اللغوى والاصطلاحي وارتباطهما ببعض كما تعرضت له من حيث الحقيقه والاضافه والصفه والموصوف.

وذكرت طرقه الاصطلاحيه وغير الاصطلاحيه سأشرع - ان شاء الله - في هذا الباب في الناحية التطبيقية لمعرفة مدى انطباق القواعد النظرية التي قعدها العلماء على الثلث الأول من القرآن ويشمل هذا الباب ثلاثة فصول :

الفصل الاول :

أ - النفي والاستثناء .

ب - انما .

الفصل الثاني:

أ - العطف .

ب - التقديم.

الفصل الثالث :

أ - ضمير الفصل .

ب - تعريف الجزئين .

الفصل الأول

آ- اسلوب النفي والاستثناء

ب- اسلوب إنّما

مع بيان

- نوع القصر في كل آية
- اسرار استعمال كلٍّ في كل موضع

((البقـــرة))

- (يُخادِعُونَ اللَّهَ ، وَالَّذِينَ آمَنُوا ، وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُم ، وَمَا يَشعُرُونَ)(١)

المقصـــور : الخدوع .

المقصور عليه: أنفسهم

قصر صفة على موصوف قصرا اضافيا ، قصر قلب .

سر القصـــر :

حاول المنافقون خداع الله ، والذين آمنوا ، باخفاء نفاقهم ، واظهـــار ايمانهم. ولاظهار شناعة فعلتهم هذه ، جئ بأسلوب القصر . فقال تعالـــى: (وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُم) . أى (أنهم مايضرون بذلك الا أنفسهم . حيـــث يغرونها بالاكاذيب ، فيلقونها فى مهاوى الردى).(٢)

فهم حين يحاولون بفعلهم هذا خداع الله تعالى ، وخداع المؤمنين ، كأنهـم ينكرون أن يكونوا مخادعين لانفسهم . وخداع النفس أمر من شأنه أن ينكـــره المخاطب . فمن هنا جاء القصر بالنفى والاستثناء. على أن نفى المخادعـــة عمن حاولوا خداعهم ، وقصرها على أنفسهم ، فيه غاية الازدراء بهـــم ، والانتقاص لافعالهم ، ومحاولتهم ، وتعجيب شديد من غباوتهم ، واظهـــار لهم بمظهر العابث ، الذى لايفكر فى العواقب ، ويجهل الطريق التى توصلـه لغايته ، ويرمى السهم الذى يرتد الى صدره ، فيصيب منه مقتلا نافذا..

- (إِنَّ اللَّهَ لَايَستَحيِى أَنْ يَضرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوقَهَا . فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُـــوا ، فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الحَقُّ مِن رَّبِهِم. وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا ، فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً ، يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً ، وَيَهدِى بِهِ كَثِيراً ، وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الفَاسِقِينَ)(٣)

المقصـــور : الاضـــلال

المقصور عليه : الفاســقون

---

(١) آية (٩)
(٢) تفسير ابى السعود ، جـ١ ، ص ٤١ .
(٣) آية (٢٦)

قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا ، فيه مبالغة.

سـر القصـر :

ذكر علماء البلاغة ، أن النفى والاستثناء ، يأتى لأمر ينكره المخاطب، أو مايُنَزَّل هذه المنزلة ، أو لأمر يجهله المخاطب، أو مايُنَزَّل هذه المنزلة ولكن الامام أبا السعود ـ عند تفسيره لهذه الآية ـ يَلفِتنا الى نوع جديد ، وهو أن المخاطب فى الآية غيرمُنْكِر ، ولا مُنَزَّل مَنْزِلَة من ينكر . بل كـأن المخاطبين ، كانوا يعلمون أن الاضلال للفاسقين . فجاء القصر لتأكيد هـذا المعنى ، وزيادة تعيينه. حيث ذكر أن فى الآية (زيادة تعيين لمن أريـد اضلالهم ، ببيان صفاتهم القبيحة المستتبعة له ، وإشارة الى أن ذلك ، ليس اضلالا ابتدائيا ، بل هو تثبيت على ماكانوا عليه فى فنون الضلال)(١)

وهو قصر حقيقى فيه مبالغة ، اذا كان المقصود بالفاسقين هنا هم اليهـود لانهم اهل كتاب يعلمون اساليب الكتب السماوية فى ضرب الامثال. فانكارهـم اياها ، مع علمهم بها ، قمة الضلال . فكأنه لاضلال سواه.

ـ (وَمِنهُم أُمِّيُّونَ لَايَعلَمُونَ الكِتَابَ ، إِلَّا أَمَانِيَّ وإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ).(٢)

المقصـور : هـم

المقصور عليه: يظنـون

قصر موصوف على صفة قصرا اضافيا ، قصر قلب ، أما قوله تعالى:(ومنهـم أميون لايعلمون الكتاب الا أمانى).

---

(١) تفسير ابى السعود ، ج ١ ، ص ٧٥

(٢) آية ٧٨

فالاستثناء فيه - كما ذكر الامام الزمخشري(١)، وأبوحيان(٢) ، والقرطبي،(٣) وأبوالسعود(٤) - استثناء منقطع ، لأن الأماني ليست من جنس علم الكتاب ولا تندرج تحت مدلوله. والاستثناء المنقطع لا يفيد القصر، وإنما يفيده الاستثناء المفرغ .

سر القصر :

صور لنا السياق القرآني صورة مؤمنين . عندهم أمل في اهتداء اليهود مع ارتجاء الخير منهم. فهم بذلك كأنهم يجهلون صفاتهم القبيحة ، من الاعراض عن الكتاب بعد معرفتهم ما فيه من الحق ، ومن خداعهم للذين آمنوا ، باظهارهم الايمان وابطانهم للكفر.

فجاء الخطاب للمؤمنين يحذرهم من اليهود ، وابتدأ هذا التحذير بالاستفهام الانكاري ، فقال تعالى(أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُم ، وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنهُم يَسمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ، ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعدِ مَاعَقَلُوهُ ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ . وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا ، قَالُوا آمَنَّا ، وَإِذَا خَلَا بَعضُهُم إِلَى بَعضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيكُم ، لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُم ، أَفَلَا تَعقِلُونَ)(٥) وفي هذا السياق جاء القصر ليكشف حقيقة فريق آخر منهم ، حيث قصره على الظن ، لينبه المؤمنين بقوة، الى أن من كانت هذه صفاته فلا أمل فيه، ولا خير يرتجى منه. أي (ماهم الا قوم قصارى أمرهم الظن والتقليد، من غير أن يصلوا الى رتبة العلم . فأنّى يُرجى منهم الايمان المؤسس على قواعد اليقين)(٦).

---

(١) الكشاف ، م ١ ، ص ٢٩٢ .
(٢) البحر المحيط ، ج ١ ، ص ٢٧٥ .
(٣) الجامع لاحكام القرآن ، ج ٢ ، ص ٥ . / هو ابوعبدالله محمد بن احمد بن ابي بكر بن فرج الانصاري الخزرجي القرطبي وحكى في تفسيره مذاهب السلف كلها توفي سنة احدى وسبعين وستمائة/ شذرات الذهب ج ٥ ص ٣٣٥ .
(٤) تفسير ابي السعود ، م ١ ، ج ١ ، ص ١١٩ .
(٥) آية ٧٥ - ٧٦
(٦) تفسير ابي السعود ، م ١ ، ص ١١٩ .

— (وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً . قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا ، فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ، أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)(١)

المقصور : مساس النار

المقصور عليه : الايام المعدودة

وهو قصر موصوف على صفة قصر قلب .

سر القصر :

اعتقد اليهود أنهم أحباب الله ، وأنهم مهما ارتكبوا من ذنوب فسيكون مصيرهم الجنة . فهم هنا يخاطبون من أنكر عليهم دخول الجنة ، وأثبت لهم التأبيد فى النار . فأرادوا تأكيد بطلان ما ذهب اليه فجاءوا بأسلوب النفى والاستثناء ، لاثبات ادعائهم وتأكيد ظنونهم . وحتى يتخلى المخاطب عن انكاره ، ويستقر فى اعتقاده ، أن عدم تخليدهم فى النار أمر حقيقى لا مجال للشك فيه . فكان فى بيان حقيقتهم بهذه الطريقة، قلباً لاعتقاد المؤمنين ، وتحذيراً شديداً ، وتنبيهاً قوياً لمكائدهم . وزيادة فى تأكيد ما ادعوه وصفوا الأيام بقولهم معدودة مخبرين بذلك عن القلة (يعنى أن التوصيف به مؤول بالقلة) . (٢)

— (وإذ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ، وبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ، وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ، وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ . ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ ، وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ)(٣)

---

(١) آية (٨٠)
(٢) حاشية الشهاب ، حـ ٢ ، ص ١٩١ .
(٣) آية (٨٣)

المقصــــور : المعبود .

المقصور عليـه : لفظ الجلالة .

قصر صفة على موصوف قصرا اضافيا . قصـــر افراد .

سـر القصـــر :

كان اليهود يعلمون أن العبادة يجب أن تكون لله وحده . بدليل ان اللـه سبحانه وتعالى أخذ عليهم وعلى اسلافهم الميثاق بذلك . فقال تعالى: (وَإِذْ أَخَذْنَا ..) بصيغة الماضي . وفي هذا دليل على معرفتهم بوجوب تفرد اللـــه بالعبادة . ولكنهم عندما اتخذوا العجل اشركوا مع الله غيره ، ونســـوا ما أُخِذَ عليهم من الميثاق . وبذلك صاروا منكرين لتفرد الله بالعبـــادة فجاءت الآية تذكرهم بنص ذلك الميثاق . ولأن أمر التفرد ، هو الذي وقـــع عليه الانكار . جاء التذكير به عن طريق القصر . وجُعِلَت جملة القصر مبدوءة بأسلوب الالتفات - لمن قرأ تعبدون بالتاء - (وحكمته الاقبال عليهم بالخطاب ليكون أدعى للقبول ، وأقرب للامتثال . اذ فيه الاقبال من الله على المخاطب بالخطاب)(١).

ولشدة انكارهم فاجأهم بأسلوب النفي والاستثناء ، فنفى العبـــادة عن غيره - كعبادة العجل - واكدها وأفردها لذاته العليا ، وجعـــــل المستثنى اسما ظاهرا لأن (في العدول الى الاسم الظاهر من الفخامة ، والدلالة على سائر الصفات ، والتفرد بالتسمية به ما ليس في المضمر)(٢)

---

(١) البحر المحيط ، ج ١ ، ص ٢٨٢

(٢) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٨٣

— (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُم لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُم وَلَا تُخرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُم ثُمَّ أَقْرَرْتُم وَأَنتُم تَشْهَدُونَ . ثُمَّ أَنتُم هَؤُلَاءِ تَقتُلُونَ أَنفُسَكُم وَتُخرِجُونَ فَرِيقاً مِّنكُم مِّن دِيَارِهِم تَظَاهَرُونَ عَلَيهِم بِالإِثْمِ وَالعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُم أُسَارَىٰ تُفَادُوهُم وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيكُم إِخرَاجُهُم أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعضِ الكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفعَلُ ذَلِكَ مِنكُم إِلَّا خِزيٌ فِي الحَيَاةِ الدُّنيَا وَيَومَ القِيَامَةِ يردون الى أَشَدِّ العَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعمَلُونَ)(١)

المقصور : الجزاء.

المقصور عليه : الخزى

قصر موصوف على صفة قصرا اضافيا قصر قلب.

سر القصر :

ان من أبرز سمات بنى اسرائيل نقضهم للمواثيق ، وعدم وفائهم بها ففى هذه الاية ، أخذ الله المَوثِق من بنى اسرائيل ، بأن لايقتل اليهودى اليهودى ، ولا يخرجه من داره ، ولا يظاهر عليه من يشرك بالله ويعبد الاوثان . وأن يفدى بعضهم بعضا من أى قبيلة كانوا . فقد جاء فى التوراة : انك لا تجد مملوكا من بنى اسرائيل ، الا أخذته فأعتقته.

وحدث أن نشبت الحرب بين الاوس والخزرج ، وكان بنو قريظة حلفاء الأوس ، وبنو قينقاع وبنو النضير حلفاء الخزرج ، فأخذ كل فريق يقاتل مع حلفائه فيقتل اليهودى اليهودى . - وفى هذا انكار لماجاء فى الميثاق - ثم بعد انتهاء الحرب ، يأخذ اليهود بافتداء الاسرى عندهم ، أو عند حلفائهم أو عند اعداء حلفائهم ،(٢) وظنوا أنهم قد عملوا بما جاء فى التوراة ، وأنهم بذلك أهل للتكريم ، والتفضيل ، وحُسْنِ الجزاء. ولاعتقادهم هذا ، جيء بأسلوب القصر عن طريق النفى والاستثناء ، حيث قُصِرَ جزاؤهم على الخزى ،

---

(١) آية ٨٤ - ٨٥
(٢) تفسير ابن كثير ، ج ١ ، ص ٢١١ - ٢١٢

وهو وصف جامع لجميع أنواع العذاب ، ونُفِى عنهم الاكرام ، والتفضل بالعفو والمغفرة . قلبا لاعتقادهم ، وقطعا لاطماعهم ، وتحقيرا لصنيعهم ذكر الامام ابوالسعود : (ولعل بيان جزائهم بطريق القصر على ماذُكِر ، لقطع أطماعهم الفارغة ، من ثمرات ايمانهم ببعض الكتاب ، واظهار أنه لا أثر له أصلا ، مع الكفر ببعض).(١)

—(وَلَقَد أَنْزَلْنَا إِلَيكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الفَاسِقُونَ)(٢)

المقصور : الكفر .

المقصور عليه: الفاسقون .

قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا.

سر القصر :

أنكر اليهود الايمان بما أُنزِل على النبى صلى الله عليه وسلم، وبما جاء به من البينات وزعموا أنهم مؤمنون بكتاب ، لاحاجة لهم بهداية فى غيره. فجاء القرآن بأسلوب النفى والاستثناء ، لأنه يواجه مخاطبا شديد الانكار. فكان لابد أن يُقَابِل انكارهم هذا بأسلوب أشد، فنفى الكفر عن كل من عدا المقصور عليه ، وأثبته لنوع خاص هم الفاسقون مبالغة فى الذم والتحقير ، وهو قصر حقيقي . لأن الواقع يشهد بأنه لايكفر بهذه الايات الا من كانت عقيدته فاسدة. وقُصِرَ الكفر على الفاسقين دون غيرهم، لشمول هذا الوصف كل ممعن فى الكفر فـ(الفاسقون (هم المتمردون فى الكفر ،. الخارجون عن الحدود ، فإن من ليس على تلك الصفات من الكفرة لايجترئ على الكفر بمثل هاتيك البينات. قال الحسن : اذا استعمل الفسق فى نوع من المعاصى ، وقع على أعظم أفراد ذلك النوع من كفر أو غيره. فاذا

---

(١) تفسير ابى السعود ، ج ١ ، ص ١٢٦
(٢) آية (٩٩)

قيل هو فاسق فى الشرب ، فمعناه هو أكثر ارتكابا له)(١).

— (وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيمَانَ وَمَاكَفَرَ سُلَيمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى المَلَكَينِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ(٢) وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحنُ فِتنَةٌ فَلَا تَكفُر فَيَتَعَلَّمُونَ مِنهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَينَ المَرءِ وَزَوجِهِ وَمَاهُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُم وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشتَرَاهُ مَالَهُ فِى الآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئسَ مَا شَرَوا بِهِ أَنفُسَهُم لَو كَانُوا يَعْلَمُونَ)(٣).

المقصور : الضرر.

المقصور عليه : كونه بإذن الله

قصر موصوف على صفه ، قصر قلب.

سر القصر :

لما أنعم الله سبحانه وتعالى على رسوله بالنبوة. أنكر ذلك بنو اسرائيل ، حسدا منهم له ، وبغيا عليه ، فجحدوا نبوته ، وماجاء به ، مع علمهم الاكيد بأن لله رسولا مرسلا. مصدقا لما معهم من التوراة ، واتبعوا ما اتبع أسلافهم ، مما تلته الشياطين فى عهد سليمان.(٤) واعتقدوا وجزموا أن ماجاء فى كتاب آصف ، وماكان من سحر هاروت وماروت ، أفضل مما ورد فى القرآن والتوراة الصحيحة. وكذلك اعتقدوا أن ماجاءوا به من السحر ينفع

(١) روح المعاني ، ج ١ ، ص ٣٣٤
(٢) ذكر الامام الطبرى ج ١ ص ٣٥٩-٣٦٠ انهما كانا ملكين من الملائكة ، فأُهبطا ليحكُما بين الناس ، وذلك ان الملائكة سخروا من احكام بنى آدم قال فحاكمت اليهما امرأة فحافا لها ، ثم ذهبا يصعدان فحيل بينهما وبين ذلك وخُيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا.
(٣) آية (١٠٢)
(٤) جامع البيان فى تفسير القرآن ، ابى جعفر محمد بن جرير البطرى م ١ ، ص ٣٥٤

ويضر بذاته . فهو المتصرف والمتحكم الحقيقى فى حياة البشر ، لا ماجاء به محمد من القرآن.

ولقلب اعتقادهم هذا ، جئ بأسلوب النفى والاستثناء - لما لهذا الاسلوب من خاصية اقتلاع الانكار من جذوره - لينبه العقول فى قوة وشدة الى أن الضر والنفع بيد الله وحده .

فنفَى القدرة على الحاق الضرر عن جميع الكائنات ، وأثبت هذا الفعل لمشيئة الله واذنه .

— (وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوداً أَو نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)(١)

المقصور : دخول الجنة .

المقصور عليه : اليهود / النصارى

قصر صفة على موصوف قصرا اضافيا ، قصر قلب .

سر القصر :

اشتد النزاع بين اليهود والنصارى ، ورمى كل فريق منهما الآخر بالكفر والضلال ، وبعدم دخول الجنة.(٢) ولشدة النزاع القائم استخدم كل منهما نفس السلاح ، فاستخدما أسلوب النفى والاستثناء ، ليقطع كل منهما به حجة الآخر ، فحاول اليهود قلب معتقد النصارى ، فنفوا أن تكون الجنة لهم ، وأثبتوها لانفسهم ، وكذلك فعل النصارى ، فاستخدموا نفس الاسلوب لأنه أقوى الاساليب فى مواجهة التحدى . فكان القصر قصر قلب ، لأن كُلا من الفريقين يعتقد اعتقادا جازما - لا مجال للشك فيه - ان الجنة خاصة به .

(١) آية (١١١) .

(٢) اى قالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا . وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصارى ، فلف بين القولين ثقة ان السامع يرد كلا منهما الى قائله / تفسير ابى السعود ، ج ١ ، ص ١٤٦

— (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ)(١)

المقصـــور : الدخول

المقصور عليه : حال الخوف

أى ماينبغى ان يدخلوها فى حال من الاحوال الا حال الخوف فهو من قصر الموصوف على الصفه قصرا حقيقيا فيه مبالغة أو هو قصر قلب.

سـر القصـر :

منع المشركون الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه من الدعاء الى الله بمكة ، وألجؤوه الى الهجرة.(٢) وفى هذا جهل وعدم احترام لحرمة هذه المشاعر. لذا جئ بأسلوب النفى والاستثناء ، لتوبيخ وتحقير كل من يحاول تعطيل مساجد الله. حيث قَصرَ الدخول على حالة الخوف، دون التخريب والمنع. أى ما كان الحق أن يدخلوها الا بخشية وخضوع ، فضلا عن الاجتراء على تخريبها وتعطيلها. أو ماكان الحق أن يدخلوها الا على حال التهيب وارتعاد الفرائص من جهة المؤمنين أن يبطشوا بهم. فضلا ان يستولوا عليها ، ويلوها ويمنعوهم منها. ولكنه ظلم الكفرة وعتوهم.(٣) وعلى هذا يكون القصر قصر قلب.

أو ماكان لهم فى علم الله تعالى وقضائه ، أن يدخلوها الا على حال الخوف دون غيرها. وبذلك يكون قصرا حقيقيا فيه مبالغة، ويكون وعدا للمؤمنين بالنصرة واستخلاص ما استولى عليه الكافرون.

(يعنى أن الله قد حكم وكتب فى اللوح ، انه ينصر المؤمنين ويقويهم ، حتى لايدخلوها الا خائفين).(٤)

---

(١) آية ١١٤
(٢) الفخر الرازى، م ٢ ، ج ٣ ، ص ١٠
(٣) الكشاف، م١ ، ص٣٠٦
(٤) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة.

— (وَمَنْ يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ)(١)

المقصور : الرغبة عن ملة ابراهيم .

المقصور عليه : السفهاء .

∴ قصر الرغبة عن ملة ابراهيم على السفهاء. لا تتعداهم الى غيرهم من العقلاء.

قصر صفة على موصوف قصر افراد.

سر القصر :

حكى السياق القرآني موقف المنافقين وموقف المشركين ، وكذلك موقف اليهود والنصارى من الرسالة المحمدية . وتَشَبُّث كل منهم بموقفه ، وأن ما يَدَّعُونَه أفضل مماجاء به محمد عليه السلام. وليحسم القرآن الموقف، قرر أن الصحيح ماجاء به محمد عليه السلام . فهو الموافق لملة ابراهيم الخليل الذى أخلص العبادة لله وحده ، ولم يَدْعُ معه غيره ، ولا أشرك به طرفة عين وتبرأ من كل معبود سواه ، وخالف فى ذلك سائر قومه ، حتى تبرأ من ابيه فقال : (يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ. إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ).(٢)

فهذه هى العقيدة الصحيحة ،لامايَدَّعِيه المشركون وغيرهم من اشراك غيره معه . وللتحذير من الوقوع فيمايدعيه هؤلاء ، جئ بأسلوب القصر فى هذه الآية لتقريع وتوبيخ كل من يحاول الانحراف والابتعاد عن ملة ابراهيم الحنيف . وجئ ب (من) الاستفهامية المتضمنة لمعنى النفى ، لانكار واستبعاد أن يكون فى العقلاء من يرغب عن ملته ، التى هى الحق الصريح والدين القويم.

فلا يرغب عنها الا من سفه نفسه وأذلها ، واستخف بها ، لانه اذا رغب عما لايرغب عنه أحد من العقلاء ، فقد بالغ فى اذلال نفسه واهانتها ، حيث خالف بها كل نفس عاقلة.(٣)

---

(١) آية (١٣٠) (٢) سورة الانعام آية ٧٨ - ٧٩

(٣) تفسير ابى السعود ، ج ١ ، ص ١٦٢ .

(وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ)..(١)

المقصور : الجعل.

المقصور عليه : علم من يتبع الرسول ، ممن ينقلب على عقبيه

قصر موصوف على صفة قصر قلب.

والاستثناء في الآية مفرغ من أعم العلل ، أي وماجعلنا ذلك لشئ من الاشياء الا لنمتحن الناس(٢)

سر القصر :

لما أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بتحويل القبلة من بيت المقدس - وهى قبلة اليهود - الى البيت الحرام. أنكر اليهود أمر التحويل تَعَصُّبًا لقبلة آبائهم. وقاموا بالتشكيك فى أمر الرسول صلى الله عليه وسلم، ونسبوا أمر التحويل الى البطلان والسفه. - لأن النسخ عند اليهود باطل -(٣)

فجئ بالنفى والاستثناء لقلب معتقدهم هذا ، ببيان الغرض الحقيقى من تحويل القبلة ، وهو الامتحان والاختبار . لا ما ادعوه من البطلان والسفه أى ماجعلنا القبلة فيما مضى هى الجهة التى كنت عليها الى اليوم ، ثم أمرناك بالتحويل الى الكعبة ، الا لنمتحن الناس ، أى نعاملهم معاملة من يمتحنهم ، ونعلم حينئذ من يتبع الرسول فى انفاذ أمر التوجه ، ممن يرتد عن دين الاسلام ، بعدم تقبل الامر وانكاره.

وفى مجئ القصر هنا مايُشْعِر بالتهديد الشديد ، والتحذير العظيم من الميل عن جادة الحق ، مما يوقظ المشاعر ، وينبه العقل الى وجوب اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم.

---

(١) آية (١٤٣) (٢) تفسير ابى السعود ، ج ١ ، ص ١٧٣
(٣) البحر المحيط ، ج ١ ، ص ٤١٩

(وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ) (١)

المقصـــور : اله .

المقصور عليه : هـــو .

قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا . أو هو قصر افراد.

سـر القصـر :

كانت الآيات السابقة تواجه عقيدة منكرة لوحدانية الله أشد الانكار. وفي هذه الآيات أراد الله سبحانه وتعالى ذكر أدلة قدرته ووحدانيته ، ليمحو كل أثر للانكار ، فكان لابد قبل ذكر هذه الادلة ، من ازالة كل اعتقاد باطل ، ليمهد الطريق لذكر هذه البراهين ، حتى تتقبلها النفس بايمان ويقين ، وذلك ادعى الى التصديق . فجئ بأسلوب النفي والاستثناء لتخصيص الله سبحانه وتعالى بالألوهية ، ونفيها عن كل مَن عداه فالخطاب عام لكافة الناس.

وذكر الامام أبوحيان أنه (لما قال تعالى والهكم اله واحد ، أمكن أن يخطر ببال أحد ، أن يقول هب أن الهنا واحد ، فلعل اله غيرنا مغاير لالهنا فلا جرم أزال ذلك الوهم ببيان التوحيد المطلق ، فقال لا اله الا هو ، فقوله لا اله يقتضي النفي العام الشامل ، فاذا قال بعده الا الله ، أفاد التوحيد التام المطلق).(٢)

وكذلك ذكر الامام ابوالسعود أن القصر هنا : (مقرر للوحدانية ، ومزيح لما عسى يتوهم أن في الوجود الها لكن لايستحق العبادة)(٣)

فعلى المعنى الاول يكون القصر حقيقيا تحقيقيا . اما على الاعتبار الذى ذكره الامام ابوحيان والامام ابوالسعود ، فالقصر اضافي ، قصر افراد.

---

(١) آيـة (١٦٣)
(٢) البحر المحيط ، ج ١ ، ص ٤٦٣
(٣) تفسير ابى السعود ، م ١ ، ص ١٨٣

ـ (وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِى يَنعِقُ بِمَا لَايَسمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكمٌ عُمىٌ فَهُمْ لَايَعقِلُونَ)(١)

المقصور : السماع .

المقصور عليه : الدعاء والنداء .

قصر صفة على موصوف لأن ما بعد الا وقع مفعولا به(٢) قصرا حقيقيا ، فيه مبالغة .

سر القصر :

لما حكى القرآن عن الكفار ، أنهم عند الدعاء الى اتباع ما أنزل الله ، تركوا النظر والتدبر ، وأخلدوا الى التقليد ، وقالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا . وفى هذا تصميم على انكار الاتباع. ضرب لهم هذا المثل تنبيها للسامعين لهم ، أنهم انما وقعوا فيه بسبب ترك الاصغاء وقلة الاهتمام بالدين . فصيرهم من هذا الوجه بمنزلة الانعام،(٣) وليزيد السامع معرفة بأحوال الكفار ، ويقرر ويؤكد انصرافهم عن الحق ، جىء بالنفى والاستثناء ، فقصر السماع على الدعاء والنداء مع عدم الفهم. أى" ومثل الذين كفروا كبهائم الذى ينعق ومثل داعيهم الى الايمان فى أنهم لايسمعون من الدعاء الا جرس النغمة ، ودوى الصوت ، من غير القاء أذهان ، ولا استبصار ، كمثل الناعق بالبهائم التى لاتسمع الا دعاء الناعق ، ونداءه الذى هو تصويت بها ، وزجر لها ، ولا تفقه شيئا آخر ، ولا تعى كما يفهم العقلاء ويعون"(٤).

فقصر القرآن سماعهم على الدعاء والنداء مع عدم الفهم ، " ليحقر الى الكافر نفسه ، اذا سمع ذلك . فيكون كسرا لقلبه وتضييقا لصدره . حيث صيره كالبهيمة . فيكون فى ذلك نهاية الزجر والردع لمن يسمعه ، عن أن يسلك مثل طريقه"(٥).

---

(١) آية (١٧١) . (٢) الفخر الرازى ، م٣ ، ج ٥ ، ص ٨

(٣) الكشاف ، م ١ ، ص ٣٢٨

(٤) الفخر الرازى ، م ١ ، ج ٢ ، ص ٧٩

— (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ).(١)

المقصور : المأكول .

المقصور عليه : النار .

قصر صفة على موصوف قصرا اضافيا ، قصر قلب.

سر القصر :-

كان اليهود يعرفون حق المعرفة ، أن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم حق ، وأن محمدا هو النبى الخاتم. فقد ذكرت التوراة صفاته ، وشهدت له بالرسالة والنبوة، ولكنهم كتموا ذلك ، لئلا تذهب رياستهم ، وماكانوا يأخذونه من العرب من الهدايا والتحف ،(٢) وظنوا انهم بذلك يربحون من وراء شرائهم بآيات الله ، وأن هذا يجعلهم فى طمأنينة وراحة ، فباعوا أنفسهم بذلك ، واعتاضوا عن الهدى ، واتباع الحق ، وتصديق الرسول والايمان بما جاء ، بذلك النذر اليسير.(٣) فجاء القصر لِيُبْطِل لهم هذا الاعتقاد ، ويفاجئهم بحقيقة ربحهم. فقَصَرَ الاكل على النار ، مبالغة فى تجسيم شدة التهديد والوعيد لهم لشنيع فعلهم.

— (وَقَاتِلُوهُمْ(٤) حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ)(٥).

---

(١) آية (١٧٤). (٢) تفسير ابن كثير ، م ١ ، ص ٣٦٣

(٣) المرجع السابق ، نفس الصفحة.

(٤) " أمر بالقتال لكل مشرك فى كل موضع، على قول من رآها ناسخة ومن رآها غير ناسخة. قال: المعنى قاتلوا هؤلاء الذين قال الله فيهم: فان قاتلوكم والاول أظهر وهو أمر بقتال مطلق ، لابشرط ان يبدأ الكفار، دليل ذلك قوله: (ويكونا الدين لله)/ انظر المحرر الوجيز. جا ص ٥٣٦، القرطبى ج٢ ص ٣٥٣

(٥) آية ١٩٣ .

المقصـــور : العدوان ٠

المقصور عليه : الظالمين٠

قصر موصوف على صفة ، قصر افــراد٠

سـر القصـــر :

لما أمر الله سبحانه وتعالى رسوله والمؤمنين بقتال الكافرين مطلقا حتى تكون كلمة الله هى العليا٠ وضع لهم حدا فى ذلك ، بأن بين لهـم أن سبب القتال هو الكفر ، لانه قال (حتى لاتكون فتنة) ، فان انتهى هؤلاء الكافرون عن كفرهم باعلان الاسلام ، أو بأداء الجزية فى حق أهل الكتـــاب ، وجب رفع القتال عنهم٠ وأكد هذا الحد ، حيث جاء به عن طريق النفـــى والاستثناء ، فقصر العدوان على الظالمين منهم ، الذين لم يعلنوا اسلامهـم أو رفضوا اعطاء الجزية٠ أى (فلا تعدوا على المنتهين ، لأن مقاتلــة المنتهين عدوان وظلم ، فوضع قوله الا على الظالمين موضع على المنتهـين أو فلا تظلموا الا الظالمين غير المنتهين)(١).

وسمى ما يصنع بالظالمين عدوانا ، من حيث هو جزاء عدوان ، فالظـلم يتضمن العدوان ، فسمى جزاء الظالمين ظلما للمشاكله٠(٢) كما فى قوله تعالـى (وجزاء سيئة سيئة مثلها)٠(٣)

— (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنـــزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيـــهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِيـــنَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِـــرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)٠(٤)

---

(١) الكشاف ، م١ ، ص ٣٤٢ ،

(٢) انظر الكشاف ، م١ ، ص٣٤٣ / القرطبى م١ ، ج ٢ ، ص٣٥٤ ، البيضاوى ج ١ ، ص ٢٢٢ / فتح القدير ، م١ ، ص ١٩١ ٠

(٣) الشورى ، آية : ٤٠.

(٤) آية ٢١٣

المقصـــور : الاختلاف .

المقصور عليه : الذين أوتوه .

قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا . أو هو قصر افراد .

سـر القصـر :

كان الناس في عهد آدم عليه السلام أمة واحدة مقرين بالعبودية حين أخذ الله عليهم العهد ، ثم اختلفوا بعد ذلك (١) فأنزل الله عليهم الرسل ، ليحكموا بينهم فيما اختلفوا فيه (٢). ولكنهم جعلوا الكتاب المُنَزَّل لحسم الخلاف ، سببا في استحكامه حسدا وبغيا وحرصا على زينة الحياة الدنيا (٣) وهذا أمر في غاية الفداحة .

لذا جئ بالنفي والاستثناء ، وقُصِر الاختلاف على الذين أوتوه ، لايتعداه الى غيرهم ، قصرا حقيقيا تحقيقيا وفي هذا عظيم التوبيخ والاستنكار ، لأن الاختلاف عندما يأتي عن جهل وعدم معرفة لاغرابة فيه ، ولكن عندما يأتي عن علم ومعرفة ، فهو أمر شنيع عظيم .

أو هو قصر افراد ، وذلك اذا لوحظ في قوله (بَغْيا بينهم) أن المخاطب ظن أن الاختلاف وقع بين من أوتوه وغيرهم بسبب البغي ، فقصرت الآية الاختلاف على الذين أوتوه متصفين بصفة البغي بينهم .

---

(١) روى الحاكم في مستدركه قال (أخبرني ابو نصر محمد بن احمد بن عمر الخفاف ثنا أحمد بن سلمة ثنا محمد بن بشار ثنا ابوداود ثنا همام عن قتاده عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وكذلك في قراءة عبدالله كان الناس أمة واحدة فاختلفوا / المستدرك كتاب التاريخ ، ج ٢ ، ص ٥٤٦

(٢) روح المعاني ، ج ٢ ، ص ١٠٠

(٣) انظر الكشاف ، م ١ ، ص ٣٥٥ / البيضاوي ، ج ١ ، ص ٢٣٢

▬ (وَالوَالِدَاتُ يُرضِعنَ أَولادَهُنَّ حولَينِ كامِلَينِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى المَولُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالمَعْرُوفِ لَاتُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ..)(١)

المقصور : التكليف

المقصور عليه : الوسع

قصر موصوف على صفة قصر افراد.

سر القصر :

لما أمر الله سبحانه وتعالى الوالدات، أن يرضعن أبناءهن حولين كاملين، لمن أراد أن يتم الرضاعة، وأمر الوالد بالانفاق والكسوة ولأن هذا الأمر تكليفي، قد يظن المخاطبون أن الله يكلفهم بما يطيقونه وبما لا يطيقونه، فجاء النفي والاستثناء لتأكيد أن التكليف مقصور على الوسع والطاقة، حيث قصرت الآية تكليف النفوس على الطاقة والوسع، ونفته عن عدم الطاقة والمشقة.

أى أنه لايكلف واحدا منهما ماليس فى وسعه.(٢) وأن هذه النفقة والكسوة الواجبتان على الاب بما يتعارفه الناس لايكلف منها الا مايدخل تحت وسعه وطاقته، لا مايشق عليه ويعجز عنه. وقيل لاتكلف المرأة الصبر على التقتير فى الاجرة. ولا يكلف الزوج الاسراف، بل يُراعى فى ذلك القصد(٣).

▬ (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ لَاتَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَومٌ لَهُ مَافِى السَّمَوَاتِ وَمَافِى الأَرضِ مَنْ ذَا الَّذِى يَشفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذنِهِ يَعلَمُ مَابَينَ أَيدِيهِمْ وَمَاخَلفَهُمْ وَلَايُحِيطُونَ بِشَىءٍ مِنْ عِلمِهِ إِلَّا بِمَاشَاءَ وَسِعَ كُرسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرضَ وَلَا يَؤُدُهُ حِفظُهُمَا وَهُوَ العَلِيُّ العَظِيمُ).(٤)

(١) آية (٢٣٣)
(٢) الكشاف، م ١، ص ٣٧٠
(٣) فتح القدير، م ١، ص ٣٤٤
(٤) آية ٢٥٥

فى الآية الكريمة ثلاثة اساليب للقصر الاول فى قوله تعالى :
(اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ).

المقصور : الالوهيه .

المقصور عليه : هو .

قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا.

والثانى فى قوله تعالى:(لَهُ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ) والقصر هنا عن طريق التقديم.

المقصور : الذى فى السموات والأرض .

المقصور عليه : كونه له .

قصر موصوف على صفة قصرا حقيقيا تحقيقيا.

والثالث فى قوله تعالى(وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ).

المقصور : الاحاطه .

المقصور عليه : المشيئة .

قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا.

سر القصر :

نحن أمام آية عظيمة الشأن رفيعة القدر فهى سيدة أى القرآن(١)، بل

(١) روى الحاكم ابوعبيده فى مستدركه:" حدثنا على بن حمشاد العدل ثنا بشر بن موسى ثنا الحميدى، ثنا سفيان، حدثنى حكيم بن جبير الاسدى عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: سورة البقرة فيها آية سيدة آى القرآن، لاتقرأ فى بيت وفيه شيطان الا خرج منه. آية الكرسى./ المستدرك، كتاب التفسير، ج ٢ ص ٢٥٩.

أعظم آية فيه ، فقد حوت اسم الله الأعظم ، الذى اذا دُعِى به أجـاب (١) وأنها تعدل ربع القرآن (٢) وأنها حرز للانسان من الشيطان (٣).

ولعل السر فى عظم هذه الآية الكريمة ، أنها حوت جوهر العقيدة وأساسها ، مؤكدا بأعظم أساليب التأكيد. مما يدل على وجوب اخلاص العبودية لله وحده. فقد اشتملت على توحيد الله وتعظيمه ، وتمجيده وصفاته العظمى واشتملت على مالم تشتمل عليه آية من أسماء الله عز وجل. وذلك أنها اشتملت على سبعة عشر موضعا فيها اسم الله تعالى ، ظاهرا فى بعضها ، مستكنا فى بعض. فالأول: الله ، والثانى : هو ، الثالث: الحى ، الرابع: القيوم

---

(١) روى الامام احمد : (حدثنا عبدالله حدثنى محمد بن بكر ، أنا (أنبأنا) عبيدالله بن ابى زياد ثنا شهر بن حوشب- عن أسماء بنت يزيد قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى هاذين الآيتين الله لا اله الا هو الحى القيوم والم الله لا اله الا هو الحى القيوم ان فيهما اسم الله الاعظم . / مسندالامام احمد من حديث اسماء بنت يزيد ، م ٦ ، ص ٤٦١ .

(٢) عن انس- قال الامام احمد : حدثنا عبدالله حدثنى ابى ثنا عبدالله بن الحرث قال حدثنى سلمة بن وردان أن أنس بن مالك صاحب النبى صلى الله عليه وسلم حدثه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل رجلا من صحابته فقال أى فلان هل تزوجت قال لا وليس عندى ما أتزوج به قال أليس معك قل هو الله احد قال بلى. قال ربع القرآن... قال أليس معك آية الكرسى الله لا اله الا هو قال بلى قال ربع القرآن / مسند الامام احمد مسند انس بن مالك ، م ٣ ، ص ٢٢١ .

(٣) ويدل على ذلك حديث الصدقة من حديث أبى هريره انه قال:" وكلنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحفظ زكاة رمضان ، فأتانى آت فجعل يحثو ، وذكر قصة ، وفى آخرها انه قال له : دعنى أعلمك كلمات ينفعك الله بها قلت ماهى . قال : اذا أويت الى فراشك فاقرأ آية الكرسى ، فانك لن يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح - فأخبر ابوهريره بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : أما انه صدقك وهو كذوب ، تعلم من تخاطب يا أبا هريره؟ قال : لا قال : ذلك شيطان كذا / صحيح البخارى كتاب الوكالة باب ان وكل رجلا فترك الوكيل شيئا ج ٣ ، ص ١٣٢ ، وباب فضائل القرآن ، فضل البقره . ج ٦ ص ٢٣٢ .

الخامس:لا تأخذه ، السادس ضمير له ، السابع:ضمير عنده ، الثامن:ضمير الا باذنه، التاسع:ضميريعلم ، العاشر:ضميرعلمه ، الحادى عشر:ضمير شاء، الثانى عشر:ضميركرسيه ، الثالث:عشر ضمير ولا يئوده ، الرابع عشر: وهو ، الخامس عشر:العلى ، السادس عشر:العظيم ، . فهذه عدة الأسماء البينة ، وأما الخفى فالضمير الذى اشتمل عليه المصدر ، فى قوله حفظهما فانه مصدر مضاف الى المفعول ، وهو الضمير البارز . ولابد له من فاعل وهو الله . ويظهر عند فك المصدر ، فنقول : ولا يئوده أن يحفظهما هو..(١)

وجىء فيها بثلاثة اساليب للقصر ، لتوكيد توحيده ، واخلاص العبودية له وحده فابتدئت بقوله تعالى :

(اللَّهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ).

وشملت جملة القصر هذه على خمسة من اسماء الله الحسنى ، لتأكيد أنه المستحق للعبادة لاغيره ، فهو المعبود بحق دون سواه ، وهو الحى الذى له الحياة الدائمة ، والبقاء الذى لا أول له يحد ، ولا آخر له يؤمد(٢) وهو القيوم الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه.(٣)

ثم جىء بأسلوب آخر للقصر عن طريق التقديم ، فَقُدِّم الخبر (له) على المبتدأ (ما فى السموات وما فى الارض) لتقرير قيوميته سبحانه وتعالى، واحتجاج به على تفرده فى الالوهية. والمراد بما فيهما أى ما يوجد فيهما ، داخلا فى حقيقتهما أوخارجا عنهما ، متمكنا فيهما ، وهو أبلغ من القول«له السموات والارض وما فيهن».(٤)

فهو مالك جميع ذلك بغير شريك ولا نديد ، وخالقه جميعه دون كل آلهة ومعبود فلا ينبغى العباده لشىء سواه(٥).

---

(١) الكشاف ، حاشية الجرجانى م ١ ، ص ٣٨٦
(٢) الطبرى ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ٤
(٣) الكشاف ، م١ ، ص٣٨٤
(٤) انظر البيضاوى ، ج ١ ، ص ٢٥٨ /تفسير ابى السعود ، م ١، ج ١ ، ص ٢٤٨
(٥) انظر الطبرى ، م٣ ، ج ٢ ، ص ٦

ثم جيء بقصر ثالث في قوله تعالى : (وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ)، فالقصر هنا يُشعِر بأنه سبحانه وتعالى يعلم كل شيء. وهذا يفيد أنه لايعلمه غيره ، ومجموعهما دال على تفرده تعالى بالعلم الذاتي المطلق ، الذي هو من أصول صفات الكمال، التي يجب أن يتصف بها الاله تعالى شأنه بالفعل.(١)

ولشمول هذه الآية لهذه الاساليب المؤكدة لألوهية المولى عز وجل ، ولصفاته وتقرر وجوب توحيده ، واخلاص العبادة له. حق لها أن تكون أعظم آي القرآن. وحق أن يكون لها ذلك الفضل العظيم .

— (وَلَا تَيَمَّمُوا الخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا(٢) فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ)(٣).

في الآية الكريمة أسلوبا قصر الاول : عن طريق التقديم في قوله تعالى: " ومنه تنفقون" . أي تخصونه بالانفاق .(٤) هذا على رأي الامام ابو السعود والشوكاني .

(١) روح المعاني ، ج ٣ ، ص ٨

(٢) قرأ جمهور الناس" الا أن تغمضوا" بضم التاء، وسكون الغين وكسر الميم . وقرأ الزهري بفتح التاء، وكسر الميم مشددة، وحكى مكي عن الحسن " تَغَمَّضوا" مشددة الميم مفتوحة وبفتح التاء، وقرأ قتادة (تُغْمَضوا) بضم التاء وسكون الغين وفتح الميم مخففا. قال ابو عمرو: معناه الا ان يغمض لكم / المحرر الوجيز ، ج ٢ ، ص ٢٤٧ - ٢٤٨ .

(٣) آية ٢٦٧
روى الحاكم في مستدركه ان الآية نزلت في الانصار : (كانت الانصار تخرج اذا كان جذاذ النخل من حيطانها اقناء البسر فيعلقونه على حد رأس اسطوانتين في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيأكل منه فقراء المهاجرين فيعمد أحدهم فيدخل قنو الحشو يظن انه في كثرة ما يوضع من الاقناء فنزل فيمن فعل ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا ان تغمضوا فيه ، هذا حديث غريب صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه/ المستدرك كتاب التفسير ، ج ٢ ، ص ٢٨٥

(٤) الكشاف ، م ١ ، ص ٣٩٦

حيث ذكر الامام إبوالسعود ، أن التقديم هنا للتخصيص ، (أى لا تقصدوا الخبيث قاصرين الانفاق عليه ، أو من الخبيث أى مختصا به الانفاق. وأيا ماكان فالتخصيص لتوبيخهم ، بماكانوا يتعاطونه من انفاق الخبيث خاصة لا لتسويغ انفاقه مع الطيب)(١). والى مثل هذا نهب الامام الشوكانى.(٢) ويبدو لى أنه لاقصر كما سأوضح فى فصل التقديم .

والقصر الثانى فى الآية ؛عن طريق النفى والاستثناء. فى قوله تعالى:" وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ" ،

المقصـور : الاخذ .

المقصور عليه : حال الاغماض .

قصر موصوف على صفة قصر قلب .

سـر القصـر :

لما أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بالانفاق ، أخذ الانصار ، يخلطون بعض الثمار الخبيثه بالثمار الصالحة ، ظناً منهم ان ذلك جائز فجاءت الآية : " وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ".

فنزّلت حال من ينفق الخبيث ، حال من يكون على استعداد لأن يأخذ الخبيث مع الرضا به ، ومع التسامح فيه ، فنبهتهم الآية الى حقيقة ماهم عليه ، من أنهم لايأخذون الخبيث الا مع الاغماض. فاذا كان حالهم كذلك ، فكيف يجودون به على غيرهم . وفى هذا توبيخ لهم.

---

(١) تفسير ابى السعود ، ج ١ ، ص ٢٦٠

(٢) فتح القدير ، م١ ، ص ٢٨٩
هو محمد بن على بن محمد بن عبدالله الشوكانى فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن من أهل صنعاء ولى قضاءها ومات حاكما بها . ولد سنة ١١٧٣ هـ وتوفى سنة ١٢٥٠هـ / الاعلام ، ج ٦ ، ص ٢٩٨ .

— (يُؤْتِي الحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الأَلْبَابِ).(١)

المقصــور : التذكر .

المقصور عليه: أولو الالباب .

قصر صفة على موصوف ، قصر افـــراد .

سـر القصــر :

لما ذكر السياق قصة المُنْفِقين الذين خلطوا الصدقة الطيبة بضدهـــا . حذرهم من ذلك ونبههم الى ماوقعوا فيه ، وزيادة فى التحذير من الوقوع فـى مثل هذه الافعال القبيحة ، وترغيبهم فى الاستجابة الى موعظة الله ، أعلى من شأن المستجيبين لتحذيره ، بأن ذكر أن ايتاء الحكمة ـ وهى الاصابـــة فى القول والفعل من الله سبحانه وتعالى ـ يعطيها لمن يشاء من عبـــاده ، فمن أُعْطِي الحكمة فقد أُعْطِي خيرا كثيرا .

ثم أكد ذلك بقصر التذكر والاعتبار على أولى الحلوم والحجا . أى (ومايتعظ بما وعظ به ربه فى هذه الآيات التى وعظ فيها المنفقين أموالهم بما وعظ بـــه غيرهم فيها ، وفى غيرها من آى كتابه ، فيذكر وعده ووعيده فيها ، فينزجر مما زجره عنه ربه ، ويطيعه فيما أمره به . الا أولوا الالباب يعنى الا أولـــو العقول الذين عقلوا عن الله عز وجل أمره ونهيه ، فأخبر جل ثناؤه . أن المواعظ غيرنافعة الا أولى الحجا والحلوم ، وأن الذكرى غيرناهية الا أهـل النُهَى والعقول".(٢)

ويشعر أسلوب القصر هنا بالتعريض بكل من لم يتعظ ، ولم ينته عن الانفـــاق من الخبيث ، فكأن من يصرّ على الانفاق كمن لاعقل له .

وفى هذا تنفير من الاستمرار فى الانفاق من الخبيث ، كما ان فى القصر ترغيب فى المحافظة على الاحكام الواردة فى شأن الانفاق مالايخفى.(٣)

---

(١) آية (٢٦٩).
(٢) الطبرى ، م ٣ ، جـ ٢ ، ص ٦١
(٣) تفسير ابى السعود ، م١ ، ص ٢٦٢ .

— (وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وأَنْتُمْ لَاتُظْلَمُونَ)(١).

المقصور : الانفاق ٠

المقصور عليه: ابتغاء وجه الله .

فما بعد الا وقع مفعولا لأجله ، فهو من قصر الموصوف على الصفة ، قصر افراد٠

سر القصر :

جاءت هذه الآية في سياق الآيات التى تحث على الانفاق ، وبينت وجوهه وشروطه ، بأن يكون لمرضاة الله تعالى ، خاليا من قصد الرياء والمَنّ٠ ولتأكيد ذلك ، وللتحذير من المَنّ والرياء ، جيء بأسلوب القصر عن طريق النفي والاستثناء في قوله تعالى(وَمَاتُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ)٠

وهو استثناء من أعم العلل ، أو أعم الاحوال٠ أى ليست نفقتكم لشيء من الاشياء الا لابتغاء وجه الله٠ أو ليست في حال من الاحوال الا حال ابتغاء وجه الله٠ فما لكم تمنون بها وتصرفونها عن موضعها٠ وتنفقون الخبيث الذى لايوجد مثله الى الله ؟! والواجب أن ماكان لوجه الله لايجامع ان يُمَنّ به٠ لان المنّ به يوجب أن لايكون لمحض وجه الله تعالى٠(٢)

ويبدو لى انه يجوز أن يكون قد نُزِّل المخاطبين منزلة من أنكر كون الصدقة لوجه الله ، لانفاقهم الطيب مع الخبيث٠

فجيء بأسلوب القصر لتأكيد وجوب كونها لله ، وماكان لوجه الله لايجامعه المنّ ولا الرياء٠

---

(١) آية : ٢٧٢ ٠

(٢) أنظر الكشاف ، م ١ ، ص ٣٩٦ / البيضاوى ، ج ١ ، ص٢٦٦ - ٢٦٧ تفسير ابى السعود ، م ١ ، ج ١ ، ص ٢٦٤ ٠

— (لَايُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ).(١)

المقصور : التكليف .

المقصور عليه : الوسع والطاقة

قصر موصوف على صفة ، قصر افراد .

سر القصر :

لما نزل قوله تعالى(وان تبدوا ما فى أنفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله" اشتد ذلك على الصحابة ، واغتموا غما شديدا ، وقالوا يارسول الله هلكنا فان قلوبنا ليست بأيدينا . فقال : قولوا سمعنا وأطعنا ، فقالوا فنسختها هذه الاية (لَايُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا"(٢) فالصحابة رضوان الله عليهم لم ينكروا أمر الله، وانما لاحساسهم بصعوبة ما أمروا به، وقع فى انفسهم

(١) آية "٢٨٦".

(٢) روى الامام مسلم قال : حدثنى محمد بن منهال الضرير وأمية بن بسطام العيشى واللفظ لأمية قالا حدثنا يزيد بن زريع حدثنا روح وهو ابن القاسم عن العلاء عن أبيه عن أبى هريره قال لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم«لله مافى السموات ومافى الارض . وان تبدوا مافى انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شئ قدير»قال فاشتد ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بركوا على الركب فقالوا أى رسول الله كلفنا من الاعمال ما نطيق،الصلاة والصيام والجهاد والصدقة وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتريدون ان تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير قالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فلما اقترأها القوم ذلت بها السنتهم فأنزل الله فى اثرها« آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير»فلما فعلوا ذلك نسخها الله فأنزل الله عز وجل«لايكلف الله نفسا الا وسعها لها ماكسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا»/ صحيح مسلم شرح النووى باب بيان تجاوز الله تعالى عن حديث النفس، م ١ ج ٢ ، ص ١٤٥ - ١٤٦ .

أنهم يكلفون بمايطيقون ، وبما لا يطيقون . نُزِّلوا منزلة من ينكر، فجاء النفى والاستثناء لينتزعهم من هذا الاحساس، ويلفت انتباههم الى رحمة الله بعباده ، فقصر التكليف وهو الأمر الذى فيه مشقة وكلفة على الوسع والطاقة - وهو مايسع الانسان ولا يضيق عليه -

أى لايكلفها الا ما يتسع فيه طوقها ، ويتيسر لها دون مدى الطاقة والمجهود. وفى هذا اخبار عن عظيم عدله ورحمته.(١)

((آل عمران))

(اللَّهُ لَا إِلَـهَ إِلَّا هُـوَ الحَـيُّ القَيُّـومُ)(٢)

المقصور : الالوهية .

المقصور عليه : هو .

قصر صفة على موصوف ، قصر افراد .

سر القصر :

جادل النصارى الرسول صلى الله عليه وسلم فى أمر عيسى عليه السلام، فهم يشركونه مع الله فى الالوهية.

وللرد على هؤلاء المنكرين لتفرد الله بالألوهية افتتحت السورة بالحروف المقطعة . لينبههم الى تفرده بمعرفة كنهها ، وفى هذا دليل على ألوهيته عز وجل ، ولكن لشدة انكارهم جاءهم بأسلوب قاطع لا مجال بعده للانكار والجحود . فقال تعالى(اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) فبهذا الاسلوب الذى من شأنه الجزم والتأكيد ، أُفرِد الله سبحانه وتعالى بالألوهية ، ونُفِيَت عن عيسى عليه السلام.

وجُعِلَ المستثنى ضميرا ليبين أنه سواء ذكر الاسم صريحا ، أو جعل ضميرا ، فهو معروف بتفرده وعظمته عند ذوى الفطرة السليمة.

---

(١) انظر فتح القدير ، م١ ، ص٣٠٧ / الكشاف، م ١ ، ص ٤٠٨

(٢) آية (٢)

وفى هذه الآية مايُشْعِر بشدة احتقار عقول هؤلاء المشركين ، اذ افتُتِحَت السورة بالحروف المقطعة - كما ذكرت سابقا - ثم جِئ بالقصر عن طريق النفى والاستثناء ، الذى من شأنه الردع والزجر والتأكيد ، ولكنهم لقصر عقولهم ، وقلة ادراكهم ، زاد من شدة هذا الاسلوب بوصف المستثنى بصفتين من صفاته وجعلهما " كالدليل على اختصاص استحقاق المعبودية به سبحانه وتعالى. لما مر من أنّ معنى الحى الباقى الذى لاسبيل عليه للموت والفناء ومن ضرورة اختصاص ذينك الوصفين به تعالى اختصاص استحقاق المعبودية به تعالى ، لاستحالة تحققه بدونهما" (١)

(هُوَ الَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى الأَرْحَامِ كَيفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ)". (٢)

فى الاية الكريمة اسلوبا قصر ، الاول عن طريق تعريف الجزءين فى قوله تعالى(هُوَ الَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى الأَرْحَامِ". والثانى فى قوله تعالى:(لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ). وهو قصر عن طريق النفى والاستثناء.

والمقصور هنا : الالوهية .

المقصور عليه : هو .

قصر صفة على موصوف قصر افراد .

سر القصر :

لما ادعى النصارى كون عيسى عليه السلام شريكا لله فى الالوهية. وكونه ربا للمخلوقات.

جِئ بقوله تعالى" هُوَ الَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى الأَرْحَامِ". لينبه العقول ، ويؤكد للنفوس أن عيسى عليه السلام مُصَوَّرا فى الرحم كباقى الخلائق. وفى هذا تأكيد

---

(١) تفسير ابى السعود ، جـ ٢ ، ص ٣٠٢
(٢) آية (٦)

لعبوديته لله كغيره ، فمن كان مخلوقا لايكون الها وربا بحال من الاحوال وزيادة فى تأكيد هذا المعنى وتثبيته ، جئ بتأكيد آخر عن طريق القصر بالنفى والاستثناء ، فقُصِرَت الالوهية على الله وحده ، ونُفِيَت عن عيسى عليه السلام .

(هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَيكَ الكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَاتَشَابَهَ مِنْهُ ابتِغَاءَ الفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَاسِخُونَ فِى العِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُوْلُوا الأَلْبَابِ).(١)

اشتملت الآية الكريمة على عدة اساليب للقصر. والذى يهمنا فى هذا الباب القصر عن طريق النفى والاستثناء . فجاء فى قوله تعالى" وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ". وفى قوله (وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُوْلُوا الأَلْبَابِ).

فالمقصور فى الاسلوب الاول : علم التأويل .

والمقصور عليه : الله .

قصر صفة على موصوف ، قصر افراد.

والمقصور فى الاسلوب الثانى : التذكر .

والمقصور عليه : اولوا الألباب .

قصر صفة على موصوف قصر افراد .

سر القصر :

مازالت الايات تواجه تلك العقيدة المنكرة ، فبعد أن بين الله سبحانه وتعالى اختصاصه بالربوبية ، وانها منوطة به عز وجل تارة بعد أخرى وان كل من عداه مقهور تحت ملكوته ، تابع لمشيئته ، أصرّ القوم على انكارهم ،

---

(١) آية (٧) .

فأخذوا يستدلون على اثبات الالوهية لعيسى عليه السلام ، بالمتشابه من الآيات ، زاعمين أنهم على علم وثيق بكنهها .

قيل (ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ألست تزعم يا محمد ان عيسى كلمة الله وروح منه . قال صلى الله عليه وسلم : بلى . قالوا فحسبنا ذلك)(١) وليُبْطِل لنا القرآن الشبهة التى جاءوا بها ، وأنها ناتجة عن مكابرتهم ، وادعائهم العلم بأمر المتشابه والمحكم ، وكأنهم بذلك يشاركون الله فى علمه . جاء بأسلوب النفى والاستثناء ، ليثبت ويؤكد لنا كذبهم وجهلهم . وان العلم بتأويل القرآن خاص به وحده دونهم.(٢)

هذا اذا كان الوقف على لفظ الجلالة ، ويكون المراد بالمتشابه ، هو ما استأثر الله بعلمه ، وبمعرفة الحكمة فيه من آياته كعدد الزبانية.(٣)

أما اذا لم يُعْتَبر الوقف على كلمة الله ، وكان المراد من المتشابه هو احتمال الآيات لمعان متشابهة ، لايتضح مقصودها لاجمال او مخالفة ظاهر ، ولا يمتاز بعضها عن بعض فى استحقاق الارادة بها الا بالفحص الدقيق . والتأمل الأنيق .(٤) فيكون القصر هنا قصر قلب .

لانهم اعتقدوا اعتقادا جازما ، بأن لهم العلم المطلق فى معرفة امر المتشابه دون غيرهم ، فكأنه لا علم لأحد بها الا هم ، فجاءت الآية بالنفى والاستثناء لقلب اعتقادهم هذا ، حيث قُصِر العلم بالتأويل على الله ، وعلى الراسخون فى العلم . وفى هذا اظهار لفضل العلماء ، وتعريض بأهل الكتاب ، الذين ادعوا أن لهم العلم دون غيرهم .

---

(١) تفسير ابى السعود ، ج ٢ ، ص ٧

(٢) هذا اذا كان الوقف على لفظ الجلالة .

(٣) انظر الكشاف ، م١ ، ص ٤١٢

(٤) انظر البيضاوى ، ج ٢ ، ص ٥ / تفسير ابى السعود ، م١ ، ج ٢ ص ٧

(شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ).(١)

المقصـور : الالوهية .

المقصور عليه : هــو .

قصر صفة على موصوف قصـر افراد .

سـر القصـر :

بدأت السورة الكريمة بالرد على النصارى ، الذين زعموا اشتراك عيسى مع الله فى الالوهية ـ وفى هذا انكار شديد لتفرد المولى بالالوهية ـ ثـم أورد السياق أدلة كثيرة تُثْبِت تفرد الله عز وجل بالالوهية دون غيره. فقال تعالى فى مطلع السورة (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ)(٢). وقال تعالى : (هُوَ الَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ)(٣)
(هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ ..) (٤). وكلها اساليب مؤكدة لدلائل وحدانيته.

ولشدة انكار المنكرين جئ بقوله تعالى (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) على سبيل القصر ، للتعريض بكل من أشرك مع الله غيره ، لعدم التفاته الى الادلة التكوينيه فى الآفاق والانفس ، والآيات التشريعية الناطقة بذلك. فشهادة الله هنا معناها بَيَّنَ وأَعْلَمَ وأقام الادلة ، وانما جئ بقوله شهد على سبيل الاستعارة. ولذا قال الامام الزمخشرى :(شبهت دلالته على وحدانيته بأفعاله الخاصة ، التى لايقدر عليها غيره ، وبما أوحى من آياته الناطقة بالتوحيد كسورة الاخلاص ، وآية الكرسى وغيرهما بشهادة الشاهد فى البيان والكشف ، وكذلك اقرار الملائكة واولى العلم بذلك واحتجاجهم عليه)(٥). وكرر قوله تعالى (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ). لتمجيده وتصديقه ، وكرره

---

(١) آية ١٨
(٢) آية ٢
(٣) آل عمران ٦
(٤) آل عمران ٧
(٥) الكشاف ، م ١ ، ص ٤١٧

للتأكيد ، ومزيد الاعتناء بمعرفة أدلة التوحيد ، والحكم به ، بعد اقامة الحجة. لان تثبيت المدعى انما يكون بالدليل ، والاعتناء به يقتضى الاعتناء بأدلته ، وليجرى عليه قوله تعالى" العَزِيزُ الحَكِيمُ" فيعلم انه المنعوت بهما.(١)

(إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَاجَاءَهُمُ العِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الحِسَابِ)(٢)

المقصور : الاختلاف .

المقصور عليه : الحال أو الوقت .

وهو استثناء مفرغ من أعم الاحوال ، أو أعم الاوقات أى وما اختلفوا فى حال من الآحوال ، أو فى وقت من الأوقات آلا بعد علمهم بالحق.(٣)

قصر موصوف على صفة قصر قلب ، لمن اعتقد ان خلافا وقع منهم - اليهود والنصارى - قبل مجئ العلم.

أو هو قصر حقيقى فيه مبالغة . اذا نُفِى عنهم الاختلاف فى جميع الاوقات ، وقُصِر على وقت مجئ العلم ، وكأن اختلافهم فى تلك الاوقات غير معتد به بجانب اختلافهم وقت العلم.

سر القصر :

بدأت الآية بقوله تعالى(إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلَامُ) لتأكيد ان الدين الكامل الشامل هو دين الاسلام ، ثم جئ بقوله تعالى:(وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ ، إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَاجَاءَهُمُ العِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ). معطوفا عليها للاخبار عن حال أهل الكتاب وجاء هذا الاخبار عن طريق القصر ، لِيُعْلِمَ السامع بأمر يجهله عن حقيقة اليهود ، ويؤكد له فساد ماهم عليه من الدين وبأنه لم يبلغ مبلغ الكمال الذى بلغ اليه دين الاسلام ، لما وقع بينهم

(١) انظر البيضاوى ، ج ٢ ، ص ٩ / تفسير ابى السعود ، ج ٢ ، ص ١٧ روح المعانى ، ج ٣ ، ص ١٠٥ (٢) آية ١٩

(٣) انظر تفسير ابى السعود ، م ١ ، ج ٢ ، ص ١٨

من الاختلاف المبنى على الحسد ، وطلب الرياسة ، فالاختلاف المقصود هنا :
اما اختلاف وقع بينهما بمعنى عدم اعتراف كل أمة منهم بالاخرى ، كما في قوله تعالى : (وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ)(١)

واما ان يكون اختلافهم فى أمر الرسول صلى الله عليه وسلم. على الرغم من اخبار كتبهم بصحة نبوته ، واقرار علمائهم واحبارهم بذلك . ولكنهم أعرضوا عنه واختلفوا فى أمره بغيا وحسدا .

فجاء القصر للتعريض بهم وتوبيخهم (فان الاختلاف ممن أوتى ما يزيله ويقطع شأفته فى غاية القبح والسماجة)(٢) وفى هذا تحذير للمؤمنين ، مما وقع فيه أهل الكتاب .

— (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ)(٣).

سبق ذكر هذه الاية فى سورة البقرة آية (٨٠).

— (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ)(٤).

المقصور : المعبود .

المقصور عليه : الله .

قصر صفة على موصوف قصرا اضافيا ، قصر افراد .

---

(١) البقرة ١١٣
(٢) تفسير ابى السعود ، م١ ، ج ٢ ، ص١٨
(٣) آية ٢٤
(٤) آية ٦٤

سر القصر :

لما ادعى النصارى كون عيسى الها مع الله. قص السياق قصة عيسى عليه السلام ، وقصة مولده ، وأنه خُلِق من تراب :" إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ، خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ).(١) فهو بشر ، تجرى عليه سنن البشرية ، من كونه مولودا تَكَوَّن فى رحم أمه .، فمن كان مخلوقا لايصح أن يكون خالقا.

وبعد بيان حقيقة عيسى عليه السلام ، أمر المولى عز وجل رسوله الكريم ، بالنداء على أهل الكتاب ، وُصدِّرت الآية بياء النداء ، للفت انتباههم الى أهمية ما سيقال ، فجاء الأمر بالمطالبة بالاجتماع على كلمة واحدة ، بعد بيان بطلان ما ادعوه ، فتحا لباب التسليم والاذعان لله وحده. ولأن الأمر المطالب به قد وقع عليه الانكار، جاء بيان تلك الكلمة وذلك الأمر بأسلوب النفى والاستثناء ، لتأكيد ماجاء فى مضمونها، من تخصيص العبادة لله وحده ، ونفيها عن عيسى عليه السلام ، وما ادعاه اليهود من كون عزير ابن الله. وفى تأكيد العبادة لله وحده تعريض بأهل الكتاب.

— (يَا أَهْلَ الكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِى إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ).(٢)

المقصور : الانزال .

المقصور عليه : الزمن الذى بعد ابراهيم .

قصر موصوف على صفة قصر قلب.

---

(١) آل عمران : آية ٥٩
(٢) آية ٦٥

سر القصر :

جاءت هذه الآية الكريمة ، وفق الخط الرئيس للسورة ٠ وهو خط الحرب العقائدية ، بَيْنَ أهل الكتاب والأمة الاسلامية ، وما يبذل أعداء هذا الدين القويم من الحيل والمكائد ، لِبَثِّ الريب والشكوك فى صفوف المسلمين ٠ فلما بَيَّنَ القرآن أن ماجاء به محمد يرجع الى الحنيفية دين ابراهيم ٠

ادعى كل فريق منهم أن ابراهيم عليه السلام ، كان يدين بدينهم فقالت اليهود : ماكان ابراهيم الا يهوديا ، وقالت النصارى ما كان ابراهيم الانصرانيا ٠(١)

فكان هدفهم الاول من هذه الادعاءات ، تكذيب نبوة محمد-عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم- وتشكيك المسلمين فى حقيقة نبوته ، فان كان ماجاء به هو دين الحنيف ، فلا يخرج عن كونه يهوديا أو نصرانيا - بحسب ماوقع بينهم من الاختلاف - وأمام هذا الادعاء والاصرار عليه ، واجههم القرآن بأسلوب حازم قوى ، يقلب فيه اعتقادهم ويبصرهم بالحقيقة التى أنكروها ٠ فجاء أسلوب النفى والاستثناء يحمل معنى التوبيخ والاستهزاء ، والتنديد الشديد بهم ٠ فكشف كذبهم وحبهم للجدال ، بتأكيد واثبات أن ابراهيم عليه السلام سابق على التوراة ، وسابق على الانجيل ٠ فكيف يكون يهوديا ٠ أو كيف يكون نصرانيا ٠؟!

ثم جئ بآية أخرى ، تؤكد كون ابراهيم عليه السلام مسلما ٠ فقال تعالى : (مَاكَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلَا نَصْرَانِيّاً وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ المُشْرِكِينَ) ٠(٢)

---

(١) روى ابن اسحق بسنده المتكرر الى ابن عباس قال: اجتمعت نصارى نجران وأحبار يهود عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتنازعوا عنده ، فقالت الاحبار ماكان ابراهيم الا يهوديا ، وقالت النصارى ما كان ابراهيم الا نصرانيا ٠ فأنزل الله يا أهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم ٠ لباب النقول فى اسباب النزول ، ص ٥٣

(٢) آية (آل عمران) ٦٧

(وَمِنْ أَهْلِ الكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ(١) وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَايُؤَدِّهِ(٢) إِلَيْكَ إِلَّا مَادُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ).(٣)

المقصور : الأداء .

المقصور عليه : مدة الدوام _ أو حال الدوام .

فالاستثناء فى الآية ، استثناء مفرغ من أعم الأحوال أو الاوقات ، أى لايؤده اليك فى حال من الاحوال ، أو فى وقت من الأوقات ، الا فى حال دوام قيامك ، أو فى وقت دوام قيامك . ولم يذكر الامام الزمخشرى _ وتبعه الامام البيضاوى _ الا كونه مفرغا . من أعم الاوقات ، أما الامام الشوكانى فلم يذكر الا كونه مفرغا من أعم الأحوال ، وذكر الامام ابوالسعود وتبعه الألوسى كلا الاحتمالين.(٤) فهو اذا قصر موصوف على صفة قصر قلب .

سر القصر :

لماكان بعض أهل الكتاب مشهورين بأداء الأمانة ، وهذا أمر قد يدعو المؤمنين الى اعتقاد أنهم جميعا كذلك مما يؤدى الى الثقة بهم ، وإئتمانهم فى جميع الأحوال والأوقات جاهلين بذلك خيانة بعضهم ، وبخاصة أنهم قالوا (لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ) . يستحلون بذلك ظلم من خالفهم ،

---

(١) قيل أن المقصود من قوله تعالى (من ان تأمنه بقنطار) هو عبدالله بن سلام ، استودعه رجل من قريش الفا ومائتى أوقية ذهبا ، فأداه اليه .

(٢) ويقصد من قوله (من ان تأمنه بدينار) فنحاص ابن عازوراء استودعه رجل من قريش دينارا فجحده وخانه . وقيل المأمونون على الكثير النصارى لغلبة الامانة عليهم . والخائنون فى القليل اليهود ، لغلبة الخيانة عليهم . انظر الكشاف ، م ١ ، ص ٤٣٨ ./البيضاوى ، ج ٢ ، ص ٢٦ / البحر المحيط ، ج ٢ ، ص ٤٩٨ /٤٩٩ .

(٣) آية (٧٥) .

(٤) انظر الكشاف ، م١ ، ص ٤٣٨ / البيضاوى ، ج ٢ ، ص ٢٦/تفسير ابى السعود ، ج ١ ، ص ٥٠ / فتح القدير ، م١ ، ص ٣٥٣ ./ روح المعانى ، ج ٣ ، ص ٢٠٢

مدعين أنه لم يجعل لهم فى كتبهم حرمة . فجئ بالنفى والاستثناء لقلب اعتقاد المؤمنين . حيث قصر أداء الامانة على مدة دوام ، أو حال دوام ، قيام المرء والحاحه واصراره فى المطالبة بحقه ، ليؤكد بعض قبائح أحوالهم المتعلقة بمعاملة الناس ـ بعد بيان قبائح احوالهم فيما يتعلق بالأديان ، وهو أنهم قالوا (لاتؤمنوا الا لمن تبع دينكم) ـ وذلك باثبات صفة الخيانة فيهم ، وأنها ملازمة لهم .

وفى هذا تنبيه وتحذير للرسول والمؤمنين (أن يأتمنوهم على أموالهم ، وتخويفهم من الاغترار بهم ، لاستحلال كثير منهم أموال المؤمنين) .(١)

ـ (لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى ، وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ) .(٢)

اختلف المفسرون فى نوع الاستثناء فى الآية ، هل هو استثناء متصل مفرغ أو منقطع .

فذهب الامام ابوحيان الى أن الاستثناء فى الآية متصل مفرغ من المصدر المحذوف فقال (والظاهر ان قوله الا أذى ، استثناء متصل ، وهو استثناء مفرغ من المصدر المحذوف والتقدير لن يضروكم ضررا الا ضررا يسيرا ، لا نكاية فيه ولا اجحاف لكم)(٣) .

وذهب الطبرى(٤) الى أنه استثناء منقطع ، وتقديره لن يضروكم لكن أذى باللسان ، فقيل هو سماع كلمة الكفر ، وقيل كذب يتقولونه على الله .(٥)

ورد الامام الفخر الرازى(٦) على القائلين بأنه استثناء منقطع ، فقال : (وهو بعيد ، لأن كل الوجوه المذكورة ، يوجب وقوع الغم فى قلوب المسلمين

---

(١) تفسير الطبرى ، م ٣ ، ص ٢٢٦
(٢) آية (١١١)
(٣) البحر المحيط ، ج ٣ ، ص ٣٠
(٤) الطبرى ، م ٣ ، ج ٤ ، ص ٣١
(٥) البحر المحيط ، ج ٣ ، ص ٣٠
(٦) هو ابوعبدالله محمد بن عمر بن حسين القرشى الطبرستانى الاصل الشافعى المفسر المتكلم ولد سنة اربع واربعين وخمسمائة واشتغل على والده الامام ضياء الدين خطيب الرى ، من تصانيفه كتاب المحصول ، المنتخب نهاية المعقول توفى سنة ستة وستمائة / شذرات الذهب . ج ٥ ، ص ٢١

والغم ضرر ، فالتقدير لايضروكم الا الضرر الذي هو الأذى . فهو استثناء صحيح . والمعنى لن يضروكم الا ضررا يسيرا ، والأذى وقع موقع الضرر)(١).

ويبدو لي أنه استثناء مفرغ متصل .

وهو قصر موصوف على صفة قصرا حقيقيا ، فيه مبالغة .

والمقصور : الاضرار .

والمقصور عليه : بكونه أذى .

أي لن يضروكم ضررا الا ضرر أذى .

سر القصر :

ذُكِرَ في الآيات السابقة أن فريقا من المؤمنين ، كانوا لايزالون على اتصال وثيق ببعض اليهود في المدينة ، لما لهم من سيطرة عسكرية واقتصادية يحسب لها بعض المسلمين الحساب ، وقد حذرهم القرآن من اطاعتهم ، فقال تعالى :(يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين)(٢). فجيء بالنفي والاستثناء للتهوين من شأن هؤلاء الظالمين في نفوس المسلمين ، وكشف حقيقتهم الواهنة ، وتقريرها في الاذهان .

ف (دلت هذه الجملة على ترغيب المؤمنين في تصلبهم في دينهم ، وتثبيتهم عليه ، وعلى تحقير شأن الكفار ، اذ صاروا ليس لهم من ضرر المسلمين شيء الا مايصلون اليه من اسماع كلمة سوء)(٣).

---

(١) الفخر الرازي ، ج ٣ ، ص ٢٨
(٢) سورة آل عمران . آية ١٠٠
(٣) البحر المحيط ، ج ٣ ، ص ٣٠

(وَدَّت طَّائِفَةٌ(١) مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَو يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ).(٢)

المقصور : المُضِل .

المقصور عليه : أنفسهم .

قصر صفة على موصوف قصر قلب .

سر القصر :

اعتقدت طائفة من أهل الكتاب ، أنهم يستطيعون اضلال المؤمنين ، واغواءهم ، فماداموا على هذا الاعتقاد الجازم ، فهم أبعد مايكونون عن الاعتقاد بأنهم يضلون أنفسهم. لذا جئ بالنفى والاستثناء ، لقلب اعتقادهم . حيث قُصِر الضلال الواقع منهم على أنفسهم ، لا يتعداها الى المؤمنين. أى (وما يعود وبال الاضلال الا عليهم ، لأن العذاب يُضَاعف لهم بضلالهم واضلالهم ، أو وما يقدرون على اضلال المسلمين ، وانما يضلون أمثالهم من أشياعهم).(٣)

وفى قصر الضلال على أهل الكتاب ، اشعار بكمال رسوخ المخاطبين وثباتهم على الدين القويم .(٤) وفىهذا تعريض باليهود ، وأن ماهم عليه انما هو الضلال .

---

(١) ذكر فى كتب التفسير ان المراد بالطائفة هنا هم اليهود دون النصارى ولذا عبر بقوله طائفة ، وهم الذين دعوا حذيفا وعمارا ومعاذا الى اليهودية / الكشاف ، م١ ، ص٤٣٦ ، وقيل المراد بهم أهل الكتاب عامه من اليهود والنصارى. قال الامام الطبرى (يعنى بقوله جل ثناؤه دون طائفة يعنى جماعه من أهل الكتاب ، وهم اهل التوراة من اليهود وأهل الانجيل من النصارى). / الطبرى م ٣ ، ج ٣ ، ص٢١٨ .

(٢) آية ٦٩ .

(٣) الكشاف ، م١ ، ص ٤٣٦ .

(٤) تفسير ابى السعود ، م١ ، ج ٢ ، ص ٤٨

(وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ).(١)

في الآية الكريمة أسلوبا قصر ، كلاهما عن طريق النفي والاستثناء الاول في قوله تعالى : (وَمَاجَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ). وهو استثناء مفرغ قيل من أعم العلل ، وقيل من أعم المفاعيل. فذهب الامام الشوكاني الى أنه استثناء مفرغ من أعم العلل. قال : (وهو استثناء مفرغ ، أي ماجعل امدادكم لشئ من الاشياء الا للبشرى لكم بالنصر).(٢)

ورأى الامام ابوالسعود جواز كونه مفرغا من أعم العلل ، اذا كان الجعل متعديا الى مفعول واحد ، وهو الضمير العائد الى مصدر فعل مقدر يقتضيه المقام ، ويجوز كونه مفرغا من أعم المفاعيل ، اذا كان الجعل متعديا الى مفعولين . قال : (...والجعل متعد الى مفعول واحد ، وهو الضمير العائد الى مصدر فعل مقدر ، يقتضيه المقام اقتضاء ظاهرا مغنيا عن التصريح به ، كأنه قيل فأمدكم بهم ، وما جعل امدادكم بهم (الا بشرى). وهو استثناء مفرغ من أعم العلل أي وماجعل امدادكم بانزال الملائكة عيانا لشئ من الأشياء الا للبشرى لكم ، فإنكم تنصرون.. وقيل الجعل متعد الى اثنين ، ثانيهما الا بشرى ، على أنه استثناء من أعم المفاعيل أي ماجعله الله شيئا من الأشياء الا بشارة لكم).(٣)

فاذا كان استثناء مفرغا من أعم العلل ، فهو قصر موصوف على صفة . أما اذا اعتبرناه استثناء مفرغا من أعم المفاعيل ، فهو قصر صفة على موصوف .

المقصور : الجعل .

المقصور عليه : البشرى .

---

(١) آية ١٢٦
(٢) فتح القدير ، م ٢ ، ص ٢٩٠
(٣) تفسير ابى السعود ، ج ٢ ، ص ٨

والاسلوب الثانى للقصر فى هذه الآية، فى قوله تعالى: (وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ).

المقصـــور : النصر .

المقصور عليه : كونه من عند الله .

قصر موصوف على صفة قصر قلب أو افراد ، كما سيحقق .

سـر القصـــر :

للقصر فى هذه الآية سر لطيف ، تأنس له النفوس. فبعد ان بلـــغ المسلمين أن عدد الكفار وعدتهم يفوق عدد المسلمين وعتادهم ، أصابهـــم ما أصابهم من الخوف والهلع . وحين رأى الرسول صلى الله عليه وسلم ما أصاب أصحابه ، أشفق عليهم ، وتوجه الى الله بالتضرع والابتهال ، ولشدة الهلع المسيطر على جو المعركة ، بالغ الرسول صلى الله عليه وسلم فى التذلـــل والتضرع للرب عز وجل.(١)

وصور لنا القرآن عُمْق الدعاء حين عبر عنه بلفظ الاستغاثة . والاستغاثة تدل على هول الموقف وشدته .

ولهذا جاء النفى والاستثناء ليخفف من وطأة هذا الخوف ، ويلقى الطمأنينـــة فى قلوب المؤمنين ، ويرفع من معنوياتهم ، فَبَشَّرَهُم بنصرته ، وجاء هـــذا التبشير مؤكدا تأكيدا لايخالطه شك ولا ريب . فقصر امداد الملائكة علـــى البشرى قصرا حقيقيا ، فيه مبالغة ، لانه نفى عن الامداد كل صـــفة ،

---

(١) روى الامام احمد قال :
حدثنا عبدالله حدثنى ابى ثنا ابونوح قراد أنبأنا عكرمة بن عمار ثنـا سماك الحنفى ابو زميل حدثنى ابن عباس حدثنى عمر بن الخطاب رضى الله عنـه قال : لما كان يوم بدر قال نظر النبى صلى الله عليه وسلم الى أصحابـه وهم ثلثمائة ونيف ، ونظر الى المشركين فاذا هم ألف وزيادة ، فاستقبل النبى صلى الله عليه وسلم القبلة ، ثم مد يديه وعليه رداؤه وازاره ، ثم قال اللهم اين ما وعدتنى ، اللهم انجز ماوعدتنى اللهم انك ان تهلك هذه العصابة من أهل الاسلام فلا تعبد فى الارض أبدا . قـال فمازال يستغيث ربه عز وجل ،ويدعوه حتى سقط رداؤه . فأتاه ابوبكر رضى الله عنه فأخذ رداءه فرداه ، ثم التزمه من ورائه . ثم قال يانبى الله كفاك مناشدتك ربك ، فانه سينجز لك ماوعدك وأنزل الله عزوجل:(اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم انى ممدكم بألف من الملائكة مردفين).
مسند الامام احمد ، مسند عمر بن الخطاب رضى الله عنه، ج ١ ، ص ٣٠

وقصره على البشرى • ولو أن القصر جاء بطريق آخر ، لما حقق هذا الغرض من رفع المعنويات وتثبيت القلوب •

ثم أعقب هذا الاستثناء استثناء آخر (وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ)• وللنفس أن تتساءل في سر مجيئه عقب الاستثناء الأول• أقول لعل السر في ذلك ، أن الموقف كان موقف خوف وجزع ، وأن هذا الخوف أزيل بتأكيد بشرى الامداد وهذه البشرى قد فرح لها المسلمون وهَلَّلُوا • فاحترازا من أن تغلب المؤمنين شدة الفرح برؤية الملائكة التى تدافع معهم ، فيظنون أنهم هم الناصرون لهم وهذا أمر مخالف للعقيدة الاسلامية لايجوز أن يقع فيه المسلم•

جِئ بالنفي والاستثناء ، لتقرير حقيقة اعتقادية ، وهي (أن الاسباب الظاهرة بمعزل من التأثير ، وانما التأثير مختص به عز وجل ، ليثق به المؤمنون ، ولا يقنطوا من النصر عند فقدان أسبابه).(١)

فهذه الاستجابة ، وهذا الإمداد بالملائكة ، والاخبار به على هذا الوجه لم يكن لشئ من الاشياء الا للبشرى • ولاطمئنان القلوب ، لا يتعداها الى النصر•

فنفى النصر عن الاسباب - من الملائكة وكثرة المقاتلة والسكينه -(٢) ، وأثبتها لله عز وجل• أى أن النصر لايكون الا من عند الله •(لا من عند غيره ، وليس للملائكة في ذلك أثر ، فهو الناصر على الحقيقة ، وليسوا الا سببا من أسباب النصر ، التى سببها الله لكم ، وأمدكم بها) (٣).

فالغرض من هذا القصر (أن يكون توكلهم على الله لا على الملائكة).(٤) حيث نبه القصر الى ان الواجب على المؤمن ، أن لايعتمد على ذلك بل يجب أن يكون اعتماده على اغاثة الله ، ونصره وهدايته وكفايته• لأن الله هو العزيز الغالب• الذى لايغلب ، والقاهر الذى لايقهر ، والحكيم فيما ينزل

---

(١) تفسير ابى السعود ، ج ٢ ، ص ٨

(٢) الكشاف م ٨ ، ص ٤٦٢

(٣) فتح القدير ، م٢ ، ص ٢٩

(٤) الفخر الرازى ، م ٤ ، جـ٨ ، ص ٢٣٦

من النصرة فيضعها في موضعها.(١)

والقصر في الآية قصر إفراد ليقطع الخواطر الإنسانية التي قد يقع فيها أن لجهودهم دخلاً في النصر ويمحض ذلك لله جل جلاله.

(وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى)

— (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَو ظَلَمُوا أَنفُسَهُم ذَكَرُوا اللَّهَ فَاستَغفَرُوا لِذُنُوبِهِم وَمَنْ يَغفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُم يَعلَمُونَ)(٢).

المقصور : غفران الذنوب

المقصور عليه : لفظ الجلالة (الله).

قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا.

سر القصر :

قيل أن الآية نزلت في رجل من الانصار كان قد خان ما أتمن عليه ثم تنبه لخطئه، فهام في الفيافي نادما على فعلته طامعا في غفران الله فجاء النفي والاستثناء، ليؤكد له مغفرة المولى وسعة رحمته واختصاص الغفران به لايتعداه الى غيره، وفي تقرير هذه الحقيقة بهذا الاسلوب مايطمئن هذه النفس الحائره، ويزيل عنها كل شك في رحمة المولى عز وجل واشعارها بالوعد بقبول التوبة النصوح بل هي بشرى لكل نفس مؤمنه تائبة كما تشعرنا هذه الاداه بالعتاب العنيف الحاد لمن يتسرب في نفسه اليأس من رحمة الله عز وجل ولذا جاء الاستفهام حاملا معنى النفي للتوبيخ والانكار.

(١) انظر الكشاف م ١، ص٤٦٢ / ابوالسعود م١، ج ٢، ص٨٢، روح المعاني، ج٤، ص ٤٨

(٢) آية ١٣٥

— (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَو قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيئاً وَسَيَجْزِى اللَّهُ الشَّاكِرِينَ)(١).

المقصـور : محمد عليه السلام .

المقصور عليه: الرسالة .

قصر موصوف على صفة ، أما نوع القصر فى هذه الآية ، فقد اختلف العلماء فيه. فذهب السكاكى ، وتبعه الخطيب القزوينى ، والسعد فى مختصره ،(٢) الى كونه قصر افراد.

ذكر السكاكى :(ومن الوارد فى التنزيل على قصر الافراد ، قوله تعالى : وما محمد الا رسول ، فمعناه محمد مقصور على الرسالة ، لايتجاوزها الى البعد عن الهلاك نزل المخاطبون لاستعظامهم أن لايبقى لهم منزل المبعدين لهلاكه. وهو من اخراج الكلام لا على مقتضى الظاهر)(٣).

فجعل المخاطبين كأنهم اعتقدوا ، أن له وصفين الرسالة ، والبعد عن الهلاك. فقصر على أمر الرسالة ، نفيا للبعد عن الهلاك.

وذهب ابن السبكى فى عروس الافراح ، الى أن القصر فى الآية قصر قلب لا افراد فقال :" ... فانه خطاب للصحابة، وهم لم يكونوا يجهلون رسالة النبى صلى الله عليه وسلم ، الا انه نَزّل استعظامهم له على الموت، تنزيل من يجهل رسالته ، لأن كل رسول لابد من موته ، فمن استبعد موته ، فكأنه استبعد رسالته ، وهذا هو الصواب. وبه يظهر أن هذا قصر قلب، لا قصر افراد. فان اعتقاد الرسالة ، وعدم الموت، لايجتمعان ، وانكارهم الموت، ينفى أن يجتمع معه الاقرار بالرسالة. حتى يكون قصر افراد. وبهذا يعلم ان ما قلناه خير من قول غيرنا ، أنهم نُزّلوا لاستعظامهم موته صلى الله عليه وسلم منزلة من ينكر موته ، ويثبت له صفتى الرسالة وعدم الموت. فيكون قصر افراد. لأن ما ذكرناه لايؤدى الى أنهم نُزّلوا منزلة

---

(١) آية ١٤٤

(٢) انظر شروح التلخيص ، جـ ٢ ، ص ٢١٣-٢١٧

(٣) المفتاح ، ص ١٢٥ .

من يعتقد أمرين متنافيين)(١).

ويبدو لى ان القصر هنا قصر قلب ، لأن المخاطبين بسبب ما وقع منهم من الذهول واستعظام نبأ موته ، فكأنهم بذلك استبعدوا موته. واستبعاد موته استبعاد لرسالته ، فكأنهم اعتقدوا أن الرسول صلى الله عليه وسلم ليس حكمه حكم سائر الرسل فى وجوب اتباع دينهم بعد موتهم. بل حكمه خلاف حكمهم وأنه لايخلو كما خلوا. ولم يكن فى اعتقادهم أن له صفتين : وهى صفة الرسالة وعدم الموت ، ثم افردت احداهما دون الأخرى. فالقصر هنا مُنْصَبٌّ على استعظامهم أمر موته.

سر القصر :

لما شاع بين صفوف المؤمنين فى غزوة أحد ، أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد قتل(٢) ، وهم يؤمنون ببشريته ايمانا كاملا ، ولكن لصعوبة الموقف ومفاجأة الخبر ، استعظموا نبأ موته. ولاستعظامهم هذا نُزِّلوا منزلة من ينكر موته ، ويستبعد بذلك رسالته. فجئ بأسلوب النفى والاستثناء هنا دون غيره من طرق القصر ، لأن الموقف يحتاج الى نبرة عالية تهز القلوب ، فخوطبوا خطابا قويا ، لايقاظهم من أثر الصدمة الواقعة بهم ، لينبههم الى أنهم وقعوا فى أمر جلل ، وهو استجهالهم لبشرية الرسول صلى الله عليه وسلم وأن حكمه حكم سائر الرسل المتقدمة.

وزيادة فى تأكيد معنى القصر ، جئ بجملة (قد خلت). (صفة لرسول منبئة عن كونه صلى الله عليه وسلم فى شرف الخلو ، فان خلو مشاركيه فى منصب الرسالة من شواهد خلوه لامحالة. كأنه قيل : قد خلت من قبله أمثاله ، فسيخلو كما خلو)(٣).

---

(١) شروح التلخيص ، ج ٢ ، ص ٢١٣ - ٢١٤
(٢) السيرة النبوية ، ابن كثير ، م٣ ، ص ٦٠
(٣) روح المعانى ، ج ٣ ، ص ٧٣ .

وعلق الدكتور ابوموسى على أسلوب النفى والاستثناء هنا ، فقال : (العبارة هنا عبارة امتلاء ، وأدخل فى باب الاعتبارات ، وأجرى فى سبيل الفن ومسالك البيان ، لأنها تفيض بجملة معانى ، ففيها عتاب عنيف ، وفيها استجهال واشارة الى غفلتهم ، وأنهم لا يسلكون فى المواقف الصعبة مسلكا ينبثق من مضمرات قلوبهم ، ويلتزم بما ترسخ فيها من حقائق واعتقادات ، وأنهم يوشكون أن يكون لهم ظاهر مخالف لباطنهم ، وأن أصول الاعتقاد توشك أن تهتز بالنوازل العارضة ، مع أنكم لاتزالون فى نضارة اليقين ، ولا يزال صليل الوحى يتردد صداه فى آفاقكم ، وهذا وغيره كثير يمكن أن تلمحه وراء هذه الأداة)(١).

(وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَاباً مُؤَجَّلاً وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِى الشَّاكِرِينَ).(٢)

المقصور : الموت .

المقصور عليه : كونه باذن الله .

قصر موصوف على صفة قصر قلب.

سر القصر :

جاءت هذه الآية الكريمة ، عقب قوله تعالى : (وما محمد الا رسول). حين أصاب المسلمين الجزع والهلع بما شاع من خبر موت الرسول صلى الله عليه وسلم ، فجئ بالنفى والاستثناء هنا ، وقصر موت النفس على كونه باذن الله وحده ، لتأكيد أن كل نفس ذائقة الموت ، وأن محمدا صلى الله عليه وسلم حكمه فى ذلك حكم جميع الخلائق .

وذكر الامام الفخر : أن الصحابة رضوان الله عليهم ، لما رجعوا من غزوة

---

(١) دلالات التراكيب ، محمد ابوموسى ، ص ١٠٧
(٢) آية ، (١٤٥).

أحد ، وقد قُتِل منهم من قُتِل ، قال نفر من الناس : لو كانوا عندنا ما ماتوا ، وما قُتِلوا .(١) فيكون القصر هنا لقلب اعتقادهم هذا ، بتأكيد أن الموت والحياة باذن الله ، لا بسبب القتال ، فان هناك كثيرا ممن قاتلوا ولم يقتلوا . وفى هذا (تحريض المسلمين على الجهاد ، باعلامهم أن الحذر لايدفع القدر ، وأن أحدا لايموت قبل الأجل ، واذا جاء الأجل لايندفع الموت بشىء ، فلا فائدة فى الجبن والخوف)(٢).

كما تشعر اداة النفى والاستثناء باللوم العنيف والتقريع الشديد ، لمن ترك القتال خشية القتل ، وجهل هذه القاعدة الربانية ، وغفل عنها .

— (وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِى أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ).(٣)

المقصور : القول .

المقصور عليه : قولهم : ربنا اغفر لنا .

قصر موصوف على صفة . قصرا حقيقيا فيه مبالغة .

(والاستثناء مفرغ من أعم الاشياء ، ما كان قولا لهم عند اى لقاء للعدو ، واقتحام مضايق الحرب ، واصابة ما أصابهم من فنون الشدائد والاهوال ، شيئا من الاشياء الا أن قالوا)(٤)

سر القصر :

ليس فى الآية مخاطب منكر ، أو مُنزّل منزلة من ينكر . وانما جِىء بالنفى والاستثناء لمحض التوكيد ، و لاخراج الفكرة التى تعتمل فى نفوس المتكلمين ، فى قالب يبرز مضمونها ويؤكده .

---

(١) الفخر الرازى م٥ ج ٩ ، ص ٢٤ (٢) المرجع السابق ، م٥ ، ح٩ ، ص ٢٤ .
(٣) آية ١٤٧ .
(٤) تفسير ابى السعود م١ ح٢ ص ٩٦ .

فلما ذكر الله سبحانه وتعالى ماكان عليه المؤمنون من الجلد والصبر ، وعدم الوهن والاستكانة للعدو . وذلك كله من الافعال النفسانية ، التى يظهر أثرها على الجوارح[١]. جاء هنا النفى والاستثناء ، ليقرر حقيقة أخرى من حقائق الفئة المسلمة وليؤكد " ماكانوا عليه من الانابة والاستغفار والالتجاء الى الله تعالى بالدعاء ، وحصر قولهم فى ذلك القول ، فلم يكن لهم ملجأ ولا مفزع الا الله تعالى ، ولا قول الا هذا القول[٢].

وهو قصر حقيقى فيه مبالغة فى بيان صلابتهم فى الدين ، وعدم تطرق الوهن والضعف اليهم كلية ، حيث نفى عنهم جميع الأقوال ، وأثبت لهم القول بطلب الغفران.

((النســـاء))

-(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَايَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا)[٣].

المقصور : العضل .

المقصور عليه : حال ، أو وقت ايتان الفاحشة

قصر موصوف على صفة قصر قلب.

والاستثناء فى الآية ، قيل منقطع ، وقيل متصل . فالانقطاع على معنى الاستدراك ، أى لكن اتيانهن بفاحشة ، يحل لكم أن تذهبوا ببعض ماأتيتموهن.

ونهب الامام الزمخشرى ،[٤] وتبعه فى ذلك الامام البيضاوى ،[٥]

---

(١) البحر المحيط ، ج ٣ ، ص ٧٥
(٢) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة.
(٣) آية ١٩
(٤) الكشاف ، م١ ، ص ٥١٥
(٥) البيضاوى ، ج ٢ ، ص ٧٥

وأبوحيان(١) ، وأبوالسعود(٢)، والألوسي(٣)، والشهاب(٤)، .
الى أن الاستثناء هنا متصل مفرغ ، وهو استثناء من أعم العلل ، أو الاحوال أو الاوقات. قال الامام الزمخشري : (.. هو استثناء من أعم عام الظرف أو المفعول له ، كأنه قيل : ولا تعضلوهن في جميع الاوقات الا وقت أن يأتين بفاحشة . أو ولا تعضلوهن لعلة من العلل الا لأن يأتين بفاحشة)(٥).
وأكد ابوحيان أنه استثناء متصل فقال : (هذا استثناء متصل ، ولا حاجة الى دعوى الانقطاع فيه ، كما ذهب اليه بعضهم ...)(٦).

سر القصر :

سر القصر في الآية يتولد من موضوعها ، فالموضوع هو موضوع الاسرة المسلمة ، وبخاصة المرأة التي يقوم على اكتافها بناء المجتمع المسلم ، فقد كانت في الجاهلية مهضومة الحقوق مهيضة الجناح. فكان ولي الزوج المتوفى يرث الزوجة كأي متاع يورث ، وله حق التصرف فيها كيف شاء.(٨)
وله حق عضلها وأخذ صداقها ، في كل حال أو كل

---

(١) البحر المحيط ، ج ٣ ، ص ٢٠٣
(٢) تفسير ابي السعود ، م١ ، ج ٢ ، ص١٥٨
(٣) روح المعاني ، ج ٤ ، ص ٢٤٢
(٤) حاشية الشهاب ، ج ٣ ، ص ١١٨
(٥) الكشاف ، م١ ، ص٥١٥
(٦) البحر المحيط ، ج ٣ ، ص ٢٠٣
(٧) أخرج البخاري عن ابن عباس في قوله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا) قال : كانوا اذا مات الرجل كان اولياؤه أحق بامرأته ان شاء بعضهم تزوجها ، وان شاءوا زوجوها وان شاءوا لم يزوجوها فهم أحق بها من أهلها . فنزلت هذه الآية في ذلك / صحيح البخاري/كتاب التفسير / تفسير سورة النساء ، م٣ ، ج ٦ ، ص ٥٥ .
وفي لفظ لأبي داود عنه في هذه الآية (وذلك أن الرجل كان يرث امرأة ذي قرابته ، فيعضلها حتى تموت ، أو ترد اليه صداقها فأحكم الله عن ذلك ونهى عن ذلك / سنن ابي داود ، كتاب النكاح ، ج ٢ ، ص ٢٣١

وقت أو لأى علة. ولما جاء الاسلام استمر البعض فى تطبيق هذا النظام ، ظنا منهم أنه موافق للشرع الاسلامى. فجئ بالقصر لقلب هذا الاعتقاد، وتأكيد أن أخذ الصداق ليس من حق الرجل فى أى وقت ، ولأى علة. فقصر العضل على وقت اتيان الفاحشة ، أو فى حالة اتيان الفاحشة فقط فالموضوع اذا موضوع ظلم وغبن وهضم حقوق. والموضوع اذا موضوع له جديته وخطورته فى المنهج الربانى ، ولذا ظهر النفى والاستثناء ، لتقرير وتوكيد قاعدة اسلامية ، تحد من هذا الظلم ، وترفع المستوى الانسانى الهابط الى مستوى أرفع واسمى.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُم سُكَارَىٰ حَتَّى تَعلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا)(١).

المقصور : قرب الجنب الصلاة .

المقصور عليه : حالة العبور .

قصر موصوف على صفة قصر قلب أو هو قصر افراد .

الاستثناء في الآية مفرغ من أعم الاحوال. أى لاتقربوا الصلاة جنبا فى حال من الاحوال الا حال كونكم مسافرين.(٢)

سر القصر :

تحدثت الآيات السابقة عن عبادة الله ، ووجوب توحيده وافراده بالعباده وعدم الاشراك به ، وهنا جاء الحديث عن الصلاة. لأنها أمس الشعائر بمعنى العبادة ، ولأن فى انكارها أو فى الخروج على بعض اصولها انكارا لأوامر الله ،

(١) آية ، (٤٣)
(٢) انظر الكشاف ، م١ ، ص٥٢٨ / البحر المحيط ج ٣ ، ص٢٥٧
فتح القدير ، م١ ، ص٤٦٨ ، / تفسير ابي السعود ، م١ ، ج ٢ ، ص١٧٨

وخروجا صريحا عن ملة الاسلام. ولخطورة هذا الأمر جاء النفى والاستثناء، لتقرير بعض أحكام الصلاة والطهارة. فلما نَهَى الله سبحانه وتعالى السكارى عن اقامة الصلاة في جميع الاحوال، وجاء بعدها نَهى الجُنُبْ عن القرب من الصلاة. قد يَظُن البعض أن النهى للجنب في جميع الأحوال، وأن حكم الجنب في الاقتراب من الصلاة هو حكم شارب الخمر. فجئ بأسلوب النفى والاستثناء لقلب هذا الاعتقاد. حيث قصر اقتراب الجنب من الصلاة على حالة السفر ونفى عن جميع الحالات - هذا على رأى - أو يكون النفى واقعاً على الاقتراب من مكان الصلاة الا في حالة التجاوز والعبور من المساجد، فانه أمر مسموح للجنب.

ـ (مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا). (١)

المقصور : الايمان .

المقصور عليه : ايمانا قليلا أو زمانا قليلا .

قصر موصوف على صفة قصرا حقيقيا تحقيقيا.

واذا قدرنا المقصور عليه : قليلا منهم .

يكون من قصر الصفة على الموصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا حيث نُفى الايمان عن جميع اليهود، وقُصر على فئة معينة منهم كعبدالله بن سلام وكعب الأحبار. (٢)

---

(١) آية ٤٦

(٢) البحر المحيط، ج ٣، ص ٢٦٤

والاستثناء فى الآية يحتمل التمام والتفريغ . فعلى التفريغ يكون التقدير فلا يؤمنون الا ايمانا قليلا. وهذا ماذهب اليه الامام الزمخشري(١) والشوكانى(٢) ولم يذكرا غير هذا الوجه. أما الامام أبوحيان فقد ذكر احتمال التمام والتفريغ فعلى التمام يكون الاستثناء من ضمير المفعول فى لعنهم ، أى الا قليلا لم يلعنهم فآمنوا. أو من الفاعل فى فلا يؤمنون أى الا قليلا (٣) وأضاف الامام ابوالسعود : أنه قد يكون الاستثناء من أعم الاوقات ، أى لايؤمنون الا زمانا قليلا.(٤)

سر القصر :

منذ جاء الرسول عليه الصلاة والسلام بالرسالة المحمدية ، واليهود فى معركة دائمة ضد نبوته.

وهم لايفترون عن تشكيك الناس فى دينهم وقد بذلوا كل غال ونفيس ، وحتى لاينخدع المسلمون بآرائهم السامة ، حرصت الآيات على كشف حقيقتهم فى كل موضع يحاولون فيه تشكيك المسلمين.

فجاءت هذه الآية لتبين أن اليهود قد اشتروا الضلالة بالهدى ، وفضلوا اليهودية على الاسلام ، مع وضوح الحجة ، وبروز البراهين الدالة على صحة نبوة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم . فصفاته وعلامات نبوته مذكوره فى كتبهم . ولم يكتفوا بضلالتهم فأرادوا اضلال المؤمنين أيضا ، حيث كتموا ماجاء فى كتبهم من المعلومات الدالة على صحة نبوته.

وفى هذا الجو المليء بالكيد والحقد والمكر والخديعة والانكار ، جاء النفى والاستثناء دون غيره من أساليب القصر ، بما له من قوة فى ايقاظ

---

(١) الكشاف ، م١ ، ص٥٣١
(٢) فتح القدير ، م١ ، ص٤٧٤
(٣) البحر المحيط ، ج٣ ، ص ٢٦٤
(٤) تفسير ابى السعود ، م١ ، ج٢ ، ص ١٨٤

الشعور وتنبيه النفوس، ليحذر المؤمنين من مكر اليهود بتقرير حقيقتهم. فهم على مر تاريخهم الطويل، لم يؤمن منهم الا فئة قليلة، أراد الله لها الخير والهدى، لما بذلته من صدق واجتهاد فى البحث عن الحق.

وفى تقرير هذه الحقيقة بهذا الأسلوب تحقير لهم وتقليل من قيمتهم، مما يهون من شأنهم فى نظر المسلمين، فيحذروهم، ولا يأبهوا بمقالتهم.

— (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا)(١).

المقصور : الارسال.

المقصور عليه : للطاعة.

قصر موصوف على صفة قصر قلب.

سر القصر :

أمر الله سبحانه وتعالى بطاعة الله ورسوله وأولى الأمر فقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ. فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ، إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)(٢).

الا ان البعض خرج على قوله تعالى، وتحاكم الى الطاغوت. وفى هذا التحاكم انكار لأوامر الله وجحد لرسله حيث ظنّ هؤلاء المنكرون أن مهمة الرسل تقتصر على الابلاغ فقط، وليس لهم من الطاعة شئ.

لذا جئ بالنفى والاستثناء لقلب هذا الاعتقاد وللفت الانتباه بشدة الى

---

(١) آية (٦٤)
(٢) النساء، آية (٥٩).

أن الرسل أُرسِلَت لِتُطاع باذن الله وتوفيقه . وفى اثبات الطاعة للرسل عن طريق القصر ، توبيخ شديد للمنكرين لها . ببيان خطتهم فى الاشتغال بستر جنايتهم بالاعتذار بالأباطيل ، وعدم تلافيها بالتوبة والانابة . أى وما أرسلنا رسولا من الرسل لشئ من الأشياء الا لِيُطاع باذن الله . فطاعته طاعة الله تعالى، ومعصيته معصية الله عز وجل .(١)

— (وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا)(٢).

المقصور : فعل القتل .

المقصور عليه : القليل .

قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا .

سر القصر :

ذكر السياق القرآنى أن الايمان بالله منوط بطاعته وطاعة رسوله. فقال تعالى : (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ)(٣). فالخروج عن طاعة الرسول ، وعدم الرضا بحكمه ، خروج عن الايمان بالله. روى أن الزبير خاصم رجلا من الانصار فى شريج من الحرة. فعندما بدأ الرسول بالحكم ، قال له الأنصارى : يارسول الله ان كان ابن عمتك

---

(١) تفسير ابى السعود ، م١ ، ج ٢ ، ص١٩٦ .
(٢) آية (٦٦)
(٣) آية (٦٥) .

فَتَلَوَّن وجه الرسول صلى الله عليه وسلم (١). فاعتِرَاض الانصارى كأن فيه عدم الرضا بحكم الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعدم الرضا فيه انكار لطاعته صلى الله عليه وسلم. لذا جاء النفى والاستثناء فى هذه الآية للتوبيخ العظيم لكل من يحاول الخروج عن طاعته . ببيان أن ما أوجبه عليهم أمر فى غاية اليسر . وعلى الرغم من هذا حاولوا انكاره. ويفهم من هذا ، أنه لو أوجب عليهم مثل ما أوجب على بنى اسرائيل من قتلهم أنفسهم ، أو خروجهم من ديارهم حين استتيبوا من عبادة العجل ، ما فعله الا القليل منهم. وفى هذا التوبيخ الشديد ، والانتقاص من ايمانهم استنهاض لهممهم ، وتحفيز لهم على التمسك بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وزيادة فى التنبيه بين لهم لو أنهم اتبعوا الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأطاعوه وانقادوا لما يراه ويحكم به ، لأنه الصادق المصدوق ، الذى لاينطق عن الهوى ، لكان خيرا لهم فى عاجلهم وآجلهم ، وأشد تثبيتا لايمانهم ، وأبعد من الاضطراب فيه ، ولكنهم غفلوا عن هذا الأمر ، وتجاهلوه ولذا جئ بالنفى والاستثناء لتنبيههم من غفلتهم.

---

(١) روى الامام البخارى فقال : حدثنا على بن عبدالله ، حدثنا محمد بن جعفر ، أخبرنا معمر عن الزهرى عن عروة قال : خاصم الزبير رجلا من الانصار فى شريج من الحرة. فقال النبى صلى الله عليه وسلم اسق يازبير ثم أرسل الماء الى جارك . فقال الانصارى يارسول الله ان كان ابن عمتك فتلون وجهه ، ثم قال اسق يازبير ، ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر . ثم أرسل الماء الى جارك . واستوعى النبى صلى الله عليه وسلم للزبير حقه فى صريح الحكم ، حين أحفظه الانصارى كان أشار عليهما بأمر لهما فيه سعة ، قال الزبير : فما أحسب هذه الآيات الا نزلت فى ذلك ، " فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم " ./
البخارى ، كتاب التفسير . تفسير سورة النساء ، م ٦ ج ٣ ص ٥٨

(فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا)(١).

المقصور : التكليف .

المقصور عليه : نفس الرسول .

قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا .

سر القصر :

أمر الله سبحانه وتعالى المسلمين بالجهاد ، ورغبهم فيه . الا أن المنافقين الذين يدعون الاسلام كانوا شديدى السعى فى تثبيط همم المسلمين وذلك بتسريب بعض الأخبار الكاذبة عن سرايا المسلمين ، فيتلقفها بعض ضعاف النفوس من المسلمين ، فيذيعونها من غير استشارة الرسول وأولى الأمر ، مما يثير البلبلة بين صفوف المسلمين ، ويعود عليهم بالبلاء قال تعالى : (وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ)(٢)

ثم جاء بعدها الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم عن طريق الالتفات وجىء بأسلوب القصر للتنبيه الى أن نصر الله لرسوله كائن على الرغم من مكائد الكائدين ، وذلك بتأكيد نصرة الله ، وتحقيق وقوعها ، حيث قصر التكليف على نفس الرسول. أى ان أفردوك وتركوك وحدك ، ولم تكن الا نفسك وحدها مقدمة للجهاد ، فان الله هو ناصرك لا الجنود . فان شاء نصرك وحدك ، كما ينصرك ومعك الألوف .(٣)

ففى مجىء النفى والاستثناء هنا استنهاض واستجاشة لهمم المسلمين. وفيه أيضا التعريض بكل من يحاول التباطوء عن الجهاد. وذلك باعلاء شأن الرسول صلى الله عليه وسلم ، والتنبيه الى أن مافعله المنافقون من تثبيط الهمم لايضره ولا يفل من عزيمته وبأسه ، وأن نصره مؤكد ومحقق .

---

(١) آية ٨٤ (٢) النساء آية ٨٣
(٣) الكشاف ، م ١ ، ص ٥٤٨

— (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُم إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَارَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثاً)(١).

المقصـــور : الألوهيـة .

المقصور عليه : هـــو .

قصـر صـفة على موصوف قصرا حقيقيـا تحقيقيـا .

سـر القصـر :

أنكر المشركون البعث والحساب ، فقالوا : (مَاهِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ)(٢).

فانكار البعث انكار لألوهية الرب عز وجل . فجىء بالنفي والاستثناء لتأكيد البعث ، باثبات الألوهية لله عز وجل وزيادة فى التأكيد قرن الفعل (يجمعنكم) بلام التوكيد ، فقال : (ليجمعنكم) ، وذكر الفخر الرازى قولا يتضح منه وجه آخر لسر القصر ، فقال :

(انا بينا أن المقصود من قوله :(وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا)(٣) ، أن لا يصير الرجل المسلم مقتولا ، ثم أنه تعالى أكد ذلك بالوعيد فى قوله : (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا) ثم بالغ فى تأكيد ذلك الوعيد بهذه الآية ، فبين فى هذه الآية ان التوحيد والعدل متلازمان ، فقوله :(لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) اشارة الى التوحيد..)(٤).

---

(١) آيـة ٨٧ .
(٢) سورة الجاثية آية ٢٤ . (٣) آيـة : ٨٦ .
(٤) الفخر الرازى ، م٥ ، ج١ ، ص ٢٢٢ .

= (وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُم أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُم وَلِيّاً وَلَا نَصِيراً إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ)[١] .

اختلف المفسرون فى نوع الاستثناء فى الآية . هل هو استثناء متصل أو منقطع فذكر الامام أبوحيان جواز كونه متصلا أو منقطعا ، الا أنه رجح الاتصال . قال: (وأصل الاستثناء أن يكون متصلا . وظاهر الآية أنه استثناء متصل ، والمعنى الا الكفار الذين يصلون الى قوم معاندين غير مقاتلين) .[٢]

وبعد ان ذكر رأى أحد المفسرين علق ، فقال :

(.. وعلى قول أبى مسلم يكون استثناء منقطعا ، لأن المؤمنين لم يدخلوا تحت قوله : (فَمَا لَكُمْ فِى الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ) .[٣] وذكر الامام الزمخشرى وأبوالسعود أنه استثناء متصل ، من قوله تعالى : (فَخُذُوهُم وَاقْتُلُوهُمْ) . ولم يذكر الانقطاع . والظاهر أنه استثناء متصل تام .

وقد ذكرنا فى الباب الأول أن العلماء اجمعوا على أن القصر بالنفى والاستثناء يأتى من الاستثناء المفرغ ، واختلفوا فى مجيئه من الاستثناء التام ، فذهب بعضهم الى أنه يأتى منه .

ويبدو لى أنه اذا أمكن استخراج بعض الأسرار البلاغية لبعض الآيات ، التى يكون فيها الاستثناء تاما ، فلا مانع من الاشارة اليها على رأى الفريق المؤيد .

فالمقصور فى الآية : اتخاذ الولى والنصير .

المقصور عليه : الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق .

والقصر فى الآية قصر صفة على موصوف قصر افراد .

قصر الاتخاذ على فئة معينة .

---

(١) آية ٨٩-٩٠

(٢) البحر المحيط ، ج ٣ ، ص ٣٥٠

سر القصر :

يذكر القرآن مرارا وتكرارا أن المنافقين فى المجتمع المسلم قوم منبوذون ، تجب مقاطعتهم فى جميع المعاملات ، لأن خطرهم عظيم ، الا أن بعض المسلمين كانوا يتخذون منهم أولياء ، وهذا أمر فى غاية الخطورة لأنه يهدد كيان المجتمع المسلم. وهذا الموقف الخطير يتطلب شدة وحسما فى التوجيه فبدأت الآية بالاستفهام الاستنكارى (فمالكم فى المنافقين فئتين)(١) ثم كرر الاستفهام الانكارى (أتريدون أن تهدوا من أضل الله. لبيان أن الفعل المرتكب أمر منكر غاية الانكار.

ولكن لشدة الموقف وخطورته جاء النفى والاستثناء ، ليزيد من حدة الاستنكار والتوبيخ ، فنهاهم بشدة عن اتخاذ جميع المنافقين أولياء ، وقصر الاتخاذ على فئة معينة.

(وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا .(٢)

المقصور : المضل .

المقصور عليه : أنفسهم

قصر صفة على موصوف قصر قلب.

سر القصر :

حاول اليهود محاولات كثيرة وبأساليب متنوعة ، أن يضلوا الرسول عن الحق والعدل ، وبذلوا فى سبيل تحقيق هذا الأمر كل طاقتهم ، وهم حين حاولوا

---

(١) آية : ٨٨
(٢) آية : ١١٣

اضلال الرسول ، أنكروا أن يكونوا على ضلال ، لأن اضلال النفس أمر من شأنه أن ينكره المخاطب. فجاء النفى والاستثناء ليفاجئهم بأمر لم يلتفتوا له ، ولم يتوقعوه لفرط غفلتهم وغباوتهم ، فقد ظنوا أن الضلال لاحق بالرسول صلى الله عليه وسلم. فقلب اعتقادهم وكشف حقيقتهم ، وأخبرهم أن الاضلال واقع عليهم، لايتعداهم الى الرسول ، مماخيب ظنهم ، فحققت هذه الأداة نصرا عظيما ، لأنها وقعت وقعا أليما على نفوسهم ، وكسرت شوكة كبريائهم.

ـــ (إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثاً وإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيطَاناً مَّرِيداً)(١).

فى الآية اسلوبا قصر ، كلاهما عن طريق النفى والاستثناء الأول فى قوله تعالى (إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثاً).

المقصور : المدعو

المقصور عليه : اناثا .

قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا. والقصر الثانى فى قوله تعالى : (وإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيطَاناً مَّرِيداً).

المقصور : المدعو .

المقصور عليه : شيطانا مريدا .

قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا.

سر القصر :

لعل السر فى استعمال اسلوبى قصر فى آية واحدة ، هو عظيم الذنب المرتكب ، ومبالغة فى تشنيع وتحقير مايعبد من دون الله .

فلم يكن هناك حى من أحياء العرب الا وكان لهم صنم يعبدونه ويسمونه أنثى

---

(١) آية (١١٧).

بنى فلان ، وقيل أنهم كانوا يقولون فى أصنامهم أنهم بنات الله ، وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله.(١)

وهذا الشرك معناه انكار افراد الله بالعباده. ولذا جاء النفى والاستثناء فى قوله تعالى(إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّاإِنَاثًا). للتسفيه من شأن كل مايُعْبَد من دون الله. فقصر الدعاء على لفظ اناث (للتنبيه على فرط حماقة عَبَدَتِها وتناهى جهلهم)(٢) وكنى بالدعاء عن العبادة لأن من عبد شيئا دعاه عند حوائجه ومصالحه)(٣) ثم تبع هذا الاسلوب أسلوب استثناء آخر ، ليزيد من تأكيد حقارة مايُعْبَد من دون الله. فقال تعالى :

(وإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيطَانًا مَّرِيدًا).

وجعل المستثنى نكرة تحقيرا لشأنه ، وجئ بصفة مريد على وزن فعيل للمبالغة من اسم الفاعل الذى هو مارد من مرد ، أى عمّ وعلا فى الحذاقة ، وتجرد للشر والغواية.(٤)

— (يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا).(٥)

المقصور : وعد الشيطان .

المقصور عليه : الغرور

قصر موصوف على صفه قصر قلب.

سر القصر :

ماتزال المعركة بين بنى آدم وبين الشيطان مستمرة ، ولن تزول الا بزوال الأرض ومن عليها . فهو الذى أوقعهم فى عبادة غير الله، وانكار

---

(١) أنظر الكشاف ، م١ ص٥٦٤ / البحر المحيط ، ج ٣ ، ص٣٥٢
تفسير ابى السعود ، م١ ، ج ٢ ، ص ٢٣٣
(٢) تفسير ابى السعود ، م١ ، ج ٢ ، ص ٢٣٣
(٣) البحر المحيط ، ج ٣ ، ص٣٥١
(٤) البحر المحيط ، حاشية الدر المنثور ، ج ٣ ، ص٣٥١
(٥) آية ١٢٠ .

شرائعه ، وارتكاب كل مانَهى عنه وزجر ، وذلك بالقاء الاماني في قلوبهم وتزيين أعمالهم.

وفي وسط هذه المعركة النفسية العقدية جاء النفي والاستثناء ، لينبه العباد وينذرهم في اسلوب قوى ، يوقظ المشاعر ، ويشد الانتباه الى الخطة الشيطانية ، والقاعدة الأساسية التي يسيرعليها الشيطان ـ أعاذنا الله منه ـ ليكونوا على بصيرة من أمرهم.

ـــ (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا)(١)

المقصور : الذكر .

المقصور عليه : الوقت القليل أو الذكر القليل .

أى لايذكرونه سبحانه الا ذكرا قليلا ، أو ولا يذكرون الله الا زمانا قليلا ، أو لايُصَلُّون الا قليلا ، لأنهم لايصلون قط غائبين عن عيون الناس الا مايجاهرون به ، وما يجاهرون به قليل أيضا.(٢)

فهو قصر موصوف على صفة قصر قلب ، أو افراد .

سر القصر :

بدأ الرسول عليه الصلاة والسلام بتكوين المجتمع المسلم المتكامل في المدينة المنورة ، وكانت هناك قوتان تقفان ضد الاسلام ، وهما قوة اليهود وقوة المنافقين ، فكانت الآيات تتعقب هاتين الفئتين لتفضح خططهما .

---

(١) آية ١٤٢

(٢) انظر الكشاف ، م١ ، ص٥٧٤ / تفسير ابى السعود م١ ، ج ٢ ص٢٤٦

وقد كانت جماعة من المسلمين في المدينة يجلسون في مجالس كبار المنافقين - ذوي النفوذ - وكان مايزال لهم ذلك النفوذ. مغترين بظاهرهم من الصلاح والتقوى..

لذا أخذ القرآن يَذْكُر للمؤمنين صفاتهم التي منها اتخاذهم الكافرين أولياء - استهزائهم بآيات الله - محاولتهم خداع الله - كسلهم التام حين أداء الفرائض، وكسلهم هذا أمر يجهله المؤمنون، لأنهم لا يرون منهم الا الاجتهاد التام في العبادة والتقوى والصلاح. ولكشف حقيقتهم وتأكيدها جئ بالنفي والاستثناء، فنفى عنهم ذكر الله في جميع الأوقات الا في وقت مراءاة الناس.

فتصويرهم بهذه الصوره المُخْزية، وبهذا الأسلوب المُؤكد، دَافِعُ قوى للمؤمنين الى تحقيرهم، ومن ثَمَّ قطيعتهم قطيعة تامة عاجلة.

((المائدة))

- (قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي).(١)

المقصور : المملوك.

المقصور عليه : نفسي وأخي.

قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا، فيه مبالغة.

سر القصر :

أثبت موسى عليه السلام أنه لا يملك لنصرة دين الله الا نفسه وأخاه مع أن السياق يوضح أن هناك رجلين كانا مع موسى عليه السلام هما (يوشع بن نون وكالب بن يوفنا)(٢).

(١) آية (٢٥)
(٢) الطبري، ج ٦، ص ١١٢-١١٣ / الكشاف، م ١، ص ٦٠٤

وقد وصفتهما الآيات بالخوف والرهبة ، وهذا قمة الايمان بالله ، (قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنتُم مُّؤْمِنِينَ).(١)

فما هو السر فى انكار موسى عليه السلام لهما ، وعدم اعتداده بهما ، على الرغم مما وُصِفا به من التقوى والخوف؟!.

ذكر الفخر الرازى فى ذلك وجهين :

(فان قيل لم قال لا أملك الا نفسى وأخى ، وكان معه الرجلان المذكوران قلنا كأنه لم يثق بهما كل الوثوق ، لما رأى من اطباق الأكثرين على التمرد وأيضا لعله انما قال ذلك تقليلا لمن يوافقه).(٢)

وسِرُ القصر هنا ، أنه لما طلب موسى عليه السلام من قومه ، أن يدخلوا معه بيت المقدس ، أنكروا معاضدته وقالوا له :(إِنَّا لَنْ نَّدْخُلَهَا أَبَداً مَّادَامُوا فِيهَا فاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ)(٣).

فى جوابهم هذا منتهى الجبن وقسوة القلب ، ومُنْتهى الاستهانة والاستهزاء به سبحانه وبرسوله عليه الصلاة والسلام. فالموقف فيه انكار وعناد وعصيان وهو بالنسبة للمتكلم موقف محزن شديد الصعوبة على النفس.

فموسى عليه السلام أحس احساسا عميقا بحاجته للمولى عز وجل ، بعد أن أنكر بنو اسرائيل معاضدته. فجاء بالنفى والاستثناء ليعبر عن فكرة الحزن واليأس من هؤلاء القوم ، ببث ألمه وحزنه وشكواه الى مولاه .

ذكر الامام الزمخشرى فى بيان جمال هذا الاسلوب : (وهذا من البث والحزن والشكوى الى الله والحسرة ورقة القلب التى بمثلها تُسْتَجْلَب الرحمة وتُسْتَنْزَل النصرة).(٤)

---

(١) آية ٢٣
(٢) الفخر الرازى ، م٦ ، ج ١١ ، ص ٢٠٥
(٣) آية ٢٤
(٤) الكشاف ، م ١ ، ص ٦٠٥

فميزة هذا الأسلوب هو القدرة البارعة فى التعبير ، عما يجول فى نفس المتكلم ، ومايدور فى خاطره ، وما يحرك أحاسيسه . ولقد ذكر الشهاب أنه ليس المقصود من الآية القصر ، بل بيان قلة من يوافقه فقط .
فعندما ذكر الامام البيضاوى أنه يجوز أن يكون المقصود بأخى هنا من يواخينى فى الدين ، فيدخل فى معنى الاخوة الرجلان (كالب ويوشح)(١). حيث قال : (ويجوز أن يراد بأخى من يواخينى فى الدين ، فيدخلان فيه).(٢)

رد عليه الشهاب بقوله : (وكون المراد بالأخ مايشملهما بعيد لفظا ومعنى ، لأن افراده محتاج الى التأويل ، بكل مؤاخ لى فى الدين ، أو بجنس الأخ. وأُجِيب بأنه ليس القصد القصر ، بل بيان قِلَّة من يوافقه. تشبيها لحاله بحال من لايملك الا نفسه وأخاه)(٣). ويبدو لى أنه لامانع من كونه قصرا ، وان قُصِدَ منه التشبيه ، بل إِنَّ ورود التشبيه بأسلوب القصر ، يزيد فى توضيح الفكرة وتعميقها.
فنفى القصر هنا غريب جدا مع وجود أداته .

- (لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)(٤).

المقصور : اله .

المقصور عليه : اله واحد .

قصر موصوف على صفة قصر افراد .

---

(١) وعلى هذا القول يكون القصر حقيقيا تحقيقيا .
(٢) البيضاوى ، ج ٣ ، ص ٢٣١
(٣) حاشية الشهاب على البيضاوى ، ج ٣ ، ص ٢٣١
(٤) آية (٧٣)

سر القصر :

نهب النصارى الى أن الله سبحانه وتعالى(جوهر واحد ثلاثة أقانيم أقنوم الأب ، وأقنوم الابن ، وأقنوم روح القدس. وأنهم يريدون بالأول الذات ، وقيل الوجود . وبالثانى العلم. وبالثالث الحياة)[1] فالنصارى اذا لاينكرون وجود الله ولكنهم لايقرون له بالوحدانية ، بل يشركون غيره معه. وهذا مخالف كل المخالفة لعقيدة التوحيد. ولذا جاء النفى والاستثناء لافراد الذات العليا بالألوهية ، وتقرير الحقيقة التى تقوم عليها كل حقيقة نادى بها الرسل فى كل عصر من العصور ، وهى أن الله سبحانه وتعالى " موصوف بالوحدة ، متعال عن قبول الشركة بوجه .. اذ التعدد يستلزم انتفاء الألوهية ، كما يدل عليه برهان التمانع. فاذا نافت الألوهية مطلق التعدد ، فما ظنك بالتثليث)[2].

وذكر الشهاب فى حاشيته على البيضاوى ، أن السر فى هذه الآية هو الاشارة الى حصر الوحدة فى المولى عز وجل على أبلغ وجه،يفيد عدم قبوله للشركة. فكما انتفى وجود الشركة ، انتفى امكانها أيضا).[3]

وأعقب هذا الاستثناء أسلوب يحمل معنى التهديد والوعيد ، (وَإِنْ لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) . لأن الله سبحانه وتعالى أوضح لهم الحقائق بأسلوب مؤكد ، لايقبل الجدل، ولا التباطوء فى التوبة. فان هم لم يرتدعوا ، ونهبوا الى خلاف مذهب التوحيد ، فلينتظروا العذاب الأليم.

ثم يُعَجِّب القرآن من انكارهم ، وعدم مبادرتهم الى التوبة ، واصرارهم على الكفر ، بعد أن قرر لهم حقيقة التوحيد . قال تعالى:(أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَىٰ اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ) . (أى ألا ينتهون عن تلك العقائد الزائفة والأقوال

---

(١) تفسير ابى السعود ، ج ٢ ، ص ٦٦ ـ ٦٧.
(٢) روح المعانى ، ج ٦ ، ص ٢٠٧.
(٣) حاشية الشهاب على البيضاوى ، ج ٣ ، ص ٢٧٠ .

الباطلة ، فلا يتوبون الى الله تعالى الحق ، ويستغفرونه بتنزيهه تعالى عما نسبوه اليه عز وجل ، أو يسمعون هذه الشهادات المكررة والتشديدات المقررة ، فلا يتوبون عقيب ذلك)(١).

(مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ)(٢).

المقصور : المسيح .

المقصور عليه : رسول .

قصر موصوف على صفة قصر قلب .

سر القصر :

اعتقد النصارى أن عيسى بن مريم أحد الاقانيم الثلاثة (الأب - الابن - روح القدس).

وأنكروا أن يكون بشرا رسولا. لذا كان لابد من دحض هذه العقيدة الباطلة ومحاورة هذه العقول المنكرة ، لاقناعها بما ترفضه مكابرة وعنادا. فجاءت الاية بأسلوب النفى والاستثناء متضمنه لادلة محسوسة تدل على محض بشريته .

فقال تعالى : (مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ) أى أن له أما ، وهذا دليل أول على بشريته ، ومعنى ذلك (أن كل من كان له أم ، فقد حدث بعد ان لم يكن ، وكل من كان كذلك كان مخلوقا لا الها).(٣)

ثم بعد اثبات هذه الصفة البشرية فيه قصر على الرسالة ، لايكاد يتخطاها الى ما يزعم النصارى فيه عليه الصلاة والسلام . ثم وصف المستثنى بأوصاف تجعله معنا فى البشرية فقال تعالى:(قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ).

---

(١) روح المعانى ، ج ٦ ، ص ٢٠٨
(٢) آية ٧٥
(٣) الفخر الرازى ، ج ٦ ، ج ١٢ ، ص ٦٥

وهذه الصفات منافية للألوهية ، (فإن خُلُّو الرسل قبله مُنْذِر بِخُلُوِهِ وذلك مقتضٍ لاستحالة الالوهية· أى ماهو الا رسول كالرسل الخالية قبله)(١) وفى مجئ النفى والاستثناء هنا زجر وتوبيخ على اعتقادهم الباطل ، وادعائهم أن عيسى اله مع الله·

فرد القرآن عليهم بهذا الأسلوب الزاجر أكبر دليل على سفه تفكيرهم·

وفى نهاية الآية يسخر القرآن من قصر عقولهم ، ويعجب من حالهم ، حيث ادعوا لعيسى وأمه عليهما السلام الربوبية ، بعد أن بين لهم حقيقتهما بأقوى أسلوب وآكده ـ وهو النفى والاستثناء ـ فقد بين لهم حالهما بيانا لا يقوم حوله شائبة شك أو ريب· فقال تعالى :(أنْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ)·

ومما يلاحظ أن التركيب فى هذه الآية ، وفى قوله تعالى :(وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ)(٢).

على نمط واحد ، وانما الاختلاف فى اسم المقصور· فأحدهما (المسيح) والثانى(محمد) · والصفة بعد المقصور عليه واحدة فى كليهما· ولكن السياق مختلف تماما· ففى قوله :(وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ) كان القوم يؤمنون بكونه بشرا رسولا· فالحقيقة التى يُرَاد لفت النفوس اليها هناك يقينية لديهم ، ولكن طغيان الموقف أنهل عنها ، فكان لابد من ايقاظ الحقيقة الكامنة فى نفوسهم ، وذلك بلفت انتباههم وهزهم هزة عنيفة·

أما فى هذه الآية (ماالمسيح بن مريم) فالقوم هنا مصرون على الانكار· فهم اذا يحتاجون الى سوق أدلة وبراهين مؤكدة · فجاء الاسلوب اسلوب اقناع يحاور العقول ، ليقنعها بما ترفضه عنادا ومكابرة ، لا أسلوب تذكير ولفت نظر لما هو مستقر فى النفوس· كما يُلاحظ فى هذه الاية أن القرآن

---

(١) روح المعانى ، ج ٦ ، ص ٢٠٨
(٢) سورة آل عمران آية ١٤٤

انصرف عنهم ، ولم يخاطبهم . وانما حكى ضلالتهم هذه ، وكأنه يعجب منها ومن وضوح زيفها . وأدلة رفضها (كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ) ، ثم تراهم متشبثين بها . وفى انصراف القرآن عنهم استخفاف وامتهان لهم .

أما فى الآية الاولى (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ) فالآيات كلها كانت توجيها مباشرا لهذه الجماعة بعد خوضها لتجربة قاسية . فجاء فى عقبها .. ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون... وان يمسسكم قرح ... (١) فكلها تدل على التصبير والتخفيف من أثر الصدمة .

— (مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ)(٢)

المقصور : الرسول .

المقصور عليه : البلاغ .

قصر موصوف على صفة قصر افراد اذ كانوا يعتقدون ويظنون ان من مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم هدايتهم فهم يجمعون له بين صفتين .

سر القصر :

نهى الله سبحانه وتعالى فى الآيات السابقة العباد عن كثير من الامور وحرمها عليهم كالخمر والميسر والانصاب والازلام ، كما نهاهم عن قتل الصيد وهم حُرُم ، وأمر رسوله بتبليغ هذا الأمر . ولما كان الابتعاد عن هذه المحرمات أمرا قد تنكره النفس ، لأنه مناف لهواها ، أعقبها بقوله تعالى : (اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) (٣) ثم جاء النفى والاستثناء ليزيد الجو رهبة ومخافة ، فكونه تعالى يذكر ما جاء به الرسل ، ويؤكد

(١) دلالات التراكيب ، محمد ابوموسى ، ط ١ ، ص ٥٦ ـ ٥٧
(٢) آية ٩٩
(٣) بعض آية ٩٨

تأكيدا بالغا أنهم أدوا أمانة التبليغ وينفى عنهم صفة الهداية.أبلغ في التهديد لمن أنكر أمر الرسل ، وأشد في الوعيد لمن خالف أوامرهم.

ذكر الامام ابوالسعود أن في قوله: (مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ) تشديد في ايجاب القيام بما أمر به ، أى الرسول قد أتى بما وجب عليه من التبليغ بما لامزيد عليه . وقامت عليكم الحجة ، ولزمتكم الطاعة ، فلا عذر لكم من بعد في التفريط)[1] وفي هذا الأسلوب لفت لنظر العباد، وتنبيه شديد لهم بأن في ابلاغ الرسول تكليف لهم.

ذكر الامام الفخر :(واعلم أنه تعالى لما قدم الترهيب والترغيب بقوله (أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) أتبعه بالتكليف بقوله : (مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ) يعني أنه كان مكلفا بالتبليغ ، فلما بَلَّغَ فرغ العهدة وبقي الأمر من جانبكم ، وأنا اعلم بما تبدون وبما تكتمون، فان خالفتم ، فاعلموا ان الله شديد العقاب ، وان أطعتم فاعلموا أن الله غفور رحيم)[2].

(مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)[3].

المقصور : القول .

المقصور عليه: الأمر .

قصر صفة على موصوف قصر قلب.

---

(١) تفسير أبي السعود ، م٢ ، ج ٣ ، ص ٨٣

(٢) الفخر الرازى ، م٦ ، ج ١٢ ، ص ١٠٩

(٣) آية ١١٧ .

سـر القصـر :

ذهب الامام السكاكى وتبعه القزوينى الى أن القصر فى الآية قصر قلب.
والسر فى ذلك أنه (..قاله فى مقام اشتمل على معنى أنك ياعيسى لم تقل للناس ما أمرتك، لأنى أمرتك، أن تدعو الناس الى أن يعبدونى. ثم انك دعوتهم الى أن يعبدوا من هو دونى، الا ترى الى ما قبله (وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى بْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ).(١)
وزاد الخطيب على ذلك بأنه (.. ليس المعنى أنى لم أزد على ما أمرتنى به شيئا، اذ ليس الكلام فى أنه زاد شيئا على ذلك، أو نقص منه، ولكن المعنى أنى لم أترك ما أمرتنى به، أن أقوله لهم الى خلافه)(٢). واعترض ابن السبكى على هذا التحليل وخالفهما فيه.

ورأى ان القصر قصر قلب، ولكن لغير الوجه المذكور. فهو قصر قلب، لأنه وقع فى مقابلة قول النصارى عنه صلى الله عليه وسلم، أنه قال اتخذونى وأمى الهين. فقال تعقيبا على قول الخطيب القزوينى : (هذا من المصنف يقتضى أن قصر القلب ليس فيه نفى لغير المذكور. وليس كذلك والذى قاله من أن المراد أننى قلت ما أمرتنى به صحيح، ولا ينافى ذلك أن يكون نفى الزيادة عليه. فهذه هى حقيقة القصر. نعم هو قصر قلب، لغير ماذكره. وهو أنه واقع فى مقابلة قول النصارى عنه صلى الله عليه وسلم، أنه قال اتخذونى وأمى الهين فان نسبتهم ذلك اليه، لاتجتمع مع نسبتهم اليه الاعتراف بالوحدانية).(٣)

ويبدو لى أنه لامانع من أن أضيف بعض الشرح لتوضيح سر القصر ـ مُسْتَقِية ذلك من كلام الدكتور محمد ابوموسى، فقد كتب كلاما واضحا فى بيان سر هذا القصر، فى الآية السابقة وجه الله سبحانه وتعالى الى عيسى عليه السلام

---

(١) مفتاح العلوم. ص ١٢٦
(٢) الايضاح تحقيق محمد عبد المنعم خفاجى، جـ ١ ص ٢٣٣
(٣) شروح التلخيص، عروس الافراح، جـ ٢، ص ٢٢٤ ـ ٢٢٥

سؤالا بصيغة الاستنكار وليس المقصود من السؤال طلب الفهم ، لأن السائل هو الله العليم المحيط بكل السرائر ، وانما القصد - والله أعلم بمقصوده - أن يجيب عيسى عليه السلام بما يهدم باطلهم. قال تعالى : (وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى بْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِى أَنْ أَقُولَ مَالَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَافِى نَفْسِى وَلَا أَعْلَمُ مَافِى نَفْسِكَ).(١)

وهذا سؤال رهيب من رب العالمين ، حيث أصاب عيسى عليه السلام الفزع والخوف والدهشة ، فسارع بتبرئة نفسه بقوله (سبحانك) ، ومعناه التقديس والتنزيه. وأن هذا القول - اتخذونى وأمى الهين - يضاد هذه السبحانية أى علويتك وتنزيهك عن الشرك . وعن أن يزاحم هيمنتك أحد من خلقك .

ثم يقول عيسى عليه السلام : (مَا يَكُونُ لِى أَنْ أَقُولَ مَالَيْسَ لِى بِحَقٍّ).

فهو لاينفى فقط أنه قال ، وانما يجعل صدور هذا القول ، ممالاينبغى أن يصدر منه. ولم يكتف بقول (ما يكون لى أن أقول هذا) ، بل ذكر أن صدور هذا القول مناف لعبوديته والتزامه بالحق . وكأنه جعل نفيه مقترن بالدليل. كما تقول ليس هذا من أخلاقى . فان ذلك لايفيد انك لم تفعله فحسب ، وانما يفيد أن الشأن فيك الا تفعل مثله. ثم يعود عيسى عليه السلام الى تنزيه المولى وتقديسه بغير لفظ سبحان فيقول(إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ). أى أن علمك محيط بى ، لأننى مربوب لك ، وكائن فى قبضتك وفى هيمنة الوهيتك ، وهذا تسبيح لله من وجه. وتأكيد لنفى أنه قاله ، فدفع عيسى لهذه الفرية متشابك فى كل صورة ، مع التسبيح والتنزيه. لأنها ضلالة تضاد التسبيح ، وتجعل لله شريكا ، ثم يأتى أسلوب النفى والاستثناء فى قوله تعالى: (مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِى بِهِ). لتأكيد نفى أنه قال

---

(١) آية (١١٦) من نفس السورة.

(اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ). وذلك باثبات أنه قال ماينا قضها ، وهو(اعبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ). فهو لم يدعه الى غيره.(١)

((الأنعـــام))

(وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ).(٢)

المقصور : الإتيان .

المقصور عليه: حال الاعراض .

قصر موصوف على صفة قصراحقيقيا ، فيه مبالغة.

سر القصر :

في مطلع السورة الكريمة جاءت الآيات الدالة على وحدانية الله ، وتفرده في الالوهية ، ولكن على الرغم من عظم هذه الادلة وظهورها ، ومخاطبتها للقلب البشري مخاطبة موحية موقظة للفطره ، عدلت عنها القلوب الفاسدة وأشركت مع الله غيره. قال تعالى : (الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ.. هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ... وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ...).

فالاعراض مع وجود الأدلة الماثلة للعيان قمة الانكار. لذا جاء النفي والاستثناء للمبالغة في ذمهم وتحقيرهم. فقصر اتيان الآيات على كونهم معرضين ، أي (... مايظهر لهم قط دليل من الأدلة ، التي يجب فيها النظر والاستدلال والاعتبار ، الا كانوا عنه معرضين ، تاركين للنظر لايلتفتون اليه ، ولا يرفعون به رأسا ، لقلة خوفهم وتدبرهم للعواقب).(٣)

---

(١) دلالات التراكيب ، محمد ابوموسى ، ط ١ ، ص ٥٩ _ ٦٠
(٢) آية (٤)
(٣) الكشاف ، م٢ ، ص ٥ .

ولشدة اعراضهم أعرضت الآية عن خطابهم ، للاشعار بأن اعراضهم عن تلك الآيات الواضحة ، قد بلغ مبلغا اقتضى أن لايواجهوا بكلام ، بل يضرب عنهم صفحا ، وفي تعديد جناياتهم لغيرهم ذماً لهم ، وتقبيحا لحالهم.(١)

وكذلك ذكر الامام الصاوى(٢) في حاشيته على الجلالين . أن قوله تعالى (وَمَا تَأْتِيهِم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين) كلام مستأنف بيان زيادة قبحهم وكفرهم بعد ظهور الآيات البينات(٣).

وجيء بما النافية ، ويليها الفعل المضارع ، لحكاية الحال الماضية ، أو للدلالة على اصرارهم واستمرارهم المتجدد في الانكار ، ولتسفيه فعلتهم هذه ، وتأكيد عبوديتهم ، وتفخيم ما أنكروه. أُضيفت الآيات للرب عز وجل المضاف لضميرهم(٤).

وقد يكون القصر في الآية قصر تعيين وذلك اذا قيل أن من يسمع بحالهم يتردد بين قبولهم للآيات وأعراضهم عنها فيكون القصر قصر تعيين .

أو أن المخاطب بهذه الآية - الرسول والمؤمنون - كانوا يتوقعون من أولئك القبول لكثرة الآيات وقوتها فيكون القصر قصر قلب .

- (وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَاباً فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ)(٥).

المقصور : هذا

المقصور عليه : سحر مبين

قصر موصوف على صفة ، قصر قلب .

---

(١) أنظر تفسير ابى السعود ، م٢ ، ج ٣ ، ص ١٠٩
روح المعانى ، ج ٧ ، ص ٩١

(٢) هو احمد بن محمد الخلوتى ، الشهير بالصاوى ، فقيه مالكى نسبته الى " صاء الحجر" فى اقليم الغربية ، بمصر ولد سنة ١١٧٥ هـ وتوفى سنة ١٢٤١ هـ من كتبه : حواشى على بعض كتب الشيخ احمد الدردير فى فقه المالكية ، و(الفرائد السنية) (شرح همزية البوصيرى) فى دار الكتب/ الاعلام ، م١ ، ص ٢٤٦

(٣) حاشية الصاوى ، م٢ ، ص ٤

(٤) تفسير ابى السعود ، م٢ ، ج٣ ، ص ١٠٩/ روح المعانى ج ٧ ، ص ٩١

(٥) آية (٧) .

وان هنا نافية بمعنى ما (١).

سر القصر :

بالغ أهل مكة فى كفرهم وعصيانهم ، حتى أنهم طلبوا من الرسول صلى الله عليه وسلم ، أن ينزّل عليهم آيات تدل على نبوته وصدقه. قال تعالى : (وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعا أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلاَلَهَا تَفْجِيرا أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ وَالمَلاَئِكَةِ قَبِيلا. أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرا رَسُولا) (٢)

فقد ادّعوا أنه لو أنزل عليهم ما طلبوا ، أذعنوا له واسلموا . ولحرص الرسول عليه الصلاة والسلام قد يتمنى انزال تلك الآيات ، لعلهم أن يسلموا كما زعموا ، فهو يجهل ماهو كائن فى علم الله الأزلى من اصرارهم على الكفر ولذا جاء الخطاب هنا للرسول صلى الله عليه وسلم عن طريق الالتفات ، ليعلمه المولى سبحانه وتعالى بماسبق فى علمه الازلى. فأظهر انكارهم ومبالغتهم فى التكذيب (بأنهم لو رأوا كلاما مكتوبا فى قرطاس ، ومع رؤيتهم جسوه بأيديهم ، لم تزدهم الرؤية واللمس الا تكذيبا)(٣). وزيادة فى تأكيد انكارهم جئ بقولهم عن طريق القصر بالنفى والاستثناء ، لقلب اعتقاد من يظن أنهم سيؤمنون حقا ، وذلك ببيان شدة اصرارهم وعنادهم ، حيث أنهم سيقصُرون ما أُنزل اليهم على السحر عنادا وتعنتا.

---

(١) الصاوى ، م٢ ، ص ٥
(٢) الاسراء آية ٩٠ ـ ٩٣ - ٩٣.
(٣) البحر المحيط ، ج٤ ، ص ٧٧ .

(وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)(١).

المقصور : كشف الضر .

المقصور عليه : الذات العليا .

قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا.

الخطاب في الآية للرسول صلى الله عليه وسلم ، وقيل هو عام لكل من يقف عليه.(٢)

سر القصر :

لما اتخذ المشركون أصنامهم وأوثانهم أربابا من دون الله على الرغم من ظهور الأدلة أمام أعينهم ، فجعلوا منهم أولياء ، وظنوا أن بأيديهم الخير ، وفي استطاعتهم كشف الضر . أخذت الآيات تبرهن للخلق أن الخير والضر بيد الله وحده. ولتقرير هذه الحقيقة وتأكيدها جئ بالنفي والاستثناء، فأكدها تأكيدا بالغا بأن نفى القدرة على كشف المكروه عن كل ماعُبِد من دون الله ، وأثبتها للذات العليا ، أى ان تنزل بك يا محمد شدة من فقر أو مرض أو مكروه أو غير ذلك من بلاياه ، فلا رافع ولا صارف لها الا هو . وان يصبك برخاء وعافية ، فهو على كل شئ قدير.(٣)

ويتضح لنا جمال القصر ، اذا لاحظنا أنه استعمل أسلوب القصر عن طريق النفي والاستثناء في مساس الضر ، فقال تعالى :(فلا كاشف له الا هو) ولم يستعمل في مساس الخير ، بل ذكر قوله تعالى:(وهو على كل شئ قدير). ويلفتنا الإمام أبوحيان الى اللطيفة في ذلك فقال :

(...وجاء جواب الأول بالحصر في قوله :(فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ) مبالغة في الاستقلال بكشفه. وجاء جواب الثاني بقوله(فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ). دلالة على قدرته على كل شئ ، فيندرج المس بخير أو غيره).(٤)

---

(١) آية ١٧ (٢) انظر حاشية الشهاب ، ج ٤ ، ص ٣٥
(٣) أنظر الكشاف ، م٢ ، ص ٩ / البيضاوى ، ج ٢ ، ص ١٨٣ / القرطبى ، م٣ ، ج ٦ ، ص ٣٩٨ (٤) البحر المحيط ، ج ٤ ، ص ٨٨

(ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُم إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ).(١)

المقصـــور : كون الفتنـة .

المقصور عليه : قولهم .

والاستثناء فى الآية مفرغ من أعم الاشياء.(٢) وهو قصر صفة على موصوف ، قصرا اضافيا قصر افراد ، أو هو قصر حقيقى كما سيحقق .

سـر القصـر :

ذكرت الآيات السابقة جحود أهل مكة بنبوة الرسول صلى الله عليه وسـلم اغترارا منهم بكفرهم ، واعجابا بأوثانهم. معتقدين أن عبادتهم للاصـنام ليست شركا. فلتأكيد اصرارهم على الكفر، وأنه لاضير يُرتَجَى منهم ، لأنهم كانوا معجبين بكفرهم ، متهالِكِينَ على حبه - هذا اذا فُسِّرَت الفتنة بمعنى ما يُفْتَتَن به الانسان - جاء النفى والاستثناء ، حيث قصروا الفتنة علـى قولهم والله ماكنا مشركين. فهو قصر افراد بالنسبة الى جنس الاقوال.

أو هو قصر حقيقى اذ فُسِّرَ قوله تعالى :(وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ) على أنه كناية عن التبرؤ مماكانوا يعبدون. أى لم تكن عاقبة كفرهم الذى لزموه مـدة أعمارهم ، وافتخروا به شيئاً من الاشياء ، الا جحودهم والتبرؤ منه.(٣)

وقد ذكر الامام الألوسى هذا الكلام مُفَصَّلا فقال :

(وأصل معنى الفتنة ، على ماحققه الراغب من الفتن . وهو ادخـال الذهب النار ، لِتُعْلَم جودته من رداءته . ثم استُعْمِل فى معان كالعـذاب والاختبار والبلية ، والمصيبة، والكفر والاثم والضلال ، والمعذرة. واخْتُلِف فى المراد هنا ، فقيل الشرك ، واختار هذا القول الزجاج ، ورواه عطاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما . وكأن التعبير عن الشرك بالفتنة ، أنهـا

---

(١) آية (٢٣)
(٢) تفسير ابى السعود ، ج ٣ ، ص ١٢٠
(٣) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة.

ما تَفْتَتِنْ به ، ويعجبك . وهم كانوا معجبين بكفرهم ، مفتخرين به ، والكلام حينئذ اما على حذف مضاف ، كما يقتضيه ظاهر كلام البعض ، واما على جعل عاقبة الشئ عينه ادعاء . وهو أحلى مذاقاً وأبعد مغزىً . والحصر اضافى بالنسبة الى جنس الأقوال ، أو ادعائى .

وقوله تعالى :(وَاللَّهِ رَبِّنَا مَاكُنَّا مُشْرِكِينَ) كناية عن التبرئ عن الشرك ، وانتفاء التدين به . أى ثم لم يكن عاقبة شركهم شيئاً ، الاتبرؤهم منه ، ونص الزجاج أن مثل ما فى الآية أن ترى انساناً يحب غاوياً ، فاذا وقع فى مهلكة تبرأ منه . فيقال له : ماكان محبتك لفلان الا ان تبرأت منه ، وليس ذلك من قبيل عتابك السيف ، ولا من تقدير المضاف ، وان صح ذلك فيه . وهو معنى حسن لطيف ، لايعرفه الا من عرف كلام العرب ، وقيل : المراد بها العذر ، واستعملت فيه لأنها على ماتقدم التخليص من الغش ، والعذر يخلص من الذنب فاستعيرت له .

وروى ذلك عن ابن عباس أيضاً . وأبى عبدالله ، وقتاده ، ومحمد بن كعب رضى الله تعالى عنهم ، وقيل : الجواب بماهو كذب . ووجه الاطلاق أنه سبب الفتنة . فتجوز بها عنه اطلاقاً للمسبب على السبب ، ويحتمل أن يكون هناك استعارة ، لأن الجواب مخلص لهم أيضا كالمعذرة . قيل والحصر على هذين القولين حقيقى).(١)

ـــ (وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِم وَقْراً وَإِنْ يَرَوا كُلَّ آيَةٍ لَّايُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ(٢) الأَوَّلِينَ)(٣) .

(١) روح المعانى ، جـ٧ ، ص ١٢٢ ـ ١٢٣
(٢) وهى جمع أسطورة وأسطور واسطار . وهو ماسطره الناس من خرافاتهم وأكاذيبهم .
(٣) آيـة (٢٥) .

المقصـور : اسم الاشارة .

المقصور عليه : أساطير الأولين .

قصر موصوف على صفة قصر قلب .

سـر القصـر :

رمى كفار قريش القرآن ، بأنه سحر ، وأنه ليس من عند الله . ولشدة انكارهم بالغ القرآن فى وصف جحودهم . فقال تعالى :(وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ)(١).

ثم لم يكتفوا بهذا الافتراء ، فطالبوا الرسول صلى الله عليه وسلم استهزاء وجدالا بأن ينزل عليهم آية من السماء (وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ)(٢).

فأمام انكارهم هذا ، أكد الرسول صلى الله عليه وسلم ، أن هذا القـرآن من عند الله ، وأن كل مارموه به انما هو محض افتراء . قال تعالى:(قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وأوحى إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ)(٣).

ولشدة انكار الرسول صلى الله عليه وسلم أنه سحر ، وتأكيد أنه وحي من الله ، خاطبوه خطاب المنكر لعقيدتهم ، فجاءوا بالنفى والاستثناء ابتغاء تأكيد زعمهم ، فقصروا القرآن على الاساطير وهى الخرافات والاكاذيب .

فالمنفى هنا - كما زعموا - كونه وحيا من عند الله ، ولم يقصدوا نفى جميع الصفات عنه ، لأنهم كانوا يقولون مقالتهم هذه عند استماعهم للرسول صلى الله عليه وسلم ، ودعوته اياهم الى الإيمان بهذا القُرآن ، وبأنه يوحى اليه . فقلبا لدعواه جاءوا بالنفى والاستثناء .

---

(١) آية (٧) من نفس السورة .
(٢) آية ٨
(٣) آية ١٩

= (وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ).(١)

المقصور : المهلوك

المقصور عليه : أنفسهم .

قصر صفة على موصوف. قصر قلب.

سر القصر :

أنكر مشركو مكة ما أُنزِل على الرسول صلى الله عليه وسلم ، وطعنوا في كونه وحيا من عند الله . وقال بعضهم (إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِين) استهزاء به واستخفافا ، وعبر القرآن عن شدة اعراضهم بقوله (ينأون). (اظهارا لغاية نفورهم منه ، وتأكيدا لنهيهم . فان اجتناب الناهي عن المنهي عنه من متممات النهي)(٢).

وظنوا أنه بتباعدهم هذا سيتخلى الناس عن الرسول صلى الله عليه وسلم، فَيَسْتَهْلَك وتُهْلَك دعوته.

فجاء الرد عليهم بأسلوب النفي والاستثناء لتأكيد نفي الإهلاك عن الرسول صلى الله عليه وسلم . واثباته لأنفسهم. أي ما يهلكون بذلك الا أنفسهم بتعريضها لأشد العذاب. لا يتعداهم الضرر الى غيرهم ، وان كانوا يظنون. أنهم يضرون رسول الله صلى الله عليه وسلم.(٣) وفي ذلك قلب لاعتقادهم. وعبر هنا بالاهلاك مع أن المنفي عن غيرهم مطلق الضرر ، للايذان بأن ما يُحِيق بهم هو الهلاك ، لا الضرر المطلق. على أن مقصدهم لم يكن مطلق الممانعة فيما ذكروا ، بل كانوا يريدون ايقاع الغوائل بالرسول صلى الله عليه والسلم(٤).

---

(١) آية ٢٦
(٢) روح المعاني، جـ ٧ ، ص ١٢٦ .
(٣) انظر تفسير ابي السعود، م٢ ، جـ ٣ ، ص١٢٢/ الكشاف م٢ ، ص١٢
(٤) روح المعاني ، جـ ٧ ، ص ١٢٦

ثم أعقب النفى والاستثناء قوله تعالى : (وما يشعرون). فنفى الشعور عنهم لتأكيد غباوتهم ، والمبالغة فى ذمهم. ف (نفى الشعور عنهم باهلاكهم أنفسهم مذمة عظيمة ، لأنه أبلغ فى نفى العلم ، اذ البهائم تشعر وتحس ، فوبال ماراموا حل بأنفسهم ، ولم يتعد الى غيرهم)(١).

(وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ)(٢)

المقصور : هى .

المقصور عليه: الحياة الدنيا.

قصر موصوف على صفة . قصر افراد .

سر القصر :

حذر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم المشركين من عاقبة انكار حقيقة التوحيد ، وحقيقة البعث والنشور. وذكر لهم تهديد القرآن وتوعده لهم. بجمعهم فى يوم لا ريب فيه. وأن من حاد عن جادة الايمان فقد خسر الخسران المبين ، قال تعالى : (قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ)(٣).

فالرسول صلى الله عليه وسلم وجه أنظارهم الى أن هناك حياتين حياة فانية زائلة وحياة باقية.

ولكن افتتان المشركين بالحياة الدنيا وغرورهم بها ، أدى بهم الى انكار البعث والحساب ، وانكار وجود حياة أخرى . فجاءوا بالنفى والاستثناء يريدون تأكيد وتقرير تلك العقيدة الباطلة ، فنفوا الحياة عن الآخرة نفياً مؤكداً واثبتوا الدوام للحياة الدنيا. ثم أكدوا انكارهم للبعث بقولهم . وما نحن

---

(١) البحر المحيط ، جـ ٤ ، ص ١٠٠

(٢) آية ٢٩

(٣) آية ١٢ نفس السورة.

بمبعوثين . وفى اثبات قولهم بهذا الاسلوب المؤكد ، تقرير لحقيقة كفرهم الموجبة لعذابهم . ولذا جئ بعدها بآية تبين حالهم يوم القيامة ، وماأُصيبوا به من الحسرة والندامة على تفريطهم . فقال تعالى : (وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ).(١)

— (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)(٢).

المقصور : الحياة .

المقصور عليه : اللعب واللهو .

قصر موصوف على صفة قصر قلب .

سر القصر :

لما أكد كفار مكة انكارهم للبعث واصرارهم على هذا الانكار بقولهم (إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا). جاء النفى والاستثناء فى هذه الآية ، ليقلب ذلك الاعتقاد المؤكد الناتج عن افتتانهم بالحياة الدنيا ولذّاتها . فبين حقيقة الدنيا وحقارتها ، ذُكر فى التفسير الكبير للفخر الرازى : (اعلم أن المنكرين للبعث والقيامة ، تعظم رغبتهم فى الدنيا ، وتحصيل لذاتها . فذكر الله تعالى هذه الآية تنبيها على خساستها . وركاكتها)(٣). حيث قصرها على اللهو واللعب استخفافاً بها ، ف (لما ذكر قولهم إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدنيا ذكر مصيرها ، وأن منتهى أمرها أنها فانية منقضية عن قريب ، فصارت شبيهة باللهو واللعب ، اذ هما لايدومان ولا طائل لهما ، كما أنها لاطائل

(١) آية ٣٠ من نفس السورة .
(٢) آية ٣٢ ...
(٣) الفخر الرازى ، م٦ ، ج ١٢ ، ص ٢١٠

لها ، فاللهو واللعب • اشتغال بما لا غنى به ولا منفعة ، كذلك هى الدنيا • بخلاف الاشتغال بأعمال الآخرة ، فانها التى تعقب المنافع والخيرات)(١).

(وَمَا مِن دَابَّةٍ فِى الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَّا فَرَّطْنَا فِى الْكِتَابِ مِنْ شَىْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ)(٢).

المقصور : الدابة والطائر ،

المقصور عليه : الأمم .

قصر موصوف على صفة قصر قلب •

سر القصر :

بلغ الضلال والطغيان بالمشركين الى انكار المعجزات التى جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم • ولم يقتنعوا بها عناداً وكفراً • فقالوا : (لَولَا نُزِّلَ عَلَيهِ آيةٌ مِنْ رَبِّهِ) تهكماً وسخريةً •

فرد الله عليهم بقوله (قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آية وَلَكِنْ أَكْثَرَهُمْ لَايَعْلَمُونَ) • فنفى العلم عن اكثرهم ، لأن بعضهم كانوا يعلمون الحقيقة ، ولكنهم رفضوها عناداً ومكابرةً • وتمنى الرسول صلى الله عليه وسلم لو ينزل عليهم تلك الآية رغبةً منه فى إيمان أمته • ولكن الله لحكمة بالغة منع نزول هذه الآية ، وفى منعه لها مايدعو الكفار الى الشك فى قدرته والانكار لها •

فجاء النفى والاستثناء على أنه (كلام مستأنف مسوق لبيان كمال قدرته عز وجل وشمول علمه وسعة تدبيره ، ليكون كالدليل على أنه تعالى قادر على تنزيل الآية ، وإنما لا ينزلها محافظة على الحكم البالغة)(٣).

---

(١) البحر المحيط ، جـ٤ ، ص ١٠٨

(٢) آية ٣٨

(٣) تفسير ابى السعود ، م٢ ، جـ٣ ، ص ١٣١

وليظهر ويؤكد لنا القرآن دقة علم المولى وشموله ، استعمل لفظ دابة في سياق النفي مصحوبة بمن لتأكيد الاستغراق . فتشمل كل ما يدب على الأرض . وخص الأرض بالذكر (زيادة في التعميم والاحاطة ، كأنه قيل وما من دابة قط في جميع الأرضين السبع ، وما من طائر قط في جو السماء من جميع ما يطير بجناحيه الا أمم امثالكم ، محفوظة أحوالها غير مهمل أمرها).(١)

ثم خص الطائر بالذكر بعد التعميم ، لأن الطائر (تصرفه في الوجود. دون غيره من الحيوان ـ أبلغ في القدرة ، وأدل على عظمها ، من تصرف غيره من الحيوان في الأرض ... وجاء الوصف لفظ يطير ، لأنه يشعر بالديمومة والغلبة لأن أكثر أحوال الطائر كونه يطير ، وقل ما يسكن)(٢).

وقيد الطائر بقوله تعالى (بجناحيه) ، مع أن كل طائر يطير بجناحيه ، للتأكيد كقوله نعجة انثى ، وكما يقال كلمته بفي ، ومشيت اليه برجلي (٣)

فجاء بهذه الادله كلها مصوغة في اسلوب النفي والاستثناء لتأكيد علمه وقدرته ولقلب ما قد يطرأ على قلوب المشركين من نفي القدرة .

وأيضا في بيان كمال قدرته وسعة علمه ، وتأكيدهما تهديد لهم ، وتوعد شديد بأن الله محصٍ جميع أعمالهم ، ومحاسبهم عليها ، غير غافل عنها وزيادة في التهديد قال تعالى (مافرطنا في الكتاب من شئ) ثم ذكرهم بيوم الحشر (ثم الى ربهم يحشرون). جاء في تفسير الطبري (يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، قل لهؤلاء المعرضين عنك ، المكذبين بآيات الله . أيها القوم لاتحسبن الله غافلا عما تعملون ، أو أنه غير مجازيكم على ماتكسبون ، وكيف يغفل عن أعمالكم ، أو يترك مجازاتكم عليها وهو غير غافل عن عمل شئ دب على الارض صغير أو كبير ، ولا عمل طائر يطير بجناحيه في الهواء ، بل جعل ذلك كله أجناسا مجنسة ، وأصنافا مصنفه

---

(١) الكشاف ، م ٢ ، ص ١٧
(٢) البحر المحيط ، ج ٤ ، ص ١١٩
(٣) انظر الطبرى ، م ٥ ، ج ٧ ، ص ١٢٠ / الخازن ، م ٢ ، ص ١٤ .

تعرف كما تعرفون ، وتتصرف فيما سخرت له كما تتصرفون ، ومحفوظ عليها ما عملت من عمل لها وعليها ، ومثبت كل ذلك من أعمالها فى أم الكتاب ، أحرى أن لايضيع أعمالكم ، ولا يفرط فى حفظ أعمالكم ، التى تجترحونها أيها الناس ، حتى يحشركم ، فيجازيكم على جميعها ، ان خيراً فخير ، وان شراً فشر)(١). كما يحمل النفى والاستثناء معنى التوبيخ والتقريع والزجر . فمن كان هذا علمه وهذه قدرته ، فهو أحق بالشكر ، وأحق بالايمان من غير جدال :

(قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ)(٢).

المقصور : الهلاك .

المقصور عليه : القوم الظالمون .

قصر صفة على موصوف . قصراً حقيقياً فيه مبالغة اذا نُزِّلَ عذاب غيرهم منزلة العدم .

أو هو قصر حقيقى تحقيقى ، اذا كان الهلاك بمعنى الاستئصال .

سر القصر :

جاءت الآية الكريمة فى معرض انكار المشركين للرسالة المحمدية ، واستهزائهم بالرسول صلى الله عليه وسلم . حيث قالوا (لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ) فقولهم هذا ليس بُغية التصديق ، وانما هو للجدال والاستهزاء . ونتيجة لذلك توعدهم الله سبحانه وتعالى بالعذاب العظيم . وجاء هذا التهديد والوعيد عن طريق القصر بالنفى والاستثناء ، لتأكيد نزوله بهم ، وتحقق وقوعه لا محاله .

---

(١) الطبرى ، م٥ ، ج ٧ ، ص ١١٩

(٢) آية ٤٧

فجئ بأداة الاستفهام (هل) ، للدلالة على النفى . ولتقرير اختصاصهم بالهلاك . (أى قل لهم تقريراً لهم باختصاص الهلاك بهم ، أخبرونى ، ان أتاكم عذابه تعالى حسبما تستحقونه ، هل يهلك بذلك العذاب الا أنتم . أى هل يهلك غيركم ممن لايستحقه ، وانما وضع موضعه (إلّا القَومُ الظالِمونَ) . تسجيلاً عليهم بالظلم ، وايذاناً بأن مناط اهلاكهم ظلمهم الذى هو وضعهم الكفر موضع الايمان . وقيل المراد بالظالمين الجنس ، وهم داخلون فى الحكم دخولا أولياً . قال الزجاج هل يهلك الا أنتم ومن أشبهكم . ويأباه تخصيص الاتيان بهم . وقيل الاستفهام بمعنى النفى ، فمتعلق الاستخبار حينئذ محذوف . كأنه قيل أخبرونى إن أتاكم عذابه تعالى بغتةً أو جهرةً ماذا يكون الحال " ثم قيل بيانا لذلك مايهلك الا القوم الظالمون . أى مايهلك بذلك العذاب الخاص بكم الا أنتم . فمن قيد الهلاك بهلاك التعذيب والسخط ، لتحقيق الحصر باخراج غير الظالمين ، لما أنه ليس بطريق التعذيب والسخط ، بل بطريق الاثابة ورفع الدرجة ، فقد أهمل مايجديه ، واشتغل بما لايعنيه ، وأخل بجزالة النظم الكريم)(١)

ـ (وَمَا نُرسِلُ المُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِم وَلَاهُمْ يَحْزَنُونَ)(٢).

المقصور : الارسال .

المقصور عليه : مبشرين ومنذرين (حال التبشير والانذار) .

قصر موصوف على صفة قصر افراد .

سر القصر :

لم يقتنع المشركون بماجاءهم من البينات والآيات ، فقالوا (لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيهِ آيةٌ مِنْ رَبِّهِ) فطالبوا الرسول بالمعجزات وخوارق العادات ، ظناً منهم انه

(١) تفسير ابى السعود ، م ٢ ، ج ٣ ، ص ١٣٥
(٢) آية ٤٨

أنه اذا كان رسولاً حقاً فلابد أن يكون قادراً على المجئ بتلك المعجزات .

لذا جئ بأسلوب القصر عن طريق النفى والاستثناء ، لتقرير حقيقة الرسل ووظيفتهم ، بقلب ظن الكافرين واعتقادهم ، فى أن لهم القدرة على الاتيان بالمعجزات . فقصر إرسال الرُسُلْ على حال التبشير والانذار ، لا يتعدونه الى القدرة على الاتيان بالمعجزات دون مشيئة الله سبحانه وتعالى .

والمعنى أنهم - (... بعثوا مبشرين ومنذرين ولا قدرة لهم على اظهار الآيات وانزال المعجزات . بل ذلك مُفَوَّض الى مشيئة الله تعالى وكلمته وحكمته)(١)

وزيادة فى تأكيد حقيقة وظيفة الرسل ، جِئ بالفعل (نُرسِل) بصيغة المضارع لبيان أن ذلك أمر مستمر ، جرت عليه السنة الالهية .(٢)

وفى قصر ارسال الرسل على التبشير ، مايحمل معنى الحث والترغيب فى الاقبال على الخير ، وفى قصرها على الانذار ، مايحمل معنى التهديد والوعيد .

(قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِى خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أعلم الغيب ولا أقول لكم انى أملك ان أتبع الا مايوحى الى قل هو يستوى الأعمى والبصير أفلا تتفكرون)(٣).

المقصور : المُتَّبَع .

المقصور عليه : مايوحى .

وهو قصر صفة على موصوف اما قصراً حقيقياً تحقيقياً أو قصراً اضافياً ، قصر افراد ، أو قصر قلب . على ماسيحقق فى سر القصر .

سر القصر :

ذكر الدكتور محمد ابوموسى ، أن القصر هنا قصر حقيقى تحقيقى ، وأوضح سر القصر بقوله : (أكد قصر اتباعه على الوحى ، و - أنه لايتعدى ذلك الى

(١) الفخر الرازى . ج ٤ ، ص ٤٧
(٢) تفسير ابى السعود ، م٢ ، ج ٣ ، ص ١٣٥
(٣) آية ٥٠

غيره - قصراً حقيقياً تحقيقياً ، لأنه أراد أنه لايتبع فى أمر الدين شيئاً ، أى شئ الا مايوحى اليه. وأن الواقع كذلك وجاء بالنفى والاستثناء ليؤكد هذه الحقيقة عند المخاطبين الذين هم فيها فى أمر مريج)(١)

ويظهر لى أن القصر فى الآية قصر اضافى ، اما قصر قلب لأن المخاطبين كانوا ينكرون أنه يوحى اليه من ربه ، وقالوا (أساطير الاولين).(٢) أى أن محمداً صلى الله عليه وسلم لايتبع وحياً انما يتبع خرافات الاولين وقصصهم فهو بذلك متبع لهواه. ولذا جاء النفى والاستثناء فى الآية ، ليقلب ذلك الاعتقاد ، ويؤكد لهم تأكيداً قوياً أنه لايدعى علم الغيب ، ولا يشرع الأمور بهواه ، وانما المشرع الحقيقى هو الله الذى يوحى اليه ، فقصر اتباعه على الوحى ونفاه عن اتباع هواه .

وإما قصر افراد. لأن المشركين ادعوا أنه ان كان رسولاً حقاً ، فلابد ان يملك خزائن الأرض ، أو أن يكون عنده علم الغيب ، أوأن يكون ملكاً.

فاستعمل أسلوب القصر هنا ، فنفى الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الاشياء وأثبت لنفسه اتباع الوحى .

▬(قُلْ إِنِّى عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِنْدِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيرُ الْفَاصِلِينَ)(٣)

المقصور : الحكم .

المقصور عليه : كونه للذات العليا .

قصر موصوف على صفة قصر افراد .

---

(١) دلالات التراكيب ، محمد ابوموسى ، ص ١٠
(٢) سورة النحل آية ٣٤
(٣) آية ٥٧

سر القصر :

مازالت الآيات تواجه انكار المشركين لأمر نبوة الرسول ، وأنه بشر يوحي اليه. فمنع نزول الآيات التي طالبوه بها سيدعوهم الى تكذيبه ، والاستمرار في الانكار عليه ، ظناً منهم أن في مقدوره ان كان نبياً حقاً ، أن يزيل سبب المنع، وأن بإمكانه الاتيان بالمعجزات وأنّ الحكم بيده. فأوضح لهم الرسول صلى الله عليه وسلم أن هذا الأمر ليس من شأنه ، ولا من وظيفته . إن هُوَ الا بشر يوحى اليه ، وأنه عابد لله وحده ، وأن هذا الأمر من اختصاص المولى. فلتأكيد هذه الحقيقة، التي تتعلق بأمر الالوهية جاء النفي والاستثناء ، فأفرد المولى عز وجل بالحكم المطلق .

ونفاه عن الرسول صلى الله عليه وسلم .

ذكر الالوسي (واحتج أهل السنة بقوله سبحانه (ان الحكم) الخ. لافادته الحصر ، على أنه لايقدر العبد على شئ من الأشياء ، الا اذا قضى الله تعالى به . فيمتنع منه فعل الكفر ، الا اذا قضى الله تعالى به وحكم وكذلك في جميع الأفعال).(١)

---

(١) روح المعاني ، ج ٧ ، ص ١٧٠

(وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ).(١)

مازالت الآيات القرآنية ترد على تكذيب الكفار للرسول ، بحجة امتناع ما طلبوه من الآيات ، أو ما استعجلوه من العذاب الموعود فى القرآن .

قال تعالى :

(قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ). (٢)

فقوله تعالى : (ما عندى ما تستعجلون به) (استئناف مبين لخطئهم ، فى شأن ماجعلوه منشأ لتكذيبهم بها ، وهو عدم مجيء ماوعد فيها من العذاب ، الذى كانوا يستعجلونه بقولهم (متى هذا الوعد ان كنتم صادقين) بطريق الاستهزاء أو بطريق الالزام على زعمهم. أى ليس ما تستعجلونه من العذاب الموعود فى القرآن ، وتجعلون تأخره ذريعة الى تكذيبه فى حكمى وقدرتى حتى أجيء به ، وأظهر لكم صدقة ، أو ليس أمره بمفوض الى) (٣)....

فجيء بالنفى والاستثناء فى هذه الآية لتأكيد وتقرير أن أمور الغيب ، هى من اختصاص المولى عز وجل . ولأهمية هذا الأمر ، ومحاولة الكثير ادعاء الغيب ، مُلِئَتْ الآية بأساليب القصر لتؤكد هذه الحقيقة تأكيدا محضا بأنها من أمر الله ، وأن من ادعى

---

(١) آية : (٥٩) (٢) آية : ٥٨
(٣) تفسير ابى السعود ، م٢ ، ج ٣ ، ص ١٤٢

شيئا من ذلك ، فهو كاذب لامحالة فالقصر الاول عن طريق التقديم:
(وعنده مفاتح الغيب)

فالمقصور : مفاتح الغيب ،
المقصور عليه : كونه عنده .

قصر موصوف على صفة قصر افراد .

فأفاد هذا القصر ان مفاتح الغيب عند الله لا عند الرسول صلى الله عليه وسلم
فأثبت علم الغيب للذات العليا ، ونفاها عن الرسول صلى الله عليه وسلم .

وأما الطريق الثانى : فقوله تعالى :
(لايعلمها الا هو) .

قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا .

حيث نفى العلم عن جميع من عداه ، وأثبتها لذاته الكريمة ، وفى هذا بيان مؤكد لسعة علمه وشموله وقدرته . (والكلام اما مسوق لبيان اختصاص المقدورات الغيبيه به سبحانه من حيث العلم ، اثر بيان اختصاص كلها به تعالى من حيث القدرة . بل هو مما يختص به جل شأنه قدرة وعلما ، فينزله حسبما تقتضيه مشيئة المبنية على الحكم ، وأما لاثبات العلم العام له سبحانه . وهو علمه بكل شئ ، بعد اثبات العلم الخاص ، وهو علمه بالظالمين)(١) وكذلك قوله : (ما تسقط من ورقة الا يعلمها) جئ به زيادة فى تأكيد علمه واختصاصه بالغيب . فبعد أن بين المولى عز وجل تعلق

---

(١) روح المعانى ، جـ ٧ ، ص ١٧١

علمه بذوات الاشياء ، بين هنا تعلق علمه بأحوال المشاهدات المتغيرة . وتخصيص حال السقوط بالذكر ، ليس الا بطريق الاكتفاء بذكرها عن ذكر سائر الاحوال كما أن ذكر أحوال الورقة ، وما عطف عليها خاصة ، دون أحوال سائر ما في البر والبحر من الموجودات التي لايحيط بها نطاق الحصر ، باعتبار أنها أنموذج لأحوال سائرها ، وقيل لأن العلم بالسقوط لكونه من الأحوال الساقطة التي يغفل عنها ، يستلزم العلم بغيره من الاحوال المعتنى بها ، فكأنه قيل : وما تتغير ورقة من حال الى حال الا يعلمها .(١)

وزيادة في التأكيد ، جيء بالقصر الرابع في قوله تعالى :
(ولاحبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين) .

فقصر العلم بالحبة في ظلمات الأرض ، والعلم بأحوال الرطب واليابس على كونه في كتاب مبين ، قصر موصوف على صفة ، قصرا حقيقيا تحقيقيا أي وماعلمنا بحبة الا ثابت في كتاب مبين .

— (وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ)(٢)

اختلف المفسرون في نوع الاستثناء هنا ، هل هو استثناء منقطع أو متصل ..

فرأى الامام القرطبي : أن الاستثناء هنا منقطع . قال :
(أي الا أن يشاء أن يلحقني شيء من المكروه بذنب عملته ، فتتم مشيئته وهذا استثناء ليس من الأول). (٣)

---

(١) روح المعاني ، جـ ٧ ، ص : ١٧١
(٢) آية ٨٠
(٣) القرطبي ، م ٤ ، جـ ٧ ، ص ٢٩

وكذلك ذهب صاحبا تفسير الجلالين الى أن الاستثناء هنا منقطع ، فقدرا (لكن)(١) أى لكن أن يشاء ربى.

كما رجح صاحب الدر اللقيط من البحر المحيط الإنقطاع ، فقال: و(إلّا أن يشاء ربى) استثناء منقطع . ولما كانت قوة الكلام أنه لايخاف ضرا ، استثنى مشيئة الله تعالى" (٢).

أما الامام الزمخشرى ، فرأى أنه استثناء متصل مفرغ ، وجعله من عموم الأوقات ، أى (الاوقت مشيئة ربى شيئا يُخَاف ، فحذف الوقت : يعنى لا أخاف معبوداتكم فى وقت قط ، لأنها لاتقدر على منفعة ولامضرة ، إلّا اذا شاء ربى أن يصيبنى بمخوف من جهتها ، ان أصبت ذنبا ، استوجب به انزال المكروه)(٣)

والى مثل هذا نهب الامام أبو السعود(٤) والامام الألوسى(٥) ، ورأى أبو البقاء(٦) جواز الاتصال والانقطاع ، وعلى الاتصال يكون مستثنى من عموم الأحوال . قال : (وعلى الاتصال يكون مستثنى من جنس الأول تقديره : الا فى حال مشيئة ربى : أى لا أخافها فى كل حال ، إلّا فى هذه الحال ، ويجوز أن يكون من غير الأول : أى لكن أخاف أن يشاء ربى خوفى ما أشركتم)(٧)

وكذلك ذكر أبو حيان أنه يجوز ، أن يكون الاستثناء منقطعا ويجوز كونه متصلا.(٨)

ويبدو لى أنه استثناء متصل ، ويجوز أن يكون مفرغا من أعم الأوقات ويجوز أن يكون مفرغا من أعم الأحوال . أى لا أخاف ما تشركون به فى حال من الأحوال الاحال مشيئة ربى .

---

(١) تفسير الجلالين ، ص : ١٨١

(٢) البحر المحيط ، حاشية الدر اللقيط ، تاج الدين أبى محمد أحمد القيسى ج ٤ ، ص : ١٧٠ (٣) الكشاف ، م ٢ ، ص ٣٢

(٤) تفسير أبى السعود ، م ٢ ج ٣ ، ص ١٥٤ (٥) روح المعانى ، ج ٧ ، ص ٢٠٥ (٦) هو عبدالله بن الحسين العكبرى (٥٣٨ هـ - ٦١٦ هـ) قرأ القراءات على أبى عساكر البطايحى ، وتأدب على ابن الخشاب وتفقه على أبى يعلى الصغير ، وكان دينا ثقة ، وكان اماما فى علوم القرآن اماما فى الفقه وفى اللغة . شذرات الذهب ج ٥ ، ص ٦٨

(٧) املاء ما من به الرحمن ط ١ ، ج ١ ، ص ٢٥٠

(٨) البحر المحيط ، ج ٤ ، ص ١٧٠

والقصر من الآية قصر موصوف على صفة قصر قلب

المقصور : الخوف من الضرر.

المقصور عليه : وقت أو حال مشيئة ربى .

سر القصر :

حاج ابراهيم قومه فى عبادة الأوثان واثبات وحدانية الله تعالى فأحتجوا بأنهم ماعبدوها الا تقليدا لآبائهم ، ولما وجدوا أن حجتهم واهية خوفوه بمضرة آلهتهم له ، وما ستصيبه به من مكروه ، وكانوا معتقدين أن فى مقدورها ذلك .

ذكر فى البحر المحيط (حكى أن الكفار قالوا لابراهيم عليه السلام : أما خفت أن تصيبك آلهتنا ببرص أو داء لأذيتك لها وتنغيصك .. فقال لهم : لست أخاف الذى تشركون به ، لأنه لاقدرة ولا غنى عنده .)(١)

وأمام هذا الاعتقاد الفاسد ، رد عليهم ابراهيم عليه السلام ردا قويا ، مؤكدا ، ليقلب اعتقادهم هذا ، ويبين لهم قوة تمسكه بما يدعو اليه . فنفى خوفه من آلهتهم وقصرها على مشيئة الله . ثم أتبع هذا التأكيد بتعليل الاستثناء ، فقال تعالى: (وسع ربى كل شيء علما) ، كأنه تعليل للاستثناء ، أى أحاط بكل شيء علما ، فلا يبعد أن يكون فى علمه سبحانه انزال المكروه بى من جهتها بسبب من الأسباب .. وفى الاظهار فى موضع الاضمار تأكيد للمعنى المذكور ، واستلذاذ بذكره).(٢)

— (أُوْلَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ).(٣)

المقصور : هو (القرآن)

المقصور عليه : الذكرى

قصر موصوف على صفة قصر قلب .

---

(١) البحر المحيط ، ج ٤ ، ص : ١٦٩

(٢) روح المعانى ، ج ٧ ، ص ٢٠٥

(٣) آية : ٩٠

سر القصر :

كان كفار قريش يصفون القرآن ، بأنه أساطير الأولين ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يبتغى من وراء دعوته به جاها أو مالا فجاء النفى والاستثناء ليقلب هذا الاعتقاد ، ويُقَرِر ويُؤكد حقيقة القرآن ويُعَظِّم من شأنه . فقصرة على التذكرة والموعظة ، أى ماهو الا تذكير وموعظة لارشاد العالمين كافة ، لا لكم خاصة . وفى حصره على الذكرى تنبيه للغافلين ، ولفت لأنظار العابثين الى حقيقة القرآن ، فيستيقظوا ويَتَهَيَّئوا للعمل .

— (ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ)(١).

المقصور : الألوهية .

المقصور عليه : الذات العليا

قصر صفة على موصوف قصر افراد . لأن النفى هنا واقع بالنسبة الى معين ، وهم الجن .

سر القصر :

ذكر السياق القرانى أن هنا أقواما جعلوا لله الشركاء من الجن (٢) قال تعالى : (وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ)(٣)

---

(١) آية : ١٠٢

(٢) قيل المقصود بالجن هنا الملائكة ، حيث عبدوهم ، وقالوا الملائكة بنات الله ، وسموا جناً لاجتنانهم ، تحقيرا لشأنهم بالنسبة الى مقام الألوهية .
وقيل المقصود بهم الشياطين ، حيث أطاعوهم كما أطاعوا الله تعالى وعبدوا الأوثان بتسويلهم وتحريضهم ، أبوالسعود، م ٢ مج ٣ ص : ١٦٧

(٣) آية : ١٠٠ من نفس السورة .

فاتخاذ الشركاء معناه نفي الوحدانية لله . لذا بدأ القرآن باطها رشناعة مقالتهم هذه ، فقال تعالى :

(بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ).(١) ثم أتبعها بقوله تعالى :

(ذَلِكُمُ اللَّهُ) إشارة إلى المنعوت بما ذكر من جلائل النعوت ، وما فيه من معنى البعد ، للايذان بعلو شأن المشار اليه ، وبعد منزلته في العظمة.(٢)

ثم جاء الخطاب للمشركين عن طريق الالتفات ، ليُوقِظ حواسهم إلى سماع القول الآتي وإلى أهميته . وبعد أن هيأهم للاصغاء ، جاء بأسلوب النفي والاستثناء ، ليثبت لهم (أن اله العالم واحد أحد ، فرد صمد ، منزه عن الشريك والضد والند والنظير ، ومنزه عن الأولاد والبنين والبنات.(٣) فقصر الألوهية على الذات العليا ، ونفاها عن الملائكة أو الشياطين .

وقد قدم سبحانه وتعالى قوله : (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) على قوله : (خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ) ، بينما في سورة المؤمن قدم قوله تعالى (خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ) على النفي والاستثناء ، فما السر في ذلك ..

جاء في حاشية الشهاب توضيح هذا السر وبلاغته ، فذكر أن السر في ذلك :

(لأن هذه الآية جاءت بعد قوله : جعلوا لله شركاء .. الخ . فلما قال " ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ " . أتى بعده بما يدفع الشركة ، فقال : " لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ " . ثم قال : خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ . وهناك جاء بعد قوله :(لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ

(١) آية : (١٠١) من نفس السورة
(٢) تفسير أبي السعود مج ٣ ، ص ١٦٩
(٣) الفخر الرازي ، ج ٤ ، ص ١١٣

وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)(١). فكان الكلام على تثبيت خلق الناس وتقريره لا على نفي الشريك عنه . كما كان في الآية الأولى ، فكان تقديم خالق كل شيء هناك أولى)(٢).

- (اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّاهُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ المُشْرِكِينَ)(٣)

المقصور : الألوهية

المقصور عليه : الذات العليا

قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا .

سر القصر :

أنكر مشركو قريش ، أن يكون القرآن مُنزّلا من عند الله ، واتهموا الرسول صلى الله عليه وسلم بالافتراء أو بِمُدَارَسَةِ العلماء ، وأنه استفاد من علومهم ، ثم نظمها قرآنا ، ثم ادعى أنه نُزِّل عليه من عند الله سبحانه وتعالى . قال تعالى (وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَومٍ يَعْلَمُونَ)(٤) . فجاء الرد على هذا الانكار ، وهذا الزعم ، بأن أمر الله رسوله الكريم ، بأن لا يهتم بمقالتهم هذه ، وأن لا يلتفت إليها .

قال تعالى : (اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيكَ مِنْ رَبِّكَ) ، (أي دُم على ما أنت عليه من اتباع ما أوحي اليك من الشرائع والأحكام التي عُمدَتها التوحيد)(٥)

ولئلا يصير ذلك ، القول سببا لفتور همته صلى الله عليه وسلم في تبليغ ما أمر به ، تعرض لعنوان الربوبية ، وأضيف ضميره الى اسم الرب للتعظيم من شأنه ، ورفع همته ، وفيه اظهار العطف ما لا يخفى كما قُصِدَ به تقويه قلبه ، وإزالة الحزن الذى حصل بسبب سماع تلك الشبهة .

(١) سورة المؤمن ، آية : ٥٧
(٢) حاشيه الشهاب ، ج ٤ ، ص ١٠٨
(٣) آية : ١٠٦
(٤) آية : ١٠٥
(٥) تفسير أبي السعود ، م ٢ ، ج ٣ ، ص ١٧١

وفيه أيضا تأكيد عبوديته لله عز وجل ، وزيادة فى تأكيد هذه العبودية اتبع ذكر توحيد الربوبية بذكر توحيد الألوهية ، وجاء به عن طريق النفى والاستثناء، فى جملة اعتراضية بين المعطوف والمعطوف عليه تأكيدا وتنبيها الى ايجاب اتباع أوامر المولى عز وجل ، ولاسيما أمر التوحيد .(١)

جاء فى تفسير الفخر الرازى : (ونبه بقوله لا اله الا هو ، على أنه تعالى لما كان واحدا فى الإلهية ، فانه يجب طاعته ، ولا يجوز الاعراض عن تكاليفه بسبب جهل الجاهلين وزيغ الزائغين)(٢)

وذكر الامام البيضاوى أنه : (اعتراض أكد به ايجاب الاتباع، أو حال مؤكدة من ربك ، بمعنى منفردا فى الألوهية).(٣)

والقصر فى هذه الآية قصر حقيقى تحقيقى ،لأن الخطاب هنا للرسول صلى الله عليه وسلم ، وليس هنا من يدعى الشركة لله ، فالرسول يعلم أن الله متفرد بالألوهية ، وانما جاء القصر هنا زيادة فى التأكيد.

أما فى الآية السابقة (آية : ١٠٢) ، فالقصر فيها قصر افراد لأن السياق وضح ، أن هناك ادعاء اشتراك غير الله معه فى الألوهية فجئ بالقصر هناك لنفى هذه الشركة ، وافراد الله بالألوهية.

— (وَلَو أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيهِمُ المَلائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ المَوتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلاً مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ.)(٤)

الاستثناء فى الآية قيل متصل مفرغ ، وقيل منقطع . وذكر هذين الوجهين الامام أبو البقاء ، فقال: (إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ) فى موضع نصب على الاستثناء المنقطع ، وقيل هو متصل والمعنى: ما كانوا ليؤمنوا فى كل حال إلا فى حال المشيئة)(٥)

(١) روح المعانى مج ٧ ، ص ٢٥٠
(٢) تفسير الفخر الرازى ، م ٧ ج ١٣ ، ط ١ ، ص ١٤٤
(٣) البيضاوى ، ج ٢ ، ص ٢٠٣
(٤) آية : ١١١
(٥) املاء ما من به الرحمن مج ١ ، ص ٢٥٨

وكذلك ذكر الشهاب فى حاشيته جواز كونه مفرغا من أعم الأزمان ، أو من أعم الأحوال ، ورجح كونه مفرغا من أعم الأحوال ، هذا اذا لوحظ أن جميع أحوالهم شاملة لحال تعلق المشيئة بهم ، كما جوز كونه منقطعا اذا لوحظ أن حال المشيئة ليس من أحوالهم ، أى لكن ان شاء الله آمنوا.(١)

أما الامام القرطبى فذكر أنه استثناء منقطع ،فقال :
(أَنْ فى موضع استثناء ، ليس من الأول ، أى لكن ان شاء ذلك لهم)(٢)

وكذلك حمله صاحبا تفسير الجلالين على الانقطاع ، حيث فسرا (إِلَّا) بلكن(٣). واستبعد الامام أبو حيان أن يكون الاستثناء منقطعا ، فقال: (إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ) استثناء متصل من محذوف هو علة. وسبب التقدير ما كانوا ليؤمنوا لشئ من الأشياء الا لمشيئة الله . وقدره بعضهم فى كل حال الافى حال مشيئة الله . ومنهم من ذهب الى أنه استثناء منقطع - كالكرمانى وأبى البقاء والحوفى ، فقوله فيه بُعْدٌ اذ هو ظاهر الاتصال)(٤)

وكذلك رجح الامام البيضاوى كونه متصلا مفرغا من أعم الأحوال ،فقال (استثناء متصل من أعم الأحوال . أى لايؤمنوا فى حال من الأحوال الا حال مشيئة الله تعالى ايمانهم ،وقيل منقطع)(٥)

وجعله الامام أبو السعود استثناء متصلا مفرغا إمّا من أعم الأحوال ، أومن أعم العلل ، فقال : (استثناء مفرغ من أعم الأحوال... أى ما كانوا ليؤمنوا بعد اجتماع ما ذُكِرَ من الأمور الموجبة للايمان ، فى حال من الأحوال الداعية اليه ،المتممة لوجباته المذكورة ، الافى حال مشيئته تعالى لايمانهم ، أومن أعم العلل ، أى ما كانوا ليؤمنوا لعلة من العلل المعدودة وغيرها ، الا لمشيئته تعالى له).(٦)

(١) حاشية الشهاب ، ج ٤ ، ص ١١٤
(٢) الجامع لأحكام القرآن ، م ٤ ، ج ٧ ، ص ٦٦
(٣) تفسير الجلالين ، ص ١٨٧
(٤) البحر المحيط ، ج ٤ ، ص ٢٠٦
(٥) البيضاوى ،ج ٢ ، ص ٢٠٤
(٦) تفسير أبى السعود ، م ٢ ، ج ٣ ، ص ١٧٤

والمقصور فى الآية : كونهم يؤمنوا .

المقصور عليه : وقت أو حال المشيئة ، قصر موصوف على صفة قصر قلب

سر القصر :

أقسم المشركون جهد أيمانهم ، بأنه لو أُنزِلت اليهم الآيات التى طلبوها - من إِنزَال الملائكة ، فى قولهم: (لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيهِ مَلَكٌ)(١) واحياء موتاهم ليتحدثوا اليهم ، أنهم سيؤمنون على الفور ، محاولين بقسمهم هذا إِيهام المؤمنين ، أن فى إِنزَال هذه الأسباب ايمانهم .

لذا أخذ القرآن يؤكد للعالمين استحالة صدور الايمان منهم ،فذكر أنه لو أجابهم الى مطالبهم ، فأنزل عليهم الملائكة ، وجعل الموتى تكلمهم ، وزاد على ماطلبوه ، بأن حشر عليهم كل شئ قُبُلا ، فلن يؤمنوا لشدة انكارهم ، وهو يعلم ذلك بعلمه الأزلى ، وليزيد الأمر تأكيدا ، جاء بالنفى والاستثناء ، فنفى عنهم الايمان فى جميع الأحوال ، وأثبته لحال مشيئة الله ، أو أنه نفاه عن جميع الأسباب ، وأثبته لسبب المشيئة . (فليس المراد بالاستثناء بيان أن ايمانهم على حظر الوقوع ، بناء على كون مشيئته تعالى أيضا كذلك ، بل بيان استحالة وقوعه بناء على استحالة وقوعها . كأنه قيل ماكانوا ليؤمنوا الا أن يشاء الله ، وهيهات ذلك وحالهم حالهم ، بدليل ماسبق من قوله تعالى : ونقلب أفئدتهم)(٢)

وفى مجئ النفى والاستثناء تكذيب و (توبيخ لهم ، حيث أقسموا بالله جهد ايمانهم أنه اذا جاءتهم الآيات يؤمنون ، مع أنه سبق فى علم الله شقاؤهم . ومن هنا لاينبغى ترك المشيئة والاعتماد على الأسباب فقد يوجد السبب ، ولا يوجد المسبب)(٣).

وزيادة فى توبيخهم وتهديدهم كان (الالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة والروعة)(٤)

---

(١) آية ٨ ، من نفس السورة
(٢) تفسير أبى السعود ، م ٢ ، ج ٣ ، ص ١٧٥
(٣) حاشية الصاوى على الجلالين ، م ٢ ، ص ٣٩
(٤) روح المعانى ، ج ٨ ، ص ٤

(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ) (١).

المقصور : المكر

المقصور عليه : أنفسهم

قصر صفة على موصوف قصر قلب .

سر القصر:

كذب مشركو مكة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهدفوا من وراء ذلك تشكيك الناس فى دينهم ، فرموه فى الآيات السابقة بالكذب ، والتخبط فى اصدار الأحكام - فى أمر تحليل وتحريم أكل لحم الميتة - فبين الله سبحانه وتعالى حقيقتهم للمسلمين ، لتنفيرهم من طاعتهم ." بالاشارة الى انهم مستضيئون بأنوار الوحى الالهى ، والمشركون خابطون فى ظلمات الكفر والطغيان . فكيف يعقل طاعتهم لهم) (٢)

فقال تعالى : (أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِى النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِى الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ، كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (٣)

وتستمر الآيات فى تحذير المسلمين من ألاعيب المشركين بتأكيد حقيقتهم ، وأنهم ما أرادوا بمقالتهم تلك الا الخديعة والمكر والاغواء . واستبعدوا ، بل لم يخطر ببالهم أن يحيق بهم المكر لأنهم يظنون أنهم يمكرون بغيرهم . حالهم فى ذلك حال أكابر المجرمين فى كل قرية - فجاء النفى والاستثناء ، وفاجأهم بما لم يتوقعوه ، فنفى مكرهم عن المسلمين ، وقصره على أنفسهم على سبيل التهديد والوعيد لهم .

(١) آية ١٢٣
(٢) تفسير أبى السعود ، م ٢ ، ج ٣ ، ص ١٨٠
(٣) آية ١٢٢ ، من نفس السورة

وفيه وعد للرسول صلى الله عليه وسلم . أى وما تحيق غائلة مكرهم الابهم[١] فلن يصيب وباله الاسلام والمسلمين ، بل سترتد سهام ما نصبوه على نحورهم.

وزيادة في تحقيرهم نفى الشعور عنهم ، وبذلك أنزلهم عن مرتبة البهائم ،" ويعنى نفى شعورهم على الاطلاق ، وهو مبالغة فى نفى العلم اذ نفى عنهم الشعور الذى يكون للبهائم "[٢]

(وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ).[٣]

المقصور : الطعم .

المقصور عليه : من نشاء

قصر صفة على موصوف قصر افراد

سر القصر :

هذه الآية تتعلق بأصل من أصول العقيدة ، وهى قضية الحاكمية. أى قضية الحكم المطلق لله وحده لاشريك له . فهذا الأصل يتعلق بقاعدة هذا الدين ، وبوجوده الحقيقى . فبعد أن أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم المشركين ، بما يحرم عليهم من الطعام والشراب ، فقال تعالى:(انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به) ، بين لهم ما أحل لهم ، بقوله تعالى : (فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم به مؤمنين ومالكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه وان كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم ان ربك هو أعلم بالمعتدين).[٤]

---

(١) تفسير أبى السعود ، م ٢ ، ج ٣ ، ص ١٨٢
(٢) البحر المحيط ، حاشية الدر اللقيط : لأبى حيان ، ج ٤ ، ص ٢١٥
(٣) آية : ١٣٨
(٤) آية ١١٨ - ١١٩ من نفس السورة.

ولكن مشركوا قريش لجحدهم وعنادهم وكفرهم ، أنكروا ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأخذوا يناقضون أحكام الله ، ويفترون عليه بأحكام فاسدة وضعوها بأنفسهم ، ونسبوها الى الله . كل ذلك ابتغاء تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه لايوحى اليه ، وأخذوا يؤكدون زعمهم وافتراءاتهم بأشد أساليب التوكيد ، (وَقَالُوا هَٰذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَن نَّشَاءُ).

فجاءوا بالنفى والاستثناء تأكيدا لفريتهم ، حيث أفردوا من أنعامهم وثمارهم شيئا ، وقالوا هذا حرام ممنوع لا يأكلها الا من نشاء ، وهم الرجال دون النساء ، أو سدنة الأصنام . أى أنهم نفوا الاطعام عن فئة ، وقصروه على فئة أخرى معينة . وظنوا أن فى توكيدهم لهذا الحكم المخالف لما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، ازالة لنبوته ، ولكن الله سبحانه وتعالى توعدهم على هذه الفرية . بقوله : (سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ).

— (سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ).(١)

فى الآية الكريمة قصران . وكلاهما عن طريق النفى والاستثناء.

القصر الأول فى قوله تعالى : (إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ) .

المقصور : المتبوع .

المقصور عليه : الظن

وهو قصر صفة على موصوف قصر قلب .

والثانى : فى قوله تعالى : (وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ).

المقصور : أنتم

---

(١) آية : ١٤٨

المقصور عليه : تخرصون

قصر موصوف على صفة قصر قلب .

سر القصر :

ادعى مشركو مكة أن شركهم وشرك آبائهم وتحريمهم ماحرموه - مما لم يحرمه الله - أنه من شرع الله وأمره ومشيئته . فيدعون بذلك علمهم بالغيب ، وعلمهم بالمشيئة ، وأمر المشيئة أمر غيبى لايعلمونه ، وكانوا يظنون أنهم على حق ، فيما أحلوا وحرموا ، وفيما ادعوا من علم المشيئة لذا جئ بأسلوب الاستفهام للانكار عليهم وتوبيخهم ، ثم جئ بأسلوب النفى والاستثناء لتحقيرهم ، فقال تعالى :

(إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ) ، لقلب هذا الاعتقاد الفاسد ، فنفى عنهم اتباع الحق ، وأثبت لهم اتباع الظن والأوهام ، ثم صرح بجملة أخرى للقصر ، وجئ بضمير المخاطب ، ولم يصرح باسمهم تحقيرا لهم وزيادة فى توكيد كذبهم لم يستعمل لفظ الكذب ، بل بولغ فى ذلك ، وقصروا على الخرص ، وهو أقبح أنواع الكذب .

- (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)[1].

المقصور : القتل

المقصور عليه : الحق

قصر موصوف على صفة قصرا حقيقيا فيه مبالغة .

وهو استثناء مفرغ من أعم الأحوال . (أى لا تقتلوها فى حال من الأحوال ، الا فى حال ملابستكم بالحق)[2]

(١) آية ١٥١

(٢) حاشية الصاوى ، م ٢ ، ص ٥٩

وأضاف الألوسى (... أومن أعم الأسباب . أى لا تقتلوها بسبب من الأسباب إلا بسبب الحق .. أومن أعم المصادر . أى لا تقتلوها قتلا الا قتلا كائنا بالحق)(١)

سر القصــــر :

ما زالت الآيات تعالج قضية الحكم ، وأن التحريم والتحليل هو وحى من عندالله ، ولا يجوز لأحد أن يشاركه فى هذا الأمر ، كما فعل مشركو مكة وشرعوا شرائع من عندهم ، ونسبوها لله ، وحين طلبت منهم الحجة عجزوا عن الاتيان بها ، وبلغت بهم الوقاحة الى اسناد شركهم واسناد تحريمهم ما أحل الله أو تحليلهم ماحرم الله الى مشيئة الله ، وبعد أن أوضح المولى عز وجل كذبهم ، وأكده بأبلغ الأساليب ، جاءت هذه الآيات ، لتقرر الأمور التى حرمها الله حقيقة . فأوجب فى هذه الآية تحريم خمسة أمـــور : أولها عدم الاشراك بالله ، ثم قرن عقوق الوالدين بالشرك بالله لِعِظَم هذا الأمر ، ثم نهى عن قتل الأولاد خشية الفقر ، ثم الاقتراب من الفواحش بوجه عام ، وأخيرا خص بالذكر من الفواحش قتل النفس ، وقد سبق أن حرمها من قبل . بدليل قوله تعالى : (التى حَرَّمَ اللَّهُ). فَوَصْفُها بالتى (حوالة على سبق العهد فى تحريمها).(٢) وتأكيدا لتحريمها جاء بأسلوب النفى والاستثنـــاء .

(تعظيما لهذه الفاحشة ، واستهوالا لوقوعها ، ولأنه لا يتأتى الاستثناء بقوله : الا بالحق الا من القتل لا مـــن عموم الفواحش)(٣)

ـــ (وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)(٤)

المقصور : القــرب

المقصور عليه : بالحسنى

---

(١) روح المعانى ، ج ٨ ، ص ٥٥
(٢) البحر المحيط ، ج ٤ ، ص ٢٥٢
(٣) البحر المحيط ، ج ٤ ، ص ٢٥٢
(٤) آيه ١٥٢.

قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا فيه مبالغة

سر القصر :

لايزال السياق القرآني يواصل بيان أهم الأحكام التى حرمها الله والتى شرعها هو ، ولم يشاركه فيها أحد ، ففى الآية السابقة عُرِضَت للبشر تكاليف ظاهرة جلية ، لا تحتاج الى إعمال فكر ، أواجتهاد . وفى هذه الآية عُرِضَت بعض التكاليف ، وهى من الأمور الخفية ، التى تحتاج الى تفكر وتأمل .(١)

وقد سبق النهى عن أكل مال اليتيم ، وفى هذه الآية ، جاء النهى عن قربانه ، وجاء اصدار هذا الأمر عن طريق النفى والاستثناء ، ليؤكد عِظَم هذا الأمر ، ويؤكد حرمته ، (أى لاتتعرضوا له بوجه من الوجوه).(٢)

وبالغ فى النهى عنه ، لأن المال مال طفل عاجز ، فالطمع فيه أكبر. (وخص اليتيم بالذكر ، لأن الطمع فيه أكبر ، لضعفه وقلة مراعاته).(٣)

ولعظم هذا الأمر قصره على الخصلة التى هى أحسن فى حق اليتيم ولم يأت الا بالتى هى حسنة ، بل جاء بأفعل التفضيل ، مراعاة لمال اليتيم ، وأنه لاينبغى فيه الحالة الحسنة ، بل الخصلة الحسنى).(٤)
ثم جاء باستثناء آخر ، فى قوله تعالى:(لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا).

قصر موصوف على صفة قصر افراد .

المقصور : التكليف .

المقصور عليه : الوسع .

سر القصر :

لما ذكر الله سبحانه وتعالى من جملة الأمور والأحكام التى شرعها

(١) الفخر الرازى ، ج ٤ ، ص ١٧١.
(٢) تفسير أبى السعود ، م ٢ ، ج ٣ ، ص ١٩٩ .
(٣) البحر المحيط ، ج ٤ ، ص ٢٥٢.
(٤) المرجع السابق . ص ٢٥٢.

لعباده أمر العدل ، فقال تعالى : (وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ) أى بالعدل والتسوية ، ولعظم هذا الأمر ، قد يدعى البعض أن فى تكليفهم بالعدل أمرا عسيرا لايقدرون عليه ، لذا جاء القرآن مؤكدا لهم عدل الله وأن ماجاء به من الأمور كلها فى وسع الناس ، ولا حجة للظالمين الذين حادوا عن طريق العدل ، فقصر التكليف على الوسع والطاقة .

جاء فى تفسير أبى السعود (لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) . الا مايسعها ولا يعسر عليها ، وهو اعتراض جئ به عقيب الأمر بالعدل ، للايذان بأن مراعاة العدل كما هو عسير ، كأنه قيل عليكم بما فى وسعكم ، وما وراءه معفو عنكم).(١)

— (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ)(٢)

المقصور : الجزاء .

المقصور عليه : مثلها .

قصر صفة على موصوف قصر قلب .

سر القصر:

بعد أن قرر الله سبحانه وتعالى أمر التشريع ، وأن مرده لله وحده وعرض على العباد الأمور التى كلفهم بها . جاءت هذه الآية لتبشر المحسنين بمضاعفة الحسنات جزاء ايمانهم ، فمن جاء بالحسنة ، فله ضعفها الى عشر أمثالها . ولما ذُكِرَت المضاعفة فى الحسنات ، قد يُتَوَهَم المضاعفة أيضا فى السيئات ، فجئ بالنفى والاستثناء لقلب ذلك الاعتقاد ، ولتأكيد أن السيئة جزاؤها جزاء المثل فقط . فقصر جزاء السيئة على مثلها لاتتعداه الى المضاعفة ، وفى ذلك بالغ الوعد والتبشير .

---

(١) تفسير أبى السعود . م ٢ ، ج ٣ ، ص ١٩٩
(٢) آية : ١٦٠

- (قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) (١).

المقصور : الكسب .

المقصور عليه : عليها .

قصر موصوف على صفة قصر قلب ، أو قصر افراد .

سر القصر :

بدأت السورة الكريمة بتقرير أمر العقيدة ، وتأكيد توحيدا لألوهية والربوبية ، كما عالجت أمرا آخرا يرتبط ارتباطا وثيقا بالعقيدة ، بل هو أساس من أسسها المتينة ، ألا وهو أمر الحكم والتشريع ، وما دار فيه من جدال الكفار ، وادعائهم . وفى نهاية السورة عادت تُجْمِل ما فصلته ، وَتُذَكِّر بربوبية المولى ، وبألوهيته وانفراده بالعبادة . هذه الأمور هي التى أنكرها المشركون وجادلوا فيها . وحاولوا اغراء الناس بابعادهم عن طريق الحق ، بإيهامهم أن باستطاعتهم حمل خطاياهم وأوزارهم ، فكانوا يقولون للمسلمين ، اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم اما بمعنى ليُكْتَب علينا ماعملتم من الخطايا ، لاعليكم ، واما بمعنى لنحمل يوم القيامة ماكُتِبَ عليكم من الخطايا . (٢)

لذا - بدأت الآية بقوله (قل) بصيغة الأمر ثم بالاستفهام ، للانكار والتوبيخ ، ثم قال تعالى : (أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا) لتقرير أنه رب كل شئ ، والمهيمن والمسيطر على الكون . ثم جِئ بالنفى والاستثناء ليُخْتَمَ المطاف بتهديد كل من أنكر ماجاء فيها من اثبات ألوهيته ، وذلك بتأكيد أن لكل نفس كسبها لاكسب غيرها .

---

(١) آية ١٦٤ .
(٢) تفسير أبى السعود ، م ٢ ، ج ٣ ، ص ٢٧ .

أ ى لاتكون جناية نفس منا لنفوس الاعليها ، ومحال أن يكون صدورها عن شخص ووزرها على شخص آخر .

* *

سورة الأعراف

(وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَاتُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ).[١]

المقصور : التكليف .

المقصور عليه : الوسع .

قصر موصوف على صفة قصر قلب أو افراد

سر القصر:

صورت الآيات السابقة مشهد الكافرين فى النار ، وما يلاقونه من سوء العذاب ، ونكد العيش ، وأنهم مالاقوا ذلك المصير إلا لظنهم أن الطريق الموصل إلى الجنة طريق صعب لا يطيقونه ، وأن ماكلفهم الله به من الأوامر على أيدى رسله ، صعب على النفس البشرية ، لاتباعهم شهواتهم وأهوائهم ، وظنهم أن الوسع هو بذل الجهد ، وليقلب القرآن هذا المعتقد ، ويبين مدى بطلانه وفساده ، جاء فى الآية الثانية بصورة مقابلة هى صورة المؤمنين ، وما وعدهم الله به فى النعيم المقيم فبدأت بقوله تعالى : (وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ). أى أن ماكلفهم به كان فى وسعهم وطاقتهم .

ثم جئ بالنفى والاستثناء فى جملة اعتراضية بين المبتدأ والخبر

(١) آية : ٤٢

وفى مجئ جملة النفى والاستثناء جملة اعتراضية ، مايلفت النظر، وينبه القلب والعقل الى عِظَم الحقيقة التى يراد تقريرها . ذُكِرَ فى البحر المحيط : (لما ذكر قوله : وعملوا الصالحات، نبه على أن ذلك العمل فى وسعهم ، وغيرخارج عن قدرتهم ، وفيه تنبيه للكفار على أن الجنة مع عظم محالها ، يوصل اليها بالعمل السهل من غير مشقة).(١)

ولقد أخطأ هؤلاء الكفار ، ومن ظن ظنهم فى أن المراد بالوسع فى الاية هو بذل الجهد، اذ أن المقصود بالوسع فى الآية ، مايقدرالانسان عليه فى حال السعة والسهولة ، لا فى حال الضيق والشدة ، وأما أقصى الطاقة فيسمى جهدا لا وسعا ، وغلط من ظن أن الوسع بذل المجهود .(٢)

وفى تقرير هذه الحقيقة الهامة ، بهذا الأسلوب القوى المؤكد،وبهذا النظم القرآنى البديع ، مايَغْرِسُ فى النفس الرغبة فى الاكتساب ، لأنه (اذا علم أن معنى التكليف على الوسع ، زادت الرغبة فى ذلك لاكتساب لحصوله بما فيه يسر لاعسر). (٣)

ثم بعد بيان هذه الحقيقة وتقريرها ، جِئ باسم الاشارة (أولئك) ليزيد من مكانة المؤمنين ف (اسم الاشارة ومافيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم فى الفضل والشرف).(٤)

وفى بيان فضل المؤمنين وشرفهم ، بعد قصر التكليف على الوسع مايزيد الحسرة والألم فى قلوب الكافرين ، فأذاقهم الله الألم الجسدى والنفسى ، لشدة انكارهم وغفلتهم واعراضهم.

(١) البحرالمحيط ، ج ٤ ، ص ٢٩٨.
(٢) الفخر الرازى ، م ٢ ، ج ١٤ ، ص ٨٤.
(٣) حاشية الشهاب ، ج ٤ ، ص ١٦٩.
(٤) روح المعانى ، ج ٨ ، ص ١١٩ _ ١٢٠.

— (وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ).(١)

المقصور : الخروج .

المقصور عليه : النكد .

قصر موصوف على صفة قصرا حقيقيا ادعائيا .

سر القصر:

بعد الحديث عن النشأة الانسانية ، وكيفية الخلق في قصة آدم عليه السلام ، وبيان الغرض من هذا الخلق ، وهو توحيد الله ، واتباع أوامره واجتناب ما نهى عنه ، ثم بيان ترصد ابليس لبني آدم ، وابعادهم عن هذه الحقيقة ، وصدهم عن تقبلها ، وكيف أنه أغرى بهم عن تقبل رسالات الرسل . كل هذا كان تفضلا من الله على بني آدم ، ولتحذيرهم من مكائد ابليس .- نعوذ بالله منه - .

سيقت الآيات لتبرهن لهم حقيقة الخالق ، ووجوده ، وكمال قدرته وحكمته ورحمته . كما جيء بالأدلة على صحة القول بالحشر والنشر والبعث والقيامة . ليحصل بمعرفة هذه الأدلة كل ما يحتاج اليه المرء من معرفة المبدأ والمعاد.(٢) فبعد هذه الحجج والبراهين ، لاتوجد حجة لأي كائن على كفره .

لذا ضرب لنا القرآن مثلا (انتزعه من المشهد المعروض ، مراعاة للتناسق في المرائي والمشاهد ، وفي الطبائع والحقائق).(٣) لبيان حقيقة المؤمن ، الذي انتفع بمشاهد القرآن . فآمن ، وحقيقة الكافر الذي غفل وعصى بعد وضوح الحجة . وفي هذا شدة الانكار والاجحاف

وهنا ، يظهر لنا سر القصر ، فنرى أن بيان

(١) آية : ٥٨ .
(٢) الفخر ، م ٤ ، ص ٢٤٠ — ٢٤١ .
(٣) في ظلال القرآن ، ج ٣ ، ص ١٣٠٠ .

حقيقة المؤمن ، جاءت بأسلوب رقيق ، هين لين تكريما له ٠ أما حقيقة الكافر المنكر لهذه البراهين والحجج ، فقد قررها بأسلوب النفي والاستثناء ، للتحقير من شأنهم ، والاشمئزاز من صورتهم ، حيث شبههم بالأرض السبخة قليلة النفع ٠

وضَرْبُ المَثَل بطريق النفى والاستثناء ، زيادة تجسيم وتجسيد لصورتهم للمبالغة فى ازدرائهم ٠ وحقيقة هذا المثل أن : (البلد الطيب يخرج نباته باذن ربه ، والذى خَبُثَ - هى السبخة - لايخرج نباتها الا نكدا ، والنكد الشئ القليل الذى لاينفع ، فكذلك القلوب لما نزل القرآن ٠ فالقلب المؤمن لما دخله القرآن ، آمن به وثبت الايمان فيه ٠ والقلب الكافر لما دخله القرآن ، لم يتعلق منه بشئ ينفعه ، ولم يثبت فيه من الايمان شئ الا مالاينفع ، كما لم يخرج هذا البلد الا مالا ينفع من النبات ٠)(١)

— (وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ).(٢)

المقصور : جواب قومه ٠

المقصور عليه : القول ٠ (مفعول القول أو معموله)

قصر موصوف على صفة قصر قلب ٠

وهو استثناء مفرغ من أعم الأشياء ،أى ماكان جوابهم شئ من الأشياء الاقولهم أى لبعضهم الآخرين المباشرين للأمور ، أو ماكان جواب قومه الذين خاطبهم بماخاطبهم شئ من الأشياء الا قول بعضهم لبعض معرضين عن مخاطبته عليه السلام .(٣)

(١) الطبرى ، ج ٨ ، ص ١٥٠٠
(٢) آية : ٨٢ .
(٣) انظر تفسير أبى السعود ،م ٢ ،ج ٣ ، ص ٢٤٥ .
روح المعانى ، ج ٨ ، ص ١٧٠ - ١٧١ .

سر القصـــر :

لما بالغ قوم لوط فى ارتكاب الفواحش ، خاطبهم سيدنا لوط مخاطبة الناصح الواعظ : (أَتَأْتُونَ الفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ).(١) فاستعمل أسلوب الاستفهام للانكار التوبيخى والتقريعى ، ثم وصفهم بأنهم قوم مسرفون تجاوزوا الحدود ، وكان يُنْتَظَر منهم بعد هذا التوبيخ والتعنيف ، أن يُقِروا بخطئهم ، ويتركوا ماهم عليه من الفواحش ، ولكن جاء جوابهم مُؤكِدا عنادهم وفحشهم ، فجئ به عن طريق النفى والاستثناء ، فقُصِر جوابهم على قولهم « أخرجوهم من قريتكم انهم اناس يتطهرون »(يعنى ما أجابوه بما يكون جوابا عما كلمهم به لوط عليه السلام من انكار الفاحشة وتعظيم أمرها ، ووسمهم بسمة الاسراف الذى هو أصل الشر كله ولكنهم جاءوا بشئ آخر ، لايتعلق بكلامه ونصيحته ، من الأمر باخراجه ومن معه من المؤمنين من قريتهم ضجرا بهم ، وبما يسمعونه من وعظهم ونصحهم)(٢) مع أنهم وصفوهم بقولهم (أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ) . وهذا الوصف مقتضٍ لاحترامهم ولكن لتبجحهم وغفلتهم ، جعلوا ماهو سبب للتثبيت سببا للاخراج.

وذكر الامام الألوسى : أن القصد من القصر هنا (نفى الجواب على أبلغ وجه ، لأن ما ذكر فى حيز الاستثناء ، لا تَعَلُّق له بكلامه عليه السلام ، من انكار الفاحشة وتعظيم أمرها ، ووسمهم بما هو أصل الشر كله ، ولو قيل : وقالوا أخرجوهم ، لم يكن بهذه المثابة من الافادة)(٣)

— (وَمَا أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ)(٤)

المقصـور : الارسال

(١) آية : ٨٠ من نفس السورة
(٢) الكشاف ، م ٢ ، ص ٩٢
(٣) روح المعانى ، ج ٨ ، ص ١٧١
(٤) آية : ٩٤ .

المقصور عليه : حال الأخـــذ

قصر موصوف على صفة قصر قلـــب .

والاستثناء في الآية مفرغ من أعم الأحوال . وأخذنا في موضع نصب علـــى الحال ، وتقديره : وما أرسلنا الا آخذين .(١)

سر القصـــر:

لما ذكر الله سبحانه وتعالى قصص الأمم السابقة ، من قوم نوح وعاد وثمود وشعيب ولوط ، تسلية لرسوله صلى الله عليه وسلم ، وتصبيرا لـه على تحمل أذى قومه ، وعرفنا أحوال هؤلاء الأنبياء ، وأحوال ما جرى على أممهم . كان من الجائز أن يُظن ، أنه تعالى ما أنزل عذاب الاستئصال الا في زمن هؤلاء الأنبياء ، فقلبا لهذا الاعتقاد ، جيء بالنفي والاستثناء ، وقَصِرَ الإرسال على حال الأخذ ، مُؤكِدا أن هذا الجنس من الهلاك ، قد فعله بغيرهـم وبَيَّنَ العلة التي بها يفعل ذلك . قال تعالى :

(وَمَا أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالبَأْسَـــاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُـــونَ) (٢)

وذكر هذا الاهلاك عن طريق النفي والاستثناء للترهيب والتحذيـــــر ذكر الامام الألوسي أن القصد من الاستثناء في الآية :

(اشارة اجمالية الى بيان أحوال سائر الأمم المذكورة تفصيـــلا وفيه تخويف لقريش وتحذير).(٣)

— (وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَونُ إِنِّى رَسُولٌ مِّنْ رَّبِّ الْعَالَمِينَ حَقِيقٌ عَلَى أَن لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ . فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِى إِسْرَائِيلَ) (٤)

المقصـــور : القول .

المقصور عليه : الحق .

(١) حاشية الشهاب ، م ٤ ، ص ٢٤٣.
(٢) الفخر الرازي ، م ٧ ، ج ١٤ ، ص ١٩١ .
(٣) روح المعاني ، ج ٩ ، ص ٨ _ ٩ .
(٤) آية : ١٠٤ _ ١٠٥ .

قصر موصوف على صفة قصر قلب

سر القصر :

المقام هنا مقام تكذيب شديد من فرعون ، ومن تبعه ، فقد جاءهم موسى عليه السلام بالبينة الواضحة ، ولكن لاستكبارهم عن الحق ، كذبوا موسى وماجاء به . قال تعالى : (ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ) . (١٠٣)

فهذه الآية تدل على شدة تكذيبهم ، وعبر عن هذا التكذيب بقوله : (فظلموا) . دلالة على اغراقهم فى الباطل ، وأن تكذيبهم كان عن ظلم وليس عن حق ، ولما كان فرعون قد ادّعى الربوبية ، فاتحه موسى بقوله : إِنّى رسول من رب العالمين . لينبهه على الوصف الذى دعاه وأنه فيه مبطل لا محق ، (١) ثم جئ بالنفى والاستثناء ، لابطال هذا الادعاء ، وتقرير رسالة موسى عليه السلام .

فجاء الجواب بهذه الصيغة ، لأن (الأدخل فى نكت القرآن ، أن يُغْرِق موسى فى وصف نفسه بالصدق فى ذلك المقام . لاسيما وقد روى أن عدو الله فرعون ، قال : لما قال : انى رسول من رب العالمين : كذبت . فيقول أنا حقيق على قول الحق . أى واجب على قول الحق ، أن أكون أنا قائله والقائم به ولا يرضى الابمثلى). (٢)

ولقوة هذا الجواب لمجيئه بهذا الأسلوب المفحم ، نلحظ أن فرعون لم يستطع المنازعة فى هذه السورة ، فى شئ مما ذكره موسى على السلام ولم يعاود مجادلته ، لأنه أُفحِم بهذا الأسلوب ، فنراه لايجد جوابا الا السكوت ، وطلب المعجزة . ودل ذلك على موافقته لموسى ، وأن الرسالة ممكنة لإمكان المعجزة ، اذ لم يدفع امكانها بل قال :(إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) (٣) . ويأتى الكلام على هذا الطلب من فرعون للمعجزة . (٤)

---

(١) البحر المحيط مج ٤ ، ص ٣٥٥ (٢) الكشاف ، م ٢ ، ص ١٠١

(٣) الأعراف ، آية : ١٠٦ — (٤) البحر المحيط مج ٤ ، ص ٣٥٥

— (وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ)(١)

المقصور: المنقوم .

المقصور عليه: الايمان .

والاستثناء فى الآية : يجوز أن يكون استثناء مفرغا من أعم المفاعيل إذا أُوِّل بمعنى : وما تطعن علينا ، أو تكره منا . ويجوز أن يكون استثناء مفرغا من أعم العلل ، انا قدرنا أنه فعل متعد يتعدى بعلى ، فيكون من قصر الموصوف على الصفة .

والقصر فى الآية قصر اضافى قصر قلب .

وذكر الامام أبو حيان الأقوال فى كونه مفرغا . فقال : (قال الضّحاك : وما تطعن علينا . وقال غيره : وتكره منَّا ، وقال الزمخشرى وما تعيب منَّا . وقال ابن عطيه : وما تعد علينا ذنبا ، وتؤاخذنا به . وعلى هذه التأويلات يكون قوله : الا أن آمَنَّا فى موضع المفعول ، ويكون من الاستثناء المفرغ من المفعول . وجاء هذا التركيب فى القرآن كقوله : قل يا أهل الكتاب هل تنقمون مِنَّا وما نقموا مِنهم الا أن يؤمنوا . وهذا الفعل فى لسان العرب يتعدى بعلى . تقول نقمت على الرجل ، أنقم اذا غلب عليه . والذى يظهر من تعديته بمن ، أن المعنى وما تنقم منا ، أى ما تنال منا . كقوله فينتقم الله منه ، أى يناله بمكروه . ويكون فعل وافتعل فيه ، بمعنى واحد كقدر واقتدر . وعلى هذا يكون قوله : الا أن آمنا مفعولا من أجله ، واستثناء مفرغا ، أى ما تنال منا ، وتعذبنا بشىء من الأشياء الا لأن آمنا).(٢)

---

(١) آية : (١٣٦) . (٢) البحر المحيط ، ج ٤ ، ص ٣٦٦ .

سر القصر :

لما رآى فرعون أن أعلم الناس بالسحر قد آمن ، وأقر بنبوة موسى عليه السلام ، أمام اجتماع الخلق خاف أن يصير ذلك حجة قوية عند قومه على صحة نبوة موسى عليه السلام .

لذا - خاطب من آمن بأسلوب انكارى ، حيث بدأ كلامه بالاستفهام الانكارى ، على وجه التقريع الشديد ، والانكار ، والتغليظ عليهم والتهديد والوعيد لهم . واعتقد أنهم بعد هذا التهديد ، سيُقِرُون ويعترفون بعدم ايمانهم .

ولكن القوم الذين آمنوا بربهم إيمانا كاملاء اختاروا لهذا الموقف الملئ بالوعيد والتهديد جوابا لا (... يجوز أن يقع من المؤمن عند هذا الوعيد أحسن منه).(١)

حيث استعملوا أسلوب المقارعة ، ألا وهو النفى والاستثناء ،ليواجهوا هذا التهديد بقوة تدل على تأكيد ايمانهم ، وعزمهم فى المضى مع موسى عليه السلام .

وفيه انكار واستصغار لفرعون ، حيث بينوا بهذا الأسلوب (أن الذى كان منهم لايوجب الوعيد ، ولا انزال النقمة بهم ، بل يقتضى خلاف ذلك وهو أن يتأسى بهم فى الاقرار بالحق ، والاحتراز عن الباطل عند ظهور الحجة والدليل).(٢)

وفى تأكيد ايمانهم على هذا الوجه (تكذيب لفرعون فى ادعائه الربوبية ، وانسلاخ منهم عن اعتقادهم ذلك فيه ، والايمان بالله هو أصل المفاخر والمناقب . وهذا الاستثناء شبيه بقوله : (ولاعيب فيهم

(١) الفخر الرازى ، م ٧ ، ج ١٤ ، ص ٢١٧ .
(٢) الفخر الرازى ، م ٧ ، ج ١٤ ، ص ٢١٨ .

غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب)[١] أى أنه من باب تأكيد المدح بما يشبه الذم . فأسلوب القصر أفاد تقرير ايمانهم وتوكيده واصرارهم على الاستمرار فيه ، على الرغم من التهديد والوعيد الشديد الذى توعدهم به فرعون .

— (وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ)[٢]

المقصور : هى .

المقصور عليه : فتنتك .

قصر موصوف على صفة قصر افراد .

سر القصر:

ليس فى الآية الكريمة مخاطب منكر ، أو مُنزَّل هذه المنزلة ، وليس هناك مخاطب جاهل ، أو مُنزَّل هذه المنزلة ، لأن المخاطب هنا هو رب العزة والجلال .

وإنما يُفهم من السياق ، أن القصر هنا قصر افراد ، أى ما هى الا فتنتك أنت لا فتنتى .

فالنفى والاستثناء هنا جاء بعد ثورة عارمة من الغضب ، الذى أصاب موسى عليه السلام ، بعد أن علم رجوع قومه عن ملتهم ، وعبادتهم العجل

(١) البحر المحيط ، ج ٤ ، ص ٣٦٦
(٢) آية : ١٥٥

فغَضِبَ وثار ، وَصَوَّر لنا القرآن ذلك الغضب لشدته ، كأنه حَيٌّ يتحرك فقال تعالى : (وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الغَضَبُ).(١٥٤)

وهنا أَحَسَّ موسى عليه السلام احساسا عميقا بحاجته إلى ربه ، وأنه لا ملجأ منه إلَّا اليه. وأن كل ماحصل بمشيئته وتقديره ، فأراد الاعتذار عمَّا وقع من قومه ، فَمَهَّدَ لهذا الاعتذار باستفهام يدل على الاستعطاف ، فقال : أتهلكنا .. . أى لا تهلكنا . وذكر ذلك الفخر الرازى نقلا عن المبرد ، فقال : (قال المبرد : هو استفهام استعطاف . أى لا تهلكنا)(١)

ثم جاء موسى عليه السلام بالنفى والاستثناء ، وكأنه أحس أنه لم يعتذر حق الاعتذار ، ولم يعبر عن فكرته حق التعبير ، فجاء بالقصر عن هذا الطريق ، لِيُعَبِّرَ عن مُنْتَهى خضوعه ، وتسليمه المطلق لتلك المشيئة وَيُجَسِّم فكرة الاعتذار ، ويبرزها فى قالب التضرع الصادق . فقال: (إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ).

ولأن الموقف موقف تضرع واعتذار ، أعقبه بأسلوب آخر للقصر، فقال: (أَنْتَ وَلِيُّنَا). أى أنه لا ولى لنا ، ولا ناصر ولا هاد إلَّا أنت . وهذا اقرار بالعبودية المطلقة لله وحده لاشريك له .

— (فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيهِم مِيثَاقُ الكِتَابِ أَنْ لايَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَافِيهِ وَالدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) (٢)

المقصور : القول .

المقصور عليه : الحق .

(١) الفخر الرازى ، م ٨ ، ج ١٥ ، ص ٢١ .

(٢) آية : ١٦٩

قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا .

سر القصر :

أُخِذَ على بني اسرائيل ميثاق غليظ ، بأن لايقولوا على الله قولا باطلا ، ولكن جاء الخلف بعد ذلك السلف من قوم موسى ، وورِثُوا الكتاب ودرسوا ما فيه ، ووعوه ، وعرفوا ما فيه المعرفة التامة ، وبلغهم الوعيد الشديد والتهديد المرعب لكل من يفترى على الله ، ويقول قولا باطلا ولكنهم على الرغم من هذه المعرفة لم يتكيفوا بهذا الميثاق ، ولم تتأثر به قلوبهم ولا سلوكهم . ذكر أبو حيان : (قال ابن زيد : كان يأتيهم المحق برشوة ، فيخرجون له كتاب الله ، ويحكمون له به . فاذا جاء المبطل ، أخذوا منه الرشوة ، وأخرجوا كتابهم الذى كتبوه بأيديهم ، وحكموا له). (١)

فإنكارهم اذا للميثاق انكار مع الاصرار ، لأنهم درسوه ووعوه ، ولم يعملوا بما فيه ، فالعصيان مع المعرفة غاية فى الانكار . وعلى الرغم من هذا الانكار الشديد ، نراهم يتبجحون باثبات المغفرة لأنفسهم . فقالوا : (سيغفر لنا) ، فجاء البت من السين للتأكيد ، فكان لابد من الرد القاطع عليهم ، ولذا بدأ الرد بالاستفهام الانكارى ، وأعقبه النفى والاستثناء ، لتقرير حقيقة القول الموجود فى الميثاق ، وجاء هذا التقرير بهذا الأسلوب ، لتوبيخهم على البت بالمغفرة ، أى القطع بها مع عدم توبتهم .(٢)

ففى هذا الأسلوب أعظم توبيخ وتقريع لهم ، وتشنيع واستخفاف باعتقادهم الأكيد فى المغفرة . وذكر الألوسى أن (.. المراد فى الآية توبيخ أولئك الورثة ، على بتهم القول بالمغفرة ، مع اصرارهم على

---

(١) البحر المحيط ، ج ٤ ، ص ٤١٦ - ٤١٧
(٢) حاشية الشهاب ، ج ٤ ، ص ٢٣٢

ماهم عليه ، وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه : أنهم وبخوا على ايجابهم على الله تعالى غفران ذنوبهم ، التى لايزالون يعودون اليها ولايتوبون عنها . وجاء البت من السين فانها للتأكيد).(١)

— (أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ)(٢)

المقصور : هو أى الرسول صلى الله عليه وسلم .

المقصور عليه : الانذار .

وهو قصر موصوف على صفة قصر قلب .

سر القصر :

لما قام الرسول صلى الله عليه وسلم ليلا على الصفا ، يدعو فخذا فخذا من قريش ، اتهموه بالجنون ، والعبث وعدم الثبات .(٣) وفى اتهامهم هذا انكار شديد لنبوته . وأمام هذا الانكار ، جاء النفى والاستثناء ، ليدافع عن خير البرايا ، فنفى عنه صلى الله عليه وسلم ما حاولوا اثباته له ، وقلب اعتقادهم الباطل ، وأثبت له صفة الانذار .

ولشدة شناعة ما قالوه ، بدأ الرد عليهم بالاستفهام الانكارى لعلهم يرتدعون ويتفكرون ، ثم أعقبه بالنفى والاستثناء ليقرر حقيقة الرسول الكريم بأسلوب اليقين . أى (ماهو عليه الصلاة والسلام الا مبالغ

(١) روح المعانى ، ج ٩ ، ص ٩٧ . (٢) آية : ١٨٤ .

(٣) (قال الحسن وقتادة : ان النبى صلى الله عليه وسلم قام ليلا على الصفا ، يدعو فخذا فخذا من قريش ، فقال: يا بنى فلان ، يا بنى فلان وكان يحذرهم بأس الله وعقابه ، فقال قائلهم : ان صاحبكم هذا لمجنون ، واظب على الصياح طول هذه الليلة . فأنزل الله تعالى هذه الآية)

الفخر ، م ٨ ، ج ١٥ ، ص ٨٠ .

في الانذار ، مظهر له غاية الاظهار).(١)

فالقرآن (حين أثبت له أنه نذير مبين على وجه الاختصاص ، وأنه ليس الا ذلك ، فقد نفى عنه الجنون ، من أبلغ وجه ، وأكده ، وذلك لأنه لايضطلع بهذه المهمة الكبيرة ، التي هي الانذار المبين ، أي المصحوب بالحجج الناصعة والبراهين القوية ، الامن كان مكتمل العقل ، صحيح النفس منضبط الفؤاد).(٢)

وقد حاول بعض المعاصرين الاسقاط من بلاغة القصر ،ولم يروا فيه الا مجرد نفي لكلام سابق . ومن هؤلاء ، الدكتور ابراهيم أنيس ، فقال حين تعرض لهذه الآية وأمثالها : (فقد نفى سبحانه وتعالى ... أن به جنة أو بعبارة أدق أكد هذا النفي ، الذي يستفاد من كلام سابق ...)(٣)
وعلق على قوله هذا :
(لأن القصر لايعدو أن يكون تأكيدا للكلام ، ومبالغة في توضيح الأحكام ، وتثبيتها في الاذهان(٤)) . ونحن حين نتتبع هذا الأسلوب في القرآن الكريم ، نراه دائما لنفي ماسبق ،سواء كان هذا الذي سبق ملفوظا أو ملحوظا . ونراه يُسبَق في غالب الأحيان بمعنى منفي ، ثم يأتي هذا الأسلوب مؤكدا لذلك المعنى المنفي ، فهو أسلوب نفي ، يؤكد نفيا سابقا بطريق غير مباشر ، فيه من التلويح والتلميح ما يهب الكلام قوة فوق قوة ، ويزيده بيانا فوق بيانه).(٥)

ورد عليه الدكتور محمد أبوموسى في كتابه - دلالات التراكيب - ردا ، يبدو لي أنه في غاية الاقناع ، فقال :
(القول اذا بأن جملة النفي والاستثناء مؤكدة للكلام السابق ليس شيئا دميقا على أذهانهم

---

(١) روح المعاني ، ج ٩ ، ص ١٢٨.
(٢) دلالات التراكيب ، محمد أبو موسى ، ص ١٣٥.
(٣) من أسرار اللغة ، ابراهيم أنيس ، ص ١٩٣.
(٤) المرجع السابق ، ص ١٩٠ .
(٥) المرجع السابق ص : ١٩٤ .

وليس مخالفا للذى قالوه ، ثم أنهم زادوا على ما قاله الأستاذ شيئا ،لايجوز اغفاله ، وهو بيان وجه دلالة التركيب على تأكيد ما قبله . ولم يحاول الأستاذ ، أن يبين كيف كان قوله : إنْ هو إلّا نذير ، مؤكدا لنفى الجنون ومس السوء لأنه لو حاول ذلك ،فلن يجد مفرا من القول بأنها اثبات صفة له ، ونفى ما عداها ، وهو القصر الذى يجتهد فى اغفاله والازراء عليه)(١)

- (يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّى لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْئَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ).(٢)

فى الآية الكريمة أربعة أساليب للقصر :

الأول : فى قوله تعالى : (قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّى).

وهو عن طريق (انما)

المقصور : العلم

المقصورعليه : كونه عند الرب عز وجل

قصر موصوف على صفة قصر قلب

والثانى : فى قوله تعالى: (لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ)

عن طريق النفى والاستثناء

المقصور : التجلية

المقصورعليه : (هو) أى الذات العليا

(١) دلالات التراكيب : محمد أبو موسى ، ص ١٣٥

(٢) آية : ١٨٧

قصر صفة على موصوف قصر افراد ، أو هو قصر قلـــب

والثالث : فى قوله تعالى (لَاتأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَــةً).
عن طريق النفى والاستثناء .

المقصور: الاتيان .

المقصور عليه : بغتـــة

قصر موصوف على صفة قصر قلـــب .

والرابع : فى قوله تعالى: (إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَاللَّهِ).
وهوعن طريق (انما)

المقصور: العلـم

المقصور عليه : كونه عنداللـــه

قصر موصوف على صفة قصر افـراد .

سر القصـــر:

لما كان محورالآية يدور حول أمر عظيم الشأن ، يرتبط ارتباطـــا وثيقا بأمر العقيدة ، فهو أحد أركان الايمان الستة ، وهى (أن تؤمـن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره)[١].

ولما كان هذا الأمر هو أمرالساعة ، وقد جادل فيه الكفار ،أيمـــا جدال ، وكان سؤالهم فى هذه الآية ، ليس للفهم والاستفسار والمعرفة ، بل للانكار والتحدى ، وتعجيز الرسول الكريم . ولِعِظَمِ هذه المسألةوحساسيتها امتلأت الآية بأساليب القصر ، فنراها تتدافع لدفع هذا الانكار . فبعــد هذا السؤال يفاجئنا أسلوب القصر عن طريق (انما) ،(قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْـدَ رَبِّى).

(أراد علمها عند ربى وليس عندى .. ولو أنه قال علمها عند ربــى

(١) مجموعة التوحيد . أحمد بن تيمية ـ محمدبن عبدالوهاب ، ص ٤١

من غير أسلوب القصر ، لما صَحّ الجواب ، فَقَصَرَ العلم على ذاته العليا ونفاها عن الرسول الكريم . وهو قصر قلب .

وفى مجئ القصر بإنّما لبيان أن أمر الساعة أمر جلى واضح ،لايجامعه الانكار . (ولما كان السؤال عن الساعة عموما ، ثم خص بالسؤال عن وقتها جاء الجواب عموما عنها ، بقوله انما علمها عند ربى ، ثم خصت من حيث الوقت ، فقيل (لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ) . فالسؤال هنا عن تحديد الوقت وطلب التحديد من الرسول صلى الله عليه وسلم قمة فى الانكار ،ومحاولة التعجيز ، ولذا أجابهم بشدة ونفى معرفة الوقت عن الرسول ، وأثبتها لذاته العليا ،فهو المختص بها ، وهذا دليل من دلائل ربوبيته ، وهو قصر افراد . وفى الآية اشارة إلى بشرية الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، وأن هذا الأمر - أمر الساعة - بيد المالك المتصرف ، وأن الرسول ماهو الا بشر .

وَقَدّمَ الجار والمجرور للتنبيه ، ولفت النظر الى المستثنى ،كأنه قيل لايجليها الاهو فى وقتها . الا أنه قُدّمَ للتنبيه من أول الأمر على أن تجليها ليس بطريق الاخبار بوقتها ، بل بإظهار عينها فى وقتها .(١)

ثم يقرر القرآن بعد ذلك ، ويؤكد حصولها بقوله تعالى :
(لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً).

ففى هذا القصر (تأكيدا لما تقدم وتقرير لكونها بحيث لا تجئ الا بغتة)(٢)

وفى قصرها على هذا الوصف مبالغة فى التهديد والوعيد ، والقاء الرعب فى قلوبهم وتقرير حاسم لمجيئها . ثم قال تعالى: (إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ). فبعد أن برهن الله سبحانه وتعالى على قيام الساعة ، وأنها أمر حقيقى ، وأثبت وقتها اثباتا لامجال للشك فيه ، جاء بانما ، فقال تعالى :

(١) روح المعانى ، ج ٩ ، ص ١٩٢
(٢) المصدر السابق

(إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ). تقرير بعد تقرير لعظم الأمر وأهميته .

ومما يلفت النظر فى هذه الآية ، ويدفع النفس الى التساؤل ، هو مجئ أساليب القصر متتالية بعضها عقب بعض ، ولا أرى جوابا لهذا التساؤل الا القول بقيمتها البلاغية ، وقدرتها على هزيمة الخصم ودحض حجته .

— (قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ، إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (١)

فى الآية الكريمة أسلوبا قصر ، كلاهما عن طريق النفى والاستثناء الأول فى قوله تعالى : (لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ).

فالمقصور : الملكية

المقصور عليه : وقت مشيئة الله

وهو قصر موصوف على صفة قصر قلب .

ولقد اختلف العلماء فى نوع الاستثناء هنا ، هل هو متصل مفرغ ، أو منقطع ، فرأى الامام أبو حيان كونه متصلا ، فقال :

(والاستثناء متصل ، أى الا ما شاء الله من تمكيني منه ، فانى أملكه ، وذلك بمشيئة الله . وقال ابن عطيه :

(وهذا الاستثناء منقطع . انتهى . ولاحاجة لدعوى الانقطاع مع امكان الاتصال).(٢)

(١) آية : ١٨٨

(٢) البحر المحيط ، ج ٤ ، ص ٤٣٦

وكذلك يفهم من كلام الامام البيضاوى ، أن الاستثناء هنا متصل حيث قال : (إِلَّامَاشَاءَ اللَّهُ) من ذلك ، فيلهمنى اياه ويوفقنى له).(١)

وكذلك رآى الامام الشهاب أن : (الاستثناء متصل ، أى الا ما شاء الله من تمكينى منه ، فانى أملكه بمشيئته تعالى . وقيل الظاهر الانقطاع لأن المالكية بمعنى القدرة ،لأن ما يدل على نفى خلق الأعمال ، يدل على نفى وقوعها الا أن يقال: انه بناء على الظاهر وفيه نظر ، وذلك اشارة للضر والنفع . وقوله(٢): " ما أنا الاعبد مرسل ، أى لاقادر على الضر والنفع . فالقصر اضافى "(٣).

أما الامام أبو السعود ، فرآى أن الأبلغ كونه منقطعا فقال : ((إِلَّا مَاشَاءَ اللَّهُ) .أن أملكه من ذلك ،بأن يلهمنيه ، فيمكننى منه ، ويقدرنى عليه . أو لكن ماشاء الله من ذلك كائن . فالاستثناء منقطع وهذا أبلغ فى اظهار العجز).(٤) وكذلك ذكر الكازرونى فى حاشيته على البيضاوى . أن الاستثناء هنا ظاهر الانقطاع ، فقال : (والظاهر أن الاستثناء منقطع ، والمعنى لكن ماشاء الله يقع لى ، نفعا كان أو ضرا)(٥)

أما الامام الألوسى ، فرآى جواز الانقطاع والاتصال . وهو مفرغ من أعم الأوقات ، فقال : (أى الا وقت مشيئته سبحانه ، بأن يمكننى من ذلك ، فاننى حينئذ أملكه بمشيئته ، فالاستثناء متصل ... وقيل - الاستثناء منقطع ، أى لكن ماشاء الله تعالى من ذلك كائن ، وفيه على هذا من اظهار العجز مالايخفى).(٦)

ويبدو لى أنه لامانع من جعله متصلا ، لأنه لاحاجة إلى دعوى الإنقطاع

(١) البيضاوى ، ج ٣ ، ص ٣٨
(٢) أى الامام البيضاوى
(٣) حاشية الشهاب ، ج ٤ ، ص ٢٤٣
(٤) تفسير أبى السعود ، م ٢ ، ج ٣ ، ص ٣٠٢
(٥) البيضاوى ، حاشية الكازرونى ، ج ٣ ، ص ٣٨
(٦) روح المعانى ، ج ٩ ، ص ١٣٦

مع امكان الاتصال - كما ذكر أبوحيان - وهو مفرغ من أعم الأوقات ، أى الا وقت مشيئة الله بأن يمكننى .

أما القصر الثانى ففى قوله تعالى : (وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ).

المقصور: أنا (أى شخص الرسول صلى الله عليه وسلم)
المقصور عليه : الانذار والتبشير
قصر موصوف على صفة قصر قلب

سر القصر :

واجه أهل مكة الرسول صلى الله عليه وسلم بالسؤال عن الساعة ، (يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا) . وأسئلتهم هذه تدور حول الأمور الغيبية ، وهى أمور يجهلها المخاطب، لذا جاء الجواب بصيغة القصر وبالغ الرسول صلى الله عليه وسلم فى نفى العلم عن نفسه باظهار الخضوع والتذلل ، والتسليم لقضاء الله ومشيئته ، ليزيل كل اعتقاد باطل وليثبت العلم لله وحده ،(قُلْ لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ) . فشملت الآية التجرد الكامل من الملكية والمشيئة ، واثباتها لله وحده . حيث قصر الرسول صلى الله عليه وسلم ، ملكية النفع والضر على وقت مشيئة الله .

ولما كان القصد من أسئلة المشركين ، التى يعرضها السياق ، انكار نبوته صلى الله عليه وسلم ، لأن فى اعتقادهم أن عدم علمه بالأمور الغيبية دليل على عدم نبوته . فجاءت الآية بأسلوب قصر آخر ، لتقرير نبوته ، وتأكيدها باثبات بشريته ، وأنه نذير لا يتعدى الانذار الى العلم بالغيبيات التى هى من اختصاص المولى عز وجل ، ولتأكيد اتصافه بصفة الانذار . جىء بلفظ نذير ، وهى على وزن فعيل من صيغ المبالغة ، مبالغة فى الانذار

وفى هذا تهديد وتنبيه لهم على ترك المعاصى ، وترك هذه المجادلات
(وبهذا الاعلان تتم لعقيدة التوحيد الاسلامية ، كل خصائص التجريد المطلق من الشرك فى أية صورة من صوره ، وتتفرد الذات الالهية بخصائص لايشاركها البشر فى شئ منها ، ولو كان هذا البشر محمد رسول الله وحبيبه ومصطفاه عليه صلوات الله وسلامه ، فعند عتبة الغيب تقف الطاقة البشرية ، ويقف العلم البشرى . وعند حدود البشرية يقف شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتتحدد وظيفته ، (إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ).(١)

وقد أورد الدكتور محمد أبو موسى سر القصر فى هذه الآية ، فقال :
(حين نتأمل الكلام السابق للنفى والاستثناء ، نجده كأنه يصحح مفاهيم حول الاعتقاد فى الرسول وأنه أى الرسول يتجاوز الرسالة ، يعنى حمل كلمة الله ، وتبليغها لخلق الله الى أشياء ، فهو يملك النفع والضر ، ويعلم الغيب ، والرسول يتبرأ لهم من هذا . وذاك ، ويقول : لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا ، فأولى ألا أملك ذلك لغيرها ، ولا أعلم الغيب ، ولو كنت أعلمه لاستكثرت من الخير ، ثم يقول : إِنْ أنا إِلَّا نذير وبشير . فيقصر نفسه على الانذار والتبشير ، والواقع أن القوم الذين يحاورهم ، ليسوا من المؤمنين ، وانما جاءوا يسألون عن أشياء ليست فى علمه : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا). الخبر هنا ليس منزلا منزلة المجهول ، وانما هو خبر مجهول عند المخاطبين ، وانما ذكرناه لنبين أن الكلام السابق على النفى والاستثناء ، فى المقامات الحقيقية أيضا قد يكون منبئا بهذا الرفض ، أى

(١) فى ظلال القرآن ، ج ٤ ، ص ١٤١

بأن حال المخاطب رفض وانكار ، فالذين جاءوا يسألون عن الساعة وعلم الغيب ، انما يريدون أن يقولوا له : لست رسولا نذيرا ولا بشيرا ، لأنك لو كنت كذلك ، لعلمت الساعة والغيب .(١)

الأنفال

– (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)(٢)

* سبق تحليل هذا القصر فى سورة آل عمران آية (١٢٦) *

– (وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ)(٣)

* سبق تحليل هذا القصر فى سورة الأنعام آية : (٢٥)

– (وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)(٤)

المقصور : أولياؤه .

المقصور عليه : المتقون .

قصر موصوف على صفة قصر قلب . أو هو قصر حقيقى فيه مبالغة .

سر القصر :-

بالغ كفار مكة فى انكارهم لدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم

(١) دلالات التراكيب : محمد أبو موسى ، ص ١١١ .
(٢) آية : ٩-١٠ .
(٣) آية : ٣١ .
(٤) آية : ٣٤ .

حتى أنهم طلبوا أن تمطر عليهم السماء حجارة إنْ كان محمد صادقا فيما يقول، ولكن مُنِعَ إنْزَال العذاب بهم، فظنوا أنَّ المنع كان لمكانتهم عند الله، لأنهم هم أولياؤه، كما ادعوا من قبل أنهم هم ولاة البيت والحرم، يدخلون من يشاؤون، ويصدون من يشاؤون. وأمام هذا الادعاء الكاذب، وهذا الانكار الشديد لأمر الرسول والقرآن، جاء النفى والاستثناء، لقلب اعتقادهم، فنفى عنهم ما زعموه من الولاية للحرم، وأثبتها وأكدها للمتقين، فَمَنْعُ العذاب ماكان الا لوجود الرسول بينهم، و لاستغفار أولياء الله المتقين. وفى هذا تعريض بهم، وأدعى الى ادخال الحسرة فى قلوبهم، ففى نفى الولاية عنهم، بيان لكمال قبح ما صنعوا من الصد، (فان مباشرتهم للصد عنه، مع عدم استحقاقهم لولاية أمره، فى غاية القبح، . وهو رد لما كانوا يقولون عن ولاة البيت والحرم، فنصد من نشاء، وندخل من نشاء)(١)

ويُفْهَم من كلام الشيخ رشيد رضا، أن القصر هنا قصر حقيقى، حيث قال: (وهذا غاية التأكيد، فإنه بعد أن نفى ولاية المشركين عن بيت الله تعالى، نفى كل ولاية على الاطلاق، واستثنى منها ولاية المتقين من المسلمين، وهم عُدُولُهم وخيارهم، لا من لافضل لهم فى أنفسهم، وانما يدعون حق الولاية بأنسابهم. وقيل ان الضمير فى الموضعين لله تعالى أى ولِمَ لا يعذب الله هؤلاء المشركين بعد انتفاء سببى منع العذاب والحال أنهم ليسوا أولياءه، وأنصار دينه الذين لا يعذبهم .. وكأن سائلا يسأل من أولياؤه تعالى إذاً .. فأُجيبَ بصيغة الحصر بالاثبات بعد النفى ما أولياؤه الا المتقون، أى الذين صارت التقوى العامة صفة راسخة فيهم).(٢)

---

(١) تفسير أبى السعود، ج ٢، ص ٢٠
(٢) تفسير المنار، م ٤، ص ٦٥٨

– (وَمَا كَانَ صَلَاتُهُم عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُم تَكْفُرُونَ).(١)

المقصور : كون الصلاة عند البيت .

المقصور عليه : المكاء والتصدية .

قصر موصوف على صفة قصر قلب .

قد يطرأ للبعض أن يقول : ان المكاء والتصدية ، ليسا من جنس الصلاة ، فكيف صح استثناؤهما منها ..

أجاب على ذلك الامام الصاوى : (بأنهم كانوا يعتقدون أنهما من جنسها ، فجرى الاستثناء على معتقدهم).(٢)

سر القصر :

لما نفى الله عز وجل - فى الآية السابقة - الولاية عن مشركى قريش وكذب ادعاءهم لها ، تلاها بآية أخرى تؤكد هذا المعنى ، فجاء النفى والاستثناء ، ليؤكد لنا سفاهة عقولهم ، وقلة ادراكهم ، حيث ظنوا أن صلاتهم عند البيت الحرام هى العبادة الحقة ، وهى سبب كونهم أولياء الله فقلباً لاعتقادهم ، قصرت صلاتهم على المكاء والتصدية ، تأكيدا لكونها من قبيل اللهو واللعب ، للاستخفاف بهم ، والتحقير من شأنهم . فمن كانت هذه عقليته وتفكيره ، فهو قطعا لايستحق ولاية الله .

ذكر الامام أبو حيان أنه (لما نفى عنهم أن يكونوا ولاة البيت ذكر من فعلهم القبيح ، مايؤكد ذلك ، وأنَ من كانت صلاته ما ذكر ،

(١) آية : ٣٥
(٢) حاشية الصاوى على الجلالين ، م ٢ ، ص ١٢٥

لا يستأهل أن يكونوا أولياء)(١)

وذكر الامام الصاوى : أن سر الاستثناء هنا زيادة فى التشنيع عليهم قال (فالاستثناء زيادة فى التشنيع عليهم).(٢)

التوبــة

(إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ).(٣)

فى الآية الكريمة أسلوبا قصر :

الأول : عن طريق انما . فى قوله تعالى : (إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ).

المقصور : عمارة المساجد .

المقصور عليه : من آمن بالله .

قصر صفة على موصوف قصر قلـــب .

والثانى : عن طريق النفى والاستثناء ، فى قوله تعالى : (وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ).

المقصور : المخشي .

المقصور عليه : الله .

قصر صفة على موصـــوف قصر افـــراد .

---

(١) تفسير أبى السعود ، ج ٢ ، ص ٢٠
(٢) حاشية الصاوى على الجلالين ، م ٢ ، ص ١٢٥
(٣) آيـة : ١٨ .

ولنا أن نتساءل ما السر فى مجئ أسلوبى قصر فى الآية .. ولِمَ فُتِحَت بإِنَّما .. ثم ختمت بالنفى والاستثناء ..

يبدو لى أن السر فى ذلك ، أن السورة بدأت بذكر البراءة ، ثم عرضت بعضا من قبائح المشركين ، فاحتجوا على هذه البراءة ، وادعوا أن لهم صفات ، توجب مخالطتهم . منها عمارتهم للمسجد الحرام ، وقد ذكر ذلك الامام الفخر الرازى فقال : (اعلم أنه تعالى بدأ السورة بذكر البراءة عن الكفار ، وبالغ فى ايجاب ذلك ، وذكر من أنواع فضائحهم وقبائحهم ما يوجب تلك البراءة . ثم أنه تعالى حكى عنهم شبها احتجوا بها ، فى أن هذه البراءة غير جائزة ، وأنه يجب أن تكون المخالطة والمناصرة حاصلة فأولها ما ذكره فى هذه الآية ، وذلك أنهم موصوفون بصفات حميدة ، وخصال مرضية ، وهى توجب مخالطتهم ، ومعاونتهم ومناصرتهم . ومن جملة تلك الصفات كونهم عامرين للمسجد الحرام).(١)

وقد سبق الرد على ادعائهم عمارة المسجد الحرام . فقال تعالى : (مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِم بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِى النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ).(٢) فنفاها عنهم بنفى الشأن ، وهو أبلغ من نفى الفعل ، لأنه نفى له بالدليل .(٣)

وتأكيدا لنفى عمارة المسجد عنهم ، جئ بإِنَّما لبيان أن عدم استحقاقهم لعمارة المسجد ، وعدم استحقاقهم لولاية الله ، أمر واضح جلى لا مجال للجدال فيه .

وفى مجئ انما هنا تعريض بهم ، واستخفاف بادعائهم . أما فى نهاية الآية ، فقد جاء النفى والاستثناء ، لأن الأمر يتعلق بأمر العقيدة ، فكفار

(١) الفخر الرازى ، م ٨ ، ج ١٦ ، ص ٨
(٢) آية : ١٧ ، من نفس السورة
(٣) تفسير المنار ، ج ١٠ ، ص ٢٠٥

مكة أنكروا هذا الأمر ، ولم يقروا به .

فالخشية من الله أمر يتعلق بتوحيد الألوهية ، هذا التوحيد الذى جحده الكفار ، فكانوا يقرون بوجود الرب (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله).(١) ولكنهم يشركون معه غيره ، فى صرف بعض أنواع العبادة لغيره ، ويقولون : (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى).(٢)

فتوحيد الألوهية هو(... الذى وقع فيه النزاع فى قديم الدهروحديثه وهو توحيدالله بأفعال العبادة ، كالدعاء ، والنذر ، والرجاء ، والخوف والتوكل ، والرغبة ، والرهبة ، والانابة).(٣)

ولقد كان الكفار يخشون أصنامهم ، ويرجونها ، ولذا جاء النفى والاستثناء ليقرر أن الايمان ، لا يثبت الا اذا أثبتنا الخشية لله ، وأخلصنا فى تحقيق توحيد الألوهية ، فجئ القصر هنا للتنبيه الى هذه الحقيقة ، بنفى الخشية عن الأصنام ، واثباتها لله عز وجل .

ولقد ذكر الامام النسفى(٤) : أن فى قوله تعالى : (لم يخش الا الله) تنبيه على الاخلاص ، والمراد الخشية فى أبواب الدين ، بأن لايختار على رضا الله رضا غيره ، لتوقع مخوف.(٥) اذ المؤمن قد يخشى المحاذير ، ولا يتمالك أن لا يخشاها . وقيل كانوا يخشون الأصنام ، ويرجونها ، فأريد نفى تلك الخشية عنهم .(٦)

---

(١) لقمان : من الآية : ٢٥

(٢) الزمر: من الآية : ٣

(٣) مجموعة التوحيد: ابن تيمية ـ محمد بن عبدالوهاب ، ص ٨.

(٤) هو عبدالله بن أحمد بن محمود النسفى ، أبوالبركات ، فقيه حنفى مفسر ، من أهل ايذج (من كور أصبهان) نسبة الى (نسف) ببلاد السند ، من كتبه (كنزالدقائق) فى الفقه ، والمنار) فى أصول الفقه ، توفى سنة ٧١٠ هـ / الأعلام ، م ٤ ، ص ٦٧

(٥) النسفى . ج ٢ ، ص ١٢٠

(٦) الكشاف . م ٢ ، ص ١٨٠

فالمؤمنون استحقوا عمارة المسجد الحرام ، وولاية الله ، لأنهم كانوا يخشون الله ، دون كفار قريش ، الذين نفى عنهم عمارة المسجد الحرام ، لأنهم خشوا أصنامهم .

— (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ)(١)

في الآية الكريمة أسلوبا قصر : الأول في قوله تعالى : (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا).

المقصور: الأمر .

المقصور عليه: العبادة .

قصر موصوف على صفة قصر افراد .

والقصر الثاني : في قوله تعالى : (لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ).

المقصور: الألوهية .

المقصور عليه: هو .

قصر صفة على موصوف قصر افراد .

سر القصر:

بدأت السورة بقوله تعالى : (بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ)(٢) ... (وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ).(٣)

ثم عدد الله سبحانه وتعالى بعضا من قبائحهم ، التي أوجبت تلك البراءة منها: اتخاذهم الأحبار والرهبان أربابا من دون الله يطيعونهم في غير شرع الله .

---

(١) آية : ٣١ .
(٢) آية : ١ .
(٣) آية : ٣ .

فهم يقرون بوجود الله ، ولا ينكرونه ، فتوحيد الربوبية هو التوحيد الذي أقر به الكفار . (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ).(١)

ولكن في اتخاذهم الأحبار والرهبان أربابا يطيعونهم ، أمر فيه انكار لما أمرهم الله به على لسان رسله ، فهم بطاعتهم لأحبارهم كأنهم عبدوهم .

لذا جاء النفي والاستثناء ليقرر الحجة الموجبة للبراءة منهم فأكد أن رسالات الرسل كلها ، تدعو الى عقيدة واحدة ، وهي عبادة الله وحده ، وأنه لم يأمرهم في وقت من الأوقات الا بعبادته ، وافراده بهذه العبادة . ويُلْمَح في هذا القصر شدة الانكار عليهم وتوبيخهم ، لأنهم أمروا بشيء ، وفعلوا خلافه .

ثم جاء في آخر الآية أسلوب قصر آخر ، فنفى الألوهية عن الأحبار والرهبان ، وقصرها على المولى عز وجل ، زيادة في تقرير تفرد الله بالألوهية ، وتنزيهه عن النقائص . وذكر الامام أبو السعود أن مجيء الاستثناء هنا (زيادة تقرير لما سلف من كفرهم بالله تعالى).(٢)

— (يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ).(٣)

المقصور: اباء الله .
المقصور عليه: اتمام النور .
قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا ، فيه مبالغة ، وقد جاء الاستثناء هنا من الموجب ، لأنه بمعنى النفي ، (وانما صح الاستثناء المفرغ من

(١) لقمان : من الآية ٢٥.
(٢) تفسير أبي السعود ، م ٢ ، ج ٤ ، ص ٦٠ .
(٣) آية : ٣٢.

الموجب ، لكونه بمعنى النفى . كما أُشِير اليه لوقوعه في مقابلة قوله تعالى : (يُرِيدُونَ) ، وفيه من المبالغة والدلالة على الامتناع ماليس فى نفى الارادة . أى لا يريدون شيئا من الأشياء الا إتمام نوره ، فيندرج فى المستثنى منه بقاؤه على ما كان عليه ، فضلا عن الاطفاء).[1]

وقد استُعْمِل النفى والاستثناء فى هذه الآية ، لأن المقام كله انكار لنور الله ، والمراد بنور الله هنا (حجته الدالة على وحدانيته ، وتقدسه عن الولد ، أو بنوة محمد صلى الله عليه وسلم).[2] هذه الوحدانية التى جادل اليهود والنصارى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنكروها أشد الانكار (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ ، وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ، ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ).[3]

وكان مقصدهم من هذا الجدل ، بث الشك فى نفوس الناس ، وتضليلهم حتى لا يؤمنوا بنبوة محمد الداعية الى وحدانية الله . وبذلوا فى ذلك كل مافى وسعهم . وهذا ما عبر عنه القرآن بالاطفاء ، لشدة انكارهم . (يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ).

ولذا جاء النفى والاستثناء ، ليؤكد لهم فى عزم ، أنهم مهما بذلوا فالله مبق نوره على مر الأزمان ، ولشدة انكارهم بُولِغ فى التأكيد ، واستُعْمِلت كلمة يأبى : بدل أداة النفى ، (والتقدير ما أراد الله الا ذلك الا أن الاباء يفيد زيادة عدم الارادة ، وهى المنع والامتناع).[4]

ولعلنا نستطيع ادراك سر هذا القصر ، اذا ما رجعنا الى قوله تعالى فى سورة الصف ، (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ، وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ . يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ

(١) تفسير أبى السعود مج ٤ ، ص ٦١
(٢) البيضاوى ، ج ٣ ، ص ٦٦
(٣) آية : (٣٠) من نفس السورة
(٤) الفخر الرازى ، م ٨ ، ج ١٦ ، ص ٤٠

بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ)(١) ولاحظنا أن فى آية التوبة جئ بأسلوب القصر . أما فى اية الصف فجئ بغير ذلك .

ولقد ذكر الشيخ رشيد رضا(٢) فى تفسير المنار تعليلا لهذا الفرق فذكر أن فى سورة الصف كانت الآية (يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا) فاللام للتعليل أى أن هؤلاء الضالين الظالمين لأنفسهم ، بانكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، الذى بشرهم به عيسى عليه السلام بعد بعثته ، ودعوته اياهم الى الاسلام ، وظهور نوره بالحجج الساطعة الدالة على صدقه ، يريدون افتراء الكذب بانكار البشارات ، وتأويلها بما يصرفها عن وجهها لأجل أن يطفئوا نورالله ، ثم قال : (وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ). أى والحال أن الله تعالى متم نوره بالفعل ، فلا يطفئه ، فالفرق بين الآيتين: أن آية الصف تعليل لافترائهم بارادتهم اطفاء النور به - وآية براءة لما - جاءت بعد بيان شركهم ، بمضاهاتهم لأقوال الوثنيين من قبلهم ، جعل ذلك نفسه بمعنى ارادة اطفاء النور بلاواسطة . ثم أن بينهما فرقيا آخر وهوالتعبير فى آية الصف بقوله : (وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ) ، وفى سورة براءة بقوله : (وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ). والأول يفيد أنه متمه بالفعل فى الحال ، والثانى وعد بأن يتمه فى الاستقبال ، فيجتمع فيهما اثبات هذا الاتمام فى الحال والاستقبال ... ولما كان هذا الوعد الذى يتعلق بالمستقبل المغيب عن علم الخلق ،من شأنه أن يَرتاب فيه الناس أكده الله تعالى بمالم يُؤكِد به الخبر الأول ، لأن الخبر الأول صِدْقُه مشاهد ، لايحتاج الى التأكيد . وناهيك بقوله : (وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ) أى أنه لايرضى ، ولا تتعلق ارادته بشئ فى هذا الشأن الا شيئا واحدا ،وهو أن يتم نوره ، فلا يجعل فى قدرة أحد أن يطفئه .(٣)

(١) سورة الصف ، آية (٧-٨)
(٢) هو محمدرشيد بن على رضا بن محمد بن شمس الدين القلمونى ،البغدادى الأصل الحسينى النسب ، أحد رجال الاصلاح الاسلامى ، لازم الشيخ محمد عبده وتتلمذ له . من أشهر آثاره : مجلة المنار أصدر منها ٣٤ مجلدا و (تاريخ الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده) و(الوحي المحمدى). ولد سنة ١٢٨٢ وتوفى سنة ١٣٥٤هـ/ الاعلام ، م ٦ ، ص ١٢٦ .
(٣) تفسير المنار ، ج ١٠ ، ص ٣٨٧

ـــ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ).[1]

المقصور : متاع الحياة الدنيا .

المقصور عليه : قليل .

قصر موصوف على صفة قصر قلب .

سر القصر :

لما أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بالقتال في غزوة تبوك ، تباطأ بعضهم في تلبية النداء ، لأن الأمر جاءهم في وقت الصيف ، حين أثمرت النخل ، وطابت الثمار ، واشتهوا الظلال ، وشق عليهم المخرج[2] وظنوا أن في هذا راحتهم ودعتهم ومتاعهم ، وفي هذا تقاعس عن تلبية أمر الله ، والتقاعس عن الجهاد ، بداية لانكار هذا الركن الجليل ولذا مُلِئَت الآية بأساليب الانكار والتوبيخ ، كل ذلك لتنبيههم ، وإيقاظ هممهم . فبدأت الآية بقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا).

وجيء بأداة النداء للفت الأنظار ، ثم جيء باستفهام فيه معنى الانكار والتوبيخ ، وعبر عن تباطئهم بقوله (اثَّاقَلْتُم) ، أي أصررتم وأحببتم ، وملتم الى المكوث (وقرئ اثاقلتم على الاستفهام ، الذي معناه الانكار والتوبيخ).[1]

---

(١) آية : (٣٨)

(٢) انظر الطبرى : م ٦ ، ج ١٠ ، ص ٩٤
السيرة النبوية ابن كثير ، ج ٤ ص ٤ - ٥
أسباب النزول : الواحدى ، ص ١٤١

(٣) البحر المحيط ، ج ٥ ، ص ٤١

ثم أُتبع هذا الاستفهام باستفهام آخر (أَرَضِيتُمْ بِالحَيَاةِ الدُّنْيَا) ، وهو استفهام يحمل معنى التعجب والانكار من حالهم. فبعد التوبيخ والتقريع، وبعد أن استيقظت عقولهم وتهيأت نفوسهم لقبول الحق ، جئ بأسلوب لايدع لهم مجالا للتخاذل أو التباطؤ . فقال تعالى : (فَمَا مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا فِى الآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ).

فجئ بأسلوب النفى والاستثناء لتأكيد ضعف ما تمسكوا به ، حيث قُلِبَ اعتقادهم ، وقُصِرَ متاع الدنيا الذى تمسكوا به على الأمر الهين القليل. وأوضح لهم أن حقيقتها بجانب حقيقة متاع الآخرة حقير هين (أى فما التمتع بها وبلذائذها (فِى الآخِرَةِ) أى فى جنب الآخرة (إِلَّا قَلِيلٌ) أى مستحقر ، لا يؤبه له . وفى ترشيح الحياة الدنيا ، بما يؤذن بنفاستها ، ويستدعى الرغبة فيها ، وتجريد الآخرة عن مثل ذلك ، مبالغة فى بيان حقارة الدنيا ودناءتها ، وعِظَم شأن الآخرة وعلوها).(١)

وبعد هذا التوبيخ ، وبعد تأكيد حقيقة متاع الدنيا بجانب حقيقة الآخرة ، بهذه الأساليب الموقظة للنفس ، والتى لم تبق لأحد حجة ، توعد وتهدد من لايستجيب لأمر القتال بعد ذلك ، فقال تعالى : (إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ).

— (لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ).(٢)

المقصور : الزيادة .

---

(١) تفسير أبى السعود ، م ٢ ، ج ٤ ، ص ٦٥
(٢) آية : ٤٧ ـ ٤٨

المقصورعليه : خبالا
قصر موصوف على صفة قصر قلب

اختلف العلماء في نوع الاستثناء هنا ، من حيث الاتصال والانقطاع. فذهب الامام الصاوي إلى جواز كونه متصلا مفرغا من عموم الأحوال، أو منقطعا قال : (يصح أن يكون استثناءً منقطعا ، والمعنى ما زادوكم قوة ، ولكن خبالا ، أو متصلا من عموم الأحوال . والمعنى ما زادوكم شيئا أصلا الا خبالا)(١)

وفضل الامام الفخر ، وتبعه الامام النسفي ،(٢) كون الاستثناء متصلا فقال : (قال بعض النحويين قوله : (الا خبالا) من الاستثناء المنقطع . وهو أن لا يكون المستثنى من جنس المستثنى منه ، كقوله : ما زادوكم خيرا الا خبالا ، وههنا المستثنى منه غير مذكور واذا لم يذكر وقع الاستثناء من الأعم ، والعام هو الشيء ، فكان الاستثناء متصلا ، والتقدير : ما زادوكم شيئا الا خبالا).(٣)

سر القصر :

طلب كبار المنافقين من الرسول صلى الله عليه وسلم الاذن بالقعود في غزوة تبوك - وعدم الجهاد ، بحجة أنهم لا يملكون العدة والعتاد ولما كان أكثر من طلبوا ذلك من أشراف القوم ، وأكثرهم مالا وعتادا ، قد يدعو ذلك بعض ضعاف النفوس الى اتباعهم ، أو الى الطمع في خروجهم ، ظنا منهم أن الغلبة لا تكون إلّا بِهِمْ .

ولقلب هذا الاعتقاد ، استعمل القرآن أولا أسلوب الالتفات ، لشد انتباه المؤمنين ، فانتقل من خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم الى خطاب جماعة المؤمنين.

(١) حاشية الصاوي على الجلالين ، م ٢ ، ص ١٥١
(٢) النسفي ، ج ٢ ، ص ١٢٨ - ١٢٩
(٣) الفخر الرازي م ٨ ، ج ١٦ ، ص ٨٣

وبعد أن أمسك القرآن بزمام انتباههم ، جاء بأسلوب النفى والاستثناء ليقرر حقيقة المنافقين ، ويُهوِّن من شأنهم ، فقصرهم على الفساد والسعى بالنميمة والخراب . فمن كانت هذه خصاله فالأولى ألا يُتَّبَع ، ولا يُلتَفَت اليه .

وزيادة فى زجر هذه النفوس الضعيفة ، قال تعالى : (وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ) ، بصيغة المبالغة ، تحقيرا لمن قد تراوده نفسه الى الاستماع اليهم .

— (قُلْ لَّنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ).(١)

المقصور: المصاب .
المقصور عليه: ماكتب الله .
قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا .

سر القصر:

ما زالت الآيات تتابع قبائح المنافقين ،وتكشف حقائقهم لتحذير المؤمنين منهم ، ومن الحقائق الثابتة أن المنافقين يضمرون الحقد للاسلام وللمسلمين . وهنا يوضح القرآن صورة من صور حقدهم ، وهى فرحهم الشديد فى حالة اصابة المسلمين بهزيمة - مثل ماكان فى يوم أحد . - وكذلك اصابتهم بالغم والهم ، اذا أحرز المؤمنون نصرا أو غنيمة ،

ولكن القرآن لايترك لهم مجالا للنيل من المسلمين ، وكان دائم القمع لهم ،فجاء هنا بالنفى والاستثناء ليقرر حقيقة ايمانية، وهى

---

(١) آية (٥١)

الايمان بالقدر خيره وشره ، أى ان ما أصابنا أو مايصيبنا من فرح أو ترح ليس منكم ، إنَّما هو من الله سبحانه وتعالى ، وفى اثبات هذه الحقيقة ما يطمئن المسلمين ، ويزيد من ثقتهم بربهم · ولزيادة تمكين هذه الحقيقة خُتِمَت الآية بأسلوب آخر للقصر ، وهو تقديم الظرف على الفعل ، فى قوله تعالى: (وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) .

وجاء القصر هنا للتنبيه على أن حال المنافقين على الضد من ذلك أى (أنه وان لم يجب عليه لأحد من العبيد شئ من الأشياء ، ولا أمر من الأمور إلا أنه مع هذا عظيم الرحمة ، كثير الفضل والاحسان ، فوجب أن لا يتوكل المؤمن فى الأصل إلّا عليه ، وأن يقطع طمعه إلّا من فضله ورحمته ·لأن قوله : (وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) يفيد الحصر ، وهذا كالتنبيه على أن حال المنافقين بالضد من ذلك ، وأنهم لايتوكلون الاعلى الأسباب الدنيوية واللذات العاجلة الفانية).(١)

— (وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ).(٢)

فى الآية ثلاثة أساليب للقصر ، عن طريق النفى والاستثناء· الأول فى قوله : (وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ)

المقصور: منع قبول النفقة .

المقصور عليه : الكفر .

قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا .

وهو استثناء من أعم الأشياء · أى ما منعهم قبول نفقاتهم منهم شئ من

(١) الفخر الرازى ، م ٨ ، ج ١٦ ، ص ٨٩

(٢) آية : (٥٤)

الأشياء الا كفرهم .

والقصر الثانى: فى قوله تعالى : (وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى)
المقصور: اتيان الصلاة .
المقصور عليه : حال كسلهم .

وهو قصر موصوف على صفة قصرا حقيقيا ، فيه مبالغة . أى لا يأتونها فى حال من الأحوال الا حال كونهم متثاقلين .

والثالث فى قوله تعالى : (وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ)
المقصور : الانفاق .
المقصورعليه : حال كرههم .

وهو قصر موصوف على صفة قصرا حقيقيا ، فيه مبالغة . أى ولا ينفقون فى حال من الأحوال إلا حال كونهم كارهين .

سر القصر:

لقد جاء النفى والاستثناء فى هذه الآية متتاليا متلاحقا ، لشدة خطر المنافقين ، وقوة أساليبهم فى المكر والخديعة . ومن ذلك محاولتهم اخفاء شخصياتهم الماكرة ، حتى لا يعرف المسلمون حقيقتهم ، فقاموا بالتبرع بأموالهم رياءً ، أمام الناس ، ولكن القرآن استخف بهم ، وتعقبهم ،وأخذ يفضحهم ويكشف الستار عن حقيقتهم الرهيبة . فأكد أن هذه النفقة غيرمقبولة منهم ، وذلك لثبوتهم فى الكفر ، ثم جاء بقبيحة ثانية لهم ،وهى حال قيامهم للصلاة ، فنفى عنهم جميع الصفات ، وأثبت لهم صفة الكسل مبالغةً فى تحقيرهم ، ثم أوضح فضيحة ثالثة لهم ، وهى انفاقهم أموالهم فى سبيل الله كراهية .

فَقَصَرَ الانفاق على الكره للتشنيع عليهم ، ومما يَزِيدُ الاستخفاف بهم قوله(وهم) زيادة فى تثبيت الصفات فيهم ، وجعلها من باب قصر الموصوف

على الصفة ، تجريدا لهم من جميع الصفات ، امعاناً في تحقيرهم . وكذلك جُعل القصر حقيقيا ، وبولغ فيه زيادة في التشنيع ، وفي ابراز صورتهم الحقيقية .

- (يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ).(١)

المقصور : المنقوم .

المقصور عليه : اغناء الله ورسوله .

وهو اما قصر صفة على موصوف ، اذا قدرنا أن الاستثناء مفرغ من أعم المفاعيل . أى وما أنكروا شيئا من الأشياء الا اغناء الله تعالى اياهم .

أوهو قصر موصوف على صفة اذا كان الاستثناء مفرغا من أعم العلل جاء في تفسير أبي السعود :(والاستثناء مفرغ من أعم المفاعيل ، أومن أعم العلل . أى وما أنكروا شيئا من الأشياء الا اغناء الله تعالى اياهم وما أنكروا لعله من العلل الا لاغناء الله اياهم).(٢)

---

(١) آية (٧٤)

(٢) حيث قال الجلاس بن سويد : ان كان ما نزل على محمد حقا ، فنحن أشر من الحمير/ أسباب النزول السيوطي ، ص ١٢٠ . وروى : (أنهم كانوا حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة في غاية ما يكون من ضنك العيش ، لايركبون الخيل ، ولايحوزون الغنيمة ، فأثروا بالغنائم وقُتِل للجلاس مولى . فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته اثنى عشر ألف درهم ، فاستغنى) ./ تفسير أبي السعود مج ٤ ، ص ٨٤

سر القصـــر :

لقد أساء المشركون للرسول صلى الله عليه وسلم بالقول والعمل ، وهو الذى ضحى بالكثير فى سبيل انقاذهم من أدران الكفر ، فكان ينتظر منهم رد الاحسان بالاحسان ، ولكنهم أنكروا ذلك . لذا جاء النفى والاستثناء للتهكم والسخرية والاستخفاف بهم ، حيث قَصَرَ انتقامهم على علة الاغناء أى لم تجدوا شيئا تعيبونه الا الاغناء لكم . والاغناء فى الأصل وعند ذوى الفطرة السليمة ، لا يكون سببا فى النقمة ، بل هو سبب للشكر ، ولكنهم لفساد عقولهم وتفكيرهم ، جعلوا ما هو سبب للشكر سببا للنقمة .

ففى الآية : (تأكيد المدح بما يشبه الذم ، كأنه قيل ليس له صفة تكره وتعاب الا اغناؤهم من فضله ، بعد أن كانوا فقراء ، وهذه ليست صفة ذم . فحينئذ ليس له صفة تذم أصلا).(١)

وذكر الامام الألوسى أن فى مجئ الاستثناء تهكما بهم ، وتـأكيـدا للشئ بخلافه ، فقال : (وفيه تهكم وتأكيد الشئ بخلافه).(٢)

ـــ (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ).(٣)

المقصور : الموجود .
المقصور عليه : جهدهم .
قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا فيه مبالغـــة .

---

(١) حاشية العلامة الصاوى على الجلالين ، م ٢ ، ص ١٥٩
(٢) روح المعانى . ج ١٠ ، ص ١٣٩
(٣) آية : ٧٩

سر القصر:

لما حث الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه والناس عامة على الصدقة (١)، وسارع المؤمنون الى بذل ما لديهم، تلبية لأمره صلى الله عليه وسلم. غاظ المنافقين وهالهم، أن يروا المؤمنين بهذا الحماس للاسلام. ففى حماسهم ارتفاع لكلمة لا اله الا الله، ونصرة للاسلام الذى ينكرونه فى حقيقة نفوسهم. فأرادوا تثبيط هممهم، فأنكروا عليهم اسراعهم فى الانفاق، وأخذوا يشككونهم فى ايمانهم، واستعملوا فى ذلك أسلوب الاستهزاء والسخرية، لتحطيم معنوياتهم. وحاولوا أن يثبتوا لهم، أن انفاقهم ماكان الا عن رياء وسمعة.

والمؤمن بطبيعة الحال لايقبل أن يكون مرائيا، فيدفعه هذا الخوف من الرياء الى عدم الإنفاق، فجاء النفى والاستثناء هنا لتأنيب المنافقين وزجرهم، والتعجب من أمرهم. فهم لم يجدوا شيئا يسخرون منه من المؤمنين سوى هذا الجهد الصادق فى الانفاق، الموجب لاحترامهم ورفع شأنهم، ولكنهم لمكرهم وخباثتهم، قلبوا الأمر عن وجهه الصحيح.

ويوحى هذا الأسلوب بمعنى التهديد والوعيد لهم، حيث تلاه أسلوب المشاكلة (٢)، لبيان عقاب الساخرين. فقال تعالى:

(سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)

وفى هذا كل العدل فى جزاء المماثلة أى جزاؤهم بمثل ذنبهم، وصدق الله وعده، حيث جعلهم سخرية للأمم والخلائق، بتتبع فضائحهم فى هذه السورة.

---

(١) روى الامام البخارى قال: حدثنى بشر بن خالد أبو محمد، أخبرنا محمد بن جعفر عن شعبة، عن سليمان، عن أبى وَائِل، عن أبى مسعود قال: لما أمرنا بالصدقة كنا نتحامل، فجاء أبو عقيل بنصف صاع، وجاء انسان بأكثر منه فقال المنافقون: ان الله لغنى عن صدقة هذا، وما فعل هذا الآخر الا رئاء منه فنزلت: الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم الآية) - البخارى، كتاب التفسير، م ٢ ج ٦ ص ٨٤

(٢) انظر تفسير أبى السعود. م ٢، ج ٤، ص ٨٧ / روح المعانى ج ١٠، ص ١٤٧

— (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ)(١)

المقصور : المراد .

المقصور عليه : الحسنى .

قصر موصوف على صفة قصرا اضافيا قصر قلب .

سر القصر :

لقد أصاب المنافقين الرعب حين رأوا ، أن بيتا من بيوت الله قد ظهر فى الوجود ، وعلموا أن راية الاسلام سترتفع منه . وذلك حين أقام بنو عمرو بن عوف مسجد قباء ، وبعثوا الى الرسول صلى الله عليه وسلم يسألونه أن يصلى بهم فى مسجدهم ، فلما فعل ذلك ، اشتعلت نيران الحقد والغيظ فى صدور المنافقين ، وسارعوا بإقامة مسجد آخر ، ودعوا الرسول صلى الله عليه وسلم للصلاة بهم ، وقالوا له (بنينا مسجدا لذى العلة والحاجة والليلة المطيرة الشاتية ، ونحن نحب أن تصلى فيه ، وتدعو لنا بالبركة).

فاعتذر الرسول صلى الله عليه وسلم لانشغاله بالرحيل ، ولما عاد عليه الصلاة والسلام ، كان الله قد كشف له أمرهم ، وأخبره حقيقتهم بأنهم ما بنوه الا بهدف التخريب ، وبث التفرقة بين المسلمين ، حيث كان فى نيتهم استقبال أبى عامر الراهب(٢) فيه ، اذا قدم من الشام ، وأن يدعوه للصلاة فى مسجدهم هذا .

(١) آية ١٠٧

(٢) ابو عامر هو الذى سماه الرسول صلى الله عليه وسلم بالفاسق. وقد قال للرسول صلى الله عليه وسلم يوم أحد (لا أجد قوما يقاتلونك إلا قاتلتك معهم).

فلما كُشفت حقيقتهم أنكر عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم فعلتهم هذه ، وأمر باحراق المسجد ، واقامة كناسة مكانه تُرْمَى فيها الجيف والقمائم).(١)

فلما رآى المنافقون هذا الانكار الشديد من الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن المسلمين عامة ، حاولوا تبرئة أنفسهم ، وقلب اعتقاد الرسول والمسلمين فيهم .

---

(١) رُوى أن بنى عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء ، بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن يأتيهم ، فآتاهم فصلى فيه ، فحسدتهم اخوتهم بنو غنم بن عوف ، وقالوا : نبنى مسجدا ، ونرسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى فيه ، ويصلى فيه أبو عمار الراهب ، اذا قدم من الشام ، ليثبت لهم الفضل والزيادة على اخوتهم ، وهو الذى سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسق ، وقال للرسول صلى الله عليه وسلم يوم أحد : لا أجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم ، فلم يزل يقاتله الى يوم حنين ، فلما انهزمت هوازن خرج هاربا الى الشام ، وأرسل الى المنافقين ، أن استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح ، فانى ذاهب الى قيصر ، وآت بجنوده ، ومخرج محمد وأصحابه من المدينة ، فبنوا مسجدا بجنب مسجد قباء ، وقالوا للنبى صلى الله عليه وسلم : بنينا مسجدا لذى العلة والحاجة والليلة المطيرة الشاتية ، ونحن نحب أن تصلى لنا فيه وتدعولنا بالبركة ، فقال صلى الله عليه وسلم : انى على جناح سفر ، وحال شغل ، واذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه ، فلما قفل من غزوة تبوك ، سألوه اتيان المسجد فنزلت عليه الآية ، فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدى وعامر بن السكن ووحشي قاتل حمزه فقال لهم : انطلقوا الى هذا المسجد الظالم أهله ، فاهدموه وأحرقوه . ففعلوا . وأمر أن يتخذ مكانه كناسة ، تلقى فيها الجيف والقمامة ./

الكشاف ، م ٢ ، ص ٢١٤ / الطبرى ، م ٧ ج ١١ ، ص ١٨

فحلفوا بالله وجاء حلفهم عن طريق النفى والاستثناء ،ليؤكدوا أن نيتهم كانت سليمة ، وأن قصدهم كان شريفا ، فقصروا ارادتهم على الارادة الحسنى ، وأكدوا ذلك بهدف تضليل المسلمين ، ولكن جاء تكذيبهم من الله بأن شهد هو عليهم بالكذب ، وكون الله شاهدا عليهم بالكذب ، أكبر دليل على ادانتهم .

— (وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ).(١)

المقصور : الاستغفار .

المقصور عليه : (متعلق الجار والمجرور) كونه عن موعده .

قصر موصوف على صفة قصر قلب .

وهو استثناء مفرغ من أعم العلل . أى لم يكن استغفاره عليه السلام لأبيه آزر . ناشئا عن شئ من الأشياء إلّا عن موعدة .(٢)

سر القصر :

كانت الآيات السابقة توجب البراءة من الكفار والمنافقين ، الا أنه وقع فى نفس بعض المؤمنين ، أنه يجوز لهم الاستغفار للأموات من الكفار ، ظنا منهم أن ابراهيم قد استغفر لأبيه من قبل .(٣) فجاء النفى والاستثناء ، لتقرير عدم جواز الاستغفار للمشركين ، وتأكيد هذه الحقيقة ، بقلب اعتقاد كل من ظن أنها جائزة استدلالا باستغفار ابراهيم لأبيه . فنفى الاستغفار المطلق عن ابراهيم عليه السلام ، وقصره على موعدة وعدها أياه ، ولكنه لما علم باصراره على الكفر ، تبرأ منه ،

(١) آية : ١١٤

(٢) تفسير أبى السعود مج ٤ ، ص ١٠٧

(٣) أخرج الامام أحمد الترمذى ،وحسنه ، والحاكم عن على قال : سمعت

فلا يجوز لأحد أن يأتي به في ذلك . وذكر الامام أبو السعود أن جملة القصر هنا (استئناف مسوق ، لتقرير ما سبق ، ودفع ما يتراءى بحسب الظاهر من المخالفة).(١)

فجيء بالنفي والاستثناء هنا مبالغة في اظهار براءة ابراهيم عليه السلام من الاستغفار لأبيه ، وزاد القرآن من هذه التبرئة بقوله (تبرأ منه) أي تنزه عن الاستغفار له ، وتجانب كل التجانب ، وفيه من المبالغة ما ليس في تركه ونظائره .(٢) وفي قلب اعتقاد كل من يتسرب الى نفسه شك ، في استغفار ابراهيم بهذا الأسلوب ، تأكيد شديد ومبالغة في البراءة من المشركين ، مهما كانت صلة قرابتهم .

ذكر الامام أبو حيان ، أن الآية دلت (.. على المبالغة في اظهار البراءة من المشركين والمنافقين ، والمنع عن مواصلتهم ، ولو كانوا في غاية القرب . ونبه على الوصف الشريف والايمان ، انه مناف للاستغفار لمن مات على ضده ، وهو الشرك بالله).(٣)

ـــ (وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ).(٤)

رجلا يستغفر لأبويه وهما مشركان ، فقلت له : أتستغفر لأبويك وهما مشركان فقال : أليس (وفي رواية الترمذي أوليس) قد استغفر ابراهيم لأبيه وهو مشرك . فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، فنزلت : (ماكان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين) الى آخر الآيتين

وقيل أن الرسول صلى الله عليه وسلم مر على عسفان ، فأبصر قبر أمه فاستأذن في أن يستغفر لها ، فلم يؤذن له ./

مسند الامام أحمد . مسند علي بن أبي طالب ، ج ١ ص ١٣٠ - ١٣١
سنن الترمذي ، أبواب تفسير القرآن ، ج ٤ ، ص ٣٤٤
المستدرك ، كتاب التفسير ، ج ٢ ، ص ٣٣٥ . (١) تفسير أبي السعود ج ٤ ، ص ١٠٧ (٢) المرجع السابق ، نفس الجزء والصفحة
(٣) البحر المحيط ج ٥ ، ص ١٠٤ (٤) آية : ١١٨

المقصور : الملجأ .

المقصور عليه : كونه الى الله .

قصر موصوف على صفة قصرا حقيقيا ، فيه مبالغة .

سر القصر:

ذكر السياق القرآني قبائح المنافقين وفضائحهم ، التى منها اعتذارهم عن الخروج مع الرسول صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ، بل وفرحهم بالقعود ، والتخلف عن الجهاد ، ورضوا بالبقاء مع الخوالف قال تعالى : (فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِم خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِى الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ).(١)

ولما أخذوا فى الاعتذار ، رُفِض اعتذارهم ، ولم يُلْتَفَت اليه ، تحقيرا لهم . قال تعالى : (يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ).(٢)

أما فى هذه الآية فالصورة تختلف ، فالمتخلفون عن القتال هم من المؤمنين ، الذين أفاقوا الى خطئهم فوقعوا فى الحيرة والخوف من الله سبحانه وتعالى ، وزاد اضطرابهم وقلقهم ، حين أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بمقاطعتهم ، وزادت حسرتهم وندمهم ، حين سكت القرآن عنهم ، فلم يُنَزِّلْ فى شأنهم شيئا . وصور القرآن ندمهم فى قوله تعالى : (حتى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ) ، فهذه الأرض بسعتها أصبحت ضيقة فى نظرهم ، لاحساسهم بغضب الله عليهم ، فجيء بالنفى والاستثناء فى الآية ، ليس للرد على انكار المخاطبه ، فالمخاطبون فى الآية ، لم ينكروا شيئا ، بل على العكس هم موقنون بالالتجاء الى الله وعبر القرآن عن ذلك بقوله (وظنوا) . أى اعتقدوا اعتقادا جازما ، وأيقنوا

---

(١) آية : ٨١ .

(٢) آية : ٩٤ .

ايقانا صادقا .

وانما جئ به للتعبير ، عما يدور فى نفس المخاطبين من الحسرة والندم ، ويؤكد توبتهم الصادقة ، ورغبتهم الأكيدة فى أن يلجأوا الى الله وحده ، وايقانهم الأكيد برحمته تعالى . وهكذا أكد هذا الأسلوب أن النفوس المؤمنة الطاهرة ، سرعان ما تعود الى الحق ، ولا يصيبها اليأس .

وفى تأكيد قوة ايمان المتخلفين ، وصدق توبتهم ، تعريض بالمنافقين المتخلفين عن القتال .

— (مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ).(١)

المقصور : الاصابة بالنصب والمخمصة .

المقصور عليه : كتابة العمل الصالح .

قصر موصوف على صفة قصرا حقيقيا فيه مبالغة .

سر القصر :

ذكرت الآيات السابقة انكار بعض المنافقين لفريضة الجهاد ، بتخلفهم عنه . وكذلك تقاعس بعض المؤمنين عن الاشتراك فى غزوة تبوك . فأمر الجهاد فى الاسلام أمر عظيم ، اذ هو ذروة سنام الاسلام ، وفى التقاعس عنه بداية الانكار له . لذا هتف القرآن بالمسلمين (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين).

(١) آية : ١٢٠

وزيادة فى التأنيب وغرس الحسرة فى قلوب الذين يفكرون بترك فريضة الجهاد ، جاء النفى والاستثناء ، ليقرر ويؤكد فضل الجهاد ، وعظم ثوابه ، فأكد للمجاهدين أن فى كل خطوة يخطونها حسنة ، وأن فى كل موضع نصب أو مشقة ، وفى كل نفقة صغيرة أو كبيرة حسنة .

وكرر كلمة (لا) فى كل موضع ، (للدلالة على استقلال كل واحد منها بالفضيلة والاعتداد به).(١)

فَقَصَرَ هذه الأعمال على الكتابة ، للتأكيد أنها مكتوبة فى كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ، زيادة فى الترغيب فى الجهاد.

— (وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِياً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَاكَانُوا يَعْمَلُونَ).(٢)

المقصور : النفقة ـ قطع الوادى .
المقصور عليه : الكتابة .
قصر موصوف على صفة قصرا حقيقيا ، فيه مبالغة .

سر القصر :

يبدو لى أنه جعل الانفاق وقطع الوادى آية مستقلة ،وجاء بها أيضا عن طريق النفى والاستثناء ، لأن النفقة قد صدر فيها انكار من المنافقين وحاولوا تثبيط همم المسلمين . قال تعالى : (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ

(١) تفسير أبى السعود مج ٤ ، ص ١١١ .
(٢) آية : ١٢١

الْمُؤْمِنِينَ فِى الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ)[1].

وأما قطع الوادى ، والخوف من مشقة السفر ، وهو الأمر الذى أنكره المنافقون فى غزوة تبوك ، وخشيه بعض المؤمنين الذين تخلفوا عن الرسول فذكر هذان الأمران فى جملة قصر مستقلة ، ولم يذكرا ضمن الآية السابقة والله أعلم - لتنبيه المسلمين الى ما وقعوا فيه ، فقصر النفقة وقطع الوادى على الكتابة ، دون غيرها من الصفات ، مبالغة فى تأكيد حصول الأجر العظيم .

— (فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ)[2].

المقصور: الألوهية .

المقصور عليه : الذات العليا .

قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا .

سر القصر:

بدأت السورة بالبراءة من المشركين ، وتتابعت الآيات فى عرض فضائحهم ، التى من أجلها استحقوا هذه البراءة . ونلحظ أن القرآن استعمل فى بيان قبائحهم واظهارها ، أسلوب النفى والاستثناء ، لما له من دقة فى كشف هذه الحقائق ، وتوكيدها بما لايدع مجالا للشك ، وفى نهاية السورة انتقل الخطاب الى الرسول صلى الله عليه وسلم لتسليته وتصبيره

(١) آية : ٧٩ من نفس السورة
(٢) آية : ١٢٩

فأمره اذا ما أنكروا وتولوا وأعرضوا (عن طاعة الله تعالى ، وتصديق الرسول عليه الصلاة والسلام ، وقيل تولوا عن قبول التكاليف الشاقة المذكورة في هذه السورة ، وقيل تولوا عن نصرتك في الجهاد).(١)

فقارعهم بقوله (لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ) ، وأكد لهم أن توكلك على الله وحده ، الذي له مطلق الألوهية ، والمهيمن على كل شيء ، وأن النصر منه لا منكم ، وبهذا التأكيد (لم يدخل في قلب الرسول حزن ، ولا أسف ، لأن الله حسبه وكافيه في نصره على الأعداء ، وفي ايصاله الى مقامات الآلاء والنعماء لا اله الا هو ، واذا كان لا اله الا هو ، وجب أن يكون لا مبدئ لشيء من الممكنات ولا محدث لشيء من المحدثات ، الا هو . واذا كان هو الذي أرسلني بهذه الرسالة ، وأمرني بهذا التبليغ ، كانت النصرة عليه ، والمعونة مرتقبة منه .

ثم قال عليه توكلت ، وهو يفيد الحصر . أى لا أتوكل الا عليه ، وهو رب العرش العظيم . والسبب في تخصيصه بالذكر ، أنه كلما كانت الآثار أعظم وأكرم ، كان ظهور جلاله المؤثر في العقل والخاطر أعظم ، ولما كان أعظم الأجسام هو العرش ، كان المقصود من ذكره تعظيم جلال الله سبحانه .. وقال الحسن ، هاتان الآيتان ، آخر ما أنزل الله من القرآن وما أنزل بعدهما قرآن).(٢)

*

(١) الفخر الرازي ، م ٨ ، ج ١٦ ، ص ٢٤٣
(٢) المرجع السابق ، م ٨ ، ج ١٦ ، ص ٢٤٣ = ٢٤٤

القصر عن طريق

إنما

سورة البقـــرة

— (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِى الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ) (١)

المقصور : نحن

المقصور عليه : مصلحون

قصر موصوف على صفة . (والقصر اما قصر افراد . أو قلب . وهذا اما ناشئ عن جهل مركب ، فأعتقدوا الفساد صلاحا ، فأصروا واستكبـــروا استكبارا .

يقضى على المرء فى أيام محنته
حتى يرى حسنا ماليس بالحســن

واما جاء على عادتهم فى الكذب ، وقولهم بأفواههم ماليس فى قلوبهم (٢)

سر القصـــر :

لما نهى الله سبحانه وتعالى المنافقين عن الفساد ، الذى هـــو دأبهم وديدنهم ، جاء جوابهم بانما ، لينقلوا أنفسهم من الاتصاف بماهى عليه حقيقة . وهو الفساد .. الى الاتصاف بماهو ضد ذلك ـ وهو الصلاح ـ وبالغوا فى الدفاع عن أنفسهم ، حيث ادعوا على مجرى عادتهم فى الكذب ، أن كونهم مصلحين ، أمر ظاهر مكشوف ، لا مجال للشك والارتياب فيه . ولمبالغتهم فى تخصيص صفة الصلاح بأنفسهم ، رد المولى عز وجل عليهـــم مؤكدا فقال تعالى: (أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ)

فصدر الجملة بحرف التنبيه الذى يفيد إثارة النفس وتهيئها لتلقي مابعده ولما فى (أن) من التأكيد ، وما فى تعريف الخبر ، وتوسط ضمير الفصل من الحصر المبالغ فيه بالجمع بين أمرين من الأمور المفيدة له ، وردهم الى صفة الفســـاد

---

(١) آية ١١ (٢) روح المعانى . ج ١ ، ص ١٥٣

التى هم متصفون بها فى الحقيقة ردا مؤكدا ، مبالغا فيه ، بزيادة على ما تضمنته دعواهم الكاذبة ، من مجرد الحصر المستفاد من انما ، ونفى الشعور عنهم ، لأنهم لما كانوا يظهرون الصلاح ، مع علمهم أنهم على الفساد الخالص ظنوا أن ذلك - يخفى على النبى صلى الله عليه وسلم ، ولم يشعروا بأنه عالم به ، وأن الخبر يأتيه من الله سبحانه وتعالى ، فكان نفى الشعور عنهم من هذه الحيثية ، لامن جهة أنهم لايشعرون بأنهم على الفساد. ويحتمل أنه نفى عنهم الشعور ، لغفلتهم وظنهم أن ماهم عليه من الفساد ، هو الصلاح على الحقيقة ، لما استقر فى عقولهم من محبة الكفر . وعداوة الاسلام .(١)

- (وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ).(٢)

المقصور : نحن

المقصور عليه : الاستهزاء

قصر موصوف على صفة قصر قلب

سر القصر:

كان المنافقون اذا لقوا الذين آمنوا ، ادعوا الايمان ، وهذا الأمر لا يجهله كبراء قومهم وشياطينهم ، لكن لتفننهم فى النفاق وابداعهم فيه ، قد يشك قومهم فى بقائهم على الكفر ، ويعتقدون أن ما أظهروه للمؤمنين من الايمان حقيقة وصدقا ، لذا جاء خطابهم لقومهم عن طريق الجملة الاسمية (انا معكم) ، مؤكدة بأسلوب انما للمبالغة

---

(١) انظر مفتاح العلوم ، ص ١٢٩
تفسير أبى السعود ، ج ١ ، ص ٤٣
فتح القدير . ج ١ ، ص ٤٢ - ٤٣

(٢) آية : ١٤

فى التوكيد ، ولقلب اعتقاد قومهم ، حيث قصروا أنفسهم على الاستهزاء لا يتعدونه الى الايمان .

وقد رآى الامام الزمخشرى (١) وتبعه الامام الفخر الرازى (٢) ، والامام أبو السعود (٣) : أن المقصود من عدم التأكيد فى قولهم (آمنا) ، والتأكيد فى قولهم (إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ) ، بأن مخاطبتهم للمؤمنين لا يلزم فيها تأكيد الخبر ، لأن المخبرين ، يعلمون أن ادعاء الكمال فى الايمان لا يروج على المسلمين .. أو لأن غرضهم هو ادعاء حدوث الايمان لا ادعاء أنهم فى الدرجة الكاملة منه . أما مخاطبتهم لشياطينهم ، فجاءت مؤكدة لعلمهم ، أن ذلك رائج عندهم ، ولتأكيد رغبتهم فى بيان ذلك الخبر وتأكيد صدقه . ذكر الامام الزمخشرى : (فان قلت : لم كانت مخاطبتهم المؤمنين بالجملة الفعلية ، وشياطينهم بالجملة الاسمية محققة بأن .. قلت : ليس ما خاطبوا به المؤمنين جديرا بأقوى الكلامين وأوكدهما لأنهما فى ادعاء حدوث الايمان منهم ونشئه من قبلهم ، لا فى ادعاء أنهم أوحديون فى الايمان ، غير مشقوق فيه غبارهم . ذلك اما لأن أنفسهم لا تساعدهم عليه ، أوليس لهم من عقائدهم باعث ومحرك ، وهكذا كل قول لم يصدر عن أريحية وصدق رغبة واعتقاد . واما لأنه لا يروج عنهم ، لو قالوه على لفظ التوكيد والمبالغة . وكيف يقولونه ويطمعون فى رواجه ، وهم بين ظهراني المهاجرين والأنصار ، الذين مثلهم فى التوراة والانجيل .. الا ترى الى حكاية الله قول المؤمنين ، ربنا اننا آمنا ـ وأما مخاطبة اخوانهم ، فهم فيما أخبروا به عن أنفسهم من الثبات على اليهودية والقرار على اعتقاد الكفر ، والبعد من أن يزلوا عنه ، على صدق رغبة ووفور نشاط ، وارتياح للتكلم به . وما قالوه من ذلك فهو رائج عنهم

---

(١) الكشاف ، م ١ ، ص ١٨٥ ـ ١٨٦
(٢) تفسير الفخر الرازى ، م ١ ، ج ٢ ، ص ٧٦
(٣) تفسير أبى السعود . ج ١ ، ص ٤٧

متقبل منهم ، فكان مظنة للتحقيق ومئنة للتوكيد)(١)

ويبدو لى أن القصر على هذا التحليل ، منظور فيه الى حال المتكلم ، أكثر من النظر الى حال المخاطب .

ـ (وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِى الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ).(٢)

المقصور: نحن

المقصور عليه: الفتنة

قصر موصوف على صفة قصرا حقيقيا فيه مبالغة .

---

(١) الكشاف ، م ١ ، ص ١٨٥ - ١٨٦

(٢) آية : ١٠٢

سر القصــــر :

لما كانت أمور السحر من الأمور التى يختلف فيها حال الناس ، من حيث الاعتقاد فى المؤثر الحقيقى . فقد يعتقد البعض أن ظهور الخوارق فى السحر دليل على ألوهية فاعلها .

لذا - ابتدأ هاروت وماروت ، لمن يعلمانه السحر بجملة القصر هذه للتحذير من الوقوع فى الكفر . حيث قصرا أنفسهما على الفتنة ، وادعيا أن كونهما امتحانا ، أمر معلوم ظاهر للعيان ، فجعلا كثرة افتتان الناس بما يقومان به من السحر بمنزلة انحصار أوصافهما فى الفتنة ، حيـــث جعلا أنفسهما نفس الفتنة وعينها ، فأخبرا عن نفسيهما بأنهما فتنة ، عن طريق المصدر للمبالغة ، ثم أكدا هذه المبالغة عن طريق القصر .

ذكر الامام أبو السعود فى بيان النكتة فى هذا القصر أن : (الفتنة الاختبار والامتحان ، وافرادها مع تعددهما لكونها مصدرا ،وحملها عليهما مواطأة للمبالغة ، كأنهما نفس الفتنة ، والقصر لبيان ، أنـــه ليس لهما فيما يتعاطيانه شأن سواها . لينصرف الناس عن تعلمه . أى وما يعلمان ما أنزل عليهما من السحر أحدا من طالبيه ، حتى ينصحـــاه قبل التعليم ، ويقولا له انما نحن فتنة ، وابتلاء من الله عز وجل . فمن عمل بما تعلم منا ، واعتقد حقيتة كفر ، ومن توقى عن العمل به أو اتخذه ذريعة للإتقاء عن الاغترار بمثله ، بقى على الايمان)(١) وفى القول بأن تعلم السحر ، من غير العمل به جائز . (خلاف كلام الفقهاء فانهـــم لم يجوزوا تعليم السحر وتعلمه)(٢)

ذكر الامام أبو حيان ، أنه حكى عن المهدوى (أن قولهما انما نحن فتنة فلا تكفر استهزاء ، لأنهما انما يقولانه لمن قد تحققا ضلالـــــه

(١) تفسير أبي السعود مج ١ ، ص ١٣٩ .
(٢) البيضاوى ، حاشية العلامة الكازرونى مج ١ ، ص ١٧٦ .

وقال فى المنتخب قوله : انما نحن فتنة ، توكيد لقبول الشرع ،والتمسك به ، فكانت طائفة تمتثل وأخرى تخالف).[١]

— (بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ).[٢]

المقصور : القول

المقصور عليه : كونه حاصلا وكائنا

قصر موصوف على صفة قصرا حقيقيا تحقيقيا

سر القصر :

ادعى النصارى أن لله ولدا ، فرأوا أن فى مجئ المسيح عليه السلام من غير أب ، دليل على أنه ابن الله . لذا أخذت الآيات تبين قدرة الله وعظمته ، التى تثبت ألوهيته . ومن كان الها ، فلا يصح أن يكون له ولد ولتقرير هذا الأمر أوضح المولى عز وجل ، أنه هو مبدع السموات والأرض وأن بيده الايجاد والتكوين .

ولما كانت هذه الأمور من أغمض أسرار الألوهية ، جاءت انما لتقرر أن من كانت لديه القدرة على تكوين الموجودات من العدم ، كان قادرا بلا شك على ايجاد المسيح من غير أب .

وجعلت هذه الحقيقة ظاهرة جلية للعيان ، لامجال للشك فيها ، مبالغة فى تأكيد قدرة الله ، وسيطرته التامة على الكون .

(فمن عرف حقيقته ، فقد عرف حقيقة المبدع الأول ، وذلك مالا مطمع فيه . وقد عبر عن هذا السر بهذا التعبير الذى يقربه من الفهم ، بما

(١) البحر المحيط مج ١ ، ص ٣٣٠
(٢) آية : ١١٧

لا يتشعب فيه الوهم ، ولا يوجد في الكلام تعبيرا آخر ، أليق به من هـــذا التعبيـــر).(١)

— (إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)(٢)

المقصور: الأمر .

المقصور عليه : كونه سوءا وفحشاء والقول على الله بلا علم.

قصر موصوف على صفة قصر قلـــب

سر القصـــر:

اعتقد بعض الناس أن في تحريمهم بعض ما أحل الله ، مزيد طاعـــة وتقرب اليه ، فحرموا البحائر(٣) والسوائب(٤) والوصائل(٥) ونحوها ، مما كان زينة لهم في جاهليتهم(٦) . وقد اتبعوا في ذلك أمر الشيطان ، واستجابوا له وظنوه أمرا بالطاعة . فجاءت انما لترشدهم الى طريق الحق باظهـــار حقيقة الأمر ، بأن تحريم ما أحل الله انما هو من عمل الشيطان . وجاء تقرير هذه الحقيقة بانما ؛ ليكون أبلغ في ابراز أمر الشيطان ، وأبلغ فـــي التحذير منه ، والابتعاد عنه . حيث قلبت اعتقادهم بقصر أمره علـــى السوء والفحشاء ، والقول على الله ، ونفيه عن الطاعة والخير.

(١) المنار ، م ١ ، ص ٤٣٩

(٢) آية ١٦٩

(٣) البحائر : مفردها بحيرة وهي التي يمنح درها للطواغيت فلا يحلبها أحد من الناس.

(٤) السوائب: مفردها سائبة كانوا يسيبونها لآلهتهم لا يحمل عليها شيئ

(٥) الوصائل : الناقة البكر تبكر في أول نتاج الابل ثم تثنى بعد بأنثى وكانوا يسيبونهم لطواغيتهم ان وصلت احداهما بالاخرى ليس بينهما ذكر/صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، ج ٦ ، ص ٦٨ – ٦٩ .

(٦) جاء في صحيح مسلم في حديث عياض بن حماد عن رسول الله صلى اللـــه عليه وسلم انه قال : (ان كل مال منحته عبادي ، فهو لهم حلال ، وفيه – واني خلقت عبادي حنفاء ، فجاءتهم الشياطين فاجتالتهـــم عـــن دينهم ، وحرمت عليهم ما أحللت لهم ./صحيح مسلم ، كتـــاب الجنة ، م ٩ ، ج ١٧ ، ص ١٩٧.

— (إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)[1]

انما في الآية قد تفيد الحصر ، وذلك على نصب الميتة ، فتكون (ما) كافة .

أما من قرأ الميتة بالرفع ، فتكون (ما) موصولة ، فلا تفيد الحصر. ذكر ابن هشام في المغني (وأما إِنَّمَا حرم عليكم الميتةَ ، فمن نصب الميتة فما : كافة ، ومن رفعها ، وهو أبو رجاء العطاردي ، فما : اسم موصول والعائد محذوف)[2]

" وقرأ ابن أبي عبله برفع الميتة وما بعدها ، فتكون ما : موصولة اسم ان ، والعائد عليها محذوف . أي ان الذي حرمه الله الميتة ، وما بعدها خبر ان . وقرأ أبو جعفر حرم مشددا مبنيا للمفعول ، فاحتملت «ما» وجهين : أحدهما أن تكون موصولة اسم ان ، والعائد الضمير المستكن في حرم ، والميتة خبر ان . والوجه الثاني : أن تكون ما : مهيئة[3] ، والميتة مرفوع بحرم . وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي : إِنَّمَا حَرُمَ بفتح الحاء وضم الراء مخففة ، جعله لازما ، والميتة وما بعدها مرفوع ، ويحتمل ما الوجهين من التهيئة والوصل ، والميتة فاعل يحرم ان كانت ما مهيئة وخبر ان كانت ما موصولة)[4]

وجاء في معاني القرآن للفراء :
" وقوله : إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ.." [5]

---

(١) آية : ١٧٣
(٢) المغني ، ج ٢ ، ص ٨
(٣) معنى مهيئة : وهي أن تهيئ (أن) للدخول على الفعل . وفي المغني ، ج ١ ، ص ٣٠٧ ، وتسمى المتلوة بفعل مهيئة .
(٤) البحر المحيط . ج ١ ، ص : ٤٨٦ (٥) آية : ١٧٣

نَصْب لوقوع " حرَّم " عليها . وذلك أن قولك (إنَّما) على وجهين :أحدهما أن تجعل (انما) حرفا واحدا ، ثم تُعْمِل الأفعالَ التى تكون بعدها (فى) الاسماء فان كانت رافعة رفعت ،وان كانت ناصبة نصبت ، فقلت : انما دخلت دارَك ، وانما أعجبتنى دارُك ، وإنَّما مالى مالُك . فهذا . وأما الوجه الآخر:فأن تجعل (ما) منفصِلة من (إنّ) ، فيكون (ما) على معنى الذى ، فاذا كانت كذلك وَصَلْتَها بما يوصل به الذى ، ثم يرفع الاسم الذى يأتى بعد الصلة ،كقولك إنّ ما أخذت مالُكَ ، إن ما ركبت دابَّتُك . تريد : ان الذى ركبت دابتُك ، وان الذى أخذت مالك . فأجِرهما على هذا .

ولو رفعت (إنَّما حَرَّمَ عَليكُم الميتةُ) كان وجها . وقد قرأ بعضهم (انما حُرِّم عليكم المَيّتةُ).ولا يجوز هاهنا الا رفع الميتة والدم ، لأنك إنْ جعلت (انما) حرفا واحدا رفعت الميتة والدم ، لأنه فعل لم يسمَّ فاعله وان جعلت (ما) على جهة (الذى) رفعت الميتة والدم ، لأنه خبر (ما)(١)

المقصور فى الآية التحريم

المقصور عليه : الميتة ، والدم ، ولحم الخنزير ، وما أهل لغير الله به

قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا ،فيه مبالغة .

سر القصر:

لما كان الخطاب متوجها للنفوس المؤمنة ، التى لا تعرف طريق الانكار والجدال . جئ بأداة القصر انما لارشادها ونصحها وتذكيرها بما حرم الله ، بتحديد هذه المحرمات . فالمؤمنون لم يصدر منهم أى انكار لهذه المحرمات ، ولذا استعملت انما فى توجيه المؤمنين ،وتحذيرهم فى رفق ولين .

---

(١) معانى القرآن : للفراء ، جـ ١ ، ص ١٠٢

أما في سورة الأنعام في قوله تعالى : (قل لا أجد فيما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا). فقدجاءت الآية عن طريق النفى والاستثناء ، على الرغم من أن الخطاب للرسول ، والسر فى ذلك أنها جاءت فى سياق جدال اليهود، وفى أمرهذه المطاعم ، وانكارهم لتحريمها . بخلاف الآية هنا ،فجئ بها عن طريق انما ، لأنها جاءت فى سياق الامتنان على الناس عامة ، والمؤمنين خاصة ، فالمقام هنا ليس مقام انكار ، وانما هو مقام نصح وارشاد .

والقصر هنا من قبيل القصر الحقيقى ، على سبيل المبالغة ، لأنه قُصِر التحريم على هذه الأنواع الأربعة ، ولم يُعْتَد بغيرها ، للمبالغة فى تحريم هذه الأشياء ، التى وقع استحلال اليهود لها .

جاء فى تفسير الامام البيضاوى (فان قيل انما تفيد قصر الحكم على ماذكر ، وكم من حرام لم يذكر ، قلت المراد قصر الحرمة على ماذكر ، مما استحلوه لا مطلقا ، أو قصر حرمته على حال الاختيار . كأنه قيل : انما حرم عليكم هذه الأشياء ، مالم تضطروا اليها).(١)

ويلمح من القصر الرد على المشركين ، بطريق التعريض .

— (فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ).(٢)

المقصور : الاثم

المقصور عليه : كونه على الذين يبدلونه .

(١) البيضاوى مجـ ١ ، ص ٢١١

(٢) آية : ١٨١ .

قصر موصوف على صفة قصر قلب

جاء فى تفسير الامام الفخر الرازى (فاعلم أن كلمة انما للحصر ، والضمير فى قوله : اثمه ، عائد الى التبديل . والمعنى : أن اثم ذلك التبديل لا يعود الا الى المبدل .)(١)

سر القصر :

سبق الحديث عن الوصية ، وأن المحافظة عليها (والقيام بها ، من شعائر المتقين الخائفين).(٢)

فجميع المسلمين يعلمون قيمة هذه الوصية ، وأنها أمر من الله لقوله (كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ).(٣)

ومجيء هذا الحكم بهذا الأمر ، يدل على عِظَمِهِ ، وعظم عقاب تاركه أو مُخَالِفه . والمؤمنون لا ينكرون عظم هذا الأمر وعظم عقابه ، ولكن لما كان أمر الايفاء بالوصية صعب على بعض النفوس البشرية ، لغريزة الطمع الموجودة فيها . نزل المؤمنين منزلة ، من يعتقد أن الاثم فى مخالفة الوصية يقع على الميت لا على الورثة . فجاءت انما لقلب ذلك الاعتقاد ، والتنبيه الى أن الاثم واقع على الذين يبدلون الوصية ، من بعد سماعهم ، وعلمهم الأكيد بها .

أو أن البعض قد يترك الوصية بحجة خوفه من عدم تنفيذ الوصى لها فجيء بانما لابطال هذه الحجة ، وفى مجيء انما وعد للمتقين الذين نفذوا أمر الله ، بأنه لا حرج عليهم ولا ذنب ، اذا لم تنفذ وصاياهم ، فقد ثبت أجرهم عند الله . وفيها أيضا معنى الوعيد للذين يخالفون ماجاء فى الوصية ومبالغة فى هذا الوعد والوعيد ، ختمت الآية بقوله تعالى :

(١) الفخر الرازى ، م ٣ ، ج ٥ ، ص ٦٩
(٢) روح المعانى ، ج ٢ ، ص ٥٤
(٣) آية : ١٨٠

(إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ).

(فيسمع أقوال المبدلين والموصين ، ويعلم بنياتهم ، فيجازيهم على وفقها . وفى هذا وعيد للمبدلين ، ووعد للموصين).(١)

آل عمران

— (فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ).(٢)

اجتمع فى الآية طريقان من طرق القصر : التقديم وانما . ومن المعلوم أن المقصور عليه مع انما ، هو المؤخر . والمقصور عليه فى التقديم ، هو المقدم . وهذا مالا يمكن جمعه فى جملة قصر واحدة ، فلابد من الغاء دلالة احدهما على القصر . وقد سبق أن أشرنا أن العلماء ، اختلفوا فى أيهما يكون الالغاء ، فذهب بعضهم الى أنه يلزم الغاء التقديم ، لأن انما أقوى فى الدلالة على الحصر.

ونهب آخرون إلى أن التقديم أقوى .

ويبدو لى أن تُقدم ما يقتضيه السياق ، ويقتضى السياق فى هذه الآية أن نلغى دلالة التقديم ،لأن دلالة انما هنا على الحصر أنسب .

المقصور: الرسول

المقصور عليه : البلاغ

قصر موصوف على صفة قصر قلب.

سر القصر: أثبت الرسول صلى الله عليه وسلم لأهل الكتاب ـ قبل نزول

(١) روح المعانى ، ج ٢ ، ص ٥٥
(٢) آية : (٢٠)

هذه الآية ـ صدقه فى تبليغ الرسالة ، وأظهر لهم المعجزات الدالة على ذلك وذكر شبه القوم ، وأجاب عنها ، بحيث لم يبق لهم شبهة ، ولا مدخل للجدال ولكنهم لشدة جحدهم وانكارهم ، تولوا وانصرفوا عن طريق الحق ، مما أحزن الرسول صلى الله عليه وسلم . فجيء بانما لتسليته ، والقاء الطمأنينة فى قلبه ، باظهار مهمته ، بحيث جعلها واضحة محددة.

فالرسول يعلم أنه ليس بيده هداهم ، وأن وظيفته لا تتعدى التبليغ ولكن لشدة حرصه على اسلامهم ، ورأفته بهم ، نزل منزلة من يظن أن التقصير من جانبه ، وأن بامكانه مجاوزة التبليغ الى الهداية.

فجاءت انما لتبشره بأنه قد أدى الامانة ، وأنه لا ينبغى أن يتسرب الى نفسه أنه قد قصر فيها ، فمهمته التبليغ فقط ، لا يتجاوزها الى الهداية ، وأن وبال توليهم وانصرافهم ، راجع اليهم لا اليك ، فلا يحزنك ذلك (... فانك رسول منبه ، ما عليك الا أن تبلغ الرسالة ، وتنبه على طريق الهدى).(١). (أى انما عليك أن تبلغ رسالة ربك ، فاذا أبلغتها فقد فعلت ما عليك ...)(٢)

ـ (قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ).(٣)

المقصور: القول

المقصور عليه: الكون (كن)

قصر موصوف على صفة قصر قلب

---

(١) الكشاف . م ١ ، ص ٤٢٠

(٢) كتاب التسهيل ، لعلوم التنزيل مجـ١ ، ص ١٠٢ .

(٣) آية : ٤٧

سر القصـــر:

حين بلغ مريم عليها السلام أمر ربها بالحمل والوضع ، أصابها الروع والدهشـــة والاستغراب . اذ كيف يتحقق هذا الأمر ، وهى لم تتزوج بعد ؟.
(قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ).

فالاستفهام هنا يحمل معنى التعجب . (قال المفسرون انها انمـــا قالـت ذلك ، لأن التبشير به يقتضى التعجب ، مما وقع على خلاف العادة)(١) فلشدة تعجبها ، كأنها أنكرت وقوع الأمر انكار تعجب ، لا انكار جحـــود . فنزلت منزلة من لاينكر ، وجاء الجواب ببيان قدرة الله المطلقة . (كذلـك الله يخلق مايشاء). ثم جاءت أداة القصر (انما) ، لتسكن روعها ، وتهدئ نفسها ، بجعل هذا المعنى قريبا مألوفا من نفسها .

فقرر وأكد القرآن بهذا الأسلوب كمال قدرة الله تعالى ،(وسهولـــة تأتي المقدورات حسبما تقتضيه مشيئته ، وتصوير لسرعة حدوثها ، بما هوعلم فيها من طاعة المأمور المطيع ، للآمر القوي المطاع ، وبيان لأنه تعالى كما يقدر على خلق الأشياء مدرجا بأسباب ومواد معتادة ، يقدرعلى خلقهـــا دفعة من غير حاجة الى شيء من الأسباب والمواد)(٢).

— (إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ)(٣).

المقصور: استزلال الشيطان
المقصور عليه : ببعض ماكسبوا .

(١) الفخرالرازى ، م ٤ ، ج ٨ ، ص ٥٩
(٢) تفسير أبى السعود ، م ١ ، ج ٢ ، ص ٣٨
(٣) آية ١٥٥

قصر صفة على موصوف قصر قلـــب

سر القصـــر:

في موقعة أحد أزل الشيطان بعض المسلمين ، باشاعة أن الرسول صلـى الله عليه وسلم قد مات . فصدق بعضهم هذه الاشاعة ، وفروا من مواقع الجهاد لغفلتهم ،عن أن هذا الهاتف من الشيطان ، وأنه ما أراد الا ازلالهـــم ولم يذكروا هذه الوسوسة ، فاستجابوا لها ، وخالفوا أمر الرسول ، ونزلوا لأخذ الغنائم . فأراد المولى عز وجل أن يخبرهم بعفوه عنهم ، وسعة رحمته مع عتابهم عتابا رقيقا . فالسياق اذا سياق عفو ومغفرة ـ ولذا جـــاءت الأية بانما ، لقلب اعتقادهم وتنبيههم إلى الخطأ المرتكب .

فالمولى (لم يبين أن الشيطان في أي شيء استزلهم ، وذلك لأن مـع العفو لاحاجة الى تعيين المعصيـــة)(١).

وفي مجيء انما ما يجعل الأمر واضحا وضوحا لا غموض فيه .
وابراز الأمر بهذه الصورة الواضحة ، أبلغ في التذكير والتنبيـــه.

ـ (إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)(٢).

المقصـــور : ذلكم ـ الشيطان .

المقصور عليه : يخوف اوليائه .

قصر موصوف على صفـــــة .

(١) الفخر الرازي . م ٥ ، ج ٩ ، ص ٥٣
(٢) آية ١٧٥

هذا اذا أعربنا اسم الاشارة مبتدأ والشيطان خبره .

أما اذا أعربنا الشيطان مبتدأ ثانيا ، ويخوف خبر المبتدأ الثاني والجملة الاسمية من المبتدأ الثاني وخبره ، في محل رفع خبر المبتدأ الأول ، فيكون المقصور عليه : تخويف الشيطان .

جاء في حاشية الجمل[1] (انما أداة حصر ، واذا اسم اشارة مبتدأ واللام للبعد ، والكاف حرف خطاب ، والميم علامة الجمع ، والشيطان خبره أ هـ . وفي الكرخي ذلكم مبتدأ . والشيطان مبتدأ ثان .. ، ويخوف خبر الثاني ، وهو وخبره خبر الأول)[2].

وحتى يتضح لنا سر القصر في الآية ، لابد من بيان المقصود من قوله تعالى (يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ).

ذكر الفخر الرازي أن قوله تعالى : يخوف أولياءه . فيه سؤال (وهو أن الذين سماهم الله بالشيطان ، انما خوفوا المؤمنين فما معنى قوله الشيطان يخوف أولياءه ، والمفسرون ذكروا فيه ثلاثة أوجه : الأول تقدير الكلام ذلكم الشيطان يخوفكم بأوليائه ، فحذف المفعول الثاني ، وحذف الجار .. ويدل عليه قراءة أبي بن كعب: يخوفكم بأوليائه . القول الثاني : أن هذا على قول القائل : خوفت زيدا عمرا . وتقدير الآية يخوفكم أولياءه . فحذف المفعول الأول كما تقول : أعطيت الأموال . أي أعطيت القوم الأموال . قال ابن الأنباري: وهذا أولى من ادعاء جار لا دليل

(١) هو سليمان بن عمر بن منصور العجيلي الأزهري ، المعروف بالجمل من أهل منية عجيل (احدى قرى الغربية بمصر) . من مؤلفاته : (الفتوحات الالهية) (المواهب المحمدية بشرح الشمائل الترمذية ، وفتوحات الوهاب) . توفي سنة ١٢٠٤ هـ / الاعلام م ٣ ، ص ١٣١ .

(٢) حاشية الجمل . جـ ١ ، ص ٣٣٨

عليه .. وهذا الوجه يدل عليه قراءة ابن مسعود ، ويخوفكم أولياءه
القول الثالث - أن معنى الآية : يخوف أولياءه المنافقين ، ليقعدوا عن قتال المشركين . والمعنى : الشيطان يخوف أولياءه ، الذين يطيعونه ويؤثرون أمره ، فأما أولياء الله ، فانهم لا يخافونه اذا خوفهم ، ولا ينقادون لأمره ومراده منهم . وهذا قول الحسن والسدى ..)(١)

والقول الأخير وان كان صحيح المعنى ، الا أنه لايستقيم مع بقية نص الآية ، وهو قوله تعالى (فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) . فالمنافقون لايخافون الله أصلا .

والمراد بالشيطان فى الآية قيل أبو سفيان ، وقيل هو نعيم بن مسعود ، وقيل هو وفد عبدالقيس . وقيل هم شياطين الجن ،يوسوسون للانسان بالخوف وتهبيط العزيمة .

المهم أن هناك محاولة لتثبيط همم المسلمين بعد معركة أحد، تهدف الى استئصال شأفة المسلمين . فالموقف اذا فيه محاربة للنفس المؤمنة ومحاولة تثبيط ايمانها ، بالقاء الرعب فيها ، وتعجيزها عن نصرة الله بتخويفها من أعداء الله ،وتيئيسها من النصر .

ولما كان الخطاب للنفس المؤمنة ، التى لا تعرف طريق الجدل والانكار والتى سرعان ما تلين وتعود الى طريق الحق . ذَكَّرَهَا المولى عز وجل بما أعده للمؤمنين من الثواب الدائم ، والنعيم المقيم ، لقوة ايمانهم واصرارهم على نصرة الله . (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ) (٢)

(١) الفخرالرازى ، م ٥ ، ج ٩ ، ص ١٠٥
(٢) آية : ١٧٣ - ١٧٤ .

فبعد التبشير بهذا الفضل العظيم مجئ بأسلوب القصر عن طريق انما ، لتحرك مشاعرهم من غير قسوة ، وتذكرهم فى رفق ولين بما يحيط بهم وما يدبر لهم ، لأن النفوس المؤمنة المطمئنة ، لا تحتاج الى أسلوب ردع وزجر أو شدة فى التنبيه والتذكير.

فجاءت هذه الاداة لتهمس فى الآذان بحقيقة الشيطان وتذكر بحقارته وعجزه عن ايذاء المؤمنين حقا.

— (وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ).(١)

فقوله تعالى (وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ) فما هنا اما مصدرية ، واما موصولة ، وعلى هذا لاتكون (انما) هنا أداة حصر. وقد كتبت موصولة بأن . والأصل كتابتها مفصولة ـ التزاما بطريقة المصحف فى الكتابة..

(.. وما مصدرية بمعنى : ولا تحسبن أن املاءنا خير ، وكان حقها فى قياس علم الخط أن تكتب مفصولة ، ولكنها وقعت فى الامام متصلة فلا يخالف وتتبع سنة الامام(٢) فى خط المصاحف).(٣) وجاء فى تفسير الامام الفخر الرازى :(ما فى قوله انما يحتمل وجهين (أحدهما) أن يكون بمعنى الذي ، فيكون التقدير : لاتحسبن الذين كفروا ، أن الذى نمليه خير لأنفسهم ، وحذف الهاء من نملي لأنه لايجوز حذف الهاء من صلة الذى ، كقولك : الذى رأيت زيد ، (والآخر) أن يقال مامع مابعدها فى تقديرالمصدر ، والتقدير:لاتحسبن الذين كفروا أن املائى لهم خير).(٤)

(١) آية : ١٧٨ (٢) المراد به مصحف عثمان رضى الله عنه
(٣) الكشاف م ١ ، ص ٤٨٢
(٤) الفخر الرازى ، م ٥ ، ج ٩ ، ص ١١٠

والقصر فى الآية (إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا).

قصر موصوف على صفة قصر قلـــب.

هذا اذا كان الخطاب للكفار ، على قراءة من قرأ بالياء ، فقد ظنوا أن امهال الله لهم ، معناه رضاه بحالهم ،واستقامة طريقتهم ، فجاءت الآيـــة لقلب هذا الاعتقاد ، وبينت لهم أن الاهمال ، انماهو املاء واستدراج.

ذكر أبو حيان عن ابن عطيه قال : (قال ابن عطيه : معنى هذه الآية الرد على الكفار ، فى قولهم ان كوننا ظاهرين ممولين أصحة دليل علـــى رضا الله بما لنا ، واستقامة طريقتنا عنده ، وأخبر الله تعالى أن ذلـــك التأخير والاهمال ، انماهو املاء واستدراج لتكثير الآثام).(١)

أو هو قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا ، فيه مبالغة. اذا كان الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم على قراءة من قرأ بالتاء ، حيث قصر الاملاء على ازدياد الاثم ، ونفى الازدياد عن جميع الأشياء مبالغة .

ذكر الخازن(٢): (قرئ تحسبن بالتاء والياء ،فمن قرأ بالتـــاء فمعناه : ولا تحسبن يا محمد املاءنا للكفار خيرا لأنفسهم، ومـــن قـــرأ بالياء قال معناه : ولا يحسبن الكفار املاءنا لهم خيرا).(٣)

---

(١) البحر المحيط جـ ٣ ، ص ١٢٤

(٢) هو علاء الدين أبو الحسن على بن محمد بن ابراهيم الشافعى خـــازن كتب خانقاه السميساطية بدمشق . ولد ببغداد سنة ثمان وسبعيـــن وستمائة . كان صالحا خيرا ، من تأليفه : (شرح عمدة الاحكـــام)، (تفسير القرآن العظيم). كان صوفيا بالخانقاة المذكورة . توفى سنة احدى وأربعين وسبعمائة
شذرات الذهب ، م ٦ ، ص ١٣١ .

(٣) تفسير الخازن ، م ١ ، ص ٣٠٧ .

وذكر الألوسى أن الأنسب هو توجه الخطاب للرسول ، لأن الموقف موقف تسلية . قال (والخطاب اما لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الأنسب بمقام التسلية ، الا أن المقصود التعريض بهم ، اذ حسبوا ما ذكر ، واما لكل من يتأتى منه الحسبان ، قصداً الى اشاعة فظاعة حالهم).(١) لما صمم المشركون على معاودة القتال بعد أحد فى حمراء الأسد أو بدر الصغرى ، وكان قصدهم من معاودة القتال نصرة الشرك ، وهدم معاقل الاسلام ، مما أحزن الرسول صلى الله عليه وسلم ، فمن (..شدة حرصه على الناس ، كان يحزنه مبادرة الكفار الى المخالفة والعناد والشقاق)(٢) فجاء السياق القرآنى لتسليته ، ورفع الحزن عنه ، حيث توجه الخطاب اليه (لتشريفه بتخصيصه بالتسلية ، والايذان بأصالته فى تدبير أمور الدين ، والاهتمام بشئونه)(٣)

وبين أنه لا ينبغى له أن يحزن عليهم ، لحرصهم على الكفر ، وشدة رغبتهم فيه ، فعبر عن ذلك بقوله تعالى (الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ) . وفى هذا اشعار باستقرارهم فى الكفر ، ودوام ملابستهم له ، وتكميلا للتسلية ، نفى حذرهم أبدا .(أى لن يضروا بذلك أولياء الله البتة ، وتعليق نفى الضرر به تعالى لتشريفهم ، والايذان بأن مضارتهم بمنزلة مضارته سبحانه ، وفيه مزيد مبالغة فى التسلية). وكرر نفى الضرر لتقرير الحكم وتأكيده فى قوله تعالى : (لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا) تعريض ظاهر باقتصار الضرر عليهم وفى تنكير لفظ (شيئا) لتأكيد ما فى ضررهم من القلة والحقارة .(٤)

وزيادة فى القاء الطمأنينة فى قلبه ، جاءت أداة مخاطبة النفس وتسليتها للتعريض بهم ، ببيان عجزهم عن ادراك العاقبة ، وجهلهم وغفلتهم فقصر املاءه لهم ، او امهاله لهم على ازدياد الاثم . فالرسول لا يجهل أنه ليس فى مقدورهم أن يضروا الله ، وان فى امهالهم حكمة يوجبها المولى .

---

(١) روح المعانى ، ج ٤ ، ص ١٣٥
(٢) تفسير ابن كثير ، ج ٢ ، ص ١٦٤. (٣) تفسير أبى السعود م ١ ، ج ٢ ص ١١٥
(٤) المرجع السابق ص ١١٥ - ١١٦

فجئ بانما هنا لتذكيره وتطمينه ، فالمعنى (لايحسبن هؤلاء الذين يخوفون المسلمين ، فان الله قادر على اهلاكهم ، وانما يطول أعمارهم ليعملوا بالمعاصى ، لا لأنه خير لهم ، ويقال (انما نملى لهم) بما أصابوا من الظفر يوم أحد ، لم يكن ذلك خيرا لأنفسهم ، وانما كان ذلك ليزدادوا عقوبة..)(١)

- (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ).(٢)

المقصور : توفية الأجور.

المقصور عليه : يوم القيامة

قصر صفة على موصوف قصر قلب .

سر القصر :

جاءت هذه الآية فى سياق تسلية الرسول والمؤمنين ، عما أصابهم يوم أحد من الحزن الشديد على قتلاهم وعلى هزيمتهم . فأكدلهم القرآن أن كل نفس ذائقة الموت لا محالة ، وأن قتلاهم لولم يموتوا في تلك المعركة ، لماتوا بعد ذلك . ثم جئ بانما ونزلوا - لما أصابهم من الحزن والغم على موتاهم وعلى هزيمتهم - منزلة من يعتقد أن توفية الأجر ، لا تكون الا فى الدنيا .

فقلب اعتقادهم هذا ، وقصر توفية الأجر على يوم القيامة ، أى أن (تمام الأجر والثواب لايصل الى المكلف الا يوم القيامة ، لأن كل منفعة تصل الى المكلف فى الدنيا فهى مكدرة بالغموم والهموم ، وبخوف الانقطاع

(١) القرطبى ، م ٢ ، ج ٤ ، ص ٢٨٦ - ٢٨٧
(٢) آية : ١٨٥

والزوال ، والأجر التام والثواب الكامل ، انما يصل الى المكلف يوم القيامة لأن هناك يحصل السرور بلا غم ، والأمن بلا خوف ، واللذة بلا ألم ، والسعادة بلا خوف الانقطاع . وكذا القول في جانب العقاب ، فانه لايحصل في الدنيا ألم خالص عن شوائب اللذة ، بل يمتزج به راحات وتخفيضات . وانما الألم التام الخالص الباقي ، هو الذي يكون يوم القيامة نعوذ بالله منه).(١)

ولأن الموقف موقف تسلية ، ذكر لفظ أجور في المقصور ، مرادا به الطاعة والمعصية . مع أن الغالب في الاستعمال أن الأجر مايترتب على عمل الطاعة ، وذلك اشارة الى مغفرة المولى للرسول محمد صلى الله عليه وسلم وأمته .(٢) وفي هذا مايبعث الطمأنينة والسكينة في نفوسهم . قال ابن عطيه :(وخص تعالى ذكر الأجور لشرفها ، واشارة الى مغفرته لمحمد صلى الله عليه وسلم وأمته).(٣)

* *

النساء

- (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا).(٤)

المقصور : المأكول .

المقصور عليه : النار

---

(١) تفسير الفخر الرازي ، م ٥ ، ج ٩ ، ص ١٣٠

(٢) البحر المحيط ، ج ٣ ، ص ١٣٤

(٣) نقلا عن المرجع السابق ، نفس الجزء والصفحة

(٤) آية : ١٠ .

قصر صفة على موصوف اما قصرا حقيقيا ، فيه مبالغة . أو هو قصر حقيقى تحقيقى ، أو هو قصر قلب .

سر القصر :

لقد تكرر التحذير من أكل مال اليتيم ظلما ، وكثر الوعيد فى هذه الآيات مرة بعد أخرى ، على من يفعل ذلك . قوله تعالى : (وَلَا تَتَبَدَّلُوا الخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيرًا)(١) (وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَةً ضِعَافًا)(٢) .

فالقوم اذن لديهم معرفة وعلم بهذه الحرمة ، والحديث فى الآية عن اليتامى ، فلكمال ضعفهم وقلة حيلتهم ، استحقوا من الله مزيدا من العناية ، فدل هذا الوعيد على سعة رحمة المولى عز وجل ، وكثرة عفوه وفضله ، لأن اليتامى لما بالغوا فى الضعف الى الغاية القصوى ، بلغت عناية الله بهم الى الغاية القصوى .

لذا جاءت انما لتظهر لنا عذاب مرتكب هذا الذنب ظهورا تشمئز منه النفس ، وترتعد له الفرائص ، فنفى الأكل عن جميع الأشياء ، وأثبت للنار ، اما على وجه الحقيقة ، فيكون القصر حقيقيا تحقيقيا ، لحمل بعض المحققين النار على ظاهرها . واما على وجه المبالغة ، لقول بعض المحققين أن النار هنا مجاز مرسل من ذكر المسبب وارادة السبب .

ولقد ذكر الامام الألوسى آراء المحققين فى معنى النار هنا ، فقال : (فالنار مجاز مرسل من ذكر المسبب وارادة السبب ، وجوز فى ذلك الاستعارة على تشبيه ما أكل من اموال اليتامى بالنار لمحق مامعه ، واستبعده بعض المحققين ، وذهب بعضهم الى جواز حمله على ظاهره)(٣) . فعن عبدالله بن

---

(١) سورة النساء ، بعض آية : (٢)
(٢) سورة النساء ، بعض آية (٩)
(٣) روح المعانى ، ج ٤ ، ص ٢١٥ ، ـ ٢١٦

جعفر أنه قال : من أكل مال اليتيم ، فانه يؤخذ بمشفرة يوم القيامة فيملأ فمه جمرا ، ويقال له كل ما أكلته فى الدنيا ، ثم يدخل السعير الكبرى. وأخرج ابن جرير ، وابن أبى حاتم ، عن أبى سعيد الخدرى قال : (حدثنى النبى صلى الله عليه وسلم عن ليلة أسرى به ، قال : نظرت فاذا أنا بقوم لهم مشافر كمشافر الابل ، قد وكل بهم من يأخذ بمشافرهم ثم يجعل فى أفواههم صخرا من نار ، فيقذف فى أجوافهم ، حتى تخرج من أسافلهم ، ولهم خوار وصراخ . فقلت يا جبريل من هؤلاء ؟. قال : الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما)[1].

ويجوز أن يكون القصر فى الآية قصرًا اضافيا قصر قلب . اذا كانوا يعتقدون أن فى أكلهم مال اليتيم حق لهم ، وأن ما يأكلونه حلال لا حرمة فيه .

(إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً)[2].

المقصور : التوبة — (بخط اليد: ويجوز أن يكون المقصور : التوبة على الله)

المقصور عليه : كونها على الله — (بخط اليد: المقصور عليه : للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب)

قصر موصوف على صفة قصرا حقيقيا ، فيه مبالغة .

سر القصر :

لو تأملنا السياق الذى جاءت فيه الآية ، لوجدناه سياقا يتضمن معاني رقيقة ، تدل على الرحمة والمغفرة ، والوعد بقبول التوبة . قال

(١) الطبرى ، م ٣ ، ج ٤ ، ص ١٨٤
(٢) آية : ١٧

تعالى : (والذان يأتيانها منكم فآذوهما فان تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما ان الله كان توابا رحيما)[١].

فبعد أن قرر المولى عز وجل أن المرتكبين للفاحشة ، اذا تابا وأصلحا زال الأذى عنهما ، أخبر على الاطلاق أيضا أنه تواب رحيم .
وجيء بإنما لبيان ظهور هذا الأمر وأن بابا مفتوح لمن يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب
وكذلك جيء بهما في هذه الآية للترغيب في تعجيل التوبة ، بتذكير الخلق بوقتها وشروطها ، لئلا يأتيهم الموت وهم مصرون ، فلا تنفعهم التوبة . وجاء هذا الترغيب بقصر التوبة على الله ، وجعلها أمرا لازما متحقق الثبوت البتة ، بحكم سبق الوعد ، حتى كأنه من الواجبات أي أنه أوجب على نفسه من غير ايجاب أحد عليه ، لأنه تعالى يفعل ما يريد[٢].

والقصر في الآية قصر حقيقي ، لأن المولى عز وجل نفى قبول التوبة عن جميع ما عداه ، وأثبتها لذاته العليا.

وفي تأكيد التوبة بهذا الأسلوب ، ما يبعث الطمأنينة في النفس ، ويرغبها في الاقبال على التوبة.

— (وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا)[٣]

المقصور : الكسب
المقصور عليه : كونه على نفسه

---

(١) آية ١٦ من نفس السورة (٢) انظر روح المعاني ، ج ٤ ، ص ٢٣٨
الخازن ، م ١ ، ص ٣٣٧ (٣) آية : ١١١

قصر موصوف على صفة قصر قلب

سر القصر:

جاء في الآيات السابقة النهي عن الجدال ، عن الذين يختانون أنفسهم . قال تعالى : (ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم ان الله لايحب من كان خوانا أثيما).(١)

أي لا تجادل يا محمد ، ولا تخاصم عن الذين يختانون أنفسهم . يعني يخونون أنفسهم ، يجعلونها خونه ،بخيانتهم ماخانوا من أموال من خانوه ماله .(٢)

وكان هؤلاء الخائنين لأنفسهم يحاولون الاستخفاء من الناس، ظنا منهم أن في تخفيهم عن الناس والصاق التهم بغيرهم ،ابعادا للاثم عنهم

---

(١) آية ١٠٧

(٢) الطبري، م ٤ مج ٥ ، ص ١٧٤.

يرى جمهور المفسرين أن هذه الآية نزلت بسبب حادثة رواها الترمذي حاصلها أن أخوة ثلاثة يقال لهم : بشر وبشير وبشر أبناء أبيرق ، وقيل أبناء طعمه بن أبيرق ، وقيل انما كان بشير أحدهم يكنى أبا طعمه وهم من بني ظفر من أهل المدينة ، وكان بشير شرهم ، وكان منافقا يهجو المسلمين بشعر يشيعة وينسبه الى غيره وكان هؤلاء الأخوة في فاقة ،وكانوا جيرة لرفاعة بن زيد . وحدث أن أقبلت عير منالشام بدرمك - وهو دقيق الحوارى أي السميذ ، فابتاع منها رفاعة بن زيد حملا من درمك لطعامه وكان أهل المدينة يأكلون دقيق الشعير فاذا جاء الدرمك ابتاع منه سيد المنزل شيئا لطعامه ، فجعل الدرمك في مشربة له وفيها سلاح ، فعدى بنو أبيرق عليه فنقبوا مشربته وسرقوا الدقيق والسلاح . فلما أصبح رفاعه ووجد مشربته قد سرقت أخبر ابن أخيه قتادة بن النعمان بذلك ، فجعل يتحسس فأنبئ بأن بني أبيرق استوقدوا في تلك الليلة ولعله على بعض

قال تعالى : (يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً). (١)

فجاء أسلوب القصر هنا ، لقلب اعتقادهم هذا ، وتأكيد أن جزاء الاثم لاحق بالآثم وحده . فقصرت الآية كسب الاثم على نفس الكاسب ، ثم جيء بقوله تعالى : (وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ، ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً).(٢)

زيادة فى التحذير من أن يرمى كاسب الاثم بريئا بما اكتسبه .

— (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْراً لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً)(٣)

المقصور: المسيح عيسى بن مريم

المقصور عليه : رسول الله ـ كلمة الله ـ كونه روحا من عند الله

قصر موصوف على صفة قصر افراد .

سر القصر: لما أجاب القرآن عن شبهات اليهود ، الذين بالغوا فى الطعن

طعام رفاعه ، فلما افتضح بنو أبيرق طرحوا المسروق فى دار أبى قليل الأنصارى . وقيل فى دار يهودى اسمه زيد بن السمين ، وقيل : لبيد بن سهل ، وجاء بعض بنى ظفر الى النبي صلى الله عليه وسلم ـ فاشتكوا اليه أن رفاعه وابن أخيه اتهما بالسرقة أهل بيت ايمان وصلاح . قال قتادة فأتيت رسول الله فقال لى : (عمدت الى أهل بيت اسلام و صلاح فرميتهم بالسرقة على غير بينة) . وأشاعوا فى الناس أن المسروق فى دار أبى قليل أو دار اليهودى فما لبث أن نزلت الآية وأطلع الله رسوله صلى الله عليه وسلم على الأمر معجزة له ./

سنن الترمذى ، أبواب تفسير القرآن ، ج ٤ ، ص ٣١٠ ـ ٣١٣

١) آية : ١٠٨ . ٢) آية : ١١٣ . ٣) آية : ١٧١ .

فى المسيح ، تحدث فى هذه الآية مع النصارى الذين بالغوا فى تعظيم المسيح وكلا الطرفين قصدهم نميم .(١)

فالمسيح بن مريم ، يتصف بثلاث صفات ، كونه رسولا وكونه كلمة الله ألقاها الى مريم ، وكونه روحا من عند الله فهذه هى حقيقته ، والنصارى كانوا يعلمون هذه الحقيقة ، الا أنهم لغلوهم أخرجوها عن أصلها ، وتجاوزوا الحد فيها ، فجعلوا المسيح مع كونه رسولا ابنا لله . وجعلوه الها ، لأنه من روح الله .

ولابطال ما زعموه ، جاء القصر بانما ، لتبرز لهم حقيقة المسيح وتجعلها قريبة مألوفة مأنوسة للنفس . حيث أكدت أن عيسى عليه السلام مقصور على ثلاث صفات وهى الرسالة ـ كلمة الله ـ كونه روحا . ونفت عنه كونه ابنا والها ، وزيادة فى تقرير هذه الحقيقة مجئ بأسلوب آخر للقصر ، عن طريق انما لتنزيه المولى عن اتخاذ الولد ، بتقرير هذا التنزيه تقريرا ، لايمكن أن تنكره النفس . فقال تعالى : (إِنَّمَا اللَّهُ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ) فقصرت الذات العليا على الألوهية ، ونفى عنها صفات البشر ، من اتخاذ الولد أى (ليس له أجزاء ، ولا أقانيم ، ولا هو مركب ، ولا متحد بشئ من المخلوقات . (سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ) ، أى تنزه وتقدس عن أن يكون له ولد ، كما تقولون فى المسيح أنه ابنه ، وأنه هو عينه ، فانه تبارك وتعالى ليس له جنس ، فيكون له منه زوج ، يقترن بها ، فتلد له ابنا . والنكتة فى اختيار لفظ الولد فى الرد عليهم ، على لفظ الابن الذى يعبرون به ، هى بيان أنهم اذا كانوا يريدون الابن الحقيقى الذى يفهم من هذا اللفظ ، فلابد أن يكون ولدا ، أى مولودا ، من تلقيح أبيه لأمه

(١) الفخر الرازى ، م ٦ ، ج ١١ ، ص ١١٧

وهذا محال على الله تعالى)[1]

والقصر هنا قصر موصوف على صفة قصر افراد ، لأن النصارى اعتقدوا كون الله الها ، مع كونه أبا للمسيح عليه السلام .

فقصرت الذات العليا على صفة الألوهية ، ونفيت عنها صفة الأبوة .

* *

سورة المائدة

– (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ من المتقين)[2]

المقصور : التقبل

المقصور عليه : من المتقين

قصر صفة على موصوف ، اما قصر افراد ، اذا كان الناطق بهذه الجملة هو هابيل عليه السلام . أوهو قصر حقيقى ، فيه مبالغة ، اذا كانت الجملة معترضة ، وهى من كلام الله عز وجل .

سر القصر :

جاءت الآية الكريمة فى سياق تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم

(١) المنار ، م ٦ ، ص ٨٧

(٢) آية : ٢٧.

لمّا هم قوم من اليهود ، أن يمكروا به ، وأن يوقعوا به آفة ومحنة (١) ورفضوا الايمان به حسدا . ، فجيء بجملة القصر معترضة بين القصة وهي اما من كلام الله تعالى لنبيه ، كأنه تعالى بين للرسول صلى الله عليه وسلم ، أنه لم يتقبل من قابيل ، لأنه لم يكن تقيا ، فقصر التقبل على المتقين . دون غيرهم . مبالغة فى رفع شأنهم ، والسر فى اعلامه صلى الله عليه وسلم بجملة قصر معترضة ، مع علمه صلى الله عليه وسلم بأن الله يقبل الطاعات من المتقين ، لأنه ليس المقصود هو الاخبار بظاهر المعنى ، لعلم الرسول به ، وانما القصد هو التعريض بأعمال هؤلاء الكفار وأنهم مهما عملوا فلن يقبل منهم . واظهار هذه الحقيقة بهذه الصورة - أبلغ فى تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأشد تقبيحا لخصلة الحسد ، التى منعت اليهود من الايمان ، ومنعتهم من أن يكونوا متقين

واما أن تكون جملة القصر من كلام هابيل ، اذا قدر فى الكلام حذفا كأن هابيل قال: لم تقتلنى ، قال : لأن قربانك صار مقبولا ، فقال هابيل وما ذنبى ، انما يتقبل الله من المتقين . (٢) فيكون هابيل ، هو الناطق بجملة القصر . والسر فى مجيئها واستعمال هابيل لأسلوب التعريض حذرا من تهييج قابيل - الذى كان يعتقد أن الله قد يتقبل من المتقى وغيره فأفرد المتقين دون غيرهم - .

وترغيبا له بهذا الأسلوب اللطيف ، فى الاقلاع عما نواه من قتله وتنبيها له على شناعة الفعل ، الذى سيقوم به .

وقد ذكر ذلك الامام أبو السعود فقال: (إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ) أى -

---

(١) الفخر الرازى ، م ٦ ، ج ١١ ، ص ٢٠٨

(٢) الفخر الرازى ، م ٦ ، ج ١١ ، ص ٢١١

القربان (منا لمتقين) لامن غيرهم . وانما تقبل قربانى ، ورد قربانك لما فينا من التقوى وعدمه . أى انما أتيت من قبل نفسك لامن قبلى فلم تقتلنى خلا أنه لم يصرح حذرا من تهييج غضبه وحملا له على التقوى والاقلاع عما نواه ولذلك أسند الفعل الى الاسم الجليل لتربية المهابة ثم صرح بتقواه على وجه يستدعى سكون غيظه لوكان له عقل وازع ، حيث قال بطريق التوكيد(لئن بسطت الى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى اليك لأقتلك).(١)

ويبدو لى أن فى ذكر هذه القصة للرسول عليه الصلاة والسلام بهـذا الأسلوب الذى استعمله هابيل فى تهدئة أخيه توجيها وارشادا للرسـول صلى الله عليه وسلم بأن يستعمل مع قومه هذه الطريقة فى الدعوة لما تدل عليه من الصبر على الأذى ، بل هى طريقة فى تربية النفس المؤمنة فـى مواجهة الخصم فاذا احتد وغضب فعليها مواجهته فى بداية الأمر باللطـف والملاينة والتعريض بفعله لا التصريح به حتى يهدأ غضبه ويسكن.

— (إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِى الأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْتُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خِلَافٍ أَوْيُنفَوا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُم خِزْىٌ فِى الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِى الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ).(٢)

المقصور : جزاء المحاربين لله ورسوله والمفسدين فى الأرض .

المقصور عليه : القتل والصلب وتقطيع الأيدى والأرجل

قصر موصوف على صفة قصر قلـب .

سر القصـر:

لما قتل قوم العرينين وعكل راعي الرسول صلى الله عليه وسلـم

---

(١) تفسير أبى السعود م ٢ ، ج ٣ ، ص ٢٦ _ ٢٧

(٢) آية : ٣٣ .

وأخذوا الذود [١] ، غضب الرسول صلى الله عليه وسلم ، لأنهم جعلوا الاسلام خديعة ، وطريقا للسلب والنهب ، ولشدة غضبه أمر بالتمثيل بهم ، فأمره هذا معناه عدم انكاره صلى الله عليه وسلم للتمثيل ، واعتقاده أنه العقاب الأمثل لهم . فنزلت هذه الآية لعتابه صلى الله عليه وسلم ، ولما كان المقام مقام عتاب للرسول صلى الله عليه وسلم ، جاءت انما للتلطف في معاتبته ، وقلب اعتقاده في حكم التمثيل ، بابطاله ونسخه ، فقصرت جزاءهم على القتل ، أو التصليب والنفي ونفت حكم التمثيل بهم.

---

(١) روى الامام مسلم عن أنس بن مالك : أن أناسا من عرينة ، قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فاجتووها ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شئتم أن تخرجوا الى ابل الصدقة ، فتشربوا من ألبانها وأبوالها ، ففعلوا فصحوا ، ثم مالوا على الرعاء فقتلوهم ، وارتدوا عن الاسلام ، وساقوا ذود رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبعث في أثرهم ، فاتى بهم فقطع أيديهم وأرجلهم ، وسمل أعينهم ، وتركهم في الحرة حتى ماتوا . /

صحيح مسلم - شرح النووي ، كتاب القسامة ، باب حكم المحاربين والمرتدين ، م ٦ ، ج ١١ ، ص ١٥٤ - ١٥٥

صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، سورة المائدة ، م ٦ ، ج ٦ ص ٦٥.

مسند الامام أحمد ، مسند أنس بن مالك ، م ٣ ، ص ١٠٧

ـــ (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ).(١)

المقصـــور : وليكم

المقصور عليه : الله ورسوله والذين آمنوا .

قصر صفة على موصوف اما قصر افراد ، واما قصرا حقيقيا ، فيه مبالغة.

سر القصـــر :

كان لليهود فى المدينة غلبة وقوة نفوذ ، ولذا كان بعض المؤمنين يوالونهم طلبا للمنعة والقوة ، ولا ينكرون مشاركة هذه الولاية لولايـــة الله عز وجـــل .

فأراد القرآن نهيهم عن هذه الموالاة ،بكشف حقيقة اليهود، وجـــاء كشف هذه الحقيقة بطريق يزيد من تحقيرهم ، ويدفع للنفور منهم ومـــن ولايتهم . فجاءت انما التى لا تدع مجالا للتأول ، ولا تدع مجالا لتمييـــع التصور ، فحصرت الولاية فى الله ورسوله والذين آمنوا ، والذين من صفاتهم أنهم يقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة ، ونفتها عمن يستهزئ بالصـــلاة ويمنع الزكاة . وفى مجئ انما تعريض بهم ، وأنهم لايساوون شيئا بجانب هؤلاء المؤمنين .

ولقد ذكر الامام أبوالسعود كلاما لطيفا فى بيان سر هذا القصـــر فقال : (لما نهاهم الله عز وجل عن موالاة الكفرة ، وعلله بأن بعضهـــم أولياء بعض ، لايتصور ولايتهم للمؤمنين ، وبين أن من يتولاهم يكون مـــن

---

(١) آية : ٥٥

جملتهم . وبين هنا من هو وليهم ، بطريق قصر الولاية عليه ، كأنه قيل لا تتخذوهم أولياء ، لأن بعضهم أولياء بعض ، وليسوا بأوليائكم ، انما أولياؤكم الله ورسوله والمؤمنون ، فاختصوهم بالموالاة ، ولا تتخطوهم الى غيرهم ، وانما أفرد الولي مع تعدده للايذان ، بأن الولاية أصالة لله تعالى ، وولايته عليه السلام ، وكذا ولاية المؤمنين بطريق التبعية لولايته عز وجل .)(١)

ويبدو لي أنه من الممكن أن يكون القصر في الآية قصرا حقيقيا ، فيه مبالغة . اذا كان المقصود من الآية توجيه المسلمين الى اتخاذ الأولياء في أي حال من الأحوال ، من غير النظر الى فئة اليهود ، بغرض تقرير هذه الولاية ، فيكون نفي الولاية واقع على جميع ماعدا الله ورسوله والمؤمنون .

فكأن ولاية غيرهم كلا ولاية ، بجانب ولايتهم . وفي هذا رفع شأن لولاية الله ورسوله والمؤمنين ، وتحقير لولاية ماعداهم .

— (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ(٢) وَالْمَيْسِرُ(٣) وَالأَنْصَابُ(٤) وَالأَزْلَامُ(٥) رِجْسٌ(٦) مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ).(٧)

---

(١) تفسير أبي السعود . م ٢ ، ج٣ ، ص ٥٢ .

(٢) الخمر : كل ماخامر العقل ، وغطاه .
(٣) الميسر : القمار
(٤) الأنصاب : هي الحجارة التي كانوا ينصبونها للعبادة ، ويذبحون عندها
(٥) الأزلام : القداح التي كانوا يستقسمون بها .
(٦) الرجس : الرجس في اللغة : كل ما استقذر من عمل ، ويقال رجس الرجل رجسا ، ورجس اذا عمل عملا قبيحا ، وأصله من الرجس . بفتح الراء وهو شدة الصوت ، يقال سحاب رجاس : اذا كان شديدا لصوت بالرعد . فكان الرجس هو العمل: الذي يكون قوي الدرجة ، كامل الرتبة في القبح

(٧) آية : ٩٠ .

المقصور: الخمر ، والميسر والأنصاب والأزلام .

المقصور عليه : الرجس

قصر موصوف على صفة اما قصر قلب، واما قصر حقيقى ،فيه مبالغة.

سر القصر:

لما كان من أبرز معالم الجاهلية ، تعاطى الخمر ولعب الميسر والاستقسام بالأنصاب والأزلام ، وهى من العادات المتغلغلة فى النفوس فى ذلك العهد ، والتى يصعب التخلص منها دفعة واحدة ، عالج القرآن هذه القضية بحكمة بالغة ، يظهر فيها الاعجاز القرآنى.

فبعد أن ثبت فى النفوس قول لا اله الا الله تثبيتا هيأها للاستجابة لكل أمر الهى ، وتأكد من صحة عقيدتها ، بدأ فى تخليصها من عادات الجاهلية ف (لما أنزل الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَاتُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ)وقوله : (وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالاً طَيِّباً) آية (٨٨) ، وكانت الخمر والميسر مما يستطاب عندهم ، بين الله فى هذه الآية : أن الخمر والميسر غير داخلين فى جملة الطيبات المحللات ، بل هى من جملة المحرمات)(١)

ولما كان الخطاب للمؤمنين الذين كانوا فى ذلك العهد ، لاينكرون أمر الخمر والميسر ، بل يظنون ويعتقدون أنها من الأمور التى أحلها الله سبحانه وتعالى ، وأنها أمور مستحسنة لاقبح فيها ، ولما كانت متمكنة فى نفوسهم ، جاء التحريم مؤكدا بفنون التوكيد ، حيث صدرت الجملة بانما لقلب ذلك الاعتقاد ، ولانتزاع محبة الخمر والميسر والأنصاب والأزلام من قلوبهم انتزاعا تاما ، ولكن من غير ألم ولا تجريح . جىء بانما لأن المقام هنا مقام توجيه وارشاد ، وليس مقام زجر وردع . فقصر هذه الأربعة على الرجس ، وهو الأمر المستقبح ، ومبالغة فى النهى عنها.

(١) الفخر الرازى ، م ٦ ، ج ١٢ ، ص ٨٤

(٢) روى الامام أحمد عن مصعب بن سعد أنه نزلت فى أبيه أربع آيات منها (انما الخمر والميسر) فذكر أن رجلا من الأنصار صنع طعاما ، فأكلوا

(... جمع الخمر والميسر مع الأنصاب والازلام ، أولا ثم أفردهما آخرا . لأن الخطاب مع المؤمنين ، وانما نهاهم عما كانوا يتعاطونه من شرب الخمر واللعب بالميسر . وذكر الأنصاب والأزلام لتأكيد تحريم الخمر والميسر، واظهار أن ذلك جميعا من أعمال أهل الشرك فكأنه لا مباينة بين عابد الصنم وشارب الخمر ، والمقامر ، ثم أفردهما بالذكر ، ليعلم أنهما المقصود بالذكر).(١)

ولتأكيد النهى ، قال تعالى بصيغة الأمر : (فاجتنبوه) ،مع أن ظاهر الأمر للوجوب . ثم قال : لعلكم تفلحون . فجعل الاجتناب إفلاحا ، واذا كان الاجتناب إفلاحا ،فلا شك كان الارتكاب خيبة .(٢)

ويبدو لى أنه من الممكن ، أن يكون القصر حقيقيا ،فيه مبالغة . حيث قصرت هذه الأنواع الأربعة على الرجس دون غيره من الصفات . ونفى عنها جميع الصفات الباقية ، لعدم الاعتداد بتلك الصفات .

— (إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ).(٣)

المقصور : مُراد الشيطان.

المقصور عليه : ايقاع العداوة والبغضاء ، والصد عن ذكر الله وعن الصلاة

قصر صفة على موصوف قصر قلب

وشربوا وانتشوا من الخمر ، وذاك قبل أن تحرم ، فاجتمعنا عنده فتفاخروا ، وقالت الأنصار : الأنصار خير ، وقالت المهاجرون المهاجرون خير . فأهوى له رجل بلحى فرور ، ففزر أنفه فكان أنف سعد مفزورا . فنزلت : يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر الى قوله فهل أنتم منتهون / مسند الامام أحمد/مسند أبى اسحق سعد بن أبى وقاص ، ج ١ ، ص ١٨١.

(١) النسفى ، ج ١ ، ص ٣٠١ (٢) الفخر الرازى ، م ٦ ، ج ١٢ ، ص ٨٦
(٣) آية : ٩١

سر القصـــر:

هذه الايـة مرتبطة بما قبلها ، فبعد أن أكد الله نهيه عن الخمر والميسر ، جاء للمؤمنين بأدلة عقلية مشاهدة ، لا ينكرها أصحاب العقول الفطنة ، فأوضح لهم أضرارها الدنيوية والدينية ، وجاء هذا الايضاح عن طريق القصر لتأكيد النهى ، بتجسيم قبحها ، والتحقير من شأنها ، مما ينفر القلوب السليمة. فقصر ارادة الشيطان على العداوة والبغضاء ، وعلى الصد عن ذكر الله . وعن الصلاة .

وهذه الأمور لايقبلها المؤمن الحق ، وزيادة فى التنبيه ، خص (.. الصلاة بالافراد ، مع دخولها فى الذكر للتعظيم ، والاشعار بأن الصاد عنها كالصاد عن الايمان لما أنها عماده ، ثم أعيد الحث على الانتهاء بصيغة الاستفهام مرتبا على ما تقدم من أصناف الصوادف. فقيل : (فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ) ، ايذانا بأن الأمر فى الزجر والتحذير ، وكشف ما فيهما من المفاسد والشرور ، قد بلغ الغاية ، وأن الاعذار قد انقطعت بالكلية)[١].

- (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ)[٢].

القصر فى هذه الآية عن طريق انما المفتوحة

وقد ذكرت سابقا ، أنه لامانع من افادتها للقصر مثلها فى ذلك مثل انما المكسـورة.

المقصـور: الرسول

---

(١) تفسير أبي السعود ، م ٢ جـ ٣ ، ص ٧٦ . (٢) آية : ٩٢

المقصور عليه : البـــلاغ
قصر موصوف على صفة قصر قلـب

سر القصـــر :

سبق أن حللت فى سورة آل عمران قوله تعالى : (إِنَّمَا عَلَيكَ البَلَاغ)(١) ولكن يظهر لى أن سر القصر فى آية المائدة ، التى نحن بصدد تحليلها ، يختلف عن السر فى سورة آل عمران .

ففى الآية هناك كان الخطاب موجها للنبى صلى الله عليه وسلم ، وكان السياق يتحدث عن أهل الكتاب وجحودهم ، مما أحزن قلب الرسول صلى الله عليه وسلم ، فجاءت الآية لتسليته ، والقاء الطمأنينة فى نفسه ، بأنـه قد أدى الأمانة ، وأن مهمته لا تتجاوز التبليغ الى الهداية .

وفى هذه الآية اختلف السياق ، واختلف توجيه الخطاب ، فالسيـاق هنا عن تحريم الخمر ، وهو أمر متغلغل فى نفوس المخاطبين من المؤمنيـن وهم لا ينكرون مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويعلمونها حق العلـم وأنها لا تتعدى البلاغ ، ولكن لشدة هذا الأمر - تحريم الخمر - وصعوبـة تنفيذه على تلك النفوس المشغوفة به ، كأنهم ظنوا أن فى مقدور الرسول صلى الله عليه وسلم خلق الطاعة فيهم ، مما يخلصهم من هذا الأمر دفعة واحدة . فنزلوا منزلة من لا ينكر كون خلق الطاعة منه صلى الله عليه وسلم وجاءت انما لقلب هذا الاعتقاد ، وقصرت الرسول على التبليغ لا يتعداه الـى الهداية وخلق الطاعـــة .

ورأى الامام أبو حيان : أن الآية متضمنة معنى الوعيد والتهديـــد (أى فان أعرضتم ، فليس على الرسول الا أن يبلغ أحكام الله ، وليس عليـه

(١) آية : ٢٠

خلق الطاعة فيكم ، ولا يلحقه من توليكم شئ . بل ذلك لاحق بكم ، وفي هذا من الوعيد البالغ مالاخفاء به ، اذ تضمن أن عقابكم انما يتولاه المرسل لا الرسول ، وما كلف الرسول من أمركم غير تبليغكم ، ووصف البلاغ بالمبين اما لأنه بَيِّنٌ في نفسه واضح جلي ، واما لأنه مبين لكم أحكام الله وتكاليفه بحيث لا يعتريها شبهة ، بل هي واضحة نيرة جلية ، وذهب الجمهور الى أن هذه الآية دلت على تحريم الخمر وهو الظاهر ، وقد حلف عمر فيها).(١)

وكذلك ذكر الامام أبو السعود في تفسيره ، أن آنما حملت معنى التهديد والوعيد ، الا أنه اعترض على من قال : ان المعنى : فاعلموا أنكم لم تضروا بتوليكم الرسول ، لأنه ماكلف الا البلاغ المبين ، وانما الاضرار واقع بكم . وهذا ما ذهب اليه الامام أبو حيان في كلامه السابق ، ورآى أن معنى التهديد في قوله : فاعلموا انما على رسولنا البلاغ . مبني على أن الرسول صلى الله عليه وسلم (... قد فعل ذلك بما لا مزيد عليه ، وخرج عن عهدة الرسالة أي خروج ، وقامت عليكم الحجة ، وانتهت الأعذار وانقطعت العلل ، وما بقى بعد ذلك الا العقاب ، وفيه من عظم التهديد وشدة الوعيد مالا يخفى). ثم قال معترضا : (وأما ما قيل من أن المعنى فاعلموا أنكم لم تضروا بتوليكم الرسول ، لأنه ماكلف الا البلاغ المبين بالآيات ، وقد فعل وانما ضررتم أنفسكم ، حين أعرضتم عما كلفتموه ، فلا يساعده المقام اذ لا يتوهم منهم ادعاء أنهم بتوليهم يضرونه صلى الله عليه وسلم ، حتى يرد عليهم ، بأنهم لا يضرونه وانما يضرون أنفسهم).(٢)

ويبدو لي أن المعنى الذي اعترض عليه الامام أبو السعود جائز ، اذا قلنا أن المؤمنين لشغفهم بالخمر ، قد يعرضوا ويتولوا . لذا نزلوا منزلة من لاينكر أن في توليهم واعراضهم اضرار بالرسول ، فجاءت انما لقلب

---

(١) البحر المحيط ، ج ٤ ، ص ١٥

(٢) تفسير أبي السعود ، م ٢ ، ج ٣ ، ص ٧٦ .

اعتقادهم ، وتنبيههم الى أن الرسول ليس عليه الا البلاغ ، وليس عليه خلق الطاعة فيهم ، ولا يلحقه من توليهم شئ بل ذلك لاحق بهم .

ولشدة التهديد فى الآية سبقت جملة القصر بفعل الأمر (اعلموا) للتنبيه ، ولفت النظر الى أهمية ما سيقال . ويلاحظ أن لفظ رسول أضيف الى ضمير (الجماعة) العائد الى الذات العليا ، زيادة فى التهديد .

ومما يلفت النظر أن آيات تحريم الخمر ، جاءت مصدرة بانما . وفى كل آية كانت انما تحمل معنى مغايرا للآخر . ففى الآية الأولى فى قوله تعالى: (انما الخمر والميسر) ، لانسمع لها الاصوتا هادئا ناعما ، وذلك لأن الموقف موقف توجيه وارشاد ، ولأن القوم لم يكن لهم سابق علم بالتحريم ثم يعلو صوتها قليلا حين جاءت بالأدلة الفعلية لتأكيد هذا التحريم ولما تقرر أمر التحريم ، ووضح أمامهم بالبراهين والأدلة ، ببيان ضرره الدنيوى والدينى ، واكتملت الحجة ولم يبق مجال لأى مؤمن لارتكاب هذا الذنب ، جاءت انما تهدد وتتوعد من يقرب هذه الأمور بعد تحريمها .

* *

سورة الأنعام

— (قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُل لَّا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ). (١)

للعلماء فى (ما) هنا - مذهبان ، فجوز فريق كونها : اما كافة أو

(١) آية : ١٩

موصولة ، ورجح كونها موصولة .

ومن هذا الفريق الامام أبو البقاء ، حيث ذكر أن لـ (ما) هنا وجهين ، ورجح كونها موصولة ، فقال : (في ما وجهان : أحدهما هي كافة لأن عن العمل ، فعلى هذا هو : مبتدأ ، واله خبره ، وواحد صفة مبينة والثاني أنها بمعنى الذي ، في موضع نصب بأن ، وهو مبتدأ ، واله خبره والجملة صلة الذي ، وواحد خبر ان . وهذا أليق بما قبله).(١)

وكذلك رجح الامام النسفي كونها موصولة ، فقال : (ماكافة لأن عن العمل ، وهو مبتدأ ، واله خبره ، وواحد صفة . أوبمعنى الذي في محل النصب بأن ، وهو مبتدأ ، واله خبره ، والجملة صلة الذي ، وواحد خبر ان ، وهذا الوجه أوقع).(٢)

ورأى الفريق الآخر كونها كافة لا موصولة ، فاعترضوا على من قال بأنها موصولة . وضُعِّف في حاشية الجمل كونها موصولة. فقيل : (ويجوز في ما هذه وجهان ، أظهرهما أنها كافة لأن عن عملها ، وهو مبتدأ ، واله خبره ، وواحد صفة . والثاني أنها موصولة بمعنى الذي ، وهو مبتدأ واله خبره ، وهذه الجملة صلة وعائد ، والموصول في محل نصب اسما لأن ، وواحد خبرها . والتقدير ان الذي هو اله واحد . ذكره أبو البقاء وهوضعيف ويدل على صحة الوجه الأول ، تعينه في قوله تعالى : انما الله اله واحد ، اذ لايجوز فيه أن تكون موصولة لخلو الجملة عن ضمير الموصول . وقال أبو البقاء وهذا الوجه أليق بما قبله ، ولا أدري ما وجه ذلك .)(٣)

---

(١) املاء ما من به الرحمن : جـ ١ ، ص ٢٣٨
(٢) النسفي . جـ ٢ ، ص ٦
(٣) حاشية الجمل . جـ ٢ ، ص ١٤ ـ ١٥

وكذلك استبعد الامام الألوسى كونها موصولة ، فقال: (وما كافة وجوز أبوالبقاء - وزعم أنه الأليق بما قبله - كونها موصولة ، ويَبْعُد كونهـا موصولة ، وعليه يكون واحد خبرا. وهو خلاف الظاهر).(١)

وكذلك ذكرالامام الشهاب فى حاشية على البيضاوى: أن ما كافة ،فقال (وما كافة . لا موصولة ، لمخالفته للظاهر والرسم).(٢)

أما الامام الفخر الرازى(٣) وكذلك الامام الصاوى(٤)، فذكرا لها وجها واحدا ، وهو كونها كافة مفيدة للحصر.

المقصور: هو ،
المقصور عليه: اله واحد .
قصرموصوف على صفة

وذكر الامام الشهاب أنه اذا كان فى خبر انما موصوف مؤخر،فالمقصود قصره على تلك الصفة .

أى أن المقصور فى هذه الآية : اله .
والمقصور عليه: الوحدانية .

والمقصور هنا قصر الاله على الوحدانية ، بمعنى التفرد فى الألوهية وذكر أنه قيل أن نفى الألوهية عن غيره ، مستفاد من توصيف الاله بالواحد لا من كلمة القصر. فقال:(وقيل أنه اذا كان فى خبر انما موصوف مؤخر فالمقصود قصره على تلك الصفة . كما اذا قلت: انما زيد رجل عالم. فاذا

(١) روح المعانى . ج ٧ ، ص ١١٩
(٢) حاشية الشهاب. ج ٤ ، ص ٣٧
(٣) الفخرالرازى. م ٦ ، ج ١٢ ، ص ١٨٩
(٤) حاشية الصاوى . ج ٢ ، ص ٥٠٨

قصر على الوحدانية بمعنى التفرد فى الألوهية ، أفاد تنزهه عن الشريك وأنه لا اله الا هو كما ذكره المصنف رحمه الله تعالى[١]. وقيل عليه نفى الألوهية ، مستفاد من توصيف الاله بالواحد لامن كلمة القصر ، لأنها لا تفيد الا قصره على الألوهية دون العكس)[٢].

والقصر فى الآية قصر موصوف على صفة ، اما قصر افراد ، اذا كان الخطاب خاصا بأهل مكة ، فيكون نفى الألوهية بالنسبة الى معين ، وهى الأصنام .

واما قصر حقيقى ، اذا كان الخطاب عاما . فيكون ما أشرك مع الله هو كل ماعبد من دونه ، فيكون النفى بالنسبة الى جميع ما عدا المقصور عليه .

جاء فى البحرالمحيط : (فان كان الخطاب لأهل مكة ـ فالآلهة الأصنام ، فانهم أصحاب أوثان ، وان كان لجميع المشركين فالآلهة كل ما عبد غير الله تعالى من وثن أو كوكب أو نار أو آدمى)[٣].

سر القصر :

لقد ذكر سيد قطب[٤] كلاما جميلا فى هذه الآية ، وجدت فيه ما يوضح سر القصر، وظهر لى أن من المناسب ذكره هنا . قال: (جاءت هذه الآية بعد الحديث عن المكذبين ، والتى عرضت حقيقة الألوهية فى المجال الكونى العريض ، والمجال الانسانى العميق ، وهى كذلك تعرض حقيقة الألوهية فى مجالات أخرى بايقاعات جديدة ومع مؤثرات كذلك جديدة . فيقع الحديث

---

(١) المقصود الامام البيضاوى
(٢) حاشية الشهاب جـ ٤ ، ص ٣٧
(٣) البحرالمحيط . جـ ٤ ، ص ٩٢
(٤) هو سيد قطب بن ابراهيم : مفكر اسلامى مصرى ، من مواليد قرية (موشا) فى أسيوط سنة ١٣٢٤ هـ . عمل فى جريدة الاهرام . وكتب فى مجلتى

عن التكذيب بين موجة الافتتاح ، وهذه الموجة ، ويبدو أمره فى غاية النكارة وفى غاية البشاعة ، ولقد عرضت الموجة الأولى حقيقة الألوهية ممثلة فى خلق السموات والأرض ، وجعل الظلمات والنور ، وخلق الانسان من طين ، وقضاء الأجل الأول كعمرة ، كل ذلك لتقرير ألوهية الله ، ثم قرر المولى ألوهيته ببيان حقيقة الولاية ، والتوجه ، وتوحيد الاستسلام والعبودية ، ويصاحب عرض حقيقة الألوهية فى هذه الصورة ولهذا الغرض جملة مؤثرات قوية تخلخل القلوب ، تبدأ بعرض الملكية لكل شئ ، وحقيقة أن الله هو الذى يُطْعِم ولا يُطْعَم ، وعرض العذاب الرعيب الذى يعد مجرد صرفه رحمة من الله فوزا عظيما ، وعرض القدرة على الضر والخير ، وعرض الاستعلاء والقهر ، وعرض الحكمة والخبرة ، ثم الايقاع الرهيب المزلزل المتمثل فى الأمر العلوى الهائل : قل .. قل ، فاذا تم هذا العرض بكل مؤثراته العميقة ، جاء الختام بالايقاع العالى المجلجل ، ايقاع الاشهاد على التوحيد ، وانكار الشرك والمفاضلة الحاسمة ، مصحوبا كذلك بالأمر العلوى فى كل فاصلة (قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ..) ...(قل الله). (قُلْ لَّا أَشْهَدُ) (١) ، ثم تجئ انما مبدوءة أيضا بلفظ قل ، (قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ) (مما يضفى على الجو كله رهبة غامرة ، ويضفى على الأمر كله طابع جد مرهوب) (٢).

وهذه الآية دالة على ايجاب التوحيد والبراءة عن الشرك ، وجاءت هذه الدلالة (من ثلاثة أوجه أولها : قوله (قُلْ لَّا أَشْهَدُ) أى لا أشهد ،بما تذكرونه من اثبات الشركاء . وثانيها : قوله : (قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ)وكلمة (انما) تفيد الحصر ، ولفظ الواحد صريح فى التوحيد ونفى الشركاء

الرسالة و (الثقافة) . انضم الى الاخوان المسلمين وترأس قسم نشر الدعوة وتولى تحرير جريدتهم (١٩٥٣) . وسجن معهم . عكف على تأليف الكتب ونشرها وهو فى سجنه الى أن صدر الأمر باعدامه . فأعدم سنة ١٣٨٧. / الاعلام ، م ٣ ، ص ١٤٧
(١) فى ظلال القرآن . ج ٢ ، ص ١٠٤٨
(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة.

وثالثها : قوله (وَإِنَّنِى بَرِىءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ) ، وفيه تصريح بالبراءة عن اثبات الشركاء ، فثبت دلالة هذه الآية على ايجاب التوحيد بأعظم طرق البيان ، وأبلغ وجوه التأكيد»(١)

— (وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ)(٢).

المقصور: الاستجابة .

المقصور عليه : الذين يسمعون .

قصر صفة على موصوف قصر قلب .

سر القصر:

ترددت هذه الآية فى كتب البلاغة عند الحديث عن مجامعة النفى بلا العاطفة لانما . فذكرها الامام السكاكى فى مفتاح العلوم ، وكذلك القزوينى فى الايضاح ، كما ذُكرت فى شروح التلخيص ، وذكر بعضهم سر مجىء انما فيها ، وأكثرهم ايضاحا لهذا السر الدسوقى فى شرحه (مختصر السعد) ، وابن يعقوب فى (مواهب الفتاح).

فذكر ابن يعقوب أن (.. الكافر هنا نزل منزلة من لا سمع له فى عدم قبول الحق ، ونزل المخاطب فى حرصه على هدايته منزلة من اعتقد

(١) الفخر الرازى . م ٦ ، ج ١٢ ، ص ١٨٩
(٢) آية ٣٥ - ٣٦

أنه يستجيب مع عدم السماع ، ويتضمن ذلك التعريض بالكافر ،بأنه من جملة الموتى ممن لاسمع له ٠٠)(١)

وفصل الدسوقي هذا المعنى بقوله : (انما يستجيب دعاءك للايمان الذين يسمعون سماع تدبر وانعان وقبول ، وهم المؤمنون ، أى من أراد الله ايمانهم ٠ فالذين فاعل ، والمفعول محذوف كما ترى ٠٠ فان قلت ان فائدة القصر ، أن يعتقد المخاطب خلافه ، والمخاطب هنا ليس كذلك ، لأن كل عاقل يعلم أن الاستجابة انما تكون ممن يسمع ، أجيب بأن الكفار نزلوا منزلة من لاسمع له ، لعدم قبولهم الحق ٠ والنبى عليه الصلاة والسلام لشدة حرصه على ايمان الكفار ، نزل منزلة من يعتقد الاستجابة ممن لايسمع ، فخوطب بقصر الاستجابة على من يسمع ، قصر قلب ٠ فالقصر هنا حقيقي ، لكن بعد تنزيل المخاطب منزلة من يعتقد العكس ، لأجل ذلك الاعتبار الخطابى ، وتضمن ذلك التنزيل التعريض بالكافرين ، بأنهم من جملة الموتى الذين لا سمع لهم ٠٠٠)٠(٢)

فمجئ انما هنا (تقرير لما مر ، من أن على قلوبهم أكنة مانعة من الفقه ، وفى آذانهم وقرا حاجزا من السماع ، وتحقيق لكونهم بذلك من قبيل الموتى ، لا يتصور منهم الايمان البتة ، والاستجابة الاجابة المقارنة للقبول ، أى انما يقبل دعوتك الى الايمان ، الذين يسمعون ما يلقى اليهم سماع تفهم وتدبر ، دون الموتى الذين هؤلاء منهم ٠ كقوله تعالى : انك لاتسمع الموتى)(٣)

---

(١) شروح التلخيص ، مواهب الفتاح ٠ ج ٢ ، ص ٢١٢
(٢) شروح التخليص ،حاشية الدسوقى على مختصر السعد٠ ج ٢ ، ص ٢١٢
(٣) تفسير أبى السعود ٠ م ٢ ، ج ٣ ، ص ١٣٠

— (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ).(١)

المقصور: الآيات

المقصور عليه: كونها عندالله .

قصر موصوف على صفة قصر قلب .

سر القصر:

الرسول فى هذه الآية يعلم انكار المشركين للايمان وعدم رغبتهم فيه ، ولكنهم لما أقسموا ايمانا مؤكدة ، بأنه لو نزلت عليهم آية من الله فانهم سيؤمنون ، ويدخلون فى الاسلام ، وأكدوا هذا الأمر تأكيدا بالغا ورأى الرسول والمؤمنون شدة تأكيدهم . توهموا صدقهم ، وطمعوا فى ايمانهم وتمنوا نزول الآية التى طلبها المشركون ، ولكن الله الخبير بدقائق النفوس ، لايخفى عليه شئ ، فمهما استعمل المشركون من أساليب التوكيد فهو يعلم سرهم وجهرهم .

ولبيان حقيقة المشركين بيانا مؤكدا ، واظهارا لعدم صدقهم فى قسمهم ، وقلبا لاعتقاد الرسول والمؤمنين ، استعملت انما لابطال ايمانهم المؤكدة إبطالا يمحو كل توكيد ، فنزل الرسول والمؤمنون منزلة من لا ينكر ايمانهم ، وقُصِرَت الآيات على كونها عندالله . وهذا القصر معناه استحالة نزولها ، لأن المولى عز وجله يعلم سرهم وجهرهم وكذبهم فى ايمانهم .

وذكر الشهاب أن المقصود من الحصر (نفى القدرة عن نفسه ، يبين

(١) آية : ١٠٩

أنه لايمكنه أن يجيبهم بها).[١]

وقيل أن معنى الحصرهنا انما الآيآت عندالله تعالى لا عندي، فكيف أجيبكم اليها ، أو آتيكم بها ، وهوالقادر عليها لا أنا ، حتى آتيكم بها ، ورد الامام أبوالسعود وتبعه الألوسى[٢] ، على من قال بهذا المعنى وذكرا :أنه لا مناسبة له بالمقام ، لأنه ليس مقترحهم مجيئها بغير قدرة الله تعالى وارادته ، حتى يجابوا بذلك. ورأيا أن معنى الحصر : (أى أمرها فى حكمه وقضائه خاصة ، يتصرف فيها حسب مشئيته المبنية على الحِكَم البالغة ، لا تتعلق بها ولا بشأن من شئونها قدرة أحدولامشيئته لا استقلالا ولا اشتراكا بوجه من الوجوه ، حتى يمكنني أن أتصدى لاستنزالها بالاستدعاء . وهذا كما ترى سولباب الاقتراح على أبلغ وجه وأحسنه ببيان علو شأن الآيات ، وصعوبة منالها ، وتعاليها من أن تكون عرضة للسؤال والاقتراح).[٣]

وبعد جملة القصر هذه ، جاء القرآن بالاستفهام الانكارى فى قوله تعالى : (وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ) وهو (استئناف مسوق لقطع طمع المؤمنين من ايمان المشركين ، وتكذيب للمشركين فى حلفهم).[٤]

وقد خوطب به المسلمون اما خاصة بطريق التلوين ، لما كانوا راغبين فى نزول الآيات طمعاً فى إسلام المشركين ، واما خطابا للمسلمين والرسول صلى الله عليه وسلم بطريق التعميم ، لما روى عنه صلى الله عليه وسلم من الهم بالدعاء [٥]، واستعملت اذا مع الماضى دون إنْ مع المستقبل زيادة فى التشنيع عليهم .[٦]

---

(١) حاشية الشهاب، ج ٤ ، ص ١١٣
(٢) روح المعانى . ج ٧ ، ص ٢٥٣
(٣) تفسير أبى السعود. م ٢ ، ج ٣ ، ص ١٧٢ — ١٧٣
(٤) حاشية الصاوى ج ٢ ، ص ٣٩ (٥) تفسير أبى السعود.م٢، ج ٣ ص ١٧٣
(٦) روح المعانى . ج ٧ ، ص ٢٥٣

— (وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ، أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ).(١)

المقصور : انزال الكتاب

المقصور عليه : على طائفتين من قبلنا

قصر صفة على موصوف قصر قلب .

سر القصر :

" الخطاب فى الآية لأهل مكة "(٢)

فحين أمر الله سبحانه وتعالى باتباع ماجاء فى القرآن، ووصفه بأنه كتاب مبارك ، لا ينبغى مخالفته ، وبالغ فى التحذير من انكاره بقطع حججهم وتعلاتهم قطعا باتا ، وجاء هذا القطع عن طريق انما ، فالمشركون يعلمون حق العلم أن الله قد أنزل من قبلهم الكتاب ولا ينكرون ذلك ، بدليل قوله تعالى (الكتاب) معرفاً بأل ، وفى هذا دليل على معرفتهم بما أُنزِل قبلهم ، وانما قُصِرَ الانزال فى الآية على كتب اليهود والنصارى دون غيرهم ، لأنها المشهورة حينئذ من الكتب (ولعل الاختصاص فى انما ، لأن الباقى المشهور حينئذ ، من الكتب السماوية لم يكن غير كتبهم).(٣)

وذكر أبو السعود : أن تخصيص الانزال بكتابيهما ، لأنهما اللذان اشتهرا من بين الكتب السماوية بالاشتمال على الأحكام المذكورة .(٤)

والسر فى قصر الانزال على هذه الكتب ، مع كونها معروفة لديهم هو التذكير والتنبيه والتحذير ، من أن يقولوا يوم الحساب والجزاء

---

(١) آية : ١٥٥ - ١٥٦
(٢) الخازن . م ٢ ، ص ٦٧
(٣) البيضاوى . ج ٢ ، ص ٢١٥
(٤) تفسير أبى السعود . م ٢ مج ٣ ، ص ٢٠١

معتذرين عن شركهم واجرامهم ، إنما أُنزِل الكتاب الهادى الى توحيد الله ومعرفته . وطريق طاعته ، وتزكية الأنفس من دنس الشرك والرذائل على طائفتين من قبلهم ، وهم اليهود والنصارى ، وأن حقيقة حالهم وشأنهم أنهم كانوا غافلين عن دراستهم ، وتعليمهم لجهلهم بلغاتهم ، وغلبة الأمية عليهم - والحصر انما يصح بالاضافة اليهم ، أو بحسب علمهم بحال الطائفتين لمجاورتهم لهم.(١)

وفى هذا التذكير والتنبيه قطع مؤكد وحاسم ، لطريق التعليل والاعتذار.

وبعد هذه الازالة للعذر والازاحة للعلة عن طريق التوكيد بانما ، بيّن (..أنهم لا يؤمنون البتة ، وشرح أحوالا توجب اليأس من دخولهم فى الايمان فقال (هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة).(٢)

- (إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ).(٣)

المقصور: الأمر

المقصور عليه : كونه الى الله

قصر موصوف على صفة قصرا حقيقيا تحقيقيا

سر القصر:

ان ابتداع البدع واتباع الأهواء أمر عظيم وخطير على الاسلام

---

(١) انظر الفخر الرازى . م ٧ ، ج ١٤ ، ص ٦٥ / الخازن م ٢ ، ص ٦٧
المنار . ج ٦ ، ص ٢٠٤

(٢) الفخر الرازى . م ٧ ، ج ١٤ ، ص ٧ - ٨

(٣) آية : ١٥٩

وهو فى خطره أشد من الكفر ،لأنه أمر يحارب الاسلام باسم الاسلام ، وأشد من هذا شناعة هو اتباع البدعة ،بعد وضوح طريق الحق والصواب ، وبيان حكمها وحكم متبعها . فقد ذكر الله (أن صراطه مستقيم ، ونهى عن اتباع السبيل ، وذكر موسى عليه السلام وما أنزل عليه وذكر القرآن ، وأمر باتباعه وذكر ما ينتظر الكفار مما هو كائن بهم)(١).

ولشدة خطر البدعة واتباع الأهواء ، بالغ القرآن فى التحذير، فجيء بانما لتتوعد وتهدد كل من يخطو فى هذا الطريق . فالمخاطبون يعلمون خطر البدعة ، ويعلمون حكمها ، فليس لهم حجة ، لأن ارتكابهم لها مع علمهم الأكيد بنهى الاسلام عنها ، دليل على اصرارهم وعنادهم . ولذا قُصر أمرهم ومرجعهم وعقابهم على الله وحده لا على غيره . فهو الذى سيتولى أمرهم . وفى هذا القصر قمة الوعيد والتهديد ، لأن من تولى الله أمر عقابه فمعناه الهلاك المحقق والمؤكد له . وفى هذا القصر تنبيه للمؤمنين على الائتلاف على الدين القويم ، ولئلا يختلفوا كما اختلف من قبلهم من الأمم ، بعد أن كانوا متفقين على الشرائع التى بُعِثَ أنبياؤهم بها :

* *

سورة الأعراف

(قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ(٢) مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالاثْمَ(٣) وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ).آية ٢٣

(١) البحر المحيط ، ج ٤ ، ص ٢٦٠

(٢) أى ما تفاحش قبحه من الذنوب ، وقيل ما يتعلق منها بالفروج . ذكره الخازن . م ٢ ، ص ٨٥ (٣) اختلف فى معنى الاثم فى الآية ، فقيل

المقصور : المُحَرَّم .

المقصور عليه : الفواحش ـ الاثم ـ البغى ـ الشرك بالله ... القول على الله من غير علم .

قصر صفة على موصوف قصر قلـب .

سر القصـر :

كان المشركون فى الجاهلية يُحَرِّمون على أنفسهم بعض أنواع الطعـام فى أيام الحج .(١) كما كانوا يطُوفُون بالبيت عراة ، ويحللون ذلك ، بـل وينكرون على المسلمين طوافهم بالبيت بثيابهم وحرموا ذلك .(٢) ونسبوا هذا التحريم ، والتحليل الى الله . ولما كانت هذه الأمور محللة شرعا ، جـئ بإنما لقلب اعتقاد المشركين ، وكشف كذبهم على الله ببيان حقيقة المحرمات وأن أمر تحريم الفواحش الظاهر منها والباطن أمر ظاهر لا يحتاج الإخبار به إلى توكيد .

فحَصِر التحريم فى هذه الأنواع ولقد اوضح الامام الفخر العله فى ذلـك فى قوله : (كلمة (انما) تفيد الحصر . فقوله (انما حرم ربى)

أن المقصود به الخمر . ورد أبو حيان على من قال ذلك بقوله : (.. وهذا قول لايصح هنا ، لأن السورة مكية ، ولم تحرم الخمر الا بالمدينة). ج ٤ ، ص ٢٩٢ . وذكر الخازن ، م ٢ ، ص ٨٥ أن الاثم عبارة عن الصغائر والفواحش الكبائر . وذكر الفخر ، ج ١٤ ، ص ٧٠ أن الفاحشة اسم للكبيرة ، والاثـم لمطلق الذنب سواء كبيرا أو صغيرا .

(١) جاء فى تفسير القرطبى (وقيل أن العرب فى الجاهلية كانوا لايأكلـون دسما فى أيام حجهم ، ويكتفون باليسير من الطعام ، ويطوفون عـراة فقيل لهم : (خذوا زينتكم عند كل مسجد ، وكلوا واشربوا ولاتسرفوا).

(٢) (قال الكلبى لما لبس المسلمون الثياب ، وطافوا بالبيت عيرهـم المشركون بذلك قالوا : استحلوا الحرام ، فنزلت). البحر المحيط ج ٤ ، ص ٢٩٢ . وفى صحيح البخارى عن هشام عن عروة عن أبيه قال:

كذا يفيد الحصر ، والمحرمات غير محصورة فى هذه الأشياء ، والواجب : ان قلنا الفاحشة محمولة على مطلق الكبائر ، والاثم على مطلق الذنب ، دخل كل الذنوب فيه ، وان حملنا الفاحشة على الزنا ، والاثم على الخمر ، قلنا : الجنايات محصورة فى خمسة أنواع : أحدها : الجنايات على الانساب وهى انما تحصل بالزنا ، وهى المراد بقوله (انما حرم ربى الفواحش) ، وثانيها الجنايات على العقول ، وهى شرب الخمر واليها الاشارة بقوله (الاثم) وثالثها : الجنايات على الأعراض ، ورابعها : الجنايات على النفوس وعلى الأموال ، واليهما الاشارة بقوله (والبغى بغير الحق) . وخامسها : الجنايات على الاديان وهى على وجهين : أحدها الطعن فى توحيد الله تعالى واليه الاشارة بقوله (وأن تشركوا بالله) ، وثانيها : القول فى دين الله من غير معرفة ، واليه الاشارة بقوله (وأن تقولوا على الله مالا تعلمون) .

فلما كانت أصول الجنايات هى هذه الأشياء ، وكانت البواقى كالفروع والتوابع لاجرم ، جعل تعالى ذكرها جاريا مجرى ذكر الكل ، فأدخل فيها كلمة (انما) المفيدة للحصر.(١)

وذكر الخازن أن فى افراد البغى والشرك ، بعد ذكر الفاحشة والاثم تنبيه على عظم قبحهما (انما أفردهما بالذكر للتنبيه على عظم قبحهما كأنه قال من الفواحش المحرمة البغى والشرك ، فكأنه بين جملته ثم تفصيله).(٢)

كان الناس يطوفون فى الجاهلية عراة ، الا الحمس والحمس قريش ، وماولدت وكانت الحمس يحتسبون على الناس يعطى الرجل الرجل الثياب يطوف فيها وتعطى المرأة المرأة الثياب تطوف فيها ، فمن لم يعطه الحمس طاف بالبيت عريانا ، وكان يفيض جماعة الناس من عرفات ويفيض الحمس من جمع . صحيح البخارى ، كتاب الحج ، م ١ ، ج ٢ ، ص ٢٠٠

(١) الفخر الرازى م ٧ ، ج ١٤ ، ص ٧١

(٢) الخازن ، م٢ ، ص ٨٥

— (وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ ، وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ، فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا ، بموسى وَمَن مَّعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ (١) عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ). (٢)

المقصور: طائرهم

المقصور عليه : كونه عندالله

قصر موصوف على صفة قصر قلب

سر القصر:

الحديث فى الآية عن فرعون وقومه ، فهم لإنحراف فطرتهم عن دين الله ، لا يرون الحقائق والسنن الكونية الدالة على رحمة الله ، الا بنظرة فاسدة ، مع تبلد الادراك والاحساس ، فلم ينتبهوا الى الحكمة فى مجىء الحسنات والسيئات ، فساقهم تماديهم فى الغى الى الزعم بأن الحسنات التى تصيبهم ، والخيرات التى جاءتهم ، انما هى لاستحقاقهم لها ، واذا أصابهم الجدب والبلاء ، نسبوا ذلك الى موسى ومن معه ، وهذا (شاهد بكمال قساوة قلوبهم ، ونهاية جهلهم وغباوتهم ، فان الشدائد ترقق القلوب وتلين العرائك ، لاسيما بعد مشاهدة الآيات . وقدكانوا بحيث لم يؤثر فيهم شىء منها ، بل ازدادوا عتوا وعنادا). (٣)

ولذا جاء الرد عليهم مصدرا بأداة التنبيه ، لابراز كمال العناية بمضمون الكلام الآتى بعدها (٤) . ثم جىء بذلك المضمون عن طريق القصر بإنما

(١) حظهم ونصيبهم وما طار اليهم من القضاء والقدر . بسبب شؤمهم . حاشية الشهاب ، ج ٤ ، ص ٢٠٨ .

(٢) آية ١٣٠ - ١٣١

(٣) أبو السعود . م ٢ ، ج ٣ ، ص ٢٦٤

(٤) المرجع السابق . نفس الصفحة

زيادة فى توكيده واثباته ، وأنزل المجهول منزلة المعلوم لأن أكثرهم يجهلون لفرط غباوتهم ، كون طائرهم عند الله. فتنزيل هذا الأمر منزلة المعلوم ، مما لايدع مجالا للجدال والنقاش ، ويمحو كل جهل بابراز هذا الأمر وتوضيحه ، بل وتأكيده بهذه الصورة. كما يلمح من هذه الاداة التحقير الشديد لهم ، لأن تطيرهم عما يدل على جهلهم ، مما يستوجب تحقيرهم.

وفى مجىء انما قلب لاعتقادهم الفاسد ، فقصر تطيرهم وشؤمهم على كونه عند الله. (أى ليس سبب خيرهم الا عنده تعالى ، وهو حكمه ومشيئته المتضمنة للحكم والمصالح ، أو ليس سبب شؤمهم وهو أعمالهم السيئة الا عنده تعالى. أى مكتوبة لديه فانها التى ساقت اليهم مايسوؤهم لا ما عداها).(١)

واسناد حظهم وطائرهم الى الله ، فيه عظيم التهديد لهم ، ببيان عقابهم كائن لا محالة. واسناد عدم العلم الى أكثرهم ، للاشعار بأن بعضهم يعلمون أن ما أصابهم من الخير والشر من جهة الله تعالى ، أو يعلمون أن ما أصابهم من المصائب والبلايا ليس الا بماكسبت أيديهم ، ولكن لا يعلمون بمقتضاه عنادا واستكبارا).(٢)

ـــ (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا(٣) إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ).(٤)

---

(١) تفسير ابى السعود. ج ٣ ، ص ٢٦٤
(٢) المرجع السابق ، ونفس الصفحة.
(٣) الضمير فى الكلمة عائد على اليهود ، والدليل على أنها فى اليهود الآيات التى عطفت عليها وهى على نمطها وأسلوبها ، وذلك قوله ـ واسئلهم عن القرية ـ واذ قالت أمة منهم لم تعظون ـ واذ تأذن ربك ـ واذ نتقنا الجبل فوقهم ـ واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا ـ الزمخشرى. ج ٤، ص ١٣٠
(٤) آية : ١٧٢ ـ ١٧٣

المقصـــــور : الاشراك

المقصور عليه : آباؤنـــا

قصـــر صـــفة على موصوف قصراً حقيقيـــا تحقيقيا .

سـر القصـــر :

ان محـور السورة يدور حول قضية التوحيد ودار قصص السورة كلـه حول هذه القضـية ، متخذا صورة التذكير من الرسـل جميعا ، بحقيقـــة التوحيد والتحذير من عاقبة الشرك ، ثم تحقق النذر بعد التذكير والتحذير . وفـي هذه الآية تعرض قضية التوحيد من زاوية جديدة . وزاوية عميقـة ، تعـــرض من زاوية الفطـرة التى فطر الله عليها البشر ، وأخذ بها عليهم الميثاق فـى ذات أنفسهم ، وذات تكوينهم ، وهم بعد فى عالم الذر .(١)

فالخلق مفطورون اذا على ملة الاسلام ، ولديهم الاستعداد الكامـــل لذلك . فجاء بانما ليقطع عليهم طريق كل حجة ، وليسد عليهم باب الاعتـذار وفى ذلك عظيم التهديد والوعيد لهم ، وتذكيرهم بأن (التقليد عند قيـــام الدلائل ، والقدرة على الاستدلال بها ، مما لا مساغ له أصلا ، وقد حملـــت هذه المقاولة على الحقيقة ، كما روى عن ابن عباس الى يوم القيامـــة ، فقال : (ألست بربكم قالوا بلى ، فنودى يومئذ جف القلم بما هو كائـــن الى يوم القيامة).(٢)

---

(١) فى ظلال القرآن . ج ٩ ، ص ١٣٩١

(٢) تفسير ابى السعود . م٢ ، ج ٣ ، ص ٢٩٠ .

— (وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا (١) قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي هَٰذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (٢).

الظاهر فى الآية أن :-

المقصور : المُتَّبَع.

المقصور عليه : الذى يوحى

وهو قصر صفة على موصوف قصر قلب .

ورأى الامام أبوالسعود غير ذلك ، فذهب الىأن القصر فى الآية على معنى (تخصيص حاله صلى الله عليه وسلم ، باتباع مايوحى اليه ، بتوجيه القصر المستفاد من كلمة انما الى نفس الفعل ، بالنسبة الى مقابلة الذى كلفوه اياه صلى الله عليه وسلم ، لا على معنى تخصيص اتباعه صلى الله عليه وسلم ، بما يوحى اليه بتوجيه القصرالى المفعول ، بالقياس الى مفعول آخر ، كماهوالشائع فى موارد الاستعمال) (٣).

فالمقصور على رأى الامام أبوالسعود : اتباع مايوحى .

المقصور عليه : حاله صلى الله عليه وسلم .

فيكون من قصر الموصوف على الصفة .

سر القصر:

وصل التعنت والضلال بالمشركين الى طلب معجزات مخصوصة ، وآيات

(١) اجتبى الشيء بمعنى جباه لنفسه ، أى هلا جمعتهامن تلقاء نفسك تقولا . يرون بذلك أن سائر الآيات أيضا كذلك ، أو هلاّ تلقيتها من ربك استدعاء /

أبو السعود . م ٢ ، ج ٣ ، ص ٣٩

(٢) آية : ٢٠٣

(٣) تفسير أبى السعود ، م ٢ ، ج ٣ ، ص ٣٠٩

معينة ، ولما كان المولى عز وجل عليم بذات الصدور ، منع انزالها فزادهم ذلك تعنتا واصرارا ، فقالوا للرسول عليه الصلاة والسلام على سبيل التعجيز ، هلا اقترحتها على ربك ومعبودك (ان كنت صادقا فى أن الله يقبل دعاءك ، ويجيب التماسك).(١)

وأمام هذا التعنت جاء الرد عليهم عن طريق القصر بانما مسبوقة بفعل الأمر قل ، وقصر حاله فى الاتباع على ما يوحى اليه ، من غير أن يكون له دخل فى ذلك أصلا ، وفى التعرض لعنوان الربوبية ، مع اضافته الى الضمير العائد للرسول صلى الله عليه وسلم ، تأكيد لعبوديته صلى الله عليه وسلم .

وقد ذكر ذلك الامام أبو السعود فقال : (وفى التعرض لوصف الربوبية المنبئة عن المالكية ، والتبليغ الى الكمال اللائق ، مع الاضافة الى ضميره صلى الله عليه وسلم ، من تشريفه صلى الله عليه وسلم والتنبيه على تأييده مالا يخفى). (٢)

وفى قصر حاله صلى الله عليه وسلم على الاتباع ، قلب لما اتهموه به ، بقولهم : لولا اجتبيتها ، أى أحدثتها وأنشأتها من عندك فدل القصر على أنه مُتَّبِع لا مُبْتَدِع .

---

(١) الفخر الرازى . م ٨ ، ج ١٥ ، ص ١٠٦

(٢) تفسير ابى السعود ، م٢ ، ج٣ ، ص ٣٠٩ .

سورة الأنفال

— (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ).(١)

المقصور: المؤمنون

المقصور عليه : وجلت قلوبهم

قصر موصوف على صفة قصر إفراد أو هو قصر حقيقي فيه مبالغة.

سر القصر:

ثار الجدال بين أهل بدر حول تقسيم الغنائم ، ودب بينهم الخلاف وهذا أمر لاينبغى أن يقع بين المسلمين ، وخاصة أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان بينهم ، فلابد أن يستسلموا لأمره وأن يكون له الحكم.

فبدأت الآية تعالج هذا الموقف ، وتسعى الى استئصاله من بدايته حتى لا يتفاقم . فذكرتهم أولا بطاعة الله ورسوله ، وربطت هذه الطاعة بالايمان ، ثم جئ (بانما) لتذكرهم وتنبههم الى صفات المؤمنين حقا ، ولترغبهم فى التمسك بها ، وتحذرهم من التفريط فيها ، وذلك باظهار حقيقة الايمان .

فهم ولاشك يعلمون صفات المؤمنين ، وما يجب عليهم ، ولكن رغبتهم فى الوصول الى الغنائم ، لا لذاتها ولكن لأن الأنفال فى ذلك الوقت كانت مرتبطة بحسن البلاء ، فكانت بمثابة شهادة من الله ورسوله لهم ، فشدة

(١) آية : ٢

رغبتهم في الحصول على هذه الشهادة ، اوقعهم في هذا الخلاف فجاءت إنما لتردهم الى واقعهم باستجاشة وجدانهم ، وتذكيرهم بالايمان وصفات المؤمنين . (وفيه مزيد ترغيب لهم في الامتثال بالأوامر المذكورة).(١)

والمعنى (ليس المؤمنون الذين يخالفون الله ورسوله ، انما المؤمنون الصادقون في ايمانهم ، الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم . أي خضعت وخافت ورقت قلوبهم ، وقيل اذا خوفوا بالله انقادوا خوفا من عقابه).(٢)

وقد ذُكر في بعض التفاسير أن معناها (.. الكاملون في الايمان) .
واعترض سيد قطب في ظلال القرآن على ذلك بقوله : (ان التعبير القرآني دقيق في بنائه اللفظي ، ليدل دلالة دقيقة على مدلوله المعنوي ، وفي العبارة هنا قصر بلفظ (إنما) ، وليس هنالك مبرر لتأويله ، وفيه هذا الجزم الدقيق - ليقال : ان المقصود هو (الايمان الكامل) ، فلو شاء الله -سبحانه- أن يقول هذا لقاله ، انما هو تعبير دقيق الدلالة ، ان هؤلاء الذين هذه صفاتهم وأعمالهم ومشاعرهم هم المؤمنون ، فغيرهم من ليس له هذه الصفات بجملتها ليسوا بالمؤمنين ، والتوكيد في آخر الآيات - (أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا) ، يقرر هذه الحقيقة ، فغير المؤمنين (حَقًّا) ، لايكونون مؤمنين أصلا ، والتعبيرات القرآنية يفسر بعضها بعضا).(٣)

وما ذهب إليه سيد قطب قول غير مسلم به إذن قوله أولئك هم المؤمنون حقا أي الذين بلغوا من الإيمان مرتبة عالية ، والذين تمثلت فيهم شمائل المؤمن وخلائقه في صورتها العليا وما عدا ذلك فهم مؤمنون سالكون الطريق الواصل إلى هذه المرتبة جادين في ذلك أو متساهلين على وفق درجات توفيق الله لعباده وهذه هي الدلالة الدقيقة للتعبير القرآني ولا يجوز أن نخرج من ليسوا من الطبقة العليا من المؤمنين أصلا .

(١) تفسير ابى السعود . م ٢ ، ج ٤ ، ص ٤
(٢) الخازن . ج ٢ ، ص ١٦٦
(٣) في ظلال القرآن مج ٣ ، ص ١٤٧٤

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ، واعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ).(١)

المقصور: الأموال والأولاد

المقصور عليه: الفتنة

قصر موصوف على صفة اما قصر قلب، اذا كان الخطاب متوجها الى شخص أبي لُبابه (٢). واما هو قصر حقيقي فيه مبالغة، اذا كان الخطاب عاما.

سر القصر:

ان محبة الأموال والأولاد سبب من أسباب فتنة البشر، وسبب في الوقوع في الاثم والعقاب، فشدة حبهما قد تقود البعض الى المعصية والخيانة، ولشدة ارتباط الانسان بهما، قد يجهل خطرهما، كما حصل لأبي لُبابة. فشدة حبه لأمواله وأولاده حرفته ودفعته الى خيانة الله ورسوله، ولما كان خطرهما خفيا، جاءت الآية بأسلوب القصر عن طريق (إنما) مسبوقة بفعل الأمر (اعْلَمُوا)، للفت الأنظار وللتحذير.

وفي مجيء (إنما) تنبيه وتذكير الى شدة خطرهما المجهول في النفوس. بجعل هذا الأمر المجهول كأنه أمر معلوم وظاهر للعيان.

(١) آية: ٢٧ _ ٢٨

(٢) قيل هذا مما نزل في أبي لبابة، وذلك لأن أمواله وأولاده كانت في بني قريظة، فلذلك قال ما قال خوفا عليهم، وقيل أنه عام في جميع الناس/
الخازن، ج ٢، ص ١٨٠

ذكر الامام الخازن (أنه لما كان الاقدام على الخيانة فى الامانة هو حب المال والولد ، نبه الله سبحانه وتعالى بقوله : واعلموا انما أموالكم وأولادكم فتنة . على أنه يجب على العاقل أن يحذر من المضار المتولدة من حب المال والولد).(١)

((التوبة))

(إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ).(٢)

سبق التعرض للقصر بانما فى هذه الآية ، فى فصل النفى والاستثناء. وقد ذكرته هناك لوجود ارتباط بينه وبين القصر ، عن طريق النفى والاستثناء الموجود فى الآية وهو قوله تعالى :

(وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ)

---

(١) الخازن . ج ٢ ، ص ١٨٠

(٢) آية : ١٨

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ (١) فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الحَرَامِ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا).(٢)

المقصور : المشركون .

المقصورعليه : نجس .

قصر موصوف على صفة قصرا حقيقيا ، فيه مبالغة .

سر القصر :

كان المسلمون فى بداية انتشارالدعوة الاسلاميةأقل عدة

---

(١) النجس مصدر - يقال نجس نجسا ، وقذر قذرا . ومعناه ذوو نجس لأن معهم الشرك الذى هو بمنزلة النجس، ولأنهم لايتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فى .) الزمخشرى، م٤ ، ص١٨٣ وذكر الامام الخازن : أن النجس الشئ القذر من الناس وغيرهم وقيل النجس الشئ الخبيث . وأراد بهذه النجاسة نجاسة الحكم لانجاسةالعين. سموا نجسا على الذم ، لأن الفقهاء اتفقوا على طهارة أبدانهم ، وقيل هم أنجاس العين كالكلب والخنزير..) / الخازن ، ج ٢ ، ص ٢١٥ .

(٢) آية : ٢٨

وعتادا من المشركين ، فقد كان لقريش نفوذ سياسي وأدبي ، وكانت هي صاحبة الكلمة النافذة في الشئون الدينية. فحين أمر القرآن بمقاطعة المشركين وانهاء العقود والعهود معهم ، ومحاربتهم. تحرج وتخوف فريق من المؤمنين من ذلك ، لما كان لهم من النفوذ السابق الذكر فجاءت هذه الآية بأسلوب القصر عن طريق انما ، لتهون من شأن المشركين وتحقر من مكانتهم ، وبالغت في تحقيرهم حيث قصرتهم على النجاسة فجعلتهم كأنهم النجاسة بعينها ، مبالغة في وصفهم بها. قال الامام الزمخشري (أو جعلوا كأنهم النجاسة بعينها ، مبالغة في وصفهم بها)(١) وفي التحقير من شأنهم حض للمسلمين ، وتأليب لهم على قتال المشركين.

وبعد هذا التحقير والتهوين من أمرهم ، بهذا التعبير القوى الحاسم في الدلالة ، العميق التأثير في النفوس. بالغ القرآن في النهي عن تمكين المشركين من دخول المسجد ، بأن نهى عن اقترابهم (وانما نهى عن القرب للمبالغة أو للمنع عن دخول الحرم ، وهو مذهب عطاء " وقيل المراد به النهي عن الدخول مطلقا..)(٢).

— (إِنَّمَا النَّسِيءُ (٣) زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ)(٤).

---

(١) الكشاف ، الزمخشري ، م ٤ ، ص ١٨٣

(٢) تفسير ابي السعود . م٢ ، ج ٤ ، ص ٥٧

(٣) هو مصدر نسأة ، اذا أخره نسأ ، ونساء ونسيئا نحو حس مسا ومساسا وقرئ بقلب الهمزة ياء ، وتشديد الياء الاولى فيها .(أبو السعود ، م٢ ج ٤ ، ص ٦٤).
كانت الجاهلية تعتقد حرمة الاشهر الحرم وتعظيمها ، وكانت معائشهم من الغزو ، وكان يشق عليهم الكف عن ذلك ثلاثة أشهر متوالية. فأخروا تحريم شهر الى شهر آخر ، فكانوا يوخرون تحريم المحرم الى صفر ، فاذا احتاجوا الى القتال أخروا التحريم الى ربيع الاول..
(حاشية الصاوي ، ج ٢ ، ص ١٤٨).

(٤) آية : ٣٧

المقصـور : النسيء

المقصورعليه : زيادة في الكفر .

قصـر موصوف على صـفة قصـر قلب .

سـر القصـر :

لما أراد المسلمون المضي في غزوة تبوك وجهاد الروم . وكـان الأمر بالجهاد في شهر رجب ، وهو من الأشهر المحرمة - وفي هذا مدعاة لأن تقع الشبه في صدور البعض لاستحلال شهر رجب ، فالمسلمون يعلمـون حرمته ، فكيف يجيزون الحرب فيه ؟!

فردا وقلبا لهذه الشبهة ، جيء (بانما) لتبين لهم أن شهر رجب في ذلك العام (العام التاسع) ليس هو شهر رجب الحقيقي ، وانما هـو جمادى الآخرة ، ولكنه كان شهر رجب اسما ، ونتج ذلك بسبب النسيء .

فجاءت انما لتحريم النسيء تحريما قاطعا ، بأن جعلت أمره ظاهـرا معلوما ، ولشدة حرمة هذا الأمر ، لم يقصر النسيء على الكفر فقط ، بـل قصر على التغلغل في الكفر والرسوخ فيه . وفي هذه المبالغة ذم وتحقيـر وتوبيخ لمن داني هذا الأمر ، وتنفير النفوس المؤمنة ، وزجرها عـن مقاربتـه .

وجاء التحريم بأسلوب القصر عن طريق انما وتوكيده هذا التوكيـد لأنه يمس أصلا من أصول العقيدة وهو التحليل والتحريم ، فكان في مجيئهـا تقرير حق التحليل والتحريم لله .

ـ (إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ)[١].

المقصور : الاستئذان

المقصور عليه : الذين لا يؤمنون

قصر صفة على موصوف قصر قلب .

اذا كان الرسول والمؤمنون يعتقدون ، أن القوم الذين استأذنوا مؤمنين

أما اذا حملنا القصر على أن المخاطب يعتقد، أن الاستئذان قد يأتي من المؤمنين وغيرهم ، يكون من باب قصر الافراد .

سر القصر:

لما استأذن المنافقون عن الخروج للجهاد في غزوة تبوك - وكانوا من أشراف قومهم وأكثرهم ثراء - أذن لهم الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن حلفوا له ، وأقسموا أنهم لو استطاعوا الخروج ، لفعلوا .(وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ)، وقدكانت رغبة المسلمين شديدة في خروجهم لما امتازوا به من قوة النفوذ ، والسلطة ، والثراء ، وظنوا أن في خروجهم قوة لهم ، وذلك لجهلهم بحقيقتهم ، وظنهم أنهم مؤمنون ، وخاصة أن إذن الرسول صلى الله عليه وسلم كان كالستار لهم في حجب حقيقتهم ولكن القرآن تعقبهم ، وكشف حقيقتهم بأبرع أسلوب وأوكده .

فجيء بإنما التي جعلت أمرهم ظاهرا معلوما ، وحقرت من شأنهم بأن نفت عنهم صفة الايمان كلية ، لأن المؤمن الحق يعلم جزاء الجهاد،وأنه أقصر طريق للوصول الى الجنة ، فلا يتلكأ في تلبية داعي الجهاد، فالطريق لديه مضمونة ، وإنما يتقاعس المرتابون ، الذين لم يذوقوا حلاوة الايمان وفي اظهار أمرهم على هذا الوجه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم. على عدم خروجهم . ذكر ذلك الامام الزمخشري فقال :(هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم على عدم خروج المنافقين معه ، اذ لافائدة منه ولامصلحة).[٢]

(١) آية : ٤٥ (٢) الكشاف . م ٤ ، ص ١٩٢

— (فَلَا تُعجِبْكَ أَمْوالُهُمْ وَلَا أَولادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ).(١)

المقصور: ارادة الله

المقصور عليه : تعذيبهم

قصر موصوف على صفة قصر قلب .

سر القصر:

الخطاب فى الآية (وان كان مختصا بالنبى صلى الله عليه وسلم الا ان المراد به جميع المؤمنين).(٢)

كان بعض المسلمين يغبطون المنافقين على كثرة أموالهم وأولادهم ويجدون فيهم القوة والمنعة ، فحين اعتذروا عن الجهاد فى غزوة تبوك هبّط هذا الاعتذار من عزيمة بعض المسلمين ، وذلك لجهلهم أولاً بنفاقهم وثانيا لجهلهم بأن هذه الأموال والأولاد إنما هى للعقاب والاستدراج.فجاءت إنما لتبرز هذا المجهول ، وتجعله كأنه أمر معلوم ، فأظهرت للمؤمنين أن كثرة الأموال والأولاد بالنسبة للمنافقين ، انما هى لاستدراجهم والانتقام منهم . ف(كثرة الأموال والأولاد سبب قوى فى زوال حب الله وحب الآخرة عن القلب ، وفى حصول حب الدنيا وشهواتها فى القلب ، فعندالموت كأن الانسان ينتقل من البستان الى السجن ، ومن مجالسة الأقرباء والاحباء الى موضع الكربة والغربة ، فيعظم تألمه ، وتقوى حسرته ، ثم عندالحشر حلالها حساب ، وحرامها عقاب . فثبت أن كثرة الأموال والأولاد سبب لحصول العذاب فى الدنيا والآخرة .

---

(١) آية : ٥٥

(٢) الخازن ، م٢ ، ص ٢٣٥

فان قيل : هذا المعنى حاصل للكل فما الفائدة فى تخصيص هؤلاء المنافقين بهذا العذاب .. قلنا : المنافقون مخصصون بزيادات فى هذا الباب ، أحدها أن الرجل اذا آمن بالله واليوم الاخر ، وعلم أنه خُلِقَ للآخرة لا للدنيا فبهذا العلم يفتر حبه للدنيا ، وأما المنافق لما اعتقد أنه لاسعادة له الا فى هذه الخيرات العاجلة ، عظمت رغبته فيها ، واشتد حبه لها ، وكانت الآلام الحاصلة بسبب فواتها ، أكثر فى حقه ، وتقوى عند قرب الموت ، وظهور علاماته . فهذا النوع من العذاب حاصل لهم فى الدنيا بسبب حب الأموال والأولاد . وثانيها : أن النبى صلى الله عليه وسلم ، كان يكلفهم انفاق تلك الأموال فى وجوه الخيرات ، ويكلفهم ارسال أموالهم الى الجهاد والغزو وذلك من عند الله ، وكانوا يعتقدون أن انفاق تلك الأموال ، تضييع لها من غير فائدة ، وأن تعريض أولادهم للقتل التزام لهذا المكروه الشديد من غير فائدة ، ولاشك أن هذا أشق على القلب جدا . فهذه الزيادة من التعذيب ، كانت حاصلة للمنافقين .

وثالثها : أنهم يبغضون محمدا عليه الصلاة والسلام بقلوبهم ، ثم كانوا يحتاجون الى بذل أموالهم وأولادهم ونفوسهم فى خدمته ، ولاشك أن هذه الحالة شاقة شديدة .

ورابعها : أنهم كانوا خائفين ، من أن يفتضحوا ويظهر نفاقهم وكفرهم ظهورا تاما ، فيصيرون أمثال سائر أهل الحرب من الكفار ، وحينئذ يتعرض الرسول لهم بالقتل ، وسبى الأولاد ، ونهب الأموال ، وكلما نزلت آية خافوا من ظهور الفضيحة ، وكلما دعاهم الرسول خافوا من أنه ربما وقف على وجه من وجوه مكرهم وخبثهم ، وكل ذلك يوجب تألم القلب ، ومزيد العذاب .

وخامسها : أن كثيرا من المنافقين ، كان لهم أولاد أتقياء كحنظلة بن أبى عامر ، غسلته الملائكة ، وعبدالله بن عبدالله بن أُبَى ، شهد بدرا ، وكان من الله بمكان ، وهم خلق كثير ، مبرئون عن النفاق وهم كانوا لايرتضون طريقة آبائهم فى النفاق ، ويقدحون فيهم ، ويعترضون عليهم ، والابن اذا صار هكذا ، عظم تأذى الأب به ، واستيحاشه منه ، فصار حصول هؤلاء الأولاد سببا لعذابه .. وكأن كثرة الأموال والأولاد ، صارت سببا لحصول هذه الأحوال فثبت بهذه الوجوه أن كثرة أموالهم ، صارت سببا لمزيد العذاب فى الدنيا فى حقهم).(١)

وفى بيان حقيقتهم بهذا الأسلوب المؤكد ، مايدعو المؤمنين الى احتقارهم ، والتقليل من شأنهم وازدرائهم .

— (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ).(٢)

المقصور : الصدقات

المقصور عليه : كونها مصروفة للفقراء والمساكين .. أى الأصناف الثمانية المذكورة .

قصر موصوف على صفة قصر افراد

ذُكر فى حاشية الجمل أن القصر فى الآية (من قصر الموصوف على الصفة) وهذا أيضا ما ذكره الشيخ الصاوى ، وذلك على تقدير لفظ (مصروفة) ليتعلق

(١) الفخر الرازى . م ٨ ، ج ١٦ ، ص ٩٦ ـ ٩٧.
(٢) آيــة : ٦٠

به الجار والمجرور ، أى الصدقات مقصورة على الاتصاف بصرفها لهؤلاء الثمانية (١)

وذكر الشيخ الجمل تعليلا لهذا التقدير ، (وقدره خاصا لدلالة السياق عليه دلالة من قصرالموصوف على الصفة).(٢)

سرالقصر:

لما لمز المنافقون (٣) الرسول صلى الله عليه وسلم فى تقسيم الصدقات واتهموه بعدم العدل جاءت الآية مصدرة بأسلوب القصر عن طريق إنما ، وفى ذلك (قصر لجنس الصدقات على الأصناف المعدودة ، وأنها مختصة بها ، لا تتجاوزها الى غيرها . كأنه قيل انما هى لهم لا لغيرهم) (٤)

كذلك ذكرالامام الجمل: (أى الصدقات مقصورة على الاتصاف بصرفها لهؤلاء الثمانية ، لاتتجاوز هذه الصفة الى أن تتصف بصرفها لغيرهم).(٥)

---

(١) حاشية الصاوى على الجلالين ، ج ٢ ، ص ١٥٤
(٢) حاشية الجمل . ج ٢ ، ص ٢٩١
(٣) روى البخارى – ج١٥ ، ص ٣٢٠ – عن أبى سعيدالخدرى رضى الله عنه قال : بينما النبى صلى الله عليه وسلم – يقسم قسما ، اذجاءه ذو الخويصر التميمى ، فقال: أعدل يا رسول الله . فقال (ويلك أومن يعدل اذا لم أعدل ..) فقال عمربن الخطاب رضى الله عنه ائذن لى فأضرب عنقه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعه فان له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم فى الرمية ... فنزلت فيهم (ومنهم من يلمزك فى الصدقات).
(٤) الكشاف . م ٤ ، ص ١٩٧
(٥) حاشية الجمل . ج ٢ ، ص ٢٩١

وألمح من هذا أنهم جعلوا القصر من قبيل القصر الحقيقى ، لأن النفى فى قولهم ، وقع على جميع من عدا المقصور عليه .

ويبدو لى أن القصر هنا قصر افراد ، لأن المخاطبين كانوا يعتقدون أن لهم حقا فى الصدقات ، كما أن لغيرهم حقا فيها . قال تعالى: (وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ ، فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ)(١) . فجاءت إنما لتثبت صرف الصدقات لهؤلاء الأصناف الثمانية وتنفيها عن المخاطبين ، وجعلت هذه الأداة أمر الصدقات وكأنه ظاهر معلوم لتأكيد تبرئة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتبين كذب المنافقين ، وتظهر حقيقتهم .

وجعل الامام الفخر القصر هنا قصر افراد ، الا أنه جعل النفى بالنسبة الى الرسول صلى الله عليه وسلم . فقال : (اعلم أن المنافقين لما لمزوا الرسول صلى الله عليه وسلم فى الصدقات ، بين لهم أن مصرف الصدقات هؤلاء ولا تعلق لى بها ، ولا آخذ لنفسى نصيبا منها . فلم يبق لهم طعن فى الرسول بسبب أخذ الصدقات)(٢)

— (وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ(٣) وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ)(٤)

المقصور: كونهم
المقصور عليه: الخوض واللعب

(١) آية : ٥٨ (٢) الفخر الرازى . م ٨ ، ج ١٦ ، ص ١٠٢

(٣) قال الواحدى أصل الخوض الدخول فى مائع مثل الماء والطين ، ثم كثر حتى صار اسما لكل دخول فيه تلويث وأذى . والمعنى أنا كنا نخوض ونلعب فى الباطل من الكلام ، كما يخوض الركب لقطع الطريق . فأجابهم الرسول بقوله (أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون) .

(٤) آية : ٦٥

قصر موصوف على صفة قصر قلب .

سر القصر :

ذكر فى سبب نزول هذه الآية روايات كثيرة ، كلها تدور حول أن المنافقين ذكروا كلاما فاسدا ، قصدوا منه الاستهزاء بالرسول صلى الله عليه وسلم . قال الامام الفخر : (اعلم أنه لاحاجة فى معرفة هذه الآية الى هذه الروايات ، فانها تدل على أنهم ذكروا كلاما فاسدا على سبيل الطعن والاستهزاء . فلما أخبرهم الرسول بأنهم قالوا ذلك ، خافوا واعتذروا عنه : بأنا إنما قلنا ذلك على وجه اللعب لا على سبيل الجد . وذلك قولهم : انما كنا نخوض ونلعب ، أى ما قلنا ذلك الا لأجل اللعب ، وهذا يدل على أن كلمة (إنما) تفيد الحصر ، اذ لو لم يكن ذلك ، لم يلزم من كونهم لاعبين ، أن لايكونوا مستهزئين ، فحينئذ لايتم هذا العذر).(١)

وجيء قولهم بإنما لبيان أنهم يقولون ان قصر فعلنا على الخوض واللعب أمر ظاهر وان حمل كلامنا هذا على غير باب الجد حقيقة واضحة. وبتقرير قولهم هذا أتبع جملة القصر بقوله (قل) غير ملتفت الى اعتذارهم ، ناعياً عليهم جناياتهم(٢) وفى عدم الالتفات الى اعتذارهم زيادة توكيد ، فى اثبات وقوع الاستهزاء منهم .

ذكر الامام الزمخشرى (لم يعبأ باعتذارهم ، لأنهم كانوا كاذبين فيه فجعلوا كأنهم معترفون باستهزائهم ، وبأنه موجود منهم ، حتى وبخوا

(١) الفخر الرازي ، م٨ ، ج١٦ ، ص ١٢٥ .
(٢) تفسير أبى السعود . م ٢ ، ج ٤ ، ص ٧٩ - ٨٠

بأخطائهم موقع الاستهزاء ، حيث جعل المستهزأ به يلى حرف التقرير وذلك انما يستقيم بعد وقوع الاستهزاء وثبوته).(١)

- (وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ)(٢)

قد سبق الحديث عن مثل هذه الآية فى نفس هذه السورة (آية ٥٥) ، ولكن هذا لايمنع من أن نشير الى سبب تكرار هذه الآية ، وتكرار القصر فيها ، والى بعض الاختلافات الجزئية فى تركيبها .

وقد ذكر الامام الفخر الرازى أوجه الاختلاف فقال: (اعلم أن هذه الآية قد سبق ذكرها بعينها فى هذه السورة ، وذكرت ههنا . وقد حصل التفاوت بينهما فى ألفاظ : فأولها : فى الآية المتقدمة ،قال:(فلا تعجبك) بالفاء ، وههنا قال (ولا تعجبك) بالواو . وثانيها : أنه قال هناك : (أموالهم ولا أولادهم) ، وههنا كلمة (لا) محذوفة . وثالثها : أنه قال هناك : (انما يريد الله ليعذبهم) ، وههنا حذف اللام وأبدلها بكلمة (ان) . ورابعها : أنه قال هناك : (فى الحياة) ، وههنا حذف لفظ الحياة ، وقال : (فى الدنيا) . فقد حصل التفاوت بين هاتين الآيتين من هذه الوجوه الأربعة ، فوجب علينا أن نذكر فوائد هذه الوجوه الأربعة فى التفاوت ، ثم نذكر فائدة هذا التكرير .

(أما المقام الأول) فنقول :

(أما النوع الأول) من التفاوت ، وهو أنه تعالى ذكر قوله (فلا تعجبك) بالفاء فى الآية الأولى ، وبالواو فى الآية الثانية ، فالسبب أن فى

---

(١) الكشاف . م ٤ ، ص ٢٠٠
(٢) آية : ٨٥

الآية الأولى انيا ذكر هذه الآية بعد قوله (ولا ينفقون الاوهم كارهــــون) وصفهم بكونهم كارهين للانفاق ، وانما كرهوا ذلك الانفاق لكونهم معجبين بكثرة تلك الاموال فلهذا المعنى نهاه الله عن ذلك الاعجاب بفاء التعقيب فقال : (فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم) ، وأما ههنا ، فلا تعلق لهـذا الكلام بما قبله ، فجاء بحرف الواو. (وأما النوع الثانى) : وهو أنـه تعالى قال فى الآية الأولى: (فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم) ، فالسبـب فيه أن مثل هذا الترتيب يبتدأ بالأدون ثم يترقى الى الأشرف ، فيقـال لا يعجبنى أمر الأمير ، ولا أمر الوزير. وهذا يدل على أنه كان اعجاب أولئك الأقوام بأولادهم ، فوق اعجابهم بأموالهم . وفى هذه الآية يدل على عـدم التفاوت بين الأمرين عندهم . (أما النوع الثالث) وهو أنه قال هناك : (إنما يريد الله ليعذبهم) ، وههنا قال: (انما يريد الله أن يعذبهم) ،فالفائدة فيه التنبيه ، على أن التعليل فى أحكام الله محال ، وأنه أينما ورد حرف التعليل فمعناه (أن) . كقوله (وما أمروا الا ليعبدوا الله). أى وما أمروا الا بأن يعبدوا الله .

(وأما النوع الرابع) : وهو أنه ذكر فى الآية الأولى: (فى الحيـــاة الدنيا) ، وههنا ذكر (فى الدنيا) ، وأسقط لفظ الحياة ، تنبيها على أن الحياة الدنيا بلغت فى الخسة الى أنها لاتستحق أن تسمى حياة ، بـل يجب الاقتصار عند ذكرها على لفظ الدنيا ، تنبيها على كمال دنائتها . فهذه وجوه فى الفرق بين هذه الألفاظ ، والعالم بحقائق القرآن هو اللـه تعالـى .

(وأما المقام الثانى) وهو بيان حكمة التكرار ، فهو أن أشـد الأشياء جذبا للقلوب وجلبا للخواطر الى الاشتغال بالدنيا ، هو الاشتغـال بالأموال والأولاد ، وما كان كذلك يجب التحذير عنه مرة بعد أخرى ، الا أنه لما كان أشد الأشياء فى المطلوبية والمرغوبية للرجل المؤمن هـو

مغفرة الله تعالى لاجرم ، أعاد الله قوله (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء). فى سورة النساء مرتين ، وبالجملة فالتكرار يكون لأجل التأكيد ، فههنا للمبالغة فى التحذير ، وفى آية المغفرة للمبالغة فى التفريح .

وقيل أيضا . انما كرر هذا المعنى لأنه أراد بالآية الأولى قوما من المنافقين لهم أموال وأولاد فى وقت نزولها ، وأراد بهذه الآية أقواما آخرين ، والكلام الواحد اذا احتيج الى ذكره مع أقوام كثيرين فى أوقات مختلفة ، لم يكن ذكره مع بعضهم ، مغنيا عن ذكره مع الآخرين).(١)

ـ (إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَئذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ).(٢)

المقصور: السبيل .
المقصور عليه : كونه على الذين يستأذنون الرسول وهم أغنياء .
قصر موصوف على صفة قصر قلب .

ذُكر فى حاشية الجمل: أن هناك من ذكر أن (إنما) هنا للمبالغة فى التوكيد ، وليست للحصر . ثم جئ برأى السفاقسى للرد على هذا القول : (وليس ثَمَّ ما يمنع أن تكون للحصر).(٣) فما نهب اليه السفاقسى صحيح بل إن الحصر أقوى أساليب التوكيد .

---

(١) الفخر الرازى ، م ٨ ، ج ١٦ ، ص ١٥٥
(٢) آية : ٩٣
(٣) حاشية الجمل . ج ٢ ، ص ٣١

سر القصر:

جاء فقراء المؤمنين للرسول صلى الله عليه وسلم ، تسبقهم الرغبة في الانصراف للجهاد ، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يأذن لهم لعدم وجود ما يحملهم عليه ، فأصابهم الحزن الشديد ، وانصرفوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ، لأنهم لم يجدوا ما ينفقوه في الجهاد ، وظنوا أنهم حرموا الأجر ، وأن في عدم خروجهم مع النبي صلى الله عليه وسلم ذنب. فجاء قوله تعالى : (لَّيسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ، وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلاَّ يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ).(١)

ففي نفي العقاب والحرج عنهم ، ووصفهم بالمحسنين ، ما يسكن روعهم ، وزيادة في تطمينهم ، وإلقاء السكينة في قلوبهم . جيء بإنما لتظهر المستحقين للعقاب ، فقصرت العقاب على الذين يستأذنون وهم أغنياء وليس لهم عذر في هذا الاستئذان إلا النفاق . وفي هذا القصر تحقير لهم واظهار لضعفهم ودناءتهم ، حيث قعدوا عن الجهاد مع رضائهم بأن يكونوا مع المرضى والضعفاء من الشيوخ والأطفال . بعكس المؤمنين الذين تمنوا الجهاد ، فلما فاتهم ذلك لعدم قدرتهم عليه ، حزنوا ، ولم يرضوا بذلك حتى طمأنهم القرآن ، وسكن روعهم .

وفي اظهار النقيض بهذا الأسلوب ، ما يطيب خاطرهم ويثبت لهم براءتهم من العقاب . وزيادة في التشنيع على هؤلاء المنافقين ، نفى عنهم العلم بالعواقب . فقال تعالى: (فهم لايعلمون) ، " أبدا غائلة مارضوا به ما يستتبعه آجلا ، كما لم يعلموا بخساسة شأنه عاجلا).(٢)

---

(١) آية : ٩١ ـ ٩٢

(٢) تفسير أبي السعود ، م ٢ ، ج ٤ ، ص ٩٣

ومن الممكن أن يكون القصر فى الآية قصر افراد ، لأن القوم الذين لا سبيل عليهم قد يجدون فى انفسهم مسّ التقصير والتخلى عن نصرة دين الله بالمجاهدة وان عليهم السبيل مع الذين يستأذنون وهم اغنياء .

* *

الفصل الثاني

آ- اسلوب العطف

ب- اسلوب التقديم

مع بيان

- نوع القصر في كل آية
- اسرار استعمال كل في كل موضع

القصـر عن طريق العطف بـ (لا ـ بل ـ لكن) :

سبق أن ذكرت فى الباب الأول شروط العطف بـ (لا ـ بل ـ لكن) واختـلاف العلماء فى افادتها القصر .

ولقد بحثت فى الثلث الأول من القرآن عن افادة كل اداة من هذه الادوات القصر ـ بحسب الشروط المذكوره سابقاً ـ .

فظهـر لى :

١ ـ أن (لا) العاطفة لم تقع فى هذا الثلث . وقد ذكر الامـام السيوطى فى الاتقان ـ عن (لا) ـ فقال(... و رابعها أن تكون عاطفة أو جوابية ولم يقعا فى القرآن)(١) .

٢ ـ وأن (بل) العاطفة لمفرد على مفرد لم تقع ايضاً فى هـذا الثلـث .

وقد ذكر ابن مالك أنها لم تقع فى التنزيل الا عاطفة لجملة على جملة فقـال: (وأما (بل) فللاضراب وحالها فيه مختلفة فان كان الواقع بعدها جملـة فهى للتنبيه على انتهاء غرض واستئناف غيره ولاتكون فى القرآن الا على هذا الوجه)(٢).

٣ ـ وأن لكن العاطفة لمفرد على مفرد المسبوقة بنفى لم تقع كذلك فى الثلث الاول من القرآن .

ولقد ذكر الدكتور محمد عبدالخالق عضيمة(٣) أنها لم تقع فى القرآن فقـال: (لكن الخفيفه العاطفة للمفرد على مفرد لم تقع فى القرآن).(٤)

(١) الاتقان ، جـ ١ ، ص ٢٢٣
(٢) شرح الكافية الشافية تحقيق عبدالمنعم احمد هريدى ، جـ ٣ ص ١٢٣٣
(٣) من مواليد محافظة الغربية ـ مركز طنطا ـ مصر عام ١٩١٠ ، ابتعث الى مكة فى أول بعثة أزهرية للمملكة العربية السعودية عام ١٩٤٦م ، له عدة مؤلفات فى مواضيع اللغة العربية منها :(المغنى فى تصريف الافعال)، (هادى الطريق الى ذخائر التطبيق) ، (دراسات لاسلوب القرآن الكريم) وبه حاز على جائزة الملك فيصل العالمية لعام ١٤٠٣هـ ويعمل حاليا استاذا فى جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض/ مجلة الفيصل موضوع (الحركة الثقافية فى الوطن العربى) العدد (٧١) جمادى الاولى ١٤٠٣هـ ص ١٠
(٤) دراسات لاسلوب القرآن الكريم ، جـ ١ ، ص ٥٨٢

القصــــــر عن طــريــق

التقـــــديم

" الفاتحــه "

(بِسْــــمِ اللّـــــهِ الرَّحْــــمَنِ الرَّحِــيمِ)

لقـد كـثر الخـلاف حـول (البسـملة) هـل هـى آية مسـتقلـة فـى أول كـل سـورة أو من أول كـل سـورة كتبت فى أولهـا أو أنـها بعض آيـة من كل سـورة أو أنـها آيـة فى الفاتحـة دون غيرها أو أنـها آيـة كتبت للفصـل بين السـور .

واخـترت ذكـرها وبيـان وجـهة القصـر فيهـا لأنـهاـ وان لـم تكـن آيـة من الفاتحة فهى أول جملة ذكـرت فـى القرآن ثم لتكـرارهـا فـى أول كـل سـورة .

واختلفـوا فـى افادتهـا للقصـر ، لاخـتلافـهم فـى متعـلق البـاء فذهب نحاة البصـرة ، الـى أن البـاء متعلقـة باسـم تقديره ابتدائى مسـتقر أو ثـابت (بسم اللـه) ، وذهـب نحاة الكوفة الـى أنـها متعلقـة بفعل تقديره ابتدأت (بسـم اللـه) (١) .

وذهـب الامام الزمخشـرى (٢) وتبعه البيضاوى (٣) وأبو السعود (٤) ،

---

(١) المحرر الوجيز . ابن عطية ، جـ ١ ، ص ٩١ - ٩٢ .

(٢) الكشاف ، م ١ ، ص ٢٦ .

(٣) البيضـاوى ، جـ١ ، ص ٨ .

(٤) تفسـيرأبى السـعود ، جـ١ ، ص ٨ .

والشوكانى (١) ، والجرجانى فى حاشيته على الكشاف (٢) .
والشهاب فى حاشيته على البيضاوى (٣) والسعد فى مختصره (٤) وابن يعقوب فى مواهب الفتاح (٥) والدسوقى فى شرحه على المختصر (٦)
الى أن متعلق الباء فعل تقديره : اقرأ ، أو أتلو ، وقدروه مؤخرا ، لأن الذى يتلوه مقروء . وكذلك يُضْمَر كل فاعل ، ما يجعل التسمية مبدأ له . وذلك أولى من أن يضمر أبدأ ، لعدم وجود ما يطابقه ويدل عليه ، أو ابتدائى لزيادة اضمار فيه . وذكروا أن فائدة التقديم الاختصاص . ورد أبو حيان على الزمخشرى ومن ذهب مذهبه بأن قدر الفعل مقدما وجعله (بدأت) ، ونفى كون تقديم المعمول على العامل يفيد الحصر ، واستدل بقول سيبويه فقال : (وقدره الزمخشرى فعلا غير بدأت وجعله متأخرا ، قال تقديره بسم الله أقرأ أو أتلو اذ الذى يجئ بعد التسمية مقروء ، والتقديم على العامل عنده يوجب الاختصاص .

---

١) فتح القدير ، م ١ ، ص ١٧ .
٢) حاشية الجرجانى على الكشاف ، م ١ ، ص ٢٩ .
٣) حاشية الشهاب ، جـ١ ، ص ٣٦ .
٤) شروح التلخيص ، مختصر السعد ، جـ٢ ، ص ١٥٥ .
٥) شروح التلخيص ، مواهب الفتاح ، جـ ٢ ، ص ١٥٥ .
٦) شروح التلخيص ، حاشية الدسوقى جـ ٢ ، ص ١٥٥ .

وليس كما زعم/قال سيبويه : وقد تكلم على ضربت زيدا ما نصه واذا قَدَّمْتَ الاسم ، فهو عربى جيد ، كما كان ذلك يعنى تأخيره عربيا جيدا ، وذلك قولك زيدا ضربت . والاهتمام والعنايه هنا فى التقديم والتأخير سواء ، مثله فى ضرب زيد عمرا ، وضرب زيدا عمرو ، انتهى (١)

فالتقديم عند أبى حيان يفيد الاهتمام ، وكذلك عند الامام الألوسى حيث قدره مقدما (٢) وردَّ الشهاب على من قال بمثل هذا القول : بأن ماقاله الامام عبد القاهر من أنهم لم يعتمدوا فى التقديم شيئا يجرى مجرى الأصل غير العناية والاهتمام .

ونقله عن سيبويه ليس لإبطال افادته الحصر كما توهم ابن الحاجب وأبو حيان - بل اشارة الى أن العناية أمر كلى مجمل .

---

١) ذكر أبو حيان : أن هذا قول سيبويه نصا ولقد رجعت الى الكتاب فوجدت أن هناك فرقا بسيطا من جهة اللفظ بين النص الذى ذكره أبو حيان ، والنص الموجود فى - الكتاب - قال سيبويه : (وإن قَدَّمْتَ الاسم فهو عربى جيد كما كان ذلك عربيا جيدا ، وذلك قولك : زيدا ضربت . والاهتمام ، والعناية هنا فى التقديم والتأخير سواء ، مثله فى ضرب زيد عمرا ، وضرب عمرا زيد .)/ الكتاب تحقيق عبد السلام هارون ج ١ ، ص ٨٠ - ٨١ .

٢) روح المعانى . ج ١ ، ص ٥٠ .

لا بـد لـه من وجـه كالتعظيم والاختصاص . (١)

ويبدو لي أنه لا تزاحم بين المقتضيات ، فقد يُفيد التقديم القصر مع افادته الاهتمام . وهذا ما ذكره الامام أبو السعود فقال (وتقديم المعمول للاعتناء بـه والقصد الى التخصيص كما في اياك نعبد) (٢) .

وذكر الامام الألوسي أن في الآية تخصيصا ولكنه ليس عن طريق التقديم ، فقال : (واذا قدرنا العامل مقدما كما هو الأصل ،أمنا من المحذور ويحصل اختصاص أيضا ، إذ كأنه قيل مثلا : اقرأ مستعينا أو متبركا باسم الله الرحمن الرحيم ،لأنه الرحمن الرحيم . وانتفاء العلة يستلزم انتفاء المعلول في المقام الخطابي اذا لم تظهر علة أخرى فيفيد الاختصاص لا سيما عند القائل بمفهوم الصفة فيشعر بأن من لم يتصف بذلك خارج عن الدائرة ، والاقتصار هنا ليس كالاقتصار هناك) (٣) .

ويبدو لي أن التخصيص مستفاد من تقديم المعمول كما ذُكِر سابقا .

---

١) حاشية الشهاب . جـ ١ ، ص ٣٦ .

٢) تفسير أبي السعود ، جـ ١ ، ص ٨ .

٣) روح المعاني ، جـ ١،ص ٥٠ .

سـر القصـر :

كـان المشـركون يبدأون بأسـماء آلهتهم ، فيقولون باسـم اللات باسم العـزة ، وكـان التقديم منهـم لمجـرد الاهتمام الناشـئ مـن قصـد التبرك والتعـظيم ، لا للاختصـاص . اذ أنهـم لم ينفـوا التـبرك بـه تعـالى ، بل كـانوا يتبركـون به أيضـا فوجب على الموحـد أن يقصد بعبارتـه التخصيص ، لقطـع شـركة الأصـنام كي لا يتوهم مـنه تجويز الابتداء بأسـمها فيكون قصـر افـراد (١) .

وذكـر الدسـوقي أن (.. تخصيص الموحـد اسـم الله بالابتداء للرد عليهـم من بـاب قصـر القلب لأنـه لرد الخطأ في التعيين ، ان كـان الكـفار قاصـدين بقولهم باسـم اللات والعـزة أي لا غـير ذلك . وان أرادوا باسـم اللات والعـزة لتقربنا الى اللـه ،كانوا معتقـدين للشـركه فيكون القصـر المفاد بالتقديم في باسـم اللـه لرد الخطأ في الشركه وهو قصـر افـراد) (٢) .

وذهب السـعد وابن يعقوب الى أنه قصـر افـراد ، ولم يذكروا وجـه كـونه قصـر قلب (٣) .

---

١) انظـر الكشاف ،م ١ ، ص ٢٦ / حاشـية الجرجاني ، ص ٢٩ .

٢) شـروح التلخيص . حاشـية الدسوقي . جـ ٢ ، ص ١٥٥ - ١٥٦ .

٣) انظـر شـروح التلخيص ، مختصـر السعد / مواهب الفتاح . جـ ٢ ص ١٥٥ .

ويرى الامام الشهاب أنه قصر حقيقي فبعد أن أورد كلام القائلين بقصر القلب والافراد ، قال : (وأنا أقول) ليت شعرى ما الداعى لما ارتكبوه من التكلفات مع امكان جعله قصرا حقيقيا ولو ادعائيا حتى لا يحتاج فيه الى مخاطب ، ولا الى اعتقاده . فمراد الموحد التبرك فى افعاله باسم الله ، لا اسم غيره ، وهو يتضمن الرد على المشركين ، فإياك من الوقوف فى حضيض التقليد اذا أمكنك الصعود لقصر التحقيق المشيد ...) (١) .

والمقصور فى الآية   أتلو أو أقرأ .

المقصور عليه   اسم الله .

---

١) حاشية الشهاب ، جـ ١ ، ص ٣٦ .

الفـــاتحـة

(إِيَّـــاكَ نَعْـــبُدُ وَإِيَّـــاكَ نَسْـــتَعِينُ) (١)

ذهـب أئمة التفسـير وعلى رأسهم الزمخشـرى (٢) . وتبعـه الفخر (٣) . والـبيضـاوى (٤) . وأبو السـعود (٥) والشوكانى (٦) . والألوسـى (٧) .

أن التقديم فى الآيـة مفيد للاختصاص . قال الزمخشـرى :

(. . . وتقديم المفعـول لقصـد الاختصاص ، كقولـه تعالى ـ قل أفغير الله تأمرونى أعبد ـ قل أغير اللـه أبغى ربا والمعنى نخصك بالعبادة ونخصك بطلب المعونه) (٨) ، وبمثل هـذا قال شُرَّاح التلخيص حيث استدلوا على افادة القصر بقول أئمة التفسير ، فذكر الدسوقى أن (. . المتقديم للاختصاص ، وانما كان كلام الأئمة فى تفسير الآيتين دليلا على أن التقديم مفيد للاختصاص ، لأنه لم يوجد فى الآيتين من آلات الحصر الا التقديم ، وقد قالوا معنى الآيتين كذا ، فلو كان الاختصاص من مجرد ما عِلم من خارج وأن التقديم لمجرد الاهتمام كما قيل :

---

١) آية : ٥

٢) الكشاف ، م ١ ، ص ٦٠ .

٣) الفخر الرازى ، م ١ ، ج ٢ ، ص ٢٤٧ .

٤) البيضاوى ، جـ ١ ، ص ٣١ .

٥) تفسير أبى السعود ، جـ ١ ، ص ١٧ .

٦) فتح القدير ، م ١ ، ص ٢٢ .

٧) روح المعانى جـ ١ ، ص ٨٧ .

٨) الكشاف ، ٢٥١ م ١ ، ص ٦١ ـ ٦٢

لم يناسب أن يقال : أن معنى الآيتين كذا ،بل يقال وأستفيد مما تقرر من خارج ، أن لا عباده ، وأن لا استعانه لغيره) (١)

وذهب الامام ابن عطيه ، الى أن : تقديم المفعول هنا للاهتمام فقال (وقُدِّم المفعول على الفعل اهتماما ،وشأن العرب تقديم الأهم . ويُذكَر أن عربيا سب آخر ، فأعرض المسبوب عنه ، فقال له الساب : اياك أعنى فقال الآخر له وعنك أعرض . فقَدَّما الأهم) (٢) .

والى مثل هذا ذهب الامام أبو حيان ، وذكر أن الزمخشرى زعم أنه : لا يَقَدَّم المعمول على العامل الا للتخصيص . فكأنه قال ما نعبد الا اياك . ورد عليه بقول الأعرابى السابق الذكر وبقول سيبويه (٣) . فقال : (إيّا مفعول مقدم ، والزمخشرى يَزْعُم : أنه لا يُقَدَّم على العامل الا للتخصيص فكأنه قال : ما نعبد الا اياك ـ وقد تقدم الرد عليه فى تقديره : بسم الله أتلو ، وذكر (٤) مانص سيبويه هناك فالتقديم عندنا انما هو للاعتناء والاهتمام بالمفعول (٥) ويترجح عندى ماقاله الشهاب أنه ليس فى كلام الامام الزمخشرى ما ينافى كون

---

١) شروح التلخيص ، حاشية الدسوقى جـ ، ص .
٢) المحرر الوجيز ،جـ ١ ، ص ١١٦ .
٣) سبق ذكره فى تفسير باسم الله .
٤) البحر المحيط ، جـ ١ ، ص ٢٤ .
٥) حاشية الشهاب ،جـ ١ ، ص ١٢٠ .

التقديم بغيد الاهتمام . وكذلك قول سيبويه ليس فيه ما ينافى كون التقديم يفيد الاختصاص ، فلا تعارض بين قوليهما (١) . ويظهر لى أن فى قول الأعرابيين ما يدل على افادة الحصر ، لأن الأعرابى حين رأى صاحبه معرضا عنه ،قدم الضمير (إيّاك) لتخصيصه دون غيره بالشتم والسب أى لا أشتم سواك وفى اجابة الآخر تخصيص ، أى أعرض عنك لا عن سواك (٢) . والزمخشرى لا يوجب ارادة الحصر كما زعم أبو حيان ، فنراه أحيانا يسكت عن دلالة تقديم المعمول على الاختصاص ، ويكتفى بذكر الأهميه (٣) . كما فى قوله : (أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ) (٤) ، اذ يقول فيها : (وقُدِّمَ المفعول الذى هو غير دين الله على فعله لأنه أهم ، من حيث أن الانكار الذى هو معنى الهمزه - متوجه الى المعبود بالباطل) (٥) .

أما ابن الأثير، والعلوى فى «الطراز» فقد فهما أن الامام الزمخشرى يقول بلزوم التقديم للاختصاص ، ورأى ابن الأثير : أن التقديم فى (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) ، إنما هو لحسن النظم ، (لأنه لو قال نعبدك ونستعينك ، لم يكن له من الحسن ما لقوله : (إِيَّاكَ نَعْبُدُ ، وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ،) .

ألا ترى أنه تقدم قوله تعالى : (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) فجاء بعد ذلك

---

١) البحر المحيط ، جـ ١ ، ص ٢٤ .

٢) حاشية الشهاب ، جـ١ ، ص ١٢٠ .

٣) وقولى هذا ما هو الا تأييد لرأى الدكتور محمد أبو موسى فى كتابه البلاغه القرآنيه عند الزمخشرى . ص ٢٨١ - ٢٨٢ .

٤) آل عمران ، بعض آية : ٨٣ .

٥) الكشاف ،م ١ ، ص ٤٤١ - ٤٤٢ .

بقوله : (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) ، وذاك لمرعاة حسن النظم السجعى الذى هو على حرف النون . ولو قال : نعبدك ونستعينك . لذهبت تلك الطلاوة ، وزال ذلك الحسن) (١) . وذكر ابن السبكى أن هذا استدلال ضعيف لأن (مخلصا له الدين) . أغنى عن ارادة الحصر فى الآية الأولى (٢) .

ويبدو لى أنه لا تزاحم بين المقتضيات ، ولا تضارب بين النكات . فالتقديم قد يفيد مع الاختصاص الاهتمام . وقد ذكرت رأى علماء البلاغة فى ذلك فى الباب الأول عند الحديث عن التقديم ففى الآية اسلوبا قصر ، كلاهما عن طريق التقديم .

الأول فى قوله تعالى : (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) .

المقصور : المعبود .

المقصور عليه : اياك .

وهو قصر صفه على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا . فالقصر هنا (لا يستدعى رد خطأ المخاطب ، والمقصود منه التبرئه عن الشرك والتعريض بالمشركين ، وتقديم ما هو مقدم فى الوجود فانه تعالى مقدم على العابد والعباده ذاتا . فقُدِّم وضعا ليوافق الوضع بالطبع (٣) .

---

١) المثل السائر ، ط١ ، جـ٢ ، ص ٢١٩ .

٢) شروح التلخيص ، عروس الأفراح ، جـ ٢ ، ص ١٥٢ .

٣) روح المعانى ، جـ١ ، ص ٨٧ .

والقصر الثانى فى قوله تعالى : (إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) .

المقصور : المُستَعَان .

المقصور عليه : اياك .

قصر صفه على موصوف قصرا حقيقيا ، فيه مبالغة .

لأن العبد قد يستعين فى بعض المهمات التى تكون فى مقدور الخلق - بالخلق . فأكد القصر عن طريق المبالغة ،أن الاستعانه بالخلق لا تساوى شيئا أمام الاستعانه بالله .

سر القصر :

لما كانت العبادة عبارة عن نهاية التعظيم والتقديس وهى لا تليق الا بمن صدر عنه غاية الانعام .

ولما ذكر الله سبحانه وتعالى لنفسه فى الآيات السابقة - خمس صفات هى (الله - الرب - الرحمن - الرحيم و مالك يوم الدين) ، وللعبد أحوال ثلاثة الماضى والحاضر والمستقبل ، فالعبد انتقل من العدم الى الوجود ومن الموت الى الحياة ومن العجز الى القدرة ، ومن الجهل الى العلم . كل ذلك بعلم الله وقدرته الأزلية ،نقله من العدم فهو اله لهذا المعنى وأما الحال الحاضرة للعبد فحاجته شديدة ،لأنه كلما كان معدوما كان محتاجا الى الرب - الرحمن الرحيم . أما الحالة المستقبلية للعبد فهى حال ما بعد الموت والصفة المتعلقة بتلك الحالة ، هى قوله مالك يوم الدين فصارت هذه الصفات الخمس من صفات الله تعالى - متعلقة بهذه

الأحوال الثلاثة للعبد ، فظهر أن جميع مصالح العبد في الماضي والحاضر والمستقبل لا تتم ولا تكتمل الا بالله وفضله واحسانه فلما كان الأمر كذلك ،وجب أن لا يشتغل العبد بعبادة شيء الا بعبادة الله تعالى .

ولذا وجب اختصاص العبادة والاستعانة بالله وحده دون غيره . ولأن في العبودية مذلة ومهانة ،الا أنه كلما كان المولى أشرف وأعلى ،كانت العبودية به أهنأ وأمرأ . ولما كان الله تعالى أشرف الموجودات وأعلاها فكانت عبوديته أولى من عبودية غيره وعلمه ، أكمل من علم غيره ، ووجوده أفضل من وجود غيره فوجب القطع بأن عبوديته أولى من عبودية غيره وأنه الحقيق بأن يخص بالعبادة والاستعانة (١) .

وقيل اياك نعبد واياك نستعين ، بدل واياه نعبد ، عن طريق الالتفات تطريه لنشاط السامع وايقاظا لاهتمامه لأنه لما ذكر أن الله حقيق بالحمد ، وأجرى عليه تلك الصفات العظام تعلق العلم بمعلوم عظيم الشأن ، حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانه في المهمات . فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات فقيل : اياك يا من هذه صفاته ، نخص بالعبادة والاستعانة (٢) .

---

١) انظر الفخر الرازي ، ج ١ ،ص ٢٤٧ .

٢) الكشاف،م ١ ، ص ٦٠ .

ولأنه لو قيل اياه نعبد واياه نستعين . كما يقتضيه مساق الكلام بظاهرة ، لم يكن فيه دلالة على أن العباده له ، والاستعانه به ، لأجل اتصافه بتلك الصفات المجراة عليه ، وتميزه به عن غيره لأن ذلك الضمير راجع الى ذاته بمقتضى وصفه ، وليس فيه ملاحظة لصفاته ، وان كان متصفا بها . فالحكم متعلق بالذات فلا يفهم منه سببا عرفا . واذا قيل اياك بدل اياه ، فقد نزل الغائب بواسطة أوصافه المذكورة الموجبة لتميزه وانكشافه حتى صار كأنه يتبدل خفاء غيبته ، بجلاء حضوره - منزلة المخاطب فى التمييز والظهور ، ثم أطلق عليه ما هو موضوع للمخاطب . ففى اطلاقه عليه ملاحظة لأوصافه ، التى جعلته كالمخاطب ، فصار الحكم مرتبا على الوصف المناسب ، بمنزلة أن يقال : أيها الموصوف المتميز نعبدك ونستعينك فيتبادر منه فى المتعارف ، أن العباده والاستعانه لتميزه بتلك الصفات . . . .) (١) .

وكرر الضمير المنصوب (إِيَّاكَ) للتنصيص على تخصيصه تعالى بكل واحدة من العبادة والاستعانة . ولابراز الاستلذاذ بالمناجاة والخطاب (٢) .

---

١) الكشاف ، حاشية الجرجانى م ١ ، ص ٦٤ .

٢) تفسير أبى السعود ج ١ ، ص ١٧ .

ســـورة البقـــــرة

- (وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ) (١)

فى الآيـة الكريمه أسلوبا قصر ، كلاهما عن طـريق التقـديم فالأول عـن طـريق تقـديم بعض متعـلقات الفعـل عليه ، فقُدِّم الجـار والمجرور علـى عامله ، فـى قـوله (وبالآخـرة) .

والثـانى عـن طـريق تقـديم الضمير علـى الخـبر الفعـلى .

فالمقصـور فى الأسـلوب الأول : الايقـان (يوقـنون) .

والمقصور علـيه الآخـره . قـصر صـفة على موصـوف.والمقصـور فـى الأسـلوب الثانـى : الايقـان (يوقنون) .

والمقصـور عليـه : هـم .

وهـو مـن قصـر الصـفة علـى الموصـوف .

واختُلِفَ فـى نوع القصـر فى هـذه الآيـة هـل هو من قبيل القصـر الاضافى أو الحقيقـى ؟ . ونشـأ هـذا الخـلاف من الاخـتلاف فى الْمَقْصُودِينَ بهذه الآيـة . فذهـب الامام البيضـاوى الـى أن الْمَقْصُودِينَ فى الآيـة مؤمنو أهـل الكتاب ، فقصـر الايقان عليهـم،ونفاه عـن بقيـة أهـل الكتاب .

فيكـون القصـر بذلك قصـرا اضـافيا قصر افراد .

جـاء فى أنـوار التنزيل ((وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ) ، أى يوقنون ايقانـا ، زال معـه مـا كانوا عليـه ،من أن الجـنة لا يدخـلها الا مـن كـان هـودا أو نصـارا وأن النـار لن تمسـهم الا أياما معدودة . .) (٢)

١) آية : ٤

٢) البيضـاوى جـ١ ، ص ٦١ .

وعلق الامام الشهاب فى حاشيته على البيضاوى : (هذا بناء على ما رجحه من تفسير الموصول الثانى بمؤمنى أهل الكتاب خاصة،وما ذكره يفهم من قصر الايمان بالآخرة عليهم ،مع أن جميع أهل الكتاب يؤمنون بالآخرة ،فلولم يخص بما ذكر بطل الحصر)(١)

وعلق الامام الكازرونى فى حاشيته على البيضاوى بقوله :
(واعلم أن قوله تعالى : وبالآخرة هم يوقنون ، يدل على حصر الايقان بالآخرة ،على مؤمنى أهل الكتاب . على تقدير أن يكون المراد من الذين يؤمنون بما أُنْزِل اليك ، وما أُنْزِل من قبلك أهل الكتاب . فاما أن يكون الحصر باعتبار تفسير الايقان بالايقان الخاص المذكور ، فيكون الحصر بالنسبة الى من سواهم مطلقا فيكون حقيقيا ،فيكون قوله من أهل الكتاب مستدركا . بل موهما لخلاف الواقع واما أن يكون الحصر بالاضافة الى من سواهم من أهل الكتاب ،ويكون المراد من الإيقان بالآخرة مطلقه . لكن تفسيره الايقان بما ذكر ،يفيد أن القصر حقيقى ، لأن التفسير المذكور مخصوص بمؤمنيهم ، لا يوجد غيرهم مطلقا ،ويمكن أن يقال أن قوله تعريض ، يفيد أن الحصر الاضافى مقصود ، وان كان القصر الحقيقى حاصلا ولا يخفى أن التعريض بمن سواهم من أهل الكتاب ، انما يتجه اذا كان المراد من الذين يؤمنون بما أنزل

---

١) حاشية الشهاب ،جـ١ ،ص ٢٣٨ .

اليك ، مؤمنى أهل الكتاب . وأما اذا كان المراد مطلق المؤمنين ، كان تعريضا بمن سواهم مطلقا ..) (١) .

وذهب الامام الطبرى الى أن المقصود بالمؤمنين مؤمنو أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، قال : (وأما الذى وصف الله جل ثناؤه به المؤمنين بما أنزل الى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وما أنزل الى من قبله من المرسلين ، من ايقانهم به من أمر الآخرة ، فهو ايقانهم بما كان المشركون به جاحدين من البعث والنشر ، والثواب والعقاب ، والحساب والميزان وغير ذلك مما أعد الله لخلقه يوم القيامه) (٢) .

فاذا كان المقصود مؤمنى أمة محمد صلى الله عليه وسلم يكون نفى الايقان متوجها إلى جميع من عداهم من أهل الكتاب فيكون القصر قصرا حقيقيا ، فيه مبالغة . لأن أهل الكتاب وان كانوا ، يؤمنون بالآخرة ، إلا أن ايمانهم لا يُعْتد به بجانب ايمان أمة محمد صلى الله عليه وسلم فهم لا يتعدون حقيقة الآخرة الى خلافها .

واخْتُلِفَ فى سر التقديم فى الآية فذهب بعض المفسرين الى أن سر تقديم الجار والمجرور ، هو الاهتمام . ذُكر فى حاشية الجمل (.. وقُدِّم المجرور للاهتمام به ..) (٣)

---

١) البيضاوى ، حاشية الكازرونى جـ١ ، ص ٦١ - ٦٢ .

٢) الطبرى ، م١ ، ص ٨٢ .

٣) حاشية الجمل ، جـ١ ، ص ١٣ .

والى مثل هذا ذهب الشيخ رشيد رضا فى تفسير المنار الى أن التقديم للاهتمام وتَقَدُّم الضمير للتوكيد . الا أنه يفهم من كلامه أن التقديم مفيد للحصر . قال : (وأكد الايقان بالآخرة بقوله "هم" اهتماما بشأنه وليبين أن الايقان بالآخرة خاصة من خواص الذين آمنوا بالقرآن وبما أنزل قبله من الكتب ،لا يشركهم فيه سواهم) (١)

فعبارته الآخيرة تدل على ارادة الحصر .وقد ذهب كثير من المفسرين الى أن سر القصر فى الآية ،هو التعريض وذم الكفار لأنهم ادعوا لأنفسهم المعرفة بحقيقة الآخرة ، وأنها خاصة بهم فالسورة (من أولها ، وان كانت الآيات التى فى أولها من نعت المؤمنين ، تعريض من الله عز وجل بذم الكفار .أهل الكتاب الذين زعموا أنهم بما جاءت به رسل الله عز وجل ،الذين كانوا قبل محمد صلوات الله عليهم وعليه ،مصدقون ، وهم بمحمد عليه السلام مكذبون ،ولما جاء به من التنزيل جاحدون ، ويدّعون مع جحودهم ذلك أنهم مهتدون ،وأنه لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى فأكذب الله جل ثناؤه ذلك ، من قيلهم بقوله (الم ذَلِكَ الكِتَابُ لَا رَيبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَقِينَ الَّذِينَ يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون) (٢) .

(١) المنار ، م ١ ، ص ١٣٥ .

(٢) الطبرى ، م١ ، ص ٨٢ .

والى مثل هذا القول ذهب الامام الزمخشرى فقال : (وفى تقديم الآخرة ، وبناء يوقنون على " هم " تعريض بأهل الكتاب ، وبما كانوا عليه من اثبات أمر الآخرة على خلاف حقيقته ، وأن قولهم ليس بصادر عن ايقان ، وأن اليقين ما عليه من آمن ، بما أُنْزِل اليك وما أُنْزِل من قبلك ..) (١) .

وزاد الامام الجرجانى فى حاشيته على الكشاف فى شرح سر القصر فذكر ، أن فى الآية تقديمين ، الأول تقديم الظرف الذى هو بالآخرة أى ايقانهم مقصور على حقيقة الآخرة لا يتعداها الى خلاف حقيقتها ، وفى ذلك تعريض بأن ما عليه مقابلوهم ليس من حقيقة الآخرة فى شئ كأنه قال يوقنون بالآخرة لا بغيرها كأهل الكتاب) (٢) .

وذهب الامام الشوكانى الى أن التقديم مُشعِر بالحصر ، ويفهم من كلامه أن القصر فى الآية لا يفيد التعريض ، حيث جعل المؤمنين مقصورين على الايقان بالآخرة ، وأن ما عدا هذا الأمر ليس بمستأهل للايقان فقال : (وفى تقديم الظرف مع بناء الفعل على الضمير المذكور ، اشعار بالحصر ، وأن ما عدا هذا الأمر الذى هو أساس الايمان ورأسه ، ليس بمستأهل للايقان والقطع بوقوعه) (٣) .

---

١) الكشاف ، جـ١ ، ص١٣٧ .

٢) الكشاف حاشية الجرجانى ، جـ١ ، ص ١٣٧ .

٣) فتح القدير ، جـ١ ، ص ٣٦ .

ومن قبل قيل بهذا الذى ذهب اليه الشوكانى ، ورده الشهاب فقال : (فان قلت هذا التقديم يفيد أنهم مؤمنون بالآخرة لا بغيرها وهو غير صحيح هنا ، ولا يفيد التعريض المراد . قلت المراد بغير الآخرة ، المنفى عنهم ايمانهم بالآخرة التى يزعمها أهل الكتاب فالمعنى أن ايقانهم مقصور على حقيقة الآخرة لا يتعداها الى ما هو خلاف حقيقتها . ففيه تعريض بأن ما عليه مقابلوهم ، ليس من حقيقة الآخرة فى شئ ، كأنه قيل يوقنون بالآخرة لا بخلافها ، كبقية أهل الكتاب . الثانى تقديم المسند اليه الذى أخبر عنه - بجملة يوقنون - ، وهو يفيد التخصيص . وأن الايقان بالآخرة منحصر فيهم ، لا يتجاوزهم الى أهل الكتاب ، وفيه تعريض بأن اعتقادهم فى الآخرة جهل محض ، وتخيل فارغ ، فان الضمير المقدم أو المزيد المنفى يأتى لافادة الحصر وقد يأتى للتقوى أيضا ، كما حُقِّق فى المعانى . ففى النظم قصران وتعريضان لا قصر واحد كما قيل .) (١) .

وقد ذكر الامام الالوسى أن من سر الحصر هنا اظهار كمال الممدوح ، فقال : (ذكر المعاد الجسمانى وانما ذُكِر فى كتب حزقيل وشعياء ، والمذكور فى الانجيل انما هو المعاد الروحانى فناسب أن يقرن هذا الأمر المهم الغريب ، الذى حارت عقول الكثيرين فى اثباته ، وتهافتوا على انكاره ، تهافت الفراش على النار

---

١) حاشية الشهاب ، جـ١ ، ص ٢٣٨ .

بالايقان وهو اظهارا لكمال المدح ،وابداء لغاية الثناء وتقديم المجرور للاشارة الى أن ايقانهم مقصور على حقيقة الآخرة ،لا يتعداها الى خلاف حقيقتها ،مما يزعمه اليهود مثلا حيث قالوا (لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَة) وزعموا أنهم يتلذذون بالنسيم والأرواح ،إذ ليس ذلك من الآخرة في شيء، وفى بناء يوقنون على "هم" اشارة الى أن اعتقاد مقابليهم فى الآخرة ،جهل محض وتخييل فارغ ،وليسوا من اليقين فى ظل ولا فىء) (١) .

وقد أورد ابن السبكى فى عروس الأفراح ،أن الآية لا تشعر بالحصر ،بناء على رأيه من أن تقديم المعمول لا يفيد الحصر - فبعد أن أورد قول الزمخشرى السابق الذكر (٢) علق بقوله (وهذا الذى قاله الزمخشرى فى غاية الحسن . وقد اعترض بعض الناس عليه ،فقال تقديم الآخرة ،أفاد أن ايقانهم مقصور على أنه ايقان بالآخرة لا بغيرها ، وهذا الذى قاله هذا القائل ،بناه على فهمه من أن تقديم المعمول يفيد الحصر

---

١) روح المعانى ،جـ ١ ،ص ١٢٣ .

٢) الكشاف ،جـ١ ،ص ١٣٧ .

وليس كذلك لما بيناه ،ثم قال هذا القائل وتقديم " هم " أفاد أن هذا القصر مختص بهم ، فيكون ايقان غيرهم بالآخرة ايمانا بغيرها ،حيث قالوا لن يدخل ،ولن تسنا ،وهذا من هذا القائل ، استمرار على ما في ذهنه من الحصر أي أن المسلمين لا يوقنون الا بالآخرة وأهل الكتاب يوقنون بها وبغيرها وهذا فهم عجيب ، ثم قال هذا القائل :

ثم أن التعريف في قوله (١) (بأهل الكتاب وبما كانوا) وأن قولهم ظاهر معنى قول الزمخشرى ، قال هذا القائل : وأما في قوله : (وأن اليقين) فشكل لأنه ليس فيه تعريض بأن اليقين ماعليه من آمن بل تصريح ، قلت مراد الزمخشرى : أن التصريح بأن من آمن يوقنون،تعريض بأن أهل الكتاب لا يوقنون ، فكيف يَرِد عليه هذا ؟ ثم قال هذا القائل : فالوجه أن يُقال : وان - اليقين عطف على قوله تعريض ، لا على معمولاته من بأهل - الكتاب .... الخ .

وكأنه قال : وفي تقديم الآخرة وبناء يوقنون على هم تعريض وأن اليقين قلت مراد الزمخشرى : أنه تعريض بنفي اليقين عن أهل الكتاب ،فكأنه قال دون غير من آمن ، فلا يَرِد عليه ، ولا يحتاج الى تقدير العطف على ما ذكره هذا القائل وهو اما أن يقدر دون غيرهم أو لا . فان قدر فهو تعريض لا تصريح وان لم يقدر فلا يحتاج الى بناء يوقنون على هم فحَمْل كلام الزمخشرى على مازعمه هذا القائل لا يصح بوجه من الوجوه ،وهذا القائل فاضل وانما ألجأه الى ذلك فهمه الحصر،وهو ممنوع .) (٢) .

---

١)أي الزمخشرى .

٢) شرح التلخيص ، جـ٢ ، ص ١٥٧ - ١٥٨ .

(خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (١) .

ذكر الامام الشهاب أن التقديم فى قوله تعالى : (وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) قد يفيد الاختصاص، فقال :
(... قُدِّم الخبر استحسانا لأن المبتدأ نكره موصوفه، ولو أُخِّر جاز كـ (أجل مسمى عنده) .
ويجوز أن يكون التقديم مفيدا للتخصيص (٢) .
وكذلك ذكر الامام الألوسى ، كون التقديم هنا مفيدا للاختصاص(٣)

فالمقصور فى الآية : العذاب .
المقصور عليه : كونه لهم .
أى أن العذاب مقصور على كونه عليهم دون غيرهم . وهو قصر موصوف على صفه قصرا حقيقيا تحقيقيا ، لأن الله سبحانه تعالى يعذب الكفار، ويعذب غيرهم من المنافقين والعصاة من المسلمين ، ولكن لشدة خطرهم ، وتعاميهم عن الحق مع وضوح الحجج أمامهم وسماعهم لصوت النذير . نفى العذاب العظيم عن كل من عداهم ، وقصره عليهم ، مبالغة فى تعذيبهم وتقبيح أفعالهم ووصف العذاب ، بأنه عظيم ونكر المبتدأ ،

---

١) آية : ٧ .
٢) حاشية الشهاب ، جـ١ ص ٢٩٦ .
٣) روح المعانى ، جـ١ ص ١٣٧ .

(لتأكيد ما يفيده التنكير من التفخيم ، والتهويل والمبالغة فى ذلك ، والمعنى أن على أبصارهم ضربا من الغشاوة ، خارجا مما يتعارفه الناس ، وهى غشاوة التعامى عن الآيات ، ولهم من الآلام العظام نوع عظيم لا يبلغ كنهه ولا يُدْرِك غايته الفهم ، انا نعوذ بك من ذلك يا أرحم الراحمين) (١)

ويجوز أن يكون القصر فى الآية قصر قلب ، لمن قد يتوهم عدم استحقاقهم العقاب على كفرهم ، لأنه بختم الله وتغشيته (٢) فجئ بالقصر ، لقلب ذلك التوهم والاعتقاد .

فالسر فى تخصيصهم بهذا العذاب دون غيرهم ، هو التهويل لما يستحقونه . أى أن ما يستحقونه من القتل والأسر فى الدنيا والعذاب الدائم فى الآخرة ، مخصوص بهم ، فلا يعذب عذابهم أحد ، ولا يوثق وثاقهم أحد .

ويبدو لى أن التقديم فى قوله تعالى : (وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ) يفيد الاهتمام ، لأنه لما كانت الأبصار هى محل رؤية دلائل الوحدانيه ، وكان التعجب من عدم التفاتها الى هذه المرئيات كانت محلا للاهتمام بها ، واظهارها بالتقديم .

---

١) تفسير أبى السعود ، جـ١ ، ص ٣٩ .

٢) حاشية الشهاب ، جـ١ ، ص ٢٩٦ .

(وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزءون الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون) (١) .

جاء التقديم في الآية عن طريق تقديم المسند اليه (الاسم الظاهر) على المسند الفعلي المثبت ، فهو يفيد تقوى الحكم ويفيد أيضا قصر المسند على المسند اليه ،على الظاهر من كلام الامام عبد القاهر وذكر الامام الشهاب أن الامام البيضاوى يرى أن بناء الفعل على المبتدأ مطلقا يفيد الاختصاص فقال : (وفيه أن الله عز وجل هو الذى يستهزئ بهم الاستهزاء الأبلغ ،تنبيها على ما هو مدلول الكلام ،من أن بناء الفعل على المبتدأ مطلقا عنده للاختصاص ودل بقوله ولا يحوج المؤمنين أن يعارضوهم باستهزاء مثله . على أن الحصر بالقياس اليهم ،أى هو المستهزئ دون المؤمنين .

آية ١٤ – ١٥ .

لا يقال الاستهزاء بمعنى السخريه ، لا يتصور منه تعالى ، وبالمعنى المراد من انزال الهوان والذل ، لا يتصور من المؤمنين فكيف يتصور الحصر .لأنا نقول معناه : أنه تعالى يتولى الاستهزاء - بالمعنى الذى يليق به ، ولا يتولاه المؤمنون بالمعنى الذى يليق بهم ويماثل استهزاء المنافقين)(١) .

والمقصور فى الآية : الاستهزاء بهم .

والمقصور عليه : الذات العليا .

قصر صفه على موصوف قصرا اضافيا قصر قلب .

حيث قُصِرَ الاستهزاء بهم على الله ، لا يتعداه الى المؤمنين .

سر القصر :

لقد ذكر الامام الكازرونى أن تقديم الاسم على الخبر الفعلى ، جاء لسرين بلاغيين عظيمين .

الأول : للتنبيه على أن الاستهزاء بالمنافقين ، هو الاستهزاء الأبلغ ،الذى لا اعتداد به باستهزائهم ،لصدوره عمن يضمحل علمهم وقدرتهم فى جنب علمه وقدرته .

والثانى : الدلالة على أن الله تعالى يكفى مؤونة عباده المؤمنين وينتقم لهم ، ولا يحوجهم الى معارضة المنافقين تعظيما لشأنهم

---

١) حاشية الشهاب جـ ١ ،ص ٣٤٨ .

فهذه الأسرار تُفْهَم من تخصيص لفظ الله تعالى بالذكر وتصديره وليس من الاستئناف فقط (١) .

(كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) (٢) .

المقصور : ارجاعهم .

المقصور عليه : ضمير الجلالة .

قصر صفه على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا .

القصر فى الآية عن طريق تقديم الجار والمجرور على عامله .

سر القصر :

لما كان المشركون يكفرون بالبعث والحشر جاء تثبيت هذه الحقيقة المنكره بأسلوب القصر . فَقُدِّم الجار والمجرور على عامله وقُصِر الرجوع على الله سبحانه وتعالى ونُفِى عن جميع من عداه . للترهيب من المرجع والمآب لعل المنكر يعود الى صوابه ،اذا علم أنه لا مفر من الرجوع اليه .

ويظهر سر القصر اذا ما علمنا أن التذكير بأمر المآب جاء عن طريق القصر ،أما التذكير بأمر الاحياء والخلق فقد جاء عن طريق الاخبار ،لأن هذا الأمر يقره الكفار . قال تعالى: (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) (٣) .

---

(١) البيضاوى ، حاشية الكازرونى ،جـ١ ص ٨٧ .

(٢) آية : ٢٨ .

(٣) الزمر ، الآية: ٣٨ .

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١).

القصر فى الآية عن طريق تقديم المسند اليه ،(الضمير .) على المسند الفعلى . وهذا ما اتفق على احتماله التخصيص والتقوى .

ولقد ذكر الامام الألوسى أن فى الآية اختصاصا فقال : (وتقديم المسند اليه على المسند الفعلى للاختصاص) (٢) .

فالمقصور فى الآية : التسبيح والتقديس .

المقصور عليه : نحن .

قصر صفه على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا .

سر القصر :

لما أخبر الله سبحانه وتعالى ملائكته بأنه سيجعل من آدم ، خليفة فى الأرض أرادوا ابراز أنفسهم ، فقصروا التسبيح والتقديس على أنفسهم ، ونفوه عن بنى آدم ، ليس لقصد التفاخر والعجب وانما للاقرارا بطاعتهم .

وزيادة فى الاقرار جاء المقصور بصيغة المضارع ،ليفيد تجدد استمرارهم فى الطاعة .

---

١) آية ٣٠ .

٢) روح المعانى ،جـ١ ،ص ٢٢٢ .

وذكر الامام الشهاب فى حاشيته ، أنه جئ بهذه الجملة مؤكدة لأنها فى جواب السؤال ، الذى يستحسن تأكيده وهو قولهم (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) .

وقيل تنزيلهم منزلة المنكر ، لما أعترض لهم من الشبه التى لا ينبغى ، أن تعرض ، ويستفسر عنها (١) .

(قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (٢) .

القصر فى الآية عن طريق تقديم الضمير على الخبر الفعلى مع تقدم النفى ، وهو يفيد الاختصاص عند الشيخ عبد القاهر من غير شرط . أما السكاكى فقد اشترط فى افادته الاختصاص تقدير التأخير فى الأصل فقد ذكر الخطيب أن (ظاهر كلام الشيخ فيما يليه حرف النفى القطع بأنه يفيد التخصيص مضمرا كان أو مظهرا ، معرفا أو منكرا من غير شرط . . . وكلام السكاكى صريح فى أنه لا يفيده ، الا اذا كان مضمرا أو منكرا ، بشرط تقدير التأخير فى الأصل) (٣) .

المقصور : الحزن المنفى .

المقصور عليه : هم .

---

١) حاشية الشهاب ، جـ٢ ، ص ١٢٣ .

٢) آية : ٣٨ .

٣) الايضاح ، جـ١ ، ص ١٤٤ .

قصر صفه على موصوف قصر افراد لمن اعتقد أن الحزن منفى عنهم وعن غيرهم .

سر القصر :

لما ذكر الله سبحانه وتعالى الهداية ، أخذ القرآن يرغب المتبعين لهذا الطريق ، فقُدِّم الضمير اشارة الى اختصاصهم بانتفاء الحزن ، وأن غيرهم يحزن (١) .

وفى هذا الاختصاص (اشاره الى أنهم قد بلغت حالهم الى حيث لا ينبغى أن يخاف أحد عليهم) (٢) .

(أى فمن تبع ما أتاه مراعيا فيه ، مايشهد به العقل فلا خوف عليهم فضلا عن أن يحل بهم مكروه ، ولا هم يفوت عنهم محبوب فيحزنوا عليه فالخوف على المتوقع ، والحزن على الواقع ، نفى عنهم العقاب ، وأثبت لهم الثواب على آكد وجه وأبلغه) (٣) .

ونَفْيِ الحزن والخوف انما هو فى الآخرة ، لأن المؤمن فى الدنيا مبتلى (٤) . ولتحذير المؤمنين من مخالفة طريق الهدى ذكر مباشرة مصير الذين كفروا بالقرآن . فقال تعالى :

---

١) انظر البحر المحيط ، جـ١ ، ص ١٧٠ / روح المعانى جـ١ ، ص ٢٣٩ / حاشية الشهاب ، جـ٢ ، ص ١٤٢ .

٢) روح المعانى ، جـ١ ، ص ٢٣٩ .

٣) البيضاوى ، جـ١ ، ص ١٤٥ .

٤) الفخر الرازى ، م ٢ جـ ٣ ، ص ٢٩ .

(وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (١) .

وجعلها جملة معطوفة على من تبع ، وجعلها كالقسيم للآية الأولى كأنه قيل : ومن لم يتبعه ، وانما أثر عليه قول : والذين كفروا تغظيعا لحال الضلالة ، واظهارا لكمال قبحها ، وأورد اسم الموصول بصيغة الجمع ، للاشعار بكثرة الكفرة ، وأورد نون العظمة ، فى قوله بآياتنا لتربية المهابه وادخال الروعة ، واضافة الآيات اليهما لاظهار كمال قبح التكذيب بها (٢) .

(يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ) (٣) .

القصر فى الآية عن طريق تقديم المفعول به على عامله .

المقصور : المرهوب .

المقصور عليه : اياى .

قصر صفه على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا .

ذكر كثير من المفسرين أن التقديم هنا مفيد للاختصاص لتقديم المفعول على الفعل ، وذهبوا إلى أنه أوكد فى الاختصاص من قوله تعالى : اياك نعبد واياك نستعين لتكرار المفعول لأن اياك منصوب بنعبد فمجموعهما

---

١) آية : ٣٩ من نفس السوره .

٢) تفسير أبى السعود ، م١ ، ص ٩٣ .

٣) آية : ٤٠ .

جملة واحدة ، وهنا منصوب بفعل محذوف يفسره قوله فارهبون وهذا الفعل المذكور مستوف معموله ، وهو الياء المذكورة أو المحذوفة تخفيفا ، فهو فى قوة تكرار الفعل مرتين ، فهو أوكد فى الاختصاص للتقديم ، وتكرار المفعول والفاء الجزائيه (١) الدالة على تضمن الكلام معنى الشرط كأنه قيل : أن كنتم راهبين شيئا فارهبوني. وممن نهب الى هذا الامام الزمخشرى حيث ذكر فى الكشاف (واياى فارهبون) فلا تنقضوا عهدى ، وهو من قولك زيدا رهبته ، وهو أوكد فى افادة الاختصاص من ـ اياك نعبد ـ وردد قوله هذا كثير من المفسرين منهم الامام أبوالسعود ، حيث قال (وهو اكد فى افادة التخصيص من اياك نعبد لما فيه من التقديم من تكرار المفعول والفاء الجزائية الدالة على تضمن الكلام معنى الشرط ، كأنه قيل ان كنتم راهبين شيئا فارهبوني ..).(٢)

---

(١) اختار صاحب المفتاح أن الفاء للعطف ومعناه اياى ارهبوا رهبة فارهبوا بعدها رهبة أخرى) وعلق الكازرونى فى حاشيته على البيضاوى ج ١، ص ١٤٨ بأن ما اختاره صاحب الكشاف (أولى من حيث المعنى. لأنه دال على دوام الرهبة من الله تعالى بمطلق الرهبة فيفيد الرهبة من الله تعالى، بخلاف ما قاله صاحب المفتاح لأنه يدل على تكرار الرهبة ، ولا يلزم منه الفاء للجزاء ، مستلزم لزحلقة الفاء عن موضعه. لأنه فى تقدير : اياى فارهبوا ارهبون . فحذف الفعل الأول وأدخل الفاء على الفعل الثانى لأنه لما جعلت تلك الفاء جزائيه يجب أن تكون داخله فى الأصل على ارهبوا المحذوف لأنه هو الجزاء والثانى مفسر له).

(٢) تفسير ابى السعود ، ج ١ ، ص ١٥ .

ونهب الى هذا أيضا الامام الشوكانى[١] والامام الالوسى[٢] والامام البيضاوى[٣].

واعترض ابن السبكى على قول الزمخشرى ومن نهب منهبه اذ أنه يرى انه ليس فى الآية اختصاص لعدم وجود دلالة على التقديم فقال (وادعى الزمخشرى ان الاختصاص فى واياى فارهبون ، أبلغ منه فى اياك نعبد ، والظاهر أنه يريد لما فيه من تكرير المفعول المسندى لتكرير الجملة. وفيما ذكره نظر ، والذى يظهر العكس فان اياى فارهبون لا دلالة فيه على التقديم حتى يفيد الاختصاص ، لأن عامل اياى جاز أن يكون متأخرا عن اياى ، وأن يكون متقدما عليه ، فلا يكون المفعول مقدما فلا اختصاص ، لايقال لا يصح ذلك ، فانه لو تقدم العامل لما انفصل الضمير كما ذكره شيخنا ابوحيان

---

(١) فتح القدير ، جـ ١ ، ص ٧٤
(٢) روح المعانى ، جـ ١ ، ص ٢٤٣
(٣) البيضاوى ، جـ ١ ، ص ١٤٧

في تفسير هذه الآية ردا على من زعم ذلك . لأنا نقول من أسباب الانفصال حذف العامل كما ذكره ابن مالك . وأما اياك نعبد ، فلا ضرورة فيه ، ولا دليل على حذف عامل اياك ومفعول نعبد ، بل اياك معمول نعبد المذكور . فيتحقق فيه التقديم المفيد للاختصاص) (١) .

وقد رد أبو حيان أن تكون الآية للاختصاص لأن مذهبه في التقديم أن تقديم المعمول على العامل لا يفيد الاختصاص ، فقال :(قال الزمخشري وهو أوكد في افادة الاختصاص من اياك نعبد . ومعنى ذلك أن الكلام جملتان في التقدير ، واياك نعبد جملة واحدة ، والاختصاص مستفاد عنده من تقديم المعمول على العامل . وقد تقدم الكلام معه في ذلك وأننا لا نذهب الى ما ذهب اليه من ذلك) (٢) .

وذكر الامام الشهاب في حاشيته على البيضاوي ، أن هناك اختلافا كبيرا بين العلماء في كون هذه الآية أوكد في افادة التخصيص . وذكر أن آراءهم قد اضطربت ، وأقوالهم قد اختلفت كما ذكر أنه سيعرض زبدة ماقالوه ويرفع ما وقعوا فيه من اختلاف . فقال (هذا من مسائل الكتاب " وهو مما اختلفوا فيه ، واضطربت أقوالهم . وها أنا

---

١) شروح التلخيص ، عروس الافراح ، جـ٢ ، ص ١٥١ .
٢) البحر المحيط ، جـ١ ، ص ١٧٥ .

ذاكـــــر لــــك زبـدة ما قالوه علـــى وجه سـترفع فيـه يد البيان نقـاب الاشـكال ..)

ثـم عـرض رأى سـيبويه فـى المسـألة ،وخلاصـة ما اختاره ،أن الآيـة أوكد فـى افـادة الاختصـاص لأن الاختصـاص عباره عن اثبات ونفى . فـا ذا تكـرر الاثبات صـار أوكـد ،على أن الاثبات اللاحـق يمكن أن يعتـبر علـى وجـه الاختصـاص . وقـد يقـال . تقـدم المعمول صـورة دالـة عليـه بقـرينه كـونه تفسيرا للسـابق ، وان لـم يكـن هناك شئ مـن أدوات الحصـر ، وحيـنئذ يتكـرر الاختصـاص فيصـير أوكـد ،وكذا الأمـر فيمـا اذا كـان الفعـل أمـرا أو نهـيا مثل : زيدا اضـرب . وزيـدا لا تضـرب . وقـد يؤكـد الاختصـاص بدخـول الفاء . فـى مثل زيـدا فأضـرب ... أمـا وقـد يجـعل الفعـل مشـغولا بالضمير نحـو زيـدا فاضـربه . وعليـه قولـه : واياى فارهبو ن . وينبغـى أن يكـون أوكـد مـن الأوكـد ، لأن التقـد ير : ومهما يكـن من شئ فاياى فارهبونى . فتكـرير التعلق تأكـيد للاخـتصاص ،وتعليقـه بالشـرط العـام الـذى هـو وقوع شـئ مـا تأكـيد على تأكـيد ... (١) .

فالآيـة مفيدة للاختصـاص . فَتَقُدِّم الضمير وهـو متوجـه للمولى عز وجـل ، وقَصِـرَت عليه الرهبه د ون غيره لتخصيصـه بالاقبال عليه ، وعـد م الالتفـات

---

(١) حـاشية الشهاب جـ ٢ ، ص ١٤٨ .

الى غيره ، وقد ذكر فى حاشية الجمل : (... اشاره الى أن تقديم الضمير هنا مشعر بتخصيصه سبحانه بذلك ؛ وهو مناسب لتخصيصه بالاقبال عليه ، وعدم الالتفات الى غيره) (١) .

وهذا التخصيص متضمن للوعد والوعيد دال على وجوب الشكر والوفاء ، والاخلاص لله وحده دون غيره . وأن المؤمن ينبغى أن لا يخاف أحدا الا الله تعالى) (٢) .

(وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ) (٣) .

القصر فى الآية عن طريق تقديم المفعول على عامله .

المقصور : المُتَّقَىٰ .

المقصور عليه : اياى .

قصر صفه على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقا .

وهذه الآية شبيهة بالآية السابقة (واياى فارهبون) .

والكلام فيها كالكلام فى سابقتها وانما قصر تقواهم على ذاته العليا . وفى الآية السابقة قصر الرهبه على ذاته العليا لأنه (لما كانت الآية السابقة مشتملة على ما هو كالمبادئ لما فى الآية الثانية ، فصلت بالرهبه التى هى من مقدمات التقوى ، أو لأن الخطاب بها عام العام

---

١) حاشية الجمل ، جـ١ ، ص ٤٦ .

٢) البيضاوى ، جـ١ ، ص ١٤٧ .

٣) آية : ٤١ .

والمقلد أمر فيها بالرهبه المتناولة للفريقين . وأما الخطاب بالثانيه فحيث خص بالعلماء أمر فيها بالتقوى الذى هو المنتهى) (١) .

(وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مارزقناكم وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) (٢) .

اختلف المفسرون فى كون التقديم فى هذه الآية مفيدا للحصر فذهب أبو حيان الى أن معمول الخبر قُدِّم عليه ،لتوافق الفواصل والاعتناء بالإخبار عمن حل به الفعل . قال (وقُدِّم معمول الخبر عليه هنا وهو قوله : أنفسهم ، ليحصل بذلك توافق رؤوس الآى والفواصل ، وليدل على الاعتناء والاخبار عمن حل به الفعل ولأنه من حيث المعنى صار العامل فى المفعول توكيدا لما يدل عليه ما قبله . فليس ذكره ضروريا ، وبأن التوكيد أن يتأخر عن المؤكد ، وذلك انك تقول : ماضربت زيدا ، ولكن ضربت عمرا فذِكْرُ ضربت الثانية أفادت التأكيد . لأن لكن موضوعها أن يكون ما بعدها منافيا لما قبلها) (٣) .

والى مثل هذا ذهب السعد فى مختصره (٤) ، والدسوقى فى شرحه للمختصر (٥) . وابن يعقوب فى مواهب الفتاح (٦) فذكروا أن المراد الاخبار

---

١) تفسير أبى السعود ج ١ ، ص ٩٦

(٢) آية : ٥٧

٣) البحر المحيط ، جـ١ ، ص ٢١٦ .

٤) شروح التلخيص جـ٢ ، ص ١٥٢ .

٥) نفس المرجع السابق والصفحة .

٦) المرجع السابق والصفحة .

بظلمهم أنفسهم ، وليس المقصود الرد على من زعم ظلمهم غير أنفسهم . وأجمعوا على أن التقديم لرعاية الفاصلة . قال الدسوقى (التقديم هنا أيضا لرعاية الفاصلة وذلك لأن المراد الاخبار بظلمهم لا الرد على من زعم ظلمهم غير أنفسهم . فظهر لك أن التقديم فيما ذكر من الآيات لرعاية الفاصله ، ولا يخلو من الاهتمام ولا يناسب ارادة الحصر فيها عند من له ذوق ومعرفة بأساليب الكلام أى مقاصده) (١) .

أما الامام أبو السعود وتبعه الألوسى ، فقد ذكرا أن تقديم المفعول هنا للدلالة على القصر ، الذى يقتضيه النفى السابق وفيه ضرب تهكم بهم . وأنه جمع بين صيغتى الماضى والمستقبل للدلالة على تماديهم فى الظلم واستمرارهم عليه ، وأن فى ذكر (أنفسهم) بجمع القلة تحقيرا لهم وتقليلا والنفس العاصية أقل من كل قليل . (٢)

ويظهر لى أن فى الآية قصرا لوجود النفى السابق . ولأن بنى اسرائيل بتماديهم فى طغيانهم ، لم يشعروا أنهم يظلمون أنفسهم فجاء القصر لتأكيد أن الظلم واقع عليها دون غيرها . كما سأوضح ذلك فى سر القصر .

---

١) شروح التلخيص ، حاشية الدسوقى ، جـ ٢ ، ص ١٥٢ .
٢) انظر / تفسير ابى السعود ، م ١ ، جـ ١ ، ص ١٠٤ .
روح المعانى / جـ ١ ، ص ٢٦٤ .

المقصور فى الآية : الظلوم .

المقصور عليه : أنفسهم .

قصر صفه على موصوف قصر قلب .

سر القصر :

لقد مَنَّ الله سبحانه وتعالى على بنى اسرائيل بطيب الطعام وأجوده فأنزل عليهم المَنَّ (١) والسلوى (٢) ولكنهم تضجروا من المداومة على هذا الطعام ، وقالوا لن نصبر على طعام واحد .

قال تعالى : (وإذْ قُلْتُمْ يَامُوسَى لَنْ نَّصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ) (٣) .

وعلى الرغم من تماديهم فى غِيِّهم ، وانكارهم فضل الله وَمَنِّهِ لم يشعروا قط أنهم ظلموا أنفسهم ، فجاء القصر هنا ليؤكد لهم أن ظلمهم واقع على أنفسهم لا على غيرها .

ويظهر لى أنه من الممكن أن يقال : أنهم بتماديهم فى المعاصى نُزِّلوا منزلة من يعتقد أنه يظلم ربه . فقوله تعالى : (وَمَا ظَلَمُونَا) فيه نفى الظلم عن الذات العليا وهذا يشعر بأن هناك ظلما وقع عليها . وان كان يجوز أن يقال : أن هذا تبكيت لهم ، وأنهم لم يظلموا غير أنفسهم .

---

١) اختلف أهل التأويل فى معنى المَن ، فقيل أن المن بمعنى الصمغة .
وقيل هو شراب كان ينزل عليهم مثل العسل فيمزجونه بالماء ، ثم يشربونه
وقيل هو خبز الرقاق مثل الذره ومثل النقى وقيل هو الترنجبين . وقيل المن
ما كان يسقط على شجر الترنجبين / الطبرى م١ ، ص ٢٣٣ - ٢٣٤ .

٢) السلوى : اسم طائر يشبه السمانى ، وقيل هو السمانى ، كانت تحشره عليهم ريح الجنوب / الطبرى ، م١ ، ص ٢٣٤ .

٣) البقرة آية : ٦١ .

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (١) .

فى الآية اسلوبا قصر ،كلا هما عن طريق التقديم .

الأول: عن طريق تقديم المسند على المسند اليه فى قوله (فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ)

والثانى : تقديم الضمير على الخبر الفعلى فى قوله تعالى : (وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) .

فالمقصور فى التقديم الأول : الأجر .

المقصور عليه : كونه لهم .

وهو قصر موصوف على صفه قصر افراد ، لمن اعتقد اشتراك غيرهم من المشركين معهم فى الأجر .

والمقصور فى الاسلوب الثانى : الحزن المنفى .

المقصور عليه : هم .

قصر صفه على موصوف قصر افراد ، لمن ظن واعتقد أن الحزن منفى عنهم وعن غيرهم من المشركين ، فخصصوا بنفى الحزن ،وأفردوا دون غيرهم من المشركين .

سر القصر :

والسر فى التخصيص وتكراره فى الآية عن طريق التقديم أنه ذكر سبحانه وتعالى فى الآيات السابقة شدة غضبه على بنى اسرائيل الذين

---

١) آية : (٦٢) .

خرجوا عن أمره وطاعته بقوله : (وباءوا بغضب من الله) .

وقد كانوا مع عصيانهم لله ، يدّعون أنهم أبناء الله وأحباؤه .

فأراد القرآن بيان حقيقتهم والرد على مزاعمهم ، فنفى عنهم الأجر ، وأثبت لهم الخوف والحزن والخزى فى الدنيا والآخرة ونفاه عن المؤمنين المطيعين لأمره . للتعريض باليهود وذمهم ببيان شرف المؤمنين وجزائهم، لانزال الحسرة فى قلوبهم اذا ما علموا ذلك الثواب الجزيل وأنهم قد حرموا منه .

(بِئْسَمَا اشْتَرَوا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ) (١) .

القصر فى الآية عن طريق تقديم الخبر (الجار والمجرور) على المبتدأ وقد ذكر الشهاب فى حاشيته على البيضاوى والآلوسى فى روح المعانى أن التقديم هنا مفيد للاختصاص .

فالمقصور : العذاب .

المقصور عليه : كونه للكافرين .

قصر موصوف على صفة قصر افراد لمن أعتقد أن العذاب المهين يقع على الكافرين وغيرهم . فبعد أن بين الله سبحانه وتعالى أن الكفار باعوا آخرتهم واشتروا دنياهم وذمهم على هذا العمل بقوله تعالى : (بئسما اشتروا به) ، تحقيرا لهم . خصهم بالعذاب دون غيرهم .

---

(١) آية : ٩٠ .

لفداحة ما ارتكبوه ولأن كفرهم بما أنزل الله تعالى(كان مبنيا على الحسد المبنى على طمع المنزول عليهم ، وادعاء الفضل على الناس والاستهانه بمن أنزل عليه عليه السلام) (١) .

فمجيء " التخصيص هنا لاهانتهم واذلالهم . وامعانا فى التحقير وُصِفَ ذلك العذاب بكونه مهينا لبيان شدته وهوله وأنه مخصوص بهم (فغير الكافرين اذا عذب ، فانما يعذب للتطهير ـ لا للاهانه والاذلال ـ ولذا لم يوصف عذاب غيرهم به فى القرآن فلا تَمَسُّك للخوارج بأنه خص العذاب بـ (الكافرين) فيكون الفاسق كافرا لأنه معذب)ولا المرجئة أيضا) (٢) .

(وأما قوله (مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ) (٣) فالمراد به الفضيحة بالدخول وهو غير هذا) (٤) .

---

١) تفسير ابي السعود ، م١ ، ج ١ ، ص ١٢٩ .

٢) روح المعاني ، ج ١ ، ص ٣٢٣ .

٣) آل عمران ، آية : ١٩٢ .

٤) حاشية الشهاب ، ج ٢ ، ص ٢٠٤ .

■ (قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (١) .

جاء أسلوب القصر في الآية عن طريق ، تقديم الخبر (الجار والمجرور) على اسم كان ، هذا عند من أجاز مجئ الحال من اسم كان، وذهب بعضهم الى أنه لا يجوز لأنه ليس بفاعل وجوزوا مجئ الحال من الضمير المستكن فى الخبر . وقيل : أن خالصة هى الخبر ، وقيل : أن تقديم الخبر فى الآية للاهتمام . جاء فى روح المعانى : (ولكم) خبرها قُدِّم للاهتمام أو لافاده الحصر - وما بعده للتأكيد، هذا ان جوز مجئ الحال من اسم كان "وهو الأصح ، ومن لم يجوز بناء" على أنه ليس بفاعل جعلها حالا من الضمير المستكن فى الخبر وقيل : (خَالِصَة) هو الخبر و (لكم) ظرف لغو لـ (كان) أو لـ (خَالِصَةً) ولا يخفى بُعده - فانه تقييد للحكم قبل مجيئه - ولا وجه لتقديم متعلق الخبر على الاسم مع لزوم توسط الظرف بين الاسم والخبر) (٢) .

ويبدو لى أن تقديم الخبر فى الآية لافادة الحصر . لان قوله (مِنْ دُونِ النَّاسِ) يفيد كون الدار الآخرة لهم لا لغيرهم .

---

١) آية : (٩٤) .

٢) روح المعانى ، جـ١ ، ص ٣٢٧ .

فدون تستعمل للاختصاص ،وقطع الشركه .

(ودون تستعمل للاختصاص وقطع الشركه يقال : هذا لى دونك أو من دونك أى لاحق لك فيه ...) (١) .

فالمقصور فى الآية : الدار الآخره .

المقصور عليه : كونها لكم .

فقصر صفه على موصوف قصر افراد .

والسر فى تقديم الخبر هو تخصيص بنى اسرائيل بالايمان بالآخره على سبيل التحدى والاستهزاء بهم .

فقد ادعوا أن الدار الآخره لهم وحدهم من دون المسلمين ودون النصارى .

(وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى) فالحديث فى الآية يدور حول ادعاء بنى اسرائيل التفرد دون غيرهم بالدار الآخره وقطع مشاركة غيرهم لها .

---

١) روح المعانى ، جـ١ ، ص٣٢٧ / حاشية الشهاب جـ٢ ،ص٢٠٧ .

- (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (١) .

المقصور : العذاب .

المقصور عليه : كونه للكافرين .

قصر موصوف على صفة قصر افراد .

والقصر فى الآية عن طريق تقديم المسند على المسند اليه .

سر القصر :

أخذ اليهود يحتالون فى سب الرسول الكريم ، ويستعملون كلمة راعنا ويميلون ألسنتهم فى نطق هذا اللفظ حتى يؤدى معنى الرعونه .

ولما كان التهاون بالرسول كفراً بالله ورسوله ولما كان هذا الكفر غير صريح وانما هوعن طريق ملتو ، أخذ القرآن يحذر المؤمنين من استعمال هذا اللفظ ويبين لهم ما يقابله من عذاب، مستعملا فى ذلك اسلوب القصر ليكون أبلغ فى التحذير والتنفير من هذا القول . فقصر العذاب عليهم دون المؤمنين ، ثم وصف العذاب بكونه أليما تحقيرا لهم و تبكيتا .

---

١) آية : (١٠٤) .

— (أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) (١) .

المقصور : ملك السموات والأرض
المقصور عليه : كونه لله . قصر موصوف على صفة قصرا حقيقيا تحقيقيا .

والقصر فى الآية عن طريق تقديم المسند (الجار والمجرور) على المسند اليه . ورأى الامام الشهاب ، أن القصر مستفاد من قوله تعالى (مِنْ دُونِ اللَّهِ) .

فقال (... الحصر يستفاد من قوله دون الله لأنه بمعنى سوى الله) (٢)

ويبدو لى أن مجىء قوله تعالى : (مِنْ دُونِ اللَّهِ) يؤكد الحصر المستفاد من طريق التقديم .

سر القصر :

دأب اليهود على تهوين العقيدة فى نفوس المؤمنين ، وذلك بتشكيكهم فى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وما جاء به من معجزات ومما زاد من حملة التشكيك هذه الأمر من الله بتحويل القبلة من بيت المقدس قبلة اليهود ومصلاهم ـ الى البيت الحرام مما زرع الحقد فى نفوسهم ، فجاءت الآية بأسلوب القصر وقصرت الملكيه على الله وحده دون غيره لتقرر فى الأذهان وتثبت فى النفوس ، (أن الله له السلطان القاهر والاستيلاء الباهر المستلزمان للقدره التامه على التصرف الكلى فيهما ايجادا واعداما وأمرا ونهيا حسبما تقتضيه مشيئته لا معارض لأمره

---

١) آية : ١٠٧ .
٢) حاشية الشهاب ، جـ٢ ، ص ٢٢١ .

ولا معقب لحكمه فمن هذا شأنه كيف يخرج عن قدرته شئ من الأشياء) (١) .

(بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (٢) .

فى الآية أسلوبا قصر :

الأول : فى قوله تعالى : (فله أجره) .

المقصور : الأجر .

المقصور عليه : كونه له .

قصر موصوف على صفة قصرا اضافيا قصر افراد .

والقصر الثانى : فى قوله تعالى : (وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) .

وهذا ما اتفق على افادته الاختصاص ، فهو يفيد الاختصاص عند الامام عبد القاهر من غير شرط ، وعند السكاكي بشرط تقدير التأخير فى الأصل .

المقصور : الحزن المنفى . .

المقصور عليه : هم .

قصر صفه على موصوف اما قصرا حقيقيا تحقيقيا ، اذا كان انتفاء الحزن بالنسبه الى جميع من عداهم ، وفيه تعريض بهم - بمن عداهم - .

ويبدو لى أن حصول القصر الحقيقى ، لا يمنع كون القصر الاضافى مقصودا ؛

---

١) تفسير أبى السعود ، جـ١ ، ص ١٤٣ .

٢) البقرة ، آية : ١١٢ .

لأنه لما كان التعريض بقوم معينين وهم اليهود والنصارى مراعىً كان ذلك ايماء الى قصد الاضافة من القصر الحقيقى ، أى أن التعريض ، كان بمعين فجاءت الاضافة ، واما أن يكون القصر قصر افراد لمن اعتقد أن غيرهم من اليهود والنصارى مشترك معهم فى انتفاء الحزن لقول أهل الكتاب : (لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ) (١) .

سر القصر :

زعم اليهود والنصارى أنهم هم المهتدون وحدهم وأن الجنة وقف عليهم لا يدخلها أحد سواهم ، (وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ، تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (٢)

فرداً على هذه الدعوى جئ بأسلوبى القصر فَخُصِّصَ الأجر بمن أسلم ونُفِيَ عن غيرهم من اليهود والنصارى ، ثم خصص انتفاء الحزن بالمؤمنين . الذين أسلموا وجههم لله ونُفى عن غيرهم ، وفى هذا بشارة للمؤمنين ، وتحفيز لهممهم وتعريض باليهود والنصارى .

---

١) البقرة : آية : ١١١ .
٢) نفس السوره والآيه .

- (وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) (١)

يبدو لى أن فى الآية ثلاثة أساليب للقصر .

وكلها عن طريق التقديم

الأول فى قوله تعالى : (وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ) .

وهو عن طريق تقديم الضمير على الخبر الفعلى . ولقد اتُفِقَ على أن تقديم الضمير على الخبر الفعلى فى الاثبات ، يحتمل التخصيص والتقوى .

والمقصور هنا : يتلون .

المقصور عليه : هم .

قصر صفه على موصوف قصرا حقيقيا فيه مبالغة . لأن غيرهم من الامم كان يقرأ الكتب السماويه ولكن جُعِلَت قراءتهم كلا قراءة أمام قراءة أهل الكتاب ،توبيخا وزجرا ـ لأهل الكتاب ـ لأنهم لم يتعظوا بما جاء فى هذه الكتب .

والقصر الثانى فى قوله تعالى :

(كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ) .

---

١) آية : ١١٣ .

والحصر هنا مستفاد من تقديم المصدر المحذوف على عامله .

ذكر الامام أبو السعود (١) والجمل فى حاشيته (٢) أن الكاف فى كذلك فى محل نصب إما، على أنها نعت لمصدر محذوف قُدِّمَ على عامله لافادة الحصر أى قولا مثل ذلك القول بعينه لا قولا مغايرا له . جاء فى تفسير أبى السعود :

((كذلك) أى مثل ذلك الذى سمعت به ، والكاف فى محل نصب إما على أنها نعت لمصدر محذوف ، قُدِّمَ على عامله لافادة الحصر أى قولا مثل ذلك القول بعينه ، لا قولا مغايرا له) (٣) .

والمقصور هنا : قول الذين لا يعلمون .

المقصور عليه : قول اليهود والنصارى .

قصر موصوف على صفة قصر قلب أو افراد .

والقصر الثالث فى قوله تعالى : (فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ) .

والقصر هنا عن طريق تقديم الاسم الظاهر على الخبر الفعلى ، فى حال الاثبات وهو محتمل للتخصيص والتقوى عند الشيخ عبد القاهر وللتقوى فقط عند السكاكى .

والقصر هنا قصر صفه على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا .

---

١) تفسير أبى السعود م ١ ، جـ ١ ، ص ١٤٨ .

٢) حاشية الجمل جـ ١ ص ٩٦ .

٣) تفسير أبى السعود م جـ ١ ، ص ١٤٨ .

سر القصر :

لما أنكر كل من اليهود والنصارى دين الآخر وقبحه ، مع علمهم الأكيد بأن ما ادعوه انما هو محض افتراء . لأنه مُثْبَت فى كتبهم التى قرأوها ووعوا صحة ما جاء به كل دين . الا أنهم لجحدهم خالفوها . لذا استحقوا الزجر والتوبيخ من الله عز وجل ، حيث قصر تلاوة الكتاب عليهم دون غيرهم : فكأن قراءة غيرهم بجانب قراءتهم كلا قراءة ، وتحقيرا لهم نُزِّلوا منزلة من لا يعلم . حيثُ قُصِرَ قول الذين لا يعلمون من المشركين على قولهم . اظهارا لهم بمظهر الجاهل .

وللمبالغة فى تهديدهم جئ بقوله تعالى : (فَاللَّــهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ) . حيث قُدِّم الاسم الظاهر على الخبر الفعلى ، فقصر الحكم على الله وحده دون غيره ، وفى هذا تأكيد بالغ لوقوع العذاب بهم .

وفى تكرار أساليب القصر هذه (ارشاد للمؤمنين الى أن من كان عالما بالقرآن لا ينبغى أن يقول خلاف ما تضمنه) (٢) .

---

١) لما قدم أهل نجران من النصارى على رسول الله صلى الله عليه وسلم أتتهم أحبار يهود فتنازعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال رافع بن حريملة : ما أنتم على شئ وجحد نبوة موسى ، وكفر بالتوراة فأُنزل الله عز وجل فى ذلك من قولهما :(وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت اليهود..) الى قوله (فيما كانوا فيه يختلفون) / انظر الطبرى جـ ١ ، ص ٣٩٤ . ابن كثير ، جـ ١ ، ص ٢٧١ .

٢) روح المعانى ، جـ ١ ، ص ٣٦٠ .

- (وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (١) .

القصر فى الآية عن طريق تقديم المسند (الجار والمجرور) على المسند اليه .

المقصور : المشرق والمغرب .

المقصور عليه : كونه لله .

قصر موصوف على صفه قصر افراد .

سر القصر :

ذكر الله سبحانه وتعالى تخريب البعض للمساجد (٢) فى قوله تعالى : (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وسعى فِى خَرَابِهَا) (٣) .

فكأن تخريب المساجد فى زعمهم يمنع المؤمنين من أن يتوجهوا الى الله فجاء القرآن بطريق القصر ليوكد لهم أن كل مكان فى الدنيا يمكن التولى اليه والاتجاه فيه الى الله فقال تعالى : (وللّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ) . أى فان مُنِعْتَم التولى اليه فى المساجد فان الأرض بمشرقها ومغربها لله وحده لا لكم ، فليس لكم حق التصرف فى شىء منها فطالما أن لله

١) آية : ١١٥ .

٢) رجح الامام الطبرى ان هذه الآية نزلت فى النصارى ، وذلك أنهم هم الذين سعوا فى خراب بيت المقدس وأعانوا بختنصر على ذلك ، ومنعوا مؤمنى بنى اسرائيل من الصلاة فيه بعد منصرف بختنصر عنهم الى بلاده / الطبرى م ١ ص ٣٩٩ .

٣) آية : ١١٤ .

المشرق والمغرب فهو - وحده - الذى يحدد المكان - أى مكان - للصلاة فيه .

- (وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ) (١) .

اخْتُلِف فى معنى اللام فى قوله "له" ، فقيل هى للملك ، وقيل أنها تفيد نسبة الآثر الى المؤثر ، وقيل هى للاختصاص بأى وجه كان وهذا ما رجحه الامام الالوسى فقال (واللام فى "له" قيل : للملك وقيل انها كالتى فى قولك لزيد - ضرب - ، تفيد نسبة الأثر على المؤثر ، وقيل للاختصاص بأى وجه كان وهو الأظهر ...) (٢) .

المقصور : ما فى السموات والأرض .

المقصور عليه : كونه له أى لله) .

قصر موصوف على صفه قصر افراد .

سر القصر :

لما ادعى مشركو العرب أن الملائكه بنات الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ، وقال اليهود عزير ابن الله - وهذا شرك وانكار لوحدانية الله وتفرده

---

١) آية ١١٦ .

٢) روح المعانى ، جـ١ ، ص ٣٦٦ .

أكد القرآن نفى هذه الشبهات عن الذات العليا فجاء باسلوب القصر لحصر جميع الكون لله سبحانه وتعالى ، ونفى الملكيه عما ادعوه فهو (خالق جميع الموجودات ، التى من جملتها ما زعموه ولدا ، والخالق لكل موجود لا حاجة له الى الولد اذ هو يوجد مايشاء ، منزها عن الاحتياج الى التوالد) (١) .

- (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ) (٢)

المقصور : الارسال .

المقصور عليه : الذات العليا .

قصر صفه على موصوف قصر افراد .

سر القصر :

لما كانت حطة التشكيك - التى قام بها اليهود بعد الأمر بتحويل القبلة - معناها تشكيك المسلمين فى مصدر الأوامر وأنها ليست جميعها من عند الله لأن الرسول قد يشترك فيها ، جاء القصر لافراد الله سبحانه وتعالى بالإرسال .

وفى هذا الافراد تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم لأنه لما سمع الرسول صلى الله عليه وسلم أباطيل اليهود ، وتشكيكهم فى أمر رسالته

---

١) روح المعانى ، جـ١ ، ص ٣٦٦ .

٢) آية : ١١٩ .

اهتم وضاق صدره لاصرارهم على الكفر به ، فجاء القصر في الآية وأُنْزِل الرسول صلى الله عليه وسلم منزلة من ينكر أنه مرسل من عند الله لما بدا عليه من امارات الضيق ، فقُصِر الارسال على الذات العليا لتأكيد أمر الارسال . وفى جملة القصر هذه من التأكيد والتثبيت ، ما يقضى على أباطيل المضلين ، ويهدم محاولات الكائدين ، لما تحمله من معنى الصرامه الموحيه بالجزم واليقين .

جاء فى روح المعانى (والآية اعتراض لتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم ، لأنه كان يهتم ويضيق صدره لاصرارهم على الكفر . والمراد (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ) لان تبشر من أطاع وتنذر من عصى ، لا تجبر على الايمان ، فما عليك ان أصروا أو كابروا ؟ والتأكيد لاقامة غير المنكر بما لاح عليه من امارة الانكار والقصر افرادى) (١) .

- (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) (٢) .

القصر فى الآية عن طريق تقديم اسم الاشاره على الخبر الفعلى فى حال الاثبات . فهو محتمل للتخصيص والتقوى عند الشيخ عبد القاهر ، ومتعين

---

١) روح المعانى ، جـ١ ، ص ٣٧٠ .
٢) آية : ١٢١ .

للتقوى عند السكاكى ،لأن كلام السكاكى صريح فى أنه ،لا يفيد الاختصاص الا تقدم المضمر .

ويبدو لى أن فى الآية اختصاصا .

فالمقصور فيها : الايمان .

المقصور عليه : أولئك

قصر صفه على موصوف قصر افراد .

سر القصر :

بعد أن أخبر الله سبحانه وتعالى الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه لن يرضى عنه اليهود ولا النصارى ،أكد له فى هذه الآية ان ايمانهم ميئوس منه واستثنى منهم الذين يتلون التوراة والانجيل عن حق وبصيره – وهم قلة – . أى انه لن يؤمن بما أنزل اليك الا الذين يتلون كتابهم حق تلاوته،وفى مجئ القصر هنا تعريض بالكافرين وذم لهم .

ذكر الامام الألوسى أن (... تقديم المسند اليه على المسند الفعلى للحصر والتعريض ، والضمير للكتاب أى – أولئك يؤمنون بكتابهم – دون المحرفين فانهم غير مؤمنين به) (١) .

ومما يزيد تحقيرهم انتهاء الآية باسلوب آخر للقصر عن طريق توسط ضمير الفصل للتأكيد أنهم هم الخاسرون لا غيرهم .

(١) روح المعانى ،جـ١ ،ص ٣٧٣ .

— (وَاتَّقُواْ يَوْماً لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ) (١) .

القصر فى الآية عن طريق تقديم الضمير على الخبر الفعلى مع تقدم النفى وهو يفيد الاختصاص عند الشيخ عبد القاهر من غير شرط .
أما السكاكى فقد اشترط فى افادته الاختصاص تقدير التأخير فى الأصل فهو محتمل للتخصيص والتقوى عنده .

المقصور : نفى النصر .

المقصور عليه : هم .

قصر صفه على موصوف قصر قلب .

سر القصر :

كان اليهود يعتقدون بالمكفرات تؤخذ عدلا عما فرطوا ، وأنهم سيجدون فى شفاعة أنبيائهم النصرة والمنعه لذا جاء القصر ليؤكد ، أن عدم النصرة فى يوم الحساب ، مقصور على اليهود دون غيرهم من العصاة الذين آمنوا فقد ينصرهم الله برحمته ، وقد تعمهم شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم وفى هذا قطع حبل رجاء اليهود من كل ناصر ينصرهم وتنبيههم الى أنه لا يقوم مقام الاهتداء بكتاب الله شئ آخر .

١) آية : ١٢٣ .

ذكر الامام أبو السعود أن (... تخصيصهم بتكرير التذكير ، واعادة التحذير للمبالغة في النصح ، وللايذان بأن ذلك فذلكة القضيه والمقصور من القضيه لما أَنَّ نِعَمَ الله عز وجل عليهم أعظم وكفرهم بها أشد وأقبح)٠(١)٠

(وَإِذْ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ) (٢) ٠

القصر في الآية عن طريق تقديم الضمير على الخبر المشتق وهذا على رأى من قال ، بافادة التقديم على الخبر المشتق، الاختصاص ٠

المقصور : الجعل ٠

المقصور عليه : الذات العليا ٠

قصر صفه على موصوف قصر افراد ٠

سر القصر :

الآية مفيده للقصر اذ قُدِّر قوله تعالى : (إِنِّي جاعلك) ، متعلقا بمحذوف أى - اجعل من ذريتى اماما - فأُفْرِد الله سبحانه وتعالى : بالتصرف فى جميع الامور ، فهو الجاعل لابراهيم عليه السلام الخلافة فى الأرض دون غيره لأنه هو الرب المالك المتصرف ٠

---

١) تفسير ابى السعود ، جـ ١ ، ص ١٥٤ ٠

٢) آية ١٢٤ ٠

ذكر أبو حيان أن ابراهيم عليه السلام قد فهم من قوله:انى جاعلك - الاختصاص ،فقال أبو حيان (والذى يقتضيه المعنى ، أن يكون من ذريتى متعلقا بمحذوف،التقدير واجعل من ذريتى اماما ؛ لأن ابراهيم فهم من قوله انى جاعلك للناس اماما الاختصاص ، فسأل الله تعالى أن يجعل من ذريته اماما) (١) .

- (أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَـٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ) (٢) .

القصر فى الآية عن طريق تقديم المعمول (له) على العامل (مسلمون) .

المقصور : الاسلام .

المقصورعليه : الله .

قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا .

سر القصر :

جاء الخطاب فى الآية (لليهود والنصارى الذين انتحلوا الأنبياء صلوات الله عليهم ، ونسبوهم الى اليهوديه والنصرانيه فرَدَّ الله عليهم وكَذَّبهم ،وأعلمهم أنهم كانوا على الحنيفيه الاسلام) (٣)

---

١) البحر المحيط ،جـ١ ،ص ٣٧٧ .

٢) آية : ١٣٣ .

٣) المحرر ابو جيز ،جـ١ ،ص ٤٢٧ .

فتقديم الجار والمجرور هنا لافادة اختصاص الاسلام بالله وحده دون غيره .

— (تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (١) .

يظهر لى أن فى الآية الكريمه أسلوبى قصر .

الأول : فى قوله تعالى : (لها ما كسبت).

وهو من قصر المسند اليه على المسند .

المقصور : الذى كسبته ، اذا اعتبرنا « ما » موصولة . أو اكتسابها ، اذا اعتبرنا « ما » مصدريه .

المقصور عليه : كونه لها .

قصر موصوف على صفه قصر قلب أو افراد .

والأسلوب الثانى : فى قوله تعالى : (لكم ما كسبتم) .

وهو من قصر المسند اليه على المسند .

المقصور : الذى كسبتم ، أو كسبكم .

المقصور عليه : كونه لكم .

قصر موصوف على صفه قصر قلب أو افراد .

سر القصر :

اعتقد اليهود أنهم هم أحباء الله ، وأنهم الأمة المختاره ، فقالوا (لن

١) آية ١٣٤ .

يدخل الجنة الا من كان هودا) وظنوا أنهم سيدخلون الجنه بشفاعة وبأعمال أنبيائهم والصالحين من رجالهم ، فجئ باسلوب القصر ليقرر ويؤكد أن أجر عمل أنبيائهم والصالحين من رجالهم ، مقصور على الاتصاف بكونه لهم لا لكم .

وأجر عملكم مقصور على الاتصاف بكونه لكم لا لهم ، فلا ينفع أمة الا عملها فالانتساب اليهم لا يوجب الانتفاع بأعمالهم ،وانما يكون الانتفاع بموافقتهم وطاعتهم وفى هذا رد أكيد ، واسقاط لدعوى اليهود فى كونهم المصطفين الاخيار ،لمجرد أنهم أبناء ابراهيم وحفدته ، ويتضمن هذا القصر التخويف والتهديد لهم ،وأيضا التعريض بهم ، حيث قصر الكسب ، ولم يقصر النسب الذى افتخروا به .

(قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) (١) .

المقصور : الجار [?] اللام .
المقصور عليه : نحن .

سبق الحديث عن مثل هذا القصر فى الآية رقم ١٣٣ من نفس السوره ، ولكن يبدو لى أن هناك فرقا بين نوع القصر فيهما .
فالقصر هناك قصر افراد لأن الخطاب فيه كان لليهود والنصارى فقصر الاسلام على المؤمنين ونفى عن معين وهم اليهود والنصارى .

---

١) آية ١٣٦ .

أما القصر هنا ، فهو من قبيل القصر الحقيقى التحقيقى ، لأن الخطاب هنا لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ، حيث جاءهم الامر الالهى باثبات اسلامهم ، وتأكيده . عن طريق القصر ، فقصر الاسلام عليهم وحدهم ونفى عن جميع من عداهم .

(صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ) (١) .

فى الآية الكريمه أسلوبا قصر كلاهما عن طريق التقديم .

الأول : عن طريق تقديم الضمير على الخبر المشتق .

والثانى : عن طريق تقديم (الجار والمجرور) المسند على المسند اليه

فالمقصور فى الاسلوب الأول : العباده (عابدون) .

المقصور عليه : نحن .

قصر صفه على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا .

والمقصور فى الاسلوب الثانى : العباده (عابدون)

المقصور عليه : لله .

قصر صفه على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا .

سر القصر :

كان أهل الكتاب من يهود ونصارى يحاربون الاسلام، فكان اليهود يدعون الناس الى اعتناق اليهودية وكذلك كانت دعوة النصارى الى اعتناق النصرانية ، ولكن القلوب المطمئنة بالإيمان ، كان جوابها لهاتين

---

١) آية ١٣٨ .

الدعوتين جوابا يدل على تَمَكُّن العقيده ، ورسوخ الايمان بالله وحده دون غيره ، وجاء هذا الجواب وتأكيد الايمان عن طريق (تقديم الجار لافادة اختصاص العباده له تعالى ، وتقديم المسند اليه لافادة قصر ذلك الاختصاص عليهم ؛ وعدم تجاوزه الى أهل الكتاب فيكون تعريضا لهم بالشرك أو عدم الانقياد له تعالى ؛ باتباع ملة ابراهيم) (١)

وذكر الشهاب ؛ أن التعريض مستفاد من تقديم نحن المفيد للحصر (٢) .

ويبدو لى أنه مستفاد من كلا القصرين .

وكذلك ذكر الامام البيضاوى أن فى الآية تعريضا ، فقال : ((ونحن له عابدون) تعريض بهم أى لا نشرك به كشرككم) (٣) .

أى ونحن له وحده عابدون دون غيره فلا نتخذ أحبارنا وعلمائنا أربابا يزيدون ديننا أو ينقصون ، ويحلون لنا بآرائهم ، ويحرمون أو يمحون عن نفوسنا صبغة الله الموحية للتوحيد ويثبتون مكانها صبغة البشر القاضية بالشرك والتنديد (٤)

---

١) روح المعانى ، جـ ١ ، ص ٣٩٨ .
٢) حاشية الشهاب ، جـ ٢ ، ص ٢٤٨ .
٣) البيضاوى ، جـ ١ ، ص ١٩٣ .
٤) المنار ، جـ ١ ، ص ٤٨٦ .

(قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ) (١) .

يظهر لى أن فى الآية الكريمه أربعة أساليب للقصر وكلها عن طريق التقديم .

فالأول : فى قوله تعالى : (ولنا أعمالنا) قُدِّم المسند على المسند اليه

فالمقصور : الأعمال .

المقصور عليه : كونها لنا .

قصر موصوف على صفه قصر افراد .

أى ولنا أعمالنا التى تختص آثارها بنا دونكم ان خيرا فخير وان شرا فشر .

والثانى : فى قوله تعالى : (ولكم اعمالكم) .

قُدِّم المسند على المسند اليه .

المقصور : الاعمال .

المقصور عليه : كونها لكم .

قصر موصوف على صفه قصر افراد .

والقصر الثالث : فى قوله تعالى : (ونحن له مخلصون)

حيث قُدِّم الضمير على الخبر المشتق .

فالمقصور : الاخلاص .

المقصور عليه : نحن

---

(١) آية : ١٣٩ .

قصر صفه على موصوف قصر افراد أى نحن مخلصون لا أنتم ويمكن أن يكون قصر قلب اذا كان اعتقاد اليهود أنهم المخلصون دون المؤمنين

والقصر الرابع : عن طريق الجار والمجرور .

المقصور : الاخلاص .

المقصور عليه : الله .

قصر صفه على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا .

حيث قَصِرَ الاخلاص على الله وحده دون غيره ، فالمؤمنون يخلصون العبادة ولا يشركون به شيئا وينفونها عن غيره والواقع يشهد بذلك .

سر القصر :

جادل الكفار الرسول صلى الله عليه وسلم فى وحدانية الله عز وجل . وارشادا للرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين الى كيفية درء هذه المجادلة جئ بالاستفهام الانكارى لتوبيخ وزجر المشركين ، فقال تعالى : (قل أتحاجوننا) أى أتناظروننا فى الاله الواحد الأحد ثم يعلو صوت تأكيد الاستسلام لله وألوهيته المطلقة . بقول (وهو ربنا وربكم) فهذه هى الحقيقة ، وهذا هو الواقع ، على رغم انكار المنكرين . فان لم يردعهم هذا التوبيخ ، فليس لهم الا البراءة وجاءت البراءة منهم عن طريق القصر ، فقال تعالى (ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم) أى ان لم تثبتوا له تلك الوحدانية ، فنحن براء منكم ومما تعبدون ، وأنتم براء منا ، ولا تُجْزَى نفس الا بما عملت .

وفى هذا القصر تيئيس وقطع لآمالهم فى نجاتهم بأعمال غيرهم وزيادة فى تحقيرهم ، عَرَّضَ بهم عن طريق القصر ، فى قوله تعالى : (ونحن له مخلصون) .

فالمؤمنون هم وحدهم الذين يخلصون العبادة لله وحده ولا يشركون به شيئا .

— (تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (١) .

سبق بيان سر هذا القصر فى آية ١٣٤ ، من نفس السوره .

— (سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِى كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِى مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) (٢) .

سبق الحديث عن مثل هذا القصر . آية ١١٥ من نفس السورة

---

١) آية : ١٤١ .

٢) آية : ١٤٢ .

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) (١) .

اخْتُلِف في سر التقديم في هذه الآية ، فذهب أبو حيان الى أن سر تقديم المفعول على العامل الاهتمام والتعظيم .

ولا يفيد عنده الحصر - كما هو مذهبه في عدم افادة تقديم المفعول على العامل الحصر - فقال (وايا هنا مفعول مقدم ، وقُدِّم لكون العامل فيه وقع رأس آية ، وللاهتمام به والتعظيم لشأنه ، لأنه عائد على الله ، كما في قولك واياك نستعين . وهذا من المواضع التي يجب فيها انفصال الضمير ، وهو اذا تقدم على العامل أو تأخر ، لم ينفصل الا في ضرورة . قال - اليك حتى بلغت ايا كا .) (٢)

وذهب الامام الصاوي في شرحه للجلالين بأن المفعول هنا (قُدِّم رعاية للفواصل وللحصر) (٣) .

وذهب الامام الزمخشري (٤) ، والبيضاوي (٥) والشوكاني (٦) . أن تقديم المفعول هنا للاختصاص على معنى إن كنتم تخصونه بالعبادة

فالمقصور في الآية : المعبود .

المقصور عليه : اياه .

قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا .

---

١) آية : ١٧٢ .
٢) البحر المحيط جـ١ ، ص ٤٨٥ .
٣) الصاوي ، جـ١ ، ص ٧٧ .
٤) الكشاف م ١ ، ص ٣٢٩ .
٥) البيضاوي ، جـ١ ص ٢١١ .
٦) فتح القدير جـ١ ، ص ١٦٩ .

سر القصر :

لما كان شكر النعم أمرا واجبا على كل مؤمن ، فقد قرنه المولى عز وجل بأمر العباده ، فمن كان يخص الله سبحانه وتعالى بالعباده دون غيره فان عبادته لله تعالى لا تتم الا بالشكر . وذكر الامام الألوسي أنه (بمنزلة التعليل لطلب الشكر . كأنه قيل : واشكروا له لأنكم تخصونه بالعباده ، وتخصيصكم اياه بالعباده ، يدل على أنكم تريدون عبادة كاملة ، تليق بكبريائه وهي لا تتم الا بالشكر لأنه من أجل العبادات ...) (١) .

— (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) (٢)

القصر فى الآية عن طريق تقديم الاسم الظاهر على الخبر المثبت ، (والله يعلم) . وهو على رأى الشيخ عبد القاهر قد يفيد الاختصاص لأن ظاهر كلامه أن المُعَرَّف اذا لم يقع بعد النفى ، وخبره مثبت أو منفى قد يفيد الاختصاص ، مضمرا كان أو مظهرا . وكلام السكاكى صريح فى أنه لا يفيده الا المضمر (٣)

١) روح المعانى ، جـ٢ ، ص ٤١ .
٢) آية : ٢١٦ .
٣) الايضاح ، تحقيق عبد المنعم خفاجي ، جـ ١ ، ص ١٤٤ — ١٤٥ .

أما قوله تعالى : (وأنتم لا تعلمون) حيث قُدِّم الضمير على الخبر المنفى ، وهو ما اتفق الشيخ عبد القاهر والسكاكى على احتمال افادته التخصيص والتقوى .

ويبدو لى أنه فى هذا الموضع يفيد التقوى لأنه ذُكِر قبله نفى العلم عنهم . فقال تعالى : (فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم) ، ثم جِىء بالقصر وأُثْبِت العلم لله وحده ، ثم جِىء بقوله تعالى : (وأنتم لا تعلمون) لتقوية الحكم السابق وأنه يجوز أن يكون القصر مستفادا من معنى الجملة ، لورود الاثبات فى قوله تعالى : (والله يعلم) ، والنفى فى قوله تعالى : (وأنتم لا تعلمون) . فيكون القصر مستفادا من طريق غير اصطلاحى .

واذ قلنا بافادة الجملة القصر (والله يعلم).

يكون المقصور : العلم .

المقصور عليه : الله .

قصر صفه على موصوف اما قصر افراد أو هو قصر حقيقى تحقيقى فهو قصر افراد اذا كان نفى العلم عن المؤمنين فقط كما هو المقام فكأن المخاطبين كانوا يظنون أنهم على شئ من العلم . أو هو قصر حقيقى تحقيقى : اذا نفينا العلم عن الجميع ، وأثبتناه لله سبحانه وتعالى .

سر القصر :

ان أمر القتال أمر شاق على النفس البشرية وهذا أمر كونه شاقا لم ينكره القرآن على المؤمنين ولم يوبخهم عليه ؛ لأنه يحسب حساب الفطرة الانسانية

ولكن كيف يحبب اليهم هذا الامر الشاق ويهونه فى نفوسهم ؟

استطاع القرآن باعجازه ، أن يخضع الفطره لسلطانه حيث قُصِر العلم على الله سبحانه وتعالى ، ونُفِيَ عن جميع الخلق ، فهو وحده يعلم أنه قد يكون وراء المكروه خير ، ووراء المحبوب شر ، ففى اخضاع الأمر لعلمه وحده ، مايُطَمْئِن النفس البشريه ويجعلها تجنح الى الطاعه والآداء فى يقين ورضاء .

(وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) (١) .

المقصور : العلم .

المقصور عليه : الله .

قصر صفه على موصوف قصر افراد أو قصر حقيقى تحقيقى .

فقصر العلم على الله وأفرد به ، ونفى عن المؤمنين ، لتنبيههم الى الامتثال لأمره ونهيه . وفى القصر ما يشعر بالترهيب من عدم الامتثال لأمره ، اذ أنه يعلم خائنة الأعين ، وما تخفى الصدور .

---

١) آية : ٢٣٢ .

فهو (يعلم بواطن الأمور ومآلها ،وأنتم لا تعلمون ذلك ،وانما تعلمون ماظهر،أو يعلم من يعمل على وفق هذه التكاليف ، ومن لا يعمل بها ويكون المقصود بذلك تقرير الوعد والوعيد) (١) .

—(ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ) (٢) .

القصر فى الآية عن طريق تقديم المسند (الجار والمجرور) على المسند اليه .

المقصور : مافى السموات وما فى الأرض .

المقصور عليه : كونه لله .

قصر ما فى السموات والأرض على كونه لله وحده ،قصر موصوف على صفه قصرا حقيقيا تحقيقيا .

سر القصر :

كانت الآيات السابقة تواجه العقائد المنكره للوحدانيه ،والتى تقف فى وجه عقيدة التوحيد ،فجاءت هذه الآيات الكريمه لتثبت وحدانية الله وجاء هذا الاثبات عن طريق القصر ،لما يحمله من معانى التوكيد ، فبدأت الآية بالقصر عن طريق النفى والاستثناء ، ثم جيء بالقصر

---

١) البحر المحيط ،جـ٢ ص ٢١١ .

٢)آية : ٢٥٥ .

عن طريق التقديم ،وذلك لتقرير قيوميته والاحتجاج على تفرده بالالوهية (اذ لما كان مافي السموات ومافي الأرض مختصا به لا مدخل للغير بالتصرف فيهما ، لم يكن اله آخر اذ لو كان لكان له التصرف أيضا . (١) .

فان له ما في السموات وما في الأرض ،يدل على اختصاصهما به فيكونان مختصين به تعالى من حيث الوجود ومن حيث الحفظ لأن اختصاصهما به من غير وجه دون وجه ، ترجيح من غير مرجح ،فيكون هو تعالى حافظا لهما دون غيره ،فيكون قيوما) (٢) .

فيستفاد من هذا القصر (نفي الالهية عن غير الله تعالى وأنه لا ينبغي أن يعبد غيره .لأن ما عبد من دون الله من الأجرام النيره الأرضيه التي في السموات كالشمس والقمر والشجر والأشخاص الأرضيه كالأصنام ، وبعض بني آدم كل منهم ملك لله تعالى مربوب مخلوق) (٣) .

---

١) البيضاوى ، جـ ١ ،ص ٢٥٨ .
٢) البيضاوى : حاشية الكازرونى جـ ١ ، ص ٢٥٨ .
٣) حاشية الشهاب ،جـ ١ ،ص ٣٣٥ .

تنقل إلى فصل التعريف ص(٥٠٢)

- (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ (١) إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (٢) .

القصر فى الآية عن طريق تعريف الخبر بأل ، فى قوله تعالى : (ربى الذى يحيِ ويميت) .

المقصور : الاحياء والاماته .

المقصور عليه : ربى .

قصر صفه على موصوف قصرا اضافيا قصر افراد .

سر القصر :

لما خاصم نمروذ ابراهيم عليه السلام فى قدرة الله ، وتفرده بأمر الاحياء والاماته رد ابراهيم عليه السلام عليه باسلوب القصر عن طريق تعريف الخبر فقال : (ربى الذى يحى ويميت) حيث قَصر الاحياء والاماته على الله وحده ونفاه عن جميع من عداه .

---

١) ذكر الامام الطبرى أنه قيل : أن الذى حاج ابراهيم جبار كان ببابل يقال له : نمروذ بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح . وقيل أنه نمروذ بن فالح بن عامر بن شامخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح / الطبرى ، م٣ جـ٣ ، ص ١٦ .

٢) آية : ٢٥٨ .

- (ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (١) .

قد سبق الحديث عن مثل هذا التقديم .

فى نفس السوره آية : ٣٨ / ٣٦ / ١١٢ .

- (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ) (٢) .

رأى الامام أبو السعود أن فى قوله تعالى : (منه تنفقون) تخصيصا وأن التخصيص هنا لتوبيخهم . فقال : (الجار متعلق بتنفقون والضمير للخبيث ، والتقديم للتخصيص ، والجملة حال من فاعل تيمموا ، أى لا تقصدوا الخبيث قاصرين الانفاق عليه ، أو من الخبيث أى مختصا به الانفاق ، وأيا ما كان فالتخصيص لتوبيخهم ، بما كانوا يتعاطونه من انفاق الخبيث خاصة ، لا لتسويغ انفاقه مع الطيب) (٣) .

ويبدو لى أنه لا قصر ، لأنه يقتضى أن يكون توبيخهم على تخصيص الخبيث بالانفاق ، فيرتفع عنهم اللوم لو أشركوا معه الانفاق من الطيب

---

١) آية : ٢٦٢ .
٢) آية : ٢٦٧ .
٣) تفسير أبى السعود ، م١ جـ١ ، ص ٢٦١ .

وهـذا ليس مرادا بل المراد - والله أعلم نهيهم عن الانفاق من الخبيث سواء اقتصروا على الانفاق منه وحده ،أو أنفقوا من الطيب مع الانفاق منه .

ولما رأى أبو السعود أن القول بالقصر يفيد هذا المحظور الذى أشرت اليه قال " وأيّاً ما كان " .

- (ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّاً وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (١) .

- (إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَاةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (٢) .

سبق الحديث عن مثل هذا القصر فى نفس السورة .

آية : ٣٨ / ٦٢ / ١١٢ .

---

١) آية : ٢٧٤ .

٢) آية : ٢٧٧ .

(لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَوَاتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِى أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ) (١) .

المقصور : الذى فى السموات والذى فى الأرض .

المقصور عليه : كونه لله

قصر موصوف على صفه قصرا تحقيقيا تحقيقيا .

أى أن جميع ما فى السموات والأرض . (له تعالى خلقا وملكا وتصرفا لا شركة لغيره فى شئ بوجه من الوجوه) (٢) .

سر القصر :

كانت الآية السابقة تقرر للخلائق تشريعا من تشريعات الحياة، وهو طريقة المعاملات بين الأفراد ، وبدأت هذه الآية باسلوب القصر لتربط بين التشريع المدنى البحت ، بهذا التوجيه الوجدانى البحت وبين التشريعات للحياه وخالق الحياه ، بذلك الرباط الوثيق ، المُؤَلَّف من الخوف والرجاء فى مالك الأرض والسماء ، فيضيف الى ضمانات التشريع القانونيه ضمانات القلب الوجدانيه (٣)

وفى اشعار القلوب المؤمنه بتفرد الله بالوحدانيه وأن له جميع ما فى السموات والأرض لا شركة لغيره فيهما . مايثير فى القلب الخضوع لله والرضوخ والامتثال لأوامره والخوف من الخروج عن سلطان المالك المتصرف .

---

١) آية ٢٨٤ .
٢) تفسير أبى السعود جـ١ ص ٢٧٢ .
٣) فى ظلال القرآن ، السيد قطب جـ١ ص ٣٣٨ .

(وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) (١) .

القصر فى الآية عن طريق تقديم المسند على المسند اليه .

المقصور : المصير .

المقصور عليه : كونه لله .

قصر موصوف على صفه قصرا حقيقيا تحقيقيا .

سر القصر :

المتكلم فى الآية الكريمه هم المؤمنون ، وهم يحسون احساسا عميقا بولائهم لله عز وجل ، ويؤمنون ايمانا كاملا بالبعث والرجوع فجاء القصر هنا ليُجَسِّد فكرة الولاء هذه ، حيث قصروا الرجوع والمصير على كونه لله سبحانه وتعالى دون غيره ، وفى هذا التخصيص اقرار منهم بالبعث .

(أى الرجوع بالموت والبعث اليك لا الى غيرك وهو تذييل لما قبله مقرر للحاجه الى المغفرة ، لما أَنَّ الرجوع للحساب والجزاء) (٢) .

---

١) آية : ٢٨٥ .

٢) تفسير أبى السعود ، جـ ١ ، ص ٢٧٦ .

(لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ) (١)

فى الآية الكريمه ثلاثة أساليب للقصر .

الأول : عن طريق النفى والاستثناء ، وقد سبق الحديث عنه فى موضعه .

والثانى والثالث : عن طريق تقديم المسند على المسند اليه .

والمقصور فى الثانى : الذى اكتسبت أو اكتسابها .

المقصور عليه : كونه لها .

قصر موصوف على صفة قصر افراد .

القصر الثالث : فى قوله تعالى : (وعليها ما اكتسبت) .

المقصور : الذى اكتسبته ، أو اكتسابها .

المقصور عليه : كونه عليها .

قصر موصوف على صفه قصر افراد .

سر القصر :

لما نزلت آية (لله ما فى السموات وما فى الأرض وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله) .

شق ذلك على المسلمين فجاءت الآيات تبين لهم أن تكليف الله للعباد ، انما هو بحسب طاقاتهم ووسعهم ثم جئ بأسلوب القصر ليقرر ويؤكد فردية التبعة فلكل نفس ما كسبت من الخير لا يتعداها الى غيرها ، ولكل نفس ما اكتسبت من الشر ، لا يتعداها الى غيرها .

---

١) آية : ٢٨٦ .

وعبر عن الشر بالاكتساب ، والخير بالكسب لأن الاكتساب فيه اعتمال الشر تشتهيه النفس وتنجذب اليه ، فكانت أجد في تحصيله وأحرص (١)

وجيء بهذا القصر لاستنهاض هِمم المسلمين ، ولِيَجِدَّ كل انسان في طلب الخير اذا عَلِم علما مؤكدا بفرديته في الحساب والجزاء .

---

١) حاشية الشهاب ، جـ٢ ، ص ٣٥٤ .

" آل عمران "

(قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (١) .

ذكر الامام الطبرى (٢) ، والزمخشرى (٣) وأبو السعود (٤) والشوكانى (٥) والألوسى (٦) ، أن التقديم فى الآية مفيد للقصر . وجاء القصر هنا عن طريق تقديم المسند على المسند اليه .

المقصور : الخير .

المقصور عليه : كونه بيد الله .

وهو قصر موصوف على صفه اما قصرا حقيقيا ، فيه مبالغة . اذا كان النفى عن جميع من عداه ، أو هو قصر قلب لمن ظن ، أن الخير بيد غير الله ، مما كان يعبد من غير الله . ويفهم هذا من قول الطبرى (بيدك الخير ، أى كل ذلك بيدك واليك ، لا يقدر على ذلك أحد لأنك على كل شئ قدير ، دون سائر خلقك ، ودون من اتخذه المشركون

---

١) آية : ٢٦ .
٢) الطبرى ، م ٣ ج ٣ ، ص ١٤٨ / ١٤٩ .
٣) الكشاف ، م ١ ، ص ٣٣٠ .
٤) تفسير أبى السعود ، جـ ٢ ، ص ٢١ .
٥) فتح القدير ، م ١ ، ص ٣٣٠ .
٦) روح المعانى ، ج ٣ ، ص ١١٥ .

من أهل الكتاب والأميين من العرب الها وربا ، يعبدونه من دونك كالمسيح والأنداد ، الذى اتخذها الأميون ربا) (١) .

فيفهم من قوله دون سائر خلقك القصر الحقيقى ، لأن النفى واقع على جميع من عداه ، ومن قوله دون من اتخذه المشركون من أهل الكتاب والأميين من العرب الهًا وربًا . القصر الاضافى قصر قلب .

سر القصر :

لما فتح الرسول صلى الله عليه وسلم مكة، وعد أمته بملك كسرى وقيصر (٢) وهذا الوعد قد يستعظمه البعض ويستكثره على الرسول صلى الله عليه وسلم فكان لا بد من ازالة هذه الشكوك من النفوس ، فجئ باسلوب القصر لتأكيد حدوث هذا الأمر ، وحتمية وقوعه حيث خصص الخير بيد الله وقدرته دون غيره . (أى بقدرتك الخير كله لا بقدرة أحد غيرك تتصرف فيه قبضا وبسطا حسبما تقتضيه مشيئتك) (٣)

---

١) الطبرى ، م٣ ، ص ١٤٨ / ١٤٩ .

٢) ذكر الامام الطبرى : (حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتاده ، وذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم ، سأل ربه جل ثناؤه أن يجعل له ملك فارس والروم فى أمته ، فأنزل الله عز وجل (قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء) الى (أنك على كل شئ قدير) . / الطبرى ، م٣ ، جـ٣ ، ص ١٤٨ .

٣) تفسير أبى السعود جـ٢ ، ص ٢١ / ٢٢ .

(لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ) (١) .

القصر فى الآية عن طريق تقديم المسند (الجار والمجرور) على المسند اليه .

فالمقصور : المصير .

المقصور عليه : كونه الى الله .

قصر موصوف على صفه قصرا حقيقياً تحقيقياً .

سر القصر :

جاءت الآية الكريمه للتحذير الشديد ، من موالاة أعداء الله ،لأنه لا يمكن أن تجتمع محبة الله ومحبة أعدائه فى قلب واحد ، وجاء هذا التحذير عن طريق النهى عن اتخاذ الكافرين أولياء ، ثم عن طريق براءة الله منهم ،ثم جاء اسلوب القصر ليزيد المقام رهبه ومهابة فقُصر الرجوع والمصير على كونه لله سبحانه وتعالى وحده دون غيره . وفى هذا القصر (تهديد شديد ،وتخويف عظيم لعباده ،أن يتعرضوا لعقابه بموالاة أعدائه) (٢)

١) آية : ٢٨ .

٢) فتح القدير ،م١ ،ص ٣٣١ .

ومما يزيد الرعب فى القلوب ،اظهار اسم الجلاله فى مقام الاضمار فلم يقل : اليه المصير ،وذلك (لتربية المهابة وادخال الروعة) (١) .

ومجئ القصر فى موضع التذييل (مقرر لمضمون ما قبله ،ومحقق لوقوعه حتما) (٢) .

وفى القاء الرعب فى القلوب بهذه الطريقة ،استجاشه للخشية من الله ،واتقاء التعرض لنقمته ،لأن المرجع اليه دون غيره .

— (إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ .) (٣)

ذكر الامام الشوكانى (٤) والألوسى (٥) ،أن تقديم الظرف فى الآية يفيد القصر أى تقديم المسند على المسند اليه .

المقصور : المرجع .

المقصور عليه : كونه الى الله .

قصر موصوف على صفه قصرا حقيقيا تحقيقيا .

---

١) روح المعانى ،جـ٣ ،ص ١٢٦ .

٢) تفسير أبى السعود ،جـ٢ ،ص ٢٣ .

٣) آية ٥٥ .

٤) فتح القدير ،م١ ،ص ٣٤٥ .

٥) روح المعانى ،جـ٣ ،ص ١٨٤ .

سـر القصـر :

اختلف الناس فى أمر عيسى عليه السلام فمنهم من اتبعه ومنهم من كفر به ، ولكل من الفريقين جزاؤه عند الله سبحانه وتعالى ، ولتأكيد بلوغ هذا الجزاء لكل فريق ، قُدِّم الخبر (الجار والمجرور) على المبتدأ وقُصِّرَ على كونه الى الله وحده لا الى غيره لتأكيد الوعد والوعيد .

وقد ذكر ذلك الامام الألوسى ، حيث قال : (وتقديم الظرف للقصر المفيد لتأكيد الوعد والوعيد) (١) .

— (هَاأَنتُمْ هَؤُلاَءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ) (٢) .

سبق أن ذكرت أن القصر هنا فى قوله تعالى : (والله يعلم) وهو عن طريق تقديم الاسم الظاهر على الخبر الفعلى المثبت ، وهو يحتمل التخصيص والتقوى عند الشيخ عبد القاهر ويكون للتقوى فقط عند السكاكى أما قوله تعالى : (وأنتم لا تعلمون) ، فيبدو لى أنه يفيد التقوى هنا وقد يكون القصر هنا مستفادا من معنى الجملة ، فيكون القصر عن طريق غير اصطلاحى .

---

١) روح المعانى جـ٣ ، ص ١٨٤ .
٢) آية : ٦٦ .

فالمقصور فى الآية : العلم .

المقصور عليه : الله .

قصر صفه على موصوف اما قصر افراد أو هو قصر قلب .

سر القصر :

لقد جادل اليهود فيما لهم به علم (مما يتعلق بأديانهم ، التى شرعت لهم الى حين بعثة محمد صلى الله عليه وسلم) (١) .
وظنوا بذلك أنهم أهل علم ومعرفة مطلقة ، فجادلوا فى أمر ابراهيم عليه السلام فى دينه وشرعه ، فقالت اليهود : انه كان يهوديا وقالت النصارى أنه كان نصرانيا ، وهذا مما ليس لهم به علم ، بل هو من علم الله وحده فهو أمر سابق عليهم ، فابراهيم عليه السلام .
(كان قبل موسى بألف سنه وقبل عيسى بألفين) (٢) .
ولكنهم ادعوا العلم والمعرفة ، وأشركوا أنفسهم فى علم الله المطلق ، وكل ذلك ابتغاء تكذيب دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فجاءت الآية تُنْكِر عليهم ما ادَّعوه ، فبدأت بحرف التنبيه (ها) لتنبيههم الى الحالة ، التى غفلوا عنها .
ثم جاء الاستفهام الانكارى (فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ) .
ثم انتهت الآية بأسلوب القصر ، فَقُدِّم الاسم الظاهر على الخبر الفعلى ، لقصر العلم على الله وحده ونفيه عنهم ، وفى ذلك بيان لكمال

---

١) تفسير ابن الكثير ، جـ٢ ، ص ٥٥ .

٢) البيضاوى ، جـ٢ ، ص ٢٣ .

حماقتهم وسفه قولهم بتأكيد نفى العلم عنهم ، ثم جاءت الآية التاليه مُصَرِّحة بكذبهم ، مبينة علم الله المطلق ، فصرحت بأن ابراهيم عليه السلام كان حنيفا مسلما (مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (١)

(أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ) (٢) .

فى الآية الكريمه أسلوبا قصر

الأول : فى قوله تعالى : (وله اسلم) .

والقصر هنا عن طريق تقديم الجار والمجرور على عامله .

المقصور : إسلام من فى السموات والأرض .

المقصور عليه : ضمير الجلالة .

قصر صفه على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا .

والثانيه : فى قوله تعالى : (وإليه يُرْجَعُونَ) .

والقصر هنا عن طريق تقديم الجار والمجرور على عامله .

المقصور : رجوعهم .

المقصور عليه : ضمير الجلالة .

قصر صفه على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا .

---

١) آل عمران آية : ٦٧ .

٢) آية : ٨٣ .

سر القصر :

جاءت هذه الآية ضمن الآيات ، التى ترد على انكار أهل الكتاب لنبوة الرسول صلى الله عليه وسلم .

فبدأت بالتعجب من رغبتهم الأكيده ، واصرارهم على عدم قبول دين الله .

وأمام هذا الاصرار لا بُدّ من اسلوب يهز تلك القلوب الميته ، ويعيدها الى صوابها ، فجاء اسلوب القصر للتهديد والوعيد ، لمن ابتغى غير دين الله . فقَصَرَ الرجوع على الله وحده دون غيره فلا مفر اذاً من الرجوع اليه ، وملاقاته للحساب . وجاء هذا التهديد للتنبيه على الالتزام بدين الله ، والايمان بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم .

(وَلِلَّهِ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ) (١) .

فى الآية الكريمه أسلوبا قصر .

الأول : فى قوله تعالى : (وَلِلَّهِ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ)

والقصر هنا عن طريق تقديم المسند على المسند اليه .

المقصور : ما فى السموات وما فى الأرض .

المقصور عليه : كونه لله .

---

(١) آية : ١٠٩ .

قصر موصوف على صفه قصرا حقيقيا تحقيقيا .

والقصر الثانى : فى قوله تعالى : (والى الله ترجع الأمور) .

وهو عن طريق تقديم الجار والمجرور على عامله .

والمقصور فى الأسلوب الثانى : رجوع الأمور .

المقصور عليه : الله .

قصر صفه على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا .

سر القصر :

مما يلفت الانتباه مجئ الآية مفتتحه بأسلوب القصر ، ومختتمه به كذلك ، فما السر فى ذلك ؟ .

أوضح الله سبحانه وتعالى فى الآيات السابقة جزاء كل من الذين آمنوا وجزاء الكافرين . وليؤكد لهم بلوغ ذلك الجزاء الى كل فريق ، جاء بالقصر فقصر ما فى السموات والأرض على كونه له وحده دون غيره . وفى هذا تذكير وتنبيه لهم الى أن جميع ما فى الكون له وحده دون غيره والكل تحت سلطانه وقهره ، وهم واقعون تحت حكمة وقدره ، فكيف يتسنى لهم الكفر به ومعصيته ؟

ثم جاء بالاسلوب الثانى يحمل معنى التهديد والوعيد لمن كفر بعد ظهور حجة ألوهيته المطلقة ، والتبشير لمن آمن، لإيمانه بعدل الله سبحانه وتعالى ، فلكل انسان جزاؤه ان خيرا فخير وان شرا فشر .

ف (الجملة مقررة لمضمون ما ورد فى جزاء الفريقين) (١) .

---

١) روح المعانى ، جـ٤ ، ص ٢٧ .

(إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ (١) مِنكُمْ أن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) (٢) .

القصر فى الآية عن طريق تقديم الجار والمجرور على عامله .

المقصور : التوكل .

المقصور عليه : الله .

قصر صفه على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا ،أو هو قصر قلب

وفيها نُزِّل المؤمنون منزلة من ينكر كون التوكل على الله وحده .

---

١) وهاتان الطائفتان كما ورد فى الصحيح – من حديث سفيان بن عيينه – هما بنو حارثه وبنو سلمه ، أثَّرت فيهما حركة عبد الله بن أُبى ،وما أحدثته من رجة فى الصف المسلم من أول خطوه فى المعركه ،فكادتا تفشلان وتضعفان لولا أن – أدركتهما رحمة الله وولايته وتثبيته كما جاء فى النص القرآنى : (والله وليهما) .

قال عمرو رضى الله عنه – سمعت جابر بن عبد الله رضى الله عنهما يقول : فينا نزلت : اذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما ،قال نحن الطائفتان بنو حارثه وبنو سلمه ،وما نحب وقال سفيان مَرَّة وما يسرنى أنها لم تنزل ،لقول الله: (والله وليهما) / رواه البخارى ،كتاب التفسير جـ٢ ،ص ٤٧ .

٢) آية : ١٢٢ .

سر القصر :

لما استشار الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه فى الخروج الى غزوة أحد ، وكان رأيه (١) المكوث فى المدينه فاذا دخل أبو سفيان ومن معه الى المدينه قاتلهم المسلمون من أفواه الأزقه والنساء من فوق البيوت ، ووافقه على هذا الرأى عبد الله بن أُبى ، ولكن جماعة من الصحابه ومعظمهم من الشباب . أشاروا عليه بالخروج وانتهى الأمر بعزمه صلى الله عليه وسلم على مواجهة الجيش والخروج لقتاله ولكن جماعة من المسلمين مالت الى رأى عبد الله بن أُبى ، وميلهم هذا - يعنى عدم معرفتهم بحقيقة التوكل ، فعبد الله بن أبى ما قال قولته الا لخوفة من القتال ، وذلك لعدم ايمانه الحقيقى بالله ، وانما أراد شق الصف المسلم .

ولكن الله سبحانه وتعالى رأفة بتلك الفئة المؤمنه أظهر لهم حقيقة التوكل ، وجاء هذا الاظهار عن طريق الحصروأنزلهم منزلة من ينكر التوكل على الله وحده ، ليؤكد لهم أن الايمان لا يَكْمُل الا بقصر التوكل على الله وحده دون غيره وكذلك النصر لا يتحقق الا بالتوكل على الله وحده قال الامام البيضاوى (أى فليتوكلوا عليه ، ولا يتوكلوا على غيره ، لينصرهم كما نضرهم ببدر) (٢) .

---

١) زاد المعاد جـ٢ ، ص ٩١ .

٢) البيضاوى ، جـ٢ ، ص ٤١ .

(وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (١) -

القصر فى الآية عن طريق تقديم المسند على المسند اليه .

المقصور : الذى فى السموات والذى فى الأرض .

المقصور عليه : كونه لله .

قصر موصوف على صفه قصر افراد ، كما يفهم من تفسير ابن جرير حيث قال (يعنى بذلك تعالى ذكره ليس لك يا محمد من الأمر شئ ولله جميع مابين أقطار السموات والأرض من مشرق الشمس الى مغربها دونك ودونهم ، يحكم فيهم بما شاء ، ويقضى فيهم ماأحب ، فيتوب على من أحب من خلقه العاصين أمره ونهيه ثم يغفر له ، ويعاقب من شاء منهم على جُرمِه ، فينتقم منه) (٢) .

فقوله دونك ، وقوله ليس لك يا محمد يوضح أن النفى بالنسبه للرسول صلى الله عليه وسلم ، فيكون القصر اضافيا قصر افراد .

كما أشار الى ذلك البيضاوى ، (فله الأمر كله لا لك) (٣) .

فقوله لا لك يعنى ، أن النفى بالنسبه الى معين .

---

١) آية : ١٢٩ .

٢) الطبرى ، م٣ ، جـ٤ ، ص ٥٨ .

٣) البيضاوى ، جـ٢ ، ص ٤٢

سر القصر :

لما ذكر الله سبحانه وتعالى أمر معركة أحد ، وما أصاب المسلمين فيها من الهزيمة ، وذكر أمر معركة بدر ، وانتصار المسلمين فيها ، وأن أمر الهزيمة والنصر بيده وحده ، أعقب هذا الاختصاص باختصاص آخر ليقرر ملكية جميع الكائنات له وحده دون غيره ، فهو ان أ(كلام مستأنف سيق لبيان اختصاص ملكوت كل الكائنات به عز وجل، اثر بيان اختصاص طرف من ذلك به سبحانه ، تقريرا لما سبق وتكملة له ، وتقديم الجار للقصر ، وكلمة "ما" شاملة للعقلاء أيضا تغليبا أي له ما فيهما من الموجودات خلقا وملكا ، لا مدخل فيه لأحد أصلا فله الأمر كله) (١) .

---

١) تفسير أبي السعود ، جـ١ ، ص ٨٤ .

— (وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (١)

القصر فى الآية عن طريق تقديم الاسم الظاهر على الخبر الفعلى وهو محتمل للتخصيص والتقوى عند الشيخ عبد القاهر ، وللتقوى فقط عند السكاكى .

المقصور : الاحياء والاماته .

المقصور عليه : الله .

قصر صفه على موصوف قصرا اضافيا قصر قلب .

سر القصر :

ظن الكفار أن أمر الاحياء والاماته موقوف على الاقامه والسفر ، وهذا معتقد باطل وانكار لربوبية الله سبحانه وتعالى فجئ بالقصر لقلب هذا المعتقد ، بتأكيد أن أمر الاحياء والاماته بيد الله وحده ، فهو المُحى والمميت ، لا الاقامة والسفر ، (فانه تعالى قد يحى المسافر والغازى ويميت المقيم والقاعد) (٢) .

وفى تأكيد هذه الحقيقه بهذا الاسلوب مايحث المؤمنين ويرغبهم فى الجهاد ، اذا ما عرفوا حقيقة الاحياء والاماته ، ويمنعهم عن التخلف عن الجهاد خشية القتل .

---

١) آية : ١٥٦ .

٢) البيضاوى ، جـ٢ ، ص٥٠ .

- (وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ، وَلَئِن مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ) (١) .

القصر فى الآية عن طريق تقديم الجار والمجرور على عامله .

المقصور : حشرهم .

المقصور عليه : الله .

قصر صفه على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا .

سر القصر :

اختلف المفسرون فى سر التقديم فى الآية ، فذهب كثير منهم الى أنه يفيد الاختصاص . وممن رأى ذلك الامام الزمخشرى (٢) والفخر الرازى (٣) والبيضاوى (٤) والشهاب فى حاشيته على البيضاوى (٥) والشوكانى (٦) ، والألوسى (٧) .

---

١) آية ... : ١٥٧ - ١٥٨
٢) الكشاف ، م١ ، ص ٤٧٤ .
٣) الفخر الرازى ، م٤ ، ص٦١ .
٤) البيضاوى ، جـ٣ ، ص٥ .
٥) حاشية الشهاب ، جـ٣ ، ص ٧٥ .
٦) فتح القدير ، م١ ، ص ٣٩٣ .
٧) روح المعانى ، جـ٤ ، ص ١٠٥ .

أما أبو حيان فقد رأى أن التقديم هنا لا يفيد الاختصاص ، وانما يفيد الاعتناء بالشيء والاهتمام بذكره ورعاية الفاصله ،
فبعد أن ذكر رأى الزمخشرى فى تفسير هذه الآية وأن الخطاب فيها للمؤمنين خاصة أى (لإلى الرحيم الواسع الرحمة المثيب العظيم الثواب ، تحشرون .
ولوقوع اسم الله تعالى هذا الموقع ، مع تقديمه وادخال اللام على الحرف المتصل به ، شأن ليس بالخفى)-(١) .

علق على قول الزمخشرى بقوله :(... يشير بذلك إلى مذهبه من أن التقديم يؤذن بالاختصاص ، فكان المعنى عنده فإلى الله لا غيره تحشرون ، وهو عندنا لا يدل بالوضع على ذلك ، وانما يدل التقديم على الاعتناء بالشيء والاهتمام بذكره ، كما قال سيبويه : وزاده حسنا هنا ، أن تأخر الفعل هنا فاصله ، فلو تأخر المجرور لفات هذا الغرض .) (٢) .

ورأى الامام الألوسى أن مثل هذا القول من قبيل الادعاء ، فبعد أن أوضح أن التقديم مفيد للحصر ، وأن ادخال لام القسم على المعمول مشعر بتأكيد الحصر والاختصاص . قال :

(وادعى بعضهم أن تقديم هذا المعمول لمجرد الاهتمام ، ويزيده ، حسنا وقوع ما بعده فاصله ، وما أشرنا اليه أولا أولى) (٣) .

---

١) الكشاف ، م١ ، ص ٤٧٤ .
٢) البحر المحيط ، ج٣ ، ص ٩٦ .
٣) روح المعانى ، ج٤ ، ص ١٠٥ .

ويبدو لي أن افادة التقديم الاهتمام بالشيء والاعتناء به لا يمنع افادته الحصر .

سر القصر :

ان بذل الروح أمر صعب على النفس البشريه . ولكن في تخصيص الحشر بكونه الى الله ،حث وترغيب للمؤمنين في بذل أرواحهم عن رضا واطمئنان ،فالله سبحانه وتعالى (رغب المجاهدين في الآية الأولى ، بالحشر الى مغفرة الله ،وفي هذه الآية زاد في اعلاء الدرجات فرغبهم ههنا بالحشر الى الله) (١) .

أي (لإلى معبودكم الذى توجهتم اليه ،وبذلتم مهجكم لوجهه ،لا الى غيره لا محاله تحشرون ،فيوفى جزاءكم ويعظم ثوابكم) (٢) .

(فآثِروا ما يقربكم اليه ،ويجر لكم رضاه ؛ من العمل بطاعته والجهاد في سبيله ولا تركنوا الى الدنيا) (٣) .

ولقد ذكر الامام الفخر لطائف ودقائق في هذه الآية ؛يبدو لي أنه من المستحسن الاشاره اليها :

أولها : أنه لم يقل تحشرون الى الله ،بل قال لإلى الله تحشرون وهذا يفيد الحصر ،ومعناه الى الله يحشر العالمون لا الى غيره . وهذا يدل على أنه لا حاكم في ذلك اليوم ،ولا ضار ولا نافع الا هو. قال تعالى : (لِمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَاحِدِ ٱلْقَهَّارِ)

---

١) الفخر الرازي ،م٤ ،ص ٦١ .

٢) البيضاوي ،جـ٢ ،ص ٥ .

٣) روح المعاني ،جـ٤ ،ص ١٠٥ .

وقال تعالى : (وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ) .

وثانيهما : انه ذكر من اسماء الله هذا الاسم (الله) ، وهذا الاسم أعظم الأسماء ، وهو دال على كمال الرحمه وكمال القهر ، فهو لدلالته على كمال الرحمه ، أعظم أنواع الوعد . ولدلالته على كمال القهر أشد أنواع الوعيد .

ثالثها : ادخال لام التأكيد فى اسم الله حيث قال (لإلى الله) وهذا ينبه على أن الالهية تقتضى هذا الحشر والنشر ، كما قال : (ان الساعه آتيه أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى) (١) .

ورابعها : أن قوله (تحشرون) مبنى للمجهول ، مع أن فاعل ذلك الحشر هو الله الذى يبدئ ويعيد ، ومنه الانشاء والاعاده ، فترك التصريح فى مثل هذا الموضع ، أدل على العظمة ونظيره قوله تعالى .. (وقيل يا أرض ابلعى ماءك) (٢) .

وخامسها : أنه أضاف حشرهم إلى غيرهم ، بمعنى أنه فى بعض الآيات ، أسند ما يفيد الحشر الى الخلق مثل قوله تعالى : (يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) (٣) ، أما هنا فقد بنى الفعل للمجهول والفاعل معروف ، فلم يكن للخلق فى الحشر شئ حتى مجرد اسناده اليهم فى الظاهر ، وذلك ينبه العقل على أن جميع الخلق مضطرون فى قبضة القدره ونفاذ المشيئة ، فهم سواء كانوا أحياء أو أمواتا لا يخرجون عن قهر الربوبية وكبرياء الالهية .

---

١) طه ، آية : ١٥ .
٢) هود ، آية : ٤٤ .
٣) المطففين ، آية ٦ .

وسادسها : أن قوله (تحشرون) خطاب مع الكل ، فهو يدل على أن جميع العالمين يحشرون ، و يوقفون في عرصة القيامه فيجتمع المظلوم مع الظالم والمقتول مع القاتل، والحق سبحانه وتعالى يحكم بين عبيده بالعدل المبرء عن الجور ، كما قال : (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَه) [1] ، فمن تأمل في قوله تعالى : (لَإِلَى اللَّه تُحْشَرُونَ) ، وساعدهم التوفيق ، علم أن هذه الفوائد التى ذكرناها كالقطرة من بحار الأسرار المودعه في هذه الآية (٢) .

---

١) الأنبياء آية : ٤٧ .
٢) الفخر الرازى ، م ٥ ، جـ ٩ ، ص ٦٢ .

(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) (١) .

اختلف المفسرون في طريق القصر في هذه الآية ،هل هو عن طريق التقديم أو هو عن طريق التوكيد بمعونة المقام .

ذكر الامام الزمخشري وتبعه في ذلك الامام البيضاوي أن (ما : مزيدة للتوكيد ، والدلالة على أن لينه لهم ما كان الا برحمة من الله ونحوه ـ فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم . .) (٢) .
ففهم بعض العلماء أن في كلام الزمخشري حذفا والمعنى ما : مزيده والظرف مقدم : للتأكيد .

وممن ذكر ذلك الكازروني في حاشيته على البيضاوي فبعد أن ذكر أن الامام البيضاوي ،قد تبع الزمخشري في عبارته ،ذكر ما فيها من (. . توسع ،وحق العبارة أن يقال وما : مزيده لتأكيد الدلالة . . الخ لأن أصل الدلالة على الحصر أستفيد من تقديم الجار والمجرور ،ولهذا قيل أن في كلام الكشاف حذفا ،والمعنى ما : مزيده ،والظرف مقدم للتأكيد والدلالة) (٣)

---

١) آية : ١٥٩ .
٢) الكشاف ،م١ ،ص ٤٧٤ .
٣) البيضاوي ،حاشية الكازروني ،جـ٢ ،ص ٥٠ / ٥١ .

ورد الشهاب فى حاشيته على البيضاوى على من قال أن فى كلام الزمخشرى حذفا لأن مثل هذا القول قد تكرر فى مواضع من كشافه ولا قرينة على ما ذكروه ، ورأى أنه لا مانع من دلالة (ما : المزيده للتوكيد) على الحصر ، فقال معلقا على كلام الامام البيضاوى (.. وقد تبع فيه الكشاف ، ولما كان مخالفا لما تقرر من أن الحصر انما يستفاد من التقديم ، لا من التأكيد ، بما الزائده ونحوه ذهب شُرَّاحه الى أن الحصر انما استفيد من تقديم الجار والمجرور وزيادة « ما » إنما يفيد تأكيد ذلك ، قالوا ففى كلامه حذف ، أى ما مزيدة والظرف مقدم للتأكيد والدلاله على اللف والنشر التقديرى ولا يخفى ما فيه من العتنايه ...

وقد وقع من الزمخشرى هذا فى مواضع من كشافه ، ولا قرينة على ما ذكروه ولو قيل أن الحصر انما ، استفيد من التقديم لدلالته على الاهتمام به ، والتأكيد أيضا يدل على ذلك فلا مانع من دلالته على الحصر أيضا ، لأن تأكيد سببيته يفيد أنه لا سبب غيرها ، ولعل هذا مراده ، لكن الشراح لم يعولوا عليه ، لأنه لم يذكره أحد من أهل المعانى ، وكم فى كتابه من أمثاله ، وقد صرح به فى بعض كتبه)(١)

---

(١) حاشية الشهاب ، جـ٣ ، ص ٧٦ .

أما الامام الفخر فلا يرى فى الآية أى دلالة على الحصر ، وأن (ما) هنا للتعجب ، وليست زائده للتأكيد لأن دخول اللفظ المهمل الضائع فى كلام الله غير جائز . قال : (ذهب الأكثرون الى أن (ما) فى قوله (فبما رحمة من الله) صله زائده ، ومثله فى القرآن كثير كقوله (عما قليل) ، و (جند ما هنالك . فبما نقضهم . مما خطاياهم) قالوا : والعرب قد تزيد فى الكلام للتأكيد ، ما يستغنى عنه قال تعالى : (فلما أن جاء البشير) أراد : فلما جاء ، فأكد بأن وقال المحققون : دخول اللفظ المهمل الضائع فى كلام أحكم الحاكمين غير جائز ، وههنا يجوز أن تكون (ما) استفهاما للتعجب . تقديره : فبأى رحمة من الله لنت لهم ، وذلك لأن جنايتهم لما كانت عظيمه ثم أنه ما أظهر البته تغليظا فى القول ولا خشونه فى الكلام علموا أن هذا لا يتأتى الا بتأييد ربانى وتسديد الهى ، فكأن ذلك موضع التعجب . من كمال ذلك التأييد والتسديد .
فقيل : فبأى رحمة من الله لنت لهم ، وهذا الأصوب عندى) (١) .

وذكر الامام الشوكانى أن كون (ما) فى الآية استفهاميه داله على التعجب . أمر بعيد ، فلوكانت كذلك لحذفت الألف من "ما" ، وقيل :

---

١) الفخر الرازى ، مه ، جـ ٩ ، ص ٦٤ / ٦٥ .

فبم رحمة من اللـه لنت لهم ، فقال : (... والجار والمجرور متعلق بقوله (لنت لهم) ، وقُدِّم عليه لافادة القصر وتنوين رحمة للتعظيم والمعنى : أن لينه لهم ما كان ، الا بسبب الرحمة العظيمه منه ، وقيل أن ما استفهاميه ، والمعنى : فبأى رحمة من الله لنت لهم ، وفيه معنى التعجب وهو بعيد ، ولو كان كذلك لحذف الألف من ما ، وقيل فبم رحمة من اللـه) (١) .

أما ابن كثير فيفهم من كلامه وايقانه برأى قتاده أن (ما) قد تكون للتعجب وقد تكون (صله) ، فقال (.. أى بأى شئ جعلك اللـه لهم لينا ، لولا رحمة اللـه بك وبهم ، وقال : قتاده (فبما رحمة من اللـه لنت لهم) ، يقول : فبرحمة من اللـه لنت لهم، وما : صلة ، والعرب تصلها بالمعرفة كقوله : (فبما نقضهم ميثاقهم) وبالنكرة كقوله (عما قليل) ، وهكذا ههنا . قال (فبما رحمة من اللـه لنت لهم) ، أى برحمة من اللـه) (٢) .

ويبدو لى أن الآية تفيد القصر من الطريقين طريق التقديم وطريق التوكيد بمعونة المقام .

ومجئ القصر فى الآية لتذكير المؤمنين ، ولفت أنظارهم الى رحمة اللـه الممثلة فى خلق الرسول الرحيم ويشعرهم بحقيقة المنه الالهية

---

١) فتح القدير م ١ ، ص ٣٩٣ .

٢) تفسير ابن كثير جـ ١ ، ص ١٤١ .

التى منّها الله سبحانه وتعالى على عباده . فقد رجع ثلث الجيش قبل بدء معركة أحد ، واضطربت صفوفهم ، ثم ضعفوا أمام اغراء الغنائم ثم ضعفوا أمام اشاعة مقتله صلى الله عليه وسلم وفرَّ الكثير من أمامه وتركوه فى النفر القليل . كل هذه الأمور المثيرة للغضب والحقد فى النفس البشريه ، لم تلق مكانا فى قلبه صلى الله عليه وسلم والسر فى ذلك أن عطفه ولينه ما كان الا برحمة من الله .

فاذا كانت هذه رحمة الرسول ، فكيف برحمة من أمده بهذا اللين ؟ وفى اطلاع المؤمنين على حقيقة رحمته ومصدرها فى هذا الموقف ما يعيد ثقتهم بالله وبنبيه ، ويعيدهم الى لواء طاعته والابتعاد عن معصيته .

(إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) (١)

القصر فى الآية عن طريق تقديم الجار والمجرور على عامله .

المقصور : التوكل .

المقصور عليه : الله .

قصر صفه على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا . أو هو قصر قلب أو إفراد .

ذهب الامام الزمخشرى (٢) والفخر الرازى (٣) والبيضاوى (٤) والشوكانى (٥) ، والالوسى (٦) ، ورشيد رضا (٧) ، إلى أن الآية مفيدة للقصر ، واعترض على ذلك الامام أبو حيان لما أشرنا اليه من قبل من ان مذهبه عدم افادة تقديم المعمول على العامل الحصر ، فقال معترضا على الزمخشرى : (وقال الزمخشرى فى قوله : وعلى الله وليخص المؤمنون ربهم بالتوكل والتفويض اليه ، لعلمهم أنه لا ناصر سواه ، ولأن ايمانهم يوجب ذلك ويقتضيه (٨)

---

١) آية : ١٦٠ .
٢) الكشاف م١ ، ص ٤٧٥ .
٣) الفخر الرازى جـ٤ ، ص ٧٠ .
٤) البيضاوى جـ٢ ، ص ٥١ .
٥) فتح القدير م١ ، ص ٣٩٤ .
٦) روح المعانى جـ٤ ، ص ١٠٨ .
٧) المنار م ٤ ، ص ٧٠ .
٨) الكشاف ، م ١ ، ص ٤٧٥ .

انتهى كلامه ، وأخذ الاختصاص من تقديم الجار والمجرور وذلك على طريقته ، بأن تقديم المفعول يوجب الحصر والاختصاص) (١) .

سر القصر :

كان من سبب هزيمة المسلمين فى غزوة أحدعدم توكل بعضهم على الله حق التوكل فعندما أُشيع أن محمدا صلى الله عليه وسلم قد قُتِل ، دَبَّ الرعب فى الصفوف وضعفت روحهم المعنوية : فجاءت الآيات لتعطيهم درسا فى العقيدة ، تُنْسِيهم تلك الهزيمة الظاهرة ، فبين لهم الله أن النصر بيده وأن الخذلان بيده وأنه يجب عليهم ألا يتوكلوا فى أى أمر من أمورهم الا على الله وحده دون غيره ، فجِئ بإسلوب القصر ليؤكد لهم هذه الحقيقة ، وينبههم الى حقيقة التوكل ، حيث نُزِّل بعض المؤمنين منزلة من يتوكل على غير الله أو من يتوكل على الله وعلى غيره - كالقوة مثلا أو الكثرة فى العدد - والا فالمؤمنون جميعا لا يتوكلون الا على الله - وانما نُزِّلوا هذه المنزلة لما كان من بعضهم من التخاذل حين أشيع أن النبى صلى الله عليه وسلم قد قُتِل .

وفى اظهار هذه الحقيقة على هذا الوجه : ترغيب فى طاعة الله وتحذير من معصيته بالتوكل على غيره .

---

١) البحر المحيط ، جـ٣ ، ص ١٠٠ .

ذكر الامام الفخر (يعنى لما ثبت أن الأمر كله بيد الله ، وأنه لا راد لقضائه ، ولا دافع لحكمه ، وجب أن لا يتوكل المؤمن الا عليه ، وقوله (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) يفيد الحصر ، أى على الله فليتوكل المؤمنون لا على غيره) (١) .

(فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (٢) .

القصر فى الآية عن طريق تقديم المضمر ، الذى ولى حرف النفى : وهو يفيد التخصيص قطعا عند الشيخ عبد القاهر وقد يفيده عند السكاكى بشرط تقدير التأخير فى الأصل .

المقصور : الحزن المنفى .

المقصور عليه : هم .

قصر صفه على موصوف قصر قلب .

سر القصر :

أوهم المنافقون بعض المسلمين بأن سبب فقدان أحبابهم وأرواحهم هو الجهاد ، وأنهم الآن فى حزن وكرب عظيم ، وحاولوا تأكيد هذه الفكرة بقولهم

---

١) الفخر الرازى ، جـ ٤ ، ص ٧٠ .

٢) آية : ١٧٠ .

(لو أطاعونا ما قتلوا) ،كل ذلك لتثبيط همم المسلمين عن القتال ، فجاء الرد عليهم ببيان النعيم المقيم الذى فاز به المجاهدون ، وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون ولتأكيد ما هم فيه من النعيم ،نَفَى الحزن عنهم وأثبته لغيرهم من المنافقين والمتقاعسين عن القتال ، (المراد بيان دوام انتفاء الخوف والحزن ،لا بيان انتفاء دوامهما ،كما يوهمهم كون الخبر فى الجملة الثانية مضارعا ،فان النفى وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام) (١) .

وفى ايضاح حقيقة الشهداء بنفى الحزن عنهم ترغيب للمؤمنين فى القتال ، والجد فى طلب منازلهم . كما أن فيه تعريضا بالمتقاعسين عن القتال .

— (مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ) (٢) .

القصر فى الآية عن طريق تقديم المسند على المسند اليه .

المقصور : الأجر العظيم .

المقصور عليه : كونه لكم .

قصر موصوف على صفه قصر افراد .

---

١) تفسير أبى السعود ،جـ ٢ ،ص ١١٢ .

٢) آية ١٧٩ .

سر القصر :

هذه الآية ختام لأحداث غزوة أحد وهى تبين أن الهزيمة التى وقعت بالمسلمين كانت لحكمة الهية ، وهى تمييز الخبيث من الطيب وأن هذا من علم الغيب ،كما بينت الآيات السابقة مصير العنصر الخبيث ، وكانت تلك الآيات تُخْتَم بقوله تعالى: (ولهم عذاب عظيم - ولهم عذاب أليم - ولهم عذاب مهين) .

أما الآيات التى تخص المسلمين ، فقد خُتِمَتْ بقوله تعالى : (فلكم أجر عظيم) ،أى المختص بكم دون غيركم فقُصِر الأجر العظيم عليهم ، ونُفى عن غيرهم من المنخسرين عن القتال ، لتوجيههم وترغيبهم فى الاستمرار فى طاعة الله ورسوله .

وفيها تعريض بالمنافقين والمتقاعسين عن القتال .

(وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (١) وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) (٢) .

القصر فى الآية عن طريق تقديم المسند على المسند اليه .

المقصور : الميراث .

المقصور عليه : كونه لله .

قصر موصوف على صفه قصر افراد .

سر القصر :

ورد فى الآية أن هناك قوما ، قد آتاهم الله الفضل العظيم فأصابهم الغرور ونسوا أن المال فى الأصل مال الله سبحانه وتعالى فبخلوا به ، ومنعوا زكاته . فجاء أسلوب القصر ، فَقَصَر جميع ما فى السموات والأرض على كونه لله وحده دونهم ، وفى هذا عظيم توبيخ وتهديد وتقريع لمن تحدثه

١) قال البخارى : حدثنى عبد الله بن منير ، سمع أبو النضر حدثنا عبد الرحمن هو ابن عبد الله بن دينار عن أبيه ، عن أبى صالح ، عن أبى هريره ، قال قال: رسول اله صلى الله عليه وسلم (من آتاه الله مالا ، فلم يؤدِ زكاته مُثِّل له ماله شجاعا أقرع ، له زبيبتان يطوقه يوم القيامه ، يأخذ بلهزميته ـ يعنى بشدقيه يقول : أنا مالك ، أنا كنزك ، ثم تلا هذه الآية : ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله) الى آخر الآية . / البخارى ، كتاب التفسير م٢ ج ٦ ص ٤٩ .

٢) آيـة : ١٨٠ .

نفسه بمنع الزكاة . (أى وله مافيهما مما يتوارثه أهلهما من مال وغيره فما لهم يبخلون عليه بملكه ، ولا ينفقونه فى سبيله ونحوه . قوله (وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) ، وقرأ بما تعملون بالتاء والياء ، فالتاء على طريقة الالتفات وهى أبلغ فى الوعيد والياء على الظاهر) (١) .

(لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَّيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (٢) .

القصر فى الآية عن طريق تقديم المسند على المسند اليه .

المقصور : ملك السموات والأرض .

المقصور عليه : كونه لله .

قصر موصوف على صفه قصراً حقيقياً تحقيقياً .

سر القصر :

حاول اليهود خداع الرسول صلى الله عليه وسلم ، حين سألهم عن

---

(١) الكشاف ، م١ ، ص ٤٨٤ .

(٢) آية : ١٨٨ / ١٨٩ .

(٣) ورد فى روايه للبخارى باسناده ـ عن ابن عباس قال : انما دعا النبى صلى الله عليه وسلم يهود ، فسألهم عن شئ فكتموه اياه وأخبروه بغيره ، فأروه أن قد استحمدوا اليه ، بما أخبروه عنه فيما سألهم ، وفرحوا بما أوتوا من كتمانهم . ثم قرأ ابن عباس : واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب ، كذلك حتى قوله : يفرحون بما أوتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا . / البخارى . كتاب التفسير م٢ ، ج٦ ، ص ٥١ .

شيء فكتموه عنه وأخبروه بغيره ، فتوعدهم الله بالعذاب لهذه الفعلة وتأكيدا لوقوع العذاب بهم ، وتحقيرا لأمرهم أمام من له ملك السموات والأرض .

جاءت الآية بأسلوب القصر وقدم الجار والمجرور (لله) على المبتدأ (ملك السموات والأرض) لتقرير ما قبله من وقوع العذاب أى (لله) خاصة (ملك السموات والأرض) ، أى السلطان القاهر فيهما ، بحيث يتصرف فيهما كيفما شاء ، ويريد ايجادا واعداما ، احياء واماته ، تعذيبا وإثابه من غير أن يكون لغيره شائبه دخل فى شيء من ذلك بوجه من الوجوه . فالجملة - مقررة لما قبلها ، وقوله تعالى : (الله على كل شيء قدير) تقرير لاختصاص ملك العالم الجثمانى المعبر عنه بقطريه سبحانه وتعالى ، فان كونه تعالى قادرا على الكل بحيث لا يشذ عن ملكوته شيء من الأشياء يستدعى كون ما سواه كائنا ماكان مقدورا له ، ومن ضرورته اختصاص القدره به تعالى ، واستحالة أن يشاركه شيء من الأشياء فى القدره على شيء من الأشياء . فضلا عن المشاركه فى ملك السموات والأرض ، وفيه تقرير لما مر من ثبوت العذاب الأليم لهم ، وعدم نجاتهم منه أثر تقرير ، واظهار الاسم الجليل فى موقع الاضطار ، لتربية المهابه والاشعار بمناط الحكم ، فإن شمول القدره لجميع الأشياء من أحكام الألوهية ، مع ما فيه من الاشعار باستقلال كل من الجملتين بالتقرير) (١) .

---

١) تفسير أبى السعود ، جـ ٢ ، ص ١٢٧ .

(وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ (١) عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) (٢) .

جاء القصر هنا عن طريق تقديم المسند على المسند اليه .

المقصور : الأجر .

المقصور عليه : كونه لهم .

قصر موصوف على صفه قصر افراد .

سر القصر :

آمن فريق من أهل الكتاب بما أُنْزِل اليهم على لسان رسلهم كما آمنوا بدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فهؤلاء لصدق ايمانهم أشارت الآية اليهم باسم الاشاره (أولئك) ، للرفع من شأنهم وتعظيمهم ثم جاء الوعد لهم بالأجر عن طريق القصر : فَقُدِّم الجار والمجرور (لهم) على الخبر (أجرهم) .

---

١) وفى الكلام أوجه من الاعراب فقد قالوا : ان (أولئك : مبتدأ ، والظرف : خبره وأجرهم : مرتفع بالظرف ، أو الظرف : خبر مقدم . (وأجرهم) : مبتدأ مؤخر والجملة خبر المبتدأ . / روح المعانى ، جـ ٤ ، ص ١٧٤ .

٢) آية : ١٩٩ .

أى لهم أجرهم المختص بهم ،الموعود لهم بقوله تعالى : (يؤتكم كفلين من رحمته) (١) وقوله تعالى : (أولئك يؤتون أجرهم مرتين (٢)) (٣) . فأجرهم مختص بهم وهم منفردون به دون غيرهم من أهل الكتاب الذين كفروا بدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم ،فـ (تقديم الخبر يفيد اختصاص ذلك الأجر بهم) (٤)

---

١) الحديد ،من الآية : ٢٨ .

٢) القصص من الآية : ٥٤ .

٣) تفسير أبى السعود جـ٢ ،ص١٣٦ .

٤) فتح القدير :م١ ،ص٤١٤ .

"النســـــاء"

– (لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ (١) مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى...) (٢)

القصر فى الآيـة عن طـريق تقديم المفعول به على عامله .

المقصور : وعد اللـه .

المقصور عليه : كـلا .

قصـر صـفه على موصـوف قصـرا حقيقيا تحقيقيا أو قصـر قلب لمن قد يظـن أنـه لا أجـر لهم .

سـر القصـر :

أذن الرسـول صـلى الله عليه وسـلم لبعض المؤمنين فى القعـود عن الخـروج الـى غزوة بدر اكتفاءً بغيرهـم وكـذلك أذن لأصـحاب العاهات بعـدم الخروج ولمـا كان قعودهـم عن استئذان ، وليس عن تقاعـس ونفاق فطمئنهم المـولى

---

١) وهم الذين أذن لهم الرسول صلى الله عليه وسلم فى القعود عن الجهاد اكتفاءً بغيرهم . روى البخارى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما :هم القاعدون عن بدر . قال : أن مقسم مولى عبد الله بن الحارث أخبره : أن ابن عباس رضى اللـه عنهما أخبره : لا يستوى القاعدون من المؤمنين عن بدر والخارجون الى بدر / البخارى ،كتاب التفسير م ٢ ،جـ٦ ،ص٦٠ .

٢) آيـة : ٩٥ .

عز وجل بوصول الثواب اليهم ، فقدم المفعول الأول على الفعل الأول لتأكيد الوعد .

ذكر الامام الالوسى (مفعول أول لما يعقبه ، قدم عليه لافادة القصر تأكيدا للوعد . وتنوينه عوض عن المضاف اليه . أى كل واحد من الفريقين المجاهدين والقاعدين) (١) .

(وَلِلَّهِ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا وَلِلَّهِ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلا) (٢) .

فى الآيتين الكريمتين ثلاثة أساليب للقصر وجميعها عن طريق تقديم الجار والمجرور على المبتدأ

والمقصور فيها جميعا : ما فى السموات والأرض .

والمقصور عليه : كونه لله .

قصر موصوف على صفه قصرا حقيقيا تحقيقيا .

---

١) روح المعانى ، جـ٥ ، ص ١٢٢ .

٢) آية : ١٣١ - ١٣٢ .

سر القصر :

بعد أن ذكر الله سبحانه وتعالى بعض الأحكام والأمور التي يحتاج تطبيقها الى التقوى والمخافة من الله ، جاء بأسلوب القصر لتنبيههم وتذكيرهم بسلطانه وقدرته لِيوَطِّنوا نفوسهم على مخافته ومهابته ولقد ذكر الامام الزمخشري : أن تكرير قوله لله ما في السموات وما في الأرض ، (تقرير لما هو موجب تقواه ليتقوه فيطيعوه ولا يعصوه لأن الخشية والتقوى أصل الخير كله) (١) .

ولقد ذكر الامام الفخر بعض الدقائق في تكرير قوله تعالى : (ولله ما في السموات والأرض) .

أوضحها ثلاثة أمور : أنه تعالى لما قال : (وان يتفرقا يغني الله كلا من سعته) فالمراد منه كونه تعالى جوادا متفضلا ، ذكر عقيبة قوله (وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ) .

والغرض من ذلك تقرير كونه واسع الجود والكرم .

وثانيها : أنه لما قال : وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الأرض)والمراد منه أنه تعالى مُنَزَّه عن طاعات المطيعين وعن ذنوب المذنبين فلا يزداد جلاله بالطاعات ولا ينقص بالمعاصي والسيئات . ذكر عقيبة قوله : (فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ) . لتقرير كونه غنيا لذاته عن الكل .

---

(١) الكشاف ، م ١ ، ص ٥٧٠ .

وثالثها : قال : (وَلِلَّهِ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلا إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ ويأتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا) ، لبيان أنه تعالى قادر على الافناء والايجاد ، فان عصيتموه فهو قادر على اعدامكم وافنائكم بالكليه ، وعلى أن يوجد قوما آخرين يشتغلون بعبوديته وتعظيمه ، فالغرض فى هذا المقام تقدير كونه سبحانه الواحد دليلا على مدلولات كثيره ، فانه يحسن ذكر ذلك الدليل ليستدل به على أحد تلك المدلولات ، ثم يذكره مرة أخرى ليستدل به على الثانى ، ثم يذكره ثالثا ليستدل به على المدلول الثالث ، وهذه الاعاده أحسن وأولى من الاكتفاء بذكر الدليل مرة واحده ، لأنه عند اعادة ذكر الدليل يخطر فى الذهن ما يوجب العلم بالمدلول فكان العلم الحاصل بذلك المدلول أقوى وأجلى فظهر أن هذا التكرير فى غاية الحسن والكمال . وفى اعادة هذه الآية ثلاثة مرات مع التفريع عليها كل مرة اثبات صفه أخرى من صفات جلال الله وتنبيه للذهن حينئذ يكون تخليق السموات والأرض دالا على اسرار شريفة ومطالب جليله فعند ذلك يجتهد الانسان فى التفكر فيهما والاستدلال بأحوالها وصفاتها على صفات الخالق سبحانه وتعالى ، ولما كان الغرض الكلى من هذا الكتاب الكريم صرف العقول والافهام عن الاشتغال بغير الله الى الاستغراق فى معرفة الله وكان هذا التكرير مما يفيد حصول هذا المطلوب ويؤكده لا جرم كان فى غاية الحسن والكمال (١) .

---

١) الفخر الرازى ، م٦ ، جـ١١ ، ص٧١ .

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا) (١)

المقصور : ما فى السموات وما فى الأرض .

المقصور عليه : كونه لله .

قصر موصوف على صفه قصرا حقيقيا تحقيقيا .

سر القصر :

لقد قوبلت دعوة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بالانكار من اليهود ومن النصارى ، فحاولوا تشكيك المؤمنين فى رسالة محمد صلى الله عليه وسلم قولا وعملا ، فجاءت الآية الكريمه تخاطب الناس عامة ، وتثبت لهم أن ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم هو الحق من المولى عز وجل ، وأمرهم بالايمان به ، فان كفروا فالوعيد لهم . وجاء هذا التهديد والتحذير بتقرير وتأكيد أن كل ما فى السموات والأرض من مخلوقات الله وأن الناس من جملة تلك المخلوقات فمن كان خالقا كان بلا شك قادرا على المجازاة وفى تأكيد هذا الأمر ما يوجب عليهم القبول والاذعان .

---

(١) آية : ١٧٠ .

- (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا .) (١) .

المقصور : ما فى السموات والأرض .

المقصور عليه : كونه له .

قصر موصوف على صفه قصرا اضافيا قصر افراد .

سر القصر :

لما ذكر الله سبحانه وتعالى انكار النصارى تَفَرُّدَه بالالوهية ، واشراكهم لعيسى عليه السلام فى الالوهية ، رد عليهم قولهم الباطل بأربعة أساليب للقصر .

الأول : عن طريق النفى والاستثناء - وقد سبقت الاشاره اليه فى موضعه - وهو قوله : (وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ) وفى هذا توبيخ لهم

والثانى : فى قوله تعالى : (إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ) .

والثالث فى قوله تعالى : (إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ) .

---

(١) آية : ١٧١ .

وقد سبقت الاشاره اليهما فى فصل (انما).

والرابع - وهذا موضعه - عن طريق تقديم الجار والمجرور " له " على المبتدأ (مَا فِى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ) .

فبعد أن نَزَّهَ الحق سبحانه وتعالى نفسه بقوله (سبحانه أن يكون له ولد) ، ختم الآية بتعليل ذلك التنزيه وتأكيده بقصر ملكية الكون على الله للتنبيه الى غناه عن أن يكون له ولد ، وأن من كان له السلطان القاهر على جميع الكائنات خلقا وملكا وتصرفا ، فلا ينبغى أن يكون له ولد ، لأنه داخل تحت ملكه ، ومما يلفت الانتباه أنه (.. فى كل موضع نَزَّه نفسه عن الولد ، ذكر كونه ملكا ومالكا لما فى السموات وما فى الأرض . فقال فى مريم (ان كل من فى السموات والأرض الا آتى الرحمن عبدا) .

والمعنى من كان ملكا لكل السموات والأرض ولكل ما فيهما ، كان ملكا لعيسى ومريم لأنهما كانا فى السموات وفى الأرض ، وماكانا أعظم من غيرهما فى الذات والصفات ، واذا كان ملكا لما هو أعظم منهما فبأن يكون مالكا لهما أولى ، واذا كانا مملوكين له ، فكيف يعقل مع هذا توهم كونهما له ولدا وزوجة) (١)

---

١) الفخر الرازى - م ٦ ، جـ ١١ ، ص ١١٩ .

"المائده"

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ (١) وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) (٢) .

المقصور : التوكل .

المقصور عليه : الله .

قصر صفه على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا .

سر القصر :

ذكّر الله سبحانه وتعالى المؤمنين ببعض ما مر بهم من الأمن وتخليصه لهم ، وهذه المنّه من الله موجبة لتقواه وشكره ، والتوكل عليه وحده دون غيره وجاء بيان هذا التوكل عن طريق القصر ليؤكد لهم وجوب التوكل على الله سبحانه وتعالى . جاء في تفسير

---

١) ذكر محمد بن اسحق بن يسار ومجاهد وعكرمه وغير واحد : أنها نزلت في شأن بني النضير ، حين ارادوا أن يلقوا على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحى ، لما جاءهم يستعينهم في دّية العامرين ، ووكلوا عمرو بن جحاش بن كعب بذلك . وأمروه أن جلس النبي صلى الله عليه وسلم تحت الجدار ، واجتمعوا عنده أن يلقى تلك الرحى من فوقه ، فأطلع الله النبي صلى الله عليه وسلم على ما تمالئوا عليه ، فرجع الى المدينة وتبعه أصحابه فأنزل الله في ذلك هذه الآية / ابن كثير م٢ ، ص ٥٢٣ .

٢) آية : ١١ .

الامام أبى السعود : (" وعلى الله " أى عليه تعالى خاصة دون غيره استقلالا واشتراكا " فليتوكل المؤمنون " فإنه يكفيهم فى ايصال كل خير ، ودفع كل شر ، والجملة تذييل مقرر لما قبله ، وايثار صيغة أمر الغائب واسنادها الى المؤمنين ، لإيجاب التوكل على المخاطبين بالطريق البرهانى ، وللايذان بأن ما وصفوا به من التوكل والتقوى وازع عن الاجلال بهما ، واظهار الاسم الجليل فى موضع الاضمار ، لتعليل الحكم وتقوية استقلال الجملة التذييليه) (١) .

---

١) تفسير أبى السعود ، م٢ ، جـ ٣ ، ص ١٣ / ١٤ .

(لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ بْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ بْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (١) .

سبق الحديث عن مثل هذا القصر .(النساء آية (١٧١) ص٤٢٦ .

(قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) (٢)

القصر في الآية عن طريق تقديم الجار والمجرور على عامله .

المقصور : التوكل .

المقصور عليه : الله .

قصر صفه على موصوف قصر قلب .

سر القصر : ...

لما تباطأ بنو اسرائيل عن الدخول الى بيت المقدس خوفاً، واعتمدوا على الأسباب : من اخراج القوم من البيت المقدس ، حيث قالوا (إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ) .

١) آية : ١٧ .

٢) آية : ٢٣ .

جاء القصر فى الآية لقلب اعتقادهم ،أى (وعلى الله) تعالى خاصة " فتوكلوا " بعد ترتيب الأسباب ،ولا تعتمدوا عليها ،فانها بمعزل من التأثير وانما التأثير من عند الله العزيز القدير) (١) .

— (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ) (٢)

المقصور : العذاب المقيم .

المقصور عليه : كونه لهم .

قصر موصوف على صفة قصر افراد .

سر القصر :

جاءت الآية الكريمه لتهديد الكفار وتخويفهم ،والمبالغة فى اذلالهم بتأكيد اقامتهم فى النار ،فقال تعالى : (وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا) ،بدلا من : وما يخرجون ،للمبالغة (٣) .

(فان : ماهم بخارجين ،فيه تكرر نفى نسبة الخروج اليهم ،وتأكيد النفى بالباء ،كما قالوا : زيد يضرب ،أبلغ من : يضرب زيد ،لأن فيه تقوى النسبه) (٤) .

---

١) تفسير أبى السعود ،م ٢ جـ٣ ،ص ٢٤ .

٢) آية : ٣٦ / ٣٧ .

٣) البيضاوى ،جـ٢ ،ص ١٤٨ .

٤) البيضاوى ،حاشية الكازرونى جـ٢ ،ص ١٤٨ .

وللإمعان فى اذلالهم وتقرير اقامتهم فى النار ،قُصِر العذاب المقيم على كونه لهم خاصة دون العصاة من المسلمين ،فان الله مخرجهم من النار باذنه ولقد ذكر الإمام الفخر سر القصر ،فقال : (احتج أصحابنا بهذه الآية على أنه تعالى يخرج من النار من قال : (لا اله الا الله) على سبيل الاخلاص . قالوا لأنه تعالى جعل هذا المعنى من تهديدات الكفار وأنواع ما خوفهم به من الوعيد الشديد . ولولا أن هذا المعنى مختص بالكفار والا لم يكن لتخصيص الكفار به معنى . والله أعلم .

ومما يؤيد هذا الذى قلناه قوله : (وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ) .

وهذا يفيد الحصر ،فكان المعنى : ولهم عذاب مقيم لا لغيرهم كما أن قوله (لكم دينكم) ،أى لكم لا لغيركم ،فكذا ههنا) .(1)

---

١) الفخر الرازى م٦ ،ج ١١ ،ص ٢٢٨ .

(أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (١) .

القصر فى الآية جاء عن طريق تقديم المسند على المسند اليه .

المقصور : ملك السموات والأرض .

المقصور عليه : كونه لله .

قصر موصوف على صفه قصراً حقيقياً تحقيقياً .

سر القصر :

ذكر الله سبحانه وتعالى جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ، ويسعون فى الأرض فسادا ، وجزاء السارق والسارقه ، وهى أحكام قد تثير الشكوك فى نفوس الكثيرين ، فيرون أَنَّ فى هذه الأحكام جُورًا وظُلْمًا فى حق الانسان فدحضا لهذه الشبهات ، وقلبا لهذا الاعتقاد وتهديدا لمن تسول له نفسه بارتكاب هذه المحرمات جئ باسلوب القصر للتنبيه بأن الله هو المالك المتصرف فى كل ما فى السموات والأرض ، فمن كان كذلك وجب أن يكون له التقرير والحكم دون غيره .

ذكر الإمام أبو حيان : (لما ذكر تعالى تصرفه فى أحكام المحاربين وأحكام السُرَّاق ، ولم يحاب ما ذكر من العقوبات عليهم ، نبه على أن ذلك هو تصرف فى ملكه ، وملكه لا معقب لحكمه ، فيعذب من يشاء عذابه وهم المخالفون لأمره ويغفر لمن يشاء ، وهم التائبون .) (٢)

---

(١) آية : ٤٠ .

(٢) البحر المحيط ، جـ٣ ، ص ٤٨٤ / ٤٨٥ .

- (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِيمَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) (١).

القصر في الآية عن طريق تقديم المسند على المسند اليه .

المقصور : المرجع .

المقصور عليه : كونه الى الله .

قصر موصوف على صفه قصر قلب .

وذلك بانزالهم منزلة من ينكر كون المرجع الى الله وذلك أشد في الوعيد .

سر القصر :

تحدثت الآيات السابقة عن من يحكم بغير ما أنزل الله ،ثم توجه الخطاب الى النبي صلى الله عليه وسلم وأمره بأن يحكم بين الناس بكتاب الله ثم بين الحكمة في اختلاف الأديان والشرائع وهي الابتلاء والاختبار ،ثم جاء الأمر بالحث على استباق الخيرات .

وهذا الأمر يحتاج الى نوع من الترغيب بالاستزاده من الخير والترهيب من التباطؤ فيه . فجيء باسلوب القصر للترغيب والترهيب فقصر المرجع على كونه الى الله لترغيب الناس في العمل واستباق الخيرات وترهيبهم من مخالفة المنهج ،والشريعة . ذكر الامام البيضاوي : (استئناف فيه تقليل الأمر والاستباق ووعد ووعيد للمبادرين والمقصرين) (٢) .

١) بعض الآية : ٤٨ .

٢) البيضاوي ،جـ٢ ،ص ١٥٣ .

(أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعاً لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُماً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) (١)

القصر فى الآية عن طريق تقديم الجار والمجرور على عامله .

المقصور : الحشر .

المقصور عليه : الله .

قصر صفه على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا ،أو هو قصر قلب . وذلك بانزال المخاطبين منزلة من ينكر كون الحشر الى الله ،وذلك أبلغ فى التحذير .

سر القصر :

لما كانت الآية الكريمه تتحدث عن تحليل بعض الأمور وتحريم بعضها . كان لابد من ترغيب الناس فى الطاعة ،وتحذيرهم من المعصية . فجىء باسلوب القصر ،وقصر الحشر على كونه لله وحده دون غيره ؛ للتشديد والمبالغة فى التحذير . ذكر الامام أبو حيان : أن (هذا فيه تنبيه وتهديد جاء عقيب تحليل وتحريم ،وذكر الحشر ،اذ فيه يظهر من أطاع وعصى) (٢) .

(أى اتقوا الله فيما نهاكم عنه الذى اليه تحشرون لا الى غيره ؛وفيه تشديد ومبالغة فى التحذير) (٣) .

(ليكون المرء مواظبا على الطاعة محترزا عن المعصية (٤)

١) آية : ٩٦ .
٢) البحر المحيط ،جـ٤ ،ص ٢٤ .
٣) الفخر الرازى ،م ٦ ،جـ١٢ ،ص ١٠٥ .
٤) فتح القدير ،م ٢ ،ص ٧٩ .

ـــ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) (١) .

جاء القصر فى الآية الكريمة عن طريق تقديم المسند على المسند اليه

المقصور : المرجع .

المقصور عليه : كونه الى الله .

قصر موصوف على صفه قصرا حقيقيا تحقيقيا أو هو قصر قلب .

سر القصر :

ذكر الله سبحانه وتعالى فى الآيات السابقة موقف الضالين من كتاب الله ثم تلاها بحث المؤمنين على الاستمساك بايمانهم ، وأن لا يهتموا بمن ضل فلكلٍّ جزاؤه . ولترغيبهم فى التمسك بالإيمان ، وترهيبهم من الضلال . جيء باسلوب القصر ، فقصر المرجع على كونه لله ، لا الى أحد سواه وفى هذا (وعد ووعيد للفريقين ، وتنبيه على أن أحدا لا يؤخذ بذنب غيره)(٢) ويجوز أن تكون القصر قصر قلب. فليكون التنبيه أشد ، والوعيد أعظم ، نزّلهم منزلة من يعتقد أن المرجع الى غيره . ثم جيء باسلوب القصر لقلب هذا الاعتقاد .

---

١) آية : ١٠٥ .

٢) البيضاوى : جـ٢ ، ص ١٧٢ .

(لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِير) (١) .

القصر فى الآية عن طريق تقديم المسند على المسند اليه .

المقصور : ملك السموات والأرض.

المقصور عليه : كونه لله .

قصر موصوف على صفه قصر افراد .

سر القصر :

ذكر الامام الفخر تحقيقا جميلا فى بيان سر ختام هذه السورة بهذه الآية المشتملة على القصر . فذكر أن السر فى ذلك (أن السورة اشتملت على أنواع كثيرة من العلوم . فمنها : بيان الشرائع والأحكام والتكاليف ، ومنها : المناظرة مع اليهود فى انكارهم شريعة محمد عليه الصلاة والسلام ومنها المناظرة مع النصارى فى قولهم بالتثليث ، فختم السورة بهذه النكته الوافية باثبات كل هذه المطالب . فانه قال : (لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ) ومعناه أن كل ما سوى الحق سبحانه فانه ممكن لذاته ، موجود بايجاده تعالى : واذا كان الأمر كذلك ، كان مالكا لجميع الممكنات والكائنات موجدا لجميع الأرواح والأجساد . واذا ثبت هذا لزم فيه ثبوت كل المطالب المذكوره فى هذه السوره . وأما حسن التكليف كيف شاء وأراد ، فذاك ثابت ؛ لأنه سبحانه لما كان مالكا للكل ، كان له أن يتصرف فى الكل بالأمر والنهى والثواب والعقاب كيف شاء أو أراد . فصح

---

(١) آية : ١٢٠ .

القـــــول بالتكليف علـى أى وجـه أراده الحق سـبحانه وتعالى ـ وأمـــا الرد على اليهود ، فلأنـه سـبحانه لما كان مالك الملك ، فلـه بحكم المالكيـة أن ينسـخ شـرع موسـى ، ويضـع شـرع محـمد عليهما الصلاة والسـلام . وأما الرد علـى النصارى فلأن عيسـى ومريـم داخـلان فيما سـوى اللـه ، لأنّا بينـا أن الموحـد اما أن يكـون هو اللـه تعالى ، أوغـيره . وعيسـى ومـريم لا شـك فـى كونهما داخلين فى هـذا القسـم . فاذا دللنا على أن كل ما سـوى اللـه تعـالى ممكـن لذاتـه ، موجـود بايجـاد اللـه ، كان بتكـوين اللـه كـــان عيسـى ومـريم عليهما السـلام كذلك ولا معنى للعبودية الا ذلك ، فثبت كونهمـا عبدين مخلوقين ، فظـهر بالتقـرير الـذى ذكـرناه ، أن هـذه الآيـة التـى جعلهـا اللـه خاتمة لهذه السـورة برهان قاطـع فى صحة جميع العـلوم التى اشـتملت هذه السـورة عليهـا . واللـه أعلم بأسـرار كلامـه). (١) .

---

(١) الفخر الرازى ، م ٦ ، جـ ١٢ ، ص ١٤٧ - ١٤٨

"الأنعـــــام"

(وَلَـهُ مَا سَكَنَ فِى اللَّيْلِ والنَّهَـارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (١)

القصـر فى الآيـة عن طـريق تقديم المسند على المسند اليه ـ

المقصـور : ماسكن فى الليل والنهار .

المقصور عليه : كـونه لـه (أى للـه) .

قصـر موصـوف علـى صـفه قصـر افـراد . أى ما سـكن فى الليـل والنهار لـه وحـده لا لألهتكـم أو هـو قصـر حقيقى تحقيقى أى لـه وحده دون غـيره .

سـر القصـر :

بدأت السـورة الكـريمة بمواجهة المشـركين الذين اتخذوا مع اللـه الها آخـر ،وأنكروا وحدانيتـه ،بينما دلائل تلك الوحدانية منصوبة أمامهـم محيطـه بهم . فأول دليـل واجهتهم بـه اثبات خـلق السـموات والأرض للـه ثـم اثبات أن اللـه خالقهم (هـو الذى خلقكم من طـين ثم قضـى أجلا وأجـل مسـمى عـنده ثم أنتم تمـتـرون) (٢) .

وبعـد هـذا الاثبات جىء باسـلوب القصـر للرد علـى مفترياتهم باثـبات ملكية الكون ظـاهره وباطـنه للمولى عز وجـل ،فهذه الأشـياء لـه لا لغيره وهذا هـو الحق لأن كـل موجـود فهـو إما واجب لذاتـه ،واما ممكن لذاتـه . فالواجب لذاتـه ليس الا الواحـد ومـا سـوى ذلـك الواحـد ممكـن

---

١) آيـة : ١٣ .

٢) آيـة : ٢

والممكن لا يوجد الا بايجاد الواجب لذاته ؛ وكل ما حصل بإيجاده وتكوينه كان ملكا لـه ، فثبت أن ما سوى ذلك الموجود الواجب فهو ملكه ومالكه فلهذا السبب قال : (وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) (١) .

(وخص الساكن بالذكر ، لأن ما يتصف بالسكون أكثر مما يتصف بالحركة وقيل المعنى ما سكن فيهما ، أو تحرك ، فاكتفى بأحد الضدين عن الآخر وهذا من جملة الاحتجاج على الكفرة) (٢) .

(إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ) (٣)

فى الآية اسلوبا قصر . الأول عن طريق إنما ، وقد سبق الحديث عنه فى فصله . والثانى عن طريق تقديم الجار والمجرور على عامله .

فالمقصور : رجوعهم .

المقصور عليه : الله .

قصر صفه على موصوف قصرا حقيقا تحقيقيا .

سر القصر :

حين واجه المشركون الرسول صلى الله عليه وسلم بالانكار الشديد حزن حزنا شديدا ، وكان يرغب فى هدايتهم ؛ فجاءت هذه الآية لتذكير الرسول الكريم ، بأن أمرهم بيد الله العالم بخبايا نفوسهم ،

---

١) الفخر ، م٦ ، ج١٢ ، ص ١٧٧ .

٢) فتح القدير ، م٢ ص ١٠٤ .

٣) آية : ٣٦ .

فقَصرُ الرجوع على كونه لله ؛ للتذكير بعدله سبحانه وتعالى وفى هذا تهديد للمكذبين ، وتطمين للرسول صلى الله عليه وسلم ؛ وتسليته واجلاء الحزن عنه ؛ اذا ما عُلم أن الأمر والمرجع بيد الله ، فيجازى كلا بعمله ؛ بحسب علمه الأزلى .

— (وَمَا مِن دَابَّةٍ فِى الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِى الْكِتَابِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ) (١) .

القصر فى الآية عن طريق تقديم الجار والمجرور على عامله .

المقصور : حشرهم .

المقصور عليه : ربهم .

قصر صفه على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا .

سر القصر :

لما بين الله سبحانه وتعالى فى الآيات السابقه أن مرجع الكفار لا يكون الا اليه ، جاء بهذه الآية وقصر أمر الدواب والطير ، وأن رجوعهم ومحشرهم لا يكون الا الى الله وفى ذلك تهويل الخطب وتفظيع الحال فاذا كانت الدواب تحشر الى الله وتُجازىٰ ، فهذا تأكيد لمجازاة الكافرين على أعمالهم لأنهم مكلفون ، وفى هذا شدة تهديد ووعيد لهم وأنهم لا محالة محشورون ومجازون .

---

١) آية : ٣٨ .

— (وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ) (١) .

القصر فى الآية عن طريق تقديم الضمير على الخبر المنفى ، وقد سبق أن أشرت الى أن تقديم الضمير على الخبر المنفى ، يفيد الاختصاص قطعا عند الشيخ عبد القاهر ، ولا يفيده عند السكاكى الا بشرط تقدير التأخير فى الأصل .

المقصور فى الآية : الحزن المنفى .

المقصور عليه : هم .

قصر صفه على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا ، أو هو قصر اضافى قصر افراد ، أى ولا هم يحزنون ، انما يحزن غيرهم ممن كفر وعصى .

سر القصر :

لما حكى الله سبحانه وتعالى عن الكفار أنهم قالوا : (لولا أُنْزِل عليه آية من ربه) (٢) وذكر فى جوابهم ما تقدم من الوجوه الكثيرة . ذكر هذه الآية لبيان مهمة الرسل من أنهم بُعثوا مبشرين ومنذرين ولا قدرة لهم على انزال المعجزات ، بل ذاك مفوض الى مشيئة الله وقدرته وحكمته . فقال تعالى : (وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ) أى مبشرين بالثواب على الطاعات ، ومنذرين بالعقاب على المعاصى (٣) .

---

١) آية : ٤٨ .

٢) آية : ٨ .

٣) الفخر الرازى ، م٦ ، جـ١٢ ، ص ٢٤١ .

ولترغيب الخلق في الطاعات ، جيء بأسلوب القصر لتبشير من قَبِلَ قولهم وصدّقه بالعمل . حيث نُفِي الحزن عنهم ، أي لا خوف عليهم من العذاب الذي أنذروه دنيويا كان أو أخرويا ، ولا هم يحزنون بفوات ما بشروا به من الثواب العاجل والآجل . أي لا يعتريهم ما يوجب ذلك الحزن والخوف ، لا أنه يعتريهم ، لكنهم لا يخافون ولا يحزنون . والمراد بيان دوام انتفائهما ، لا بيان انتفاء دوامهما ، كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانيه مضارعا ، لما تقرر في موضعه من أن النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام . ألا يرى أن الجملة الاسميه تدل بمعونة المقام على استمرار الثبوت ، فاذا دخل عليها حرف النفي دلت على استمرار الانتفاء لا على انتفاء الاستمرار ، كذلك المضارع الخالي عن حرف النفي يفيد استمرار الثبوت فاذا دخل عليه حرف النفي ، يفيد استمرار الانتفاء ، لا انتفاء الاستمرار ، ولا بُعْدَ في ذلك ، فان قولك : ما زيدا ضربت ، مفيد لاختصاص النفي ، لا نفي الاختصاص . (١) .

---

(١) انظر تفسير أبي السعود ، م ٢ ، جـ٣ ، ص ١٣٥ / ١٣٦ .

روح المعاني ، جـ٧ ، ص ١٥٤ .

(وَهُوَ الَّذِى يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) (١) .

القصر فى الآية عن طريق تقديم المسند على المسند اليه .

ولقد ذكر الامام أبو السعود (٢) ، وتبعه الألوسى (٣) أن فى الآية اختصاصا

أى رجوعكم بعد الموت اليه لا الى غيره أصلا .

المقصور : المرجع .

المقصور عليه : كونه الى الله .

قصر موصوف على صفه قصراً حقيقياً تحقيقياً .

سر القصر :

لما تمادى كفار قريش فى كفرهم ، خوفهم الرسول صلى الله عليه وسلم بانزال العذاب عليهم ، ولكن القوم لاصرارهم على الكفر ، كانوا يستعجلون نزول ذلك العذاب فقالوا : (اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) (٤) .

فانكارهم هذا واصرارهم على الكفر ، يثبت انكارهم ليوم البعث ، واعتقادهم أنه لا حياة الا الحياة الدنيا .

لذا جاءت الآيات الكريمه لتهديدهم ووعيدهم . فبعد أن أكد لهم المولى عز وجل كمال علمه ، فقال تعالى : (وعنده مفاتح الغيب ...) .

---

١) آية : ٦٠ .

٢) تفسير أبى السعود ، م٢ ، جـ٣ ، ص ١٤٤ .

٣) روح المعانى ، جـ٧ ، ص ١٧٤ .

٤) الانفال آية : ٣٢ .

أى من كان لديه كمال العلم ، فهو بلا شك محص لجميع أعمالكم فلا يغيب عنه مثقال ذرة منها ، وزيادة فى تهديدهم ووعيدهم ، أكد كمال قدرته على نقل الذوات من الموت الى الحياة ، ومن النوم الى اليقظة واستقلاله بحفظها فى جميع الأحوال وتدبيرها على أحسن الوجوه فى حالة النوم واليقظة . ثم أكد قدرته على البعث بأسلوب القصر فقال تعالى :
(ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ) وأى من كان قادرا على بعثكم من حال النوم الى اليقظه ، كان لا شك قادرا على احيائكم بعد الموت وفى تأكيد البعث على هذا الوجه بالغ التهديد والوعيد لهم .

(قُلْ أَنَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) (١) .

فى الآية الكريمه ثلاثة أساليب للقصر .

الأول : عن طريق تعريف الطرفين ، وتوسط ضمير الفصل ، وسيأتى الحديث عنه فى موضعه .

والثانى : فى قوله تعالى : (وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ .

وهو عن طريق تعريف الطرفين .

والثالث : فى قوله تعالى (إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) .

---

١) آية : ٧١ — ٧٢

وهو عن طريق تقديم الجار والمجرور على عامله .

المقصور : حشرهم .

المقصور عليه : ضمير الجلاله .

قصر صفه على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا .

سر القصر :

الخطاب فى الآية السابقة للرسول صلى الله عليه وسلم لاطلاعه على حقائق الكافرين ، وأن عليه التبليغ ، والأمر بالصلاة والتقوى . وعند ذكر هذا الأمر جئ باسلوب القصر ، فقُصِرَ حشرهم على الله ، للتنبيه على وجوب الامتثال بما أمر به الله من الاسلام ، والصلاة واتقاء الله وتخويف وتهديد من ترك الامتثال بها ، لأن (ثمرات فعل هذه الأعمال وحسرات تركها ، انما تظهر يوم الحشر والقيامه) (١) .

(وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ) (٢)

يبدو لى أن فى الآية الكريمه ثلاثة أساليب للقصر .

الأول فى قوله تعالى : (وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ) .

وهو قصر عن طريق تعريف الطرفين . وسيأتى الحديث عنه .

١) البحر المحيط ، جـ٤ / ص ١٦٠ .
٢) آيـة : ٧٣ .

والقصر الثانى : وهذا موضعه فى قوله تعالى : (وَلَهُ الْمُلْكُ) وهو عن طريق تقديم المسند على المسند اليه .

المقصور : الملك .

المقصور عليه : كونه له .

قصر موصوف على صفه قصرا حقيقياً تحقيقياً .

والثالث في قوله تعالى : (وهو الحكيم الخبير) وهو عن طريق تعريف الطرفين سيذكر في موضعه – إن شاء الله – .

سر القصر :

المقام هنا مقام تذكير للخلق ، بأن يستسلموا لخالق السموات والأرض ، وأن يمتثلوا لأمره ويجتنبوا نهيه ، لأن مصائرهم بيده .

فجئ بالقصر فى الآية لتذكيرهم بكمال قدرته ، وضعفهم يوم الوقوف بين يديه فالمعنى (أنه لا ملك فى يوم ينفخ فى الصور الا الحق سبحانه وتعالى فالمراد بالكلام الثانى تقرير لحكم الحق المبرأ عن العبث والباطل . والمراد بهذا الكلام تقرير القدره التامه الكامله ، التى لا دافع لها ولا معارض فان قال قائل : قول الله حق فى كل وقت وقدرته كاملة فى كل وقت ، فما الفائدة فى تخصيص هذا اليوم بهذين الوصفين ؟

قلنا لأن هذا اليوم الذى لا يظهر فيه من أحد نفع ولا ضر ، فكان الأمر كما قال سبحانه : (والأمر يومئذ لله) ، فلهذا السبب حسن هذا التخصيص) (١) .

---

(١) الفخر الرازى ، م٧ ، جـ١٣ ، ص ٣٤ .

(وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (١) .

القصر فى الآية عن طريق تقديم المسند على المسند اليه .

المقصور : المرجع .

المقصور عليه : كونه الى الله .

قصر موصوف على صفه قصرا حقيقيا تحقيقيا .

سر القصر :

كان المسلمون يحقرون آلهة المشركين ، ويشتمونها أمامهم (٢) . وكان من تعظيم الكفار لآلهتهم ردهم هذا الشتم بشتم الله سبحانه وتعالى — ولعظم فعلهم هذا ، كان لا بد من وعيدهم وتهديدهم .

١) آية : ١٠٨ .

٢) روى ابن جرير قال : حدثنى المثنى قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحه ، عن ابن عباس قوله : ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله ، فيسبوا الله عدوا بغير علم . قال : قالوا يا محمد لتنتهين عن سب آلهتنا أو لنهجون ربك ، فنهاهم الله أن يسبوا أوثانهم ، فيسبوا الله عدوا بغير علم .

حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال : ثنا سعيد عن قتاده قوله : ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله ، فيسبوا الله عدوا بغير علم ، كان المسلمون يسبون أوثان الكفار ، فيردون ذلك عليهم . فنهاهم الله أن يستسبوا لربهم ، فانهم قوم جهلة لا علم لهم بالله . الطبرى / م٥ ، جـ٧ ، ص٢٠٧ .

لذا جئ باسلوب القصر ، وقصر المرجع على الله وحده دون غيره .

أى أن (.. أمرهم مفوض الى الله ، وهو عالم بأحوالهم مطلع على ضمائرهم ومنقلبهم يوم القيامه اليه فيجازى كل بمقتضى عمله .

وفى ذلك وعد جميل للمحسن ، ووعيد للمسئ) (١) .

(لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (٢) .

جاء القصر فى الآية عن طريق تقديم المسند على المسند اليه .

المقصور : دار السلام .

المقصور عليه : كونها للمؤمنين .

قصر موصوف على صفه قصر افراد .

ولقد ذكر الامام الفخر الرازى أن هذه الآية موجبة للحصر .

فمعناها لهم دار السلام ، لا لغيرهم من المكذبين بآيات الله . (٣)

سر القصر :

عرضت الآيات السابقه قبائح المشركين ، التى منها تكذيبهم للرسول صلى الله عليه وسلم ، ومحاولة تعجيزهم له ، وذلك بطلب المعجزات .

(وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا) (٤) .

(وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ) (٥)

---

١) البحر المحيط ، جـ٤ ، ص ٢٠٠ .

٢) آية : ١٢٧ .

٣) الفخر الرازى ، م٧ ، جـ١٣ ، ص ١٩٨ .

٤) آية : ١٠٩ من نفس السوره .

٥) آية : ١٢٤ من نفس السوره .

وجاء الرد عليهم من وجوه عدة ، من ضمنها أنه ذكر تعالى جزاء المؤمنين المصدقين ، وجاء بيان هذا الجزاء عن طريق التخصيص للتعظيم من شأن المؤمنين والتعريض بأولئك المكذبين ، لبعث الحسره فى قلوبهم ، حيث خصصت دار السلام بكونها للمؤمنين دون غيرهم من المكذبين .

وزياده فى بيان شرف مقامهم ورفعته ، أُضيفَت الدار الى المولى عز وجل للتشريف والتعظيم من شأنها ، أو أنها دار السلام من كل آفة وكدر (١) .

" الأعراف "

ـ (يَابَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (٢) .

سبق الاشاره الى مثل هذا القصر .

---

١) الكشاف ، م ٢ ، ص ٤٩ .

٢) آية : ٣٥ .

(أَهَـؤُلَاءِ الَّـذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّـهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُـلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُـمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْـزَنُونَ) (١) .

القصـر فى الآيـة عن طـريق تقـديم الضمير (المسند اليـه) ـ المسبوق بحـرف النفى ـ على المسـند...

المقصـور : الحزن المنفـى .

المقصـور علـيه : أنـتم .

قصـر صـفـه على موصـوف قصـر قلب .

سـر القصـر :

كـان المشـركون يحـقرون بعض المؤمنين الذين كانوا يرتكـبون بعض الآثـام ، ويسـتهينون بهـم ، ويستصـغرون جميع أعمالهم ، وكـانوا يقسـمون قسما صريحـا بأنهم لن يدخلوا الجنة ، ولـن ينالهم اللـه برحمته ، وأنهم ما فعلوا ما ينبوء عـن دخولهم اياها . فلمـا أنكر هـؤلاء المشركـون دخول هؤلاء المومنـين الجـنة وأصروا على انكـارهم بقسـمهم ، جئ باسـلوب القصـر لقلب اعتقادهـم هذا ، بتأكـيد نفـى الحزن عن المؤمـنين .

---

١) آيـة ٤٩ .

(قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِباً إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ) (١)

القصر فى الآية عن طريق تقديم الجار والمجرور على عامله .

المقصور : التوكل .

المقصور عليه : الله .

قصر صفه على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا .

سر القصر :

المتحدث فى الآية هو نبى الله شعيب عليه السلام وهو يعلم حقيقة التوكل وانما أكدها هنا عن طريق القصر . لأن الموقف موقف إمتثال بين يدى الله وتضرع ودعاء . فقِصَرَ التوكل على الله لاظهار العجز والاعتماد على المولى عز وجل .

ذكر الفخر الرازى : (واعلم أنه عليه الصلاة والسلام ختم كلامه بأمرين الأول : بالتوكل على الله ،فقال : على الله توكلنا ،فهذا يفيد الحصر أى عليه توكلنا لا على غيره . وكأنه فى هذا المقام عزل الأسباب ،وارتقى عنها الى مسبب الاسباب .

والثانى : الدعاء فقال : (رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ) (٢) .

١) آية : ٨٩ .
٢) الفخر الرازى ،م٧ ،جـ١٤ ،ص١٨٨ .

ـ (فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَـٰذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ) (١) .

المقصور : هذه .

المقصور عليه : كونها لنا .

قصر موصوف على صفه قصر قلب .

ذهب الامام البيضاوى الى أن اللام للاجل ، ولم يذكر معنى الاختصاص . أى (لاجلنا ونحن مستحقوها) (٢) .

وعلق الشهاب على رأى البيضاوى قائلا :

(أى اللام لام الأجل ، ومع كونها لأجلهم : أنهم أهل لها ، مستحقون بيُمْن الذات لأنواع الحسنات ، حتى أنها اذا لم تصبهم كان ذلك بشؤم غيرهم وبه يأخذ الكلام بعضه بحجز بعض ، ويلتئم أشد التئام . وقيل نحن مستحقوها بيان لوجه كون الحسنه لأجلهم . ولو قال : أو نحن ، اشاره الى معنى آخر للام كان أولى - ثم ذكر أنه قد ورد فى الكشاف معنى الاختصاص (٣) .

فقيل أن اللام دلت على دعواهم استحقاق الحسنه . وأما دعوى اختصاصها بهم حتى لا يشركهم فيها أحد ، فدل عليه تقديم الخبر ، الذى هو لنا .

وهذا تمشيا مع طريقة المصنف فى اسناده الحصر من تقديم ما حقه أن يؤخر كالمفعول والخبر ونحوه (٤) .

---

(١) آية : ١٣١ . (٢) تفسير البيضاوي ، حـ٣ ، ص ٢٤ .

(٣) الشهاب جـ٤ ، ص٢٠٧ .

(٤) الكشاف ، (كتاب الانصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال) ابن المنير - م٢ ، ص ١٠٦

سر القصر :

ادعى فرعون ومن معه أن الحسنات خاصه بهم ،وأكدوا ذلك الاستحقاق عن طريق الاختصاص بتقديم الجار والمجرور ، وكل ذلك ابتغاء التعظيم من شأنهم والحط من مكانة موسى عليه السلام . اذ نسبوا اصابتهم بالسيئات الى موسى ومن معه .

(وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (١) .

اسلوب القصر فى الآية عن طريق تقديم المسند على المسند اليه .

المقصور : الأسماء .

المقصور عليه : كونها لله .

قصر موصوف على صفه قصر افراد .

سر القصر :

حرّف المشركون فى أسماء الله ،فاشتقوا اللات من الله ،والعزى من العزيز (٢) .

وهذا انكار لتوحيد الأسماء والصفات ،فجئ بالقصر للرد على هذا الانكار

---

١) آية : ١٨٠ .

٢) (قال : العوفى عن ابن عباس فى قوله تعالى : (وذروا الذين يلحدون فى أسمائه) قال : الحاد الملحدين أن دعوا اللات فى أسماء الله . وقال ابن جريج عن مجاهد: (وذروا الذين يلحدون فى أسمائه) قال : اشتقوا اللات من الله ،والعزى من العزيز ،وقال قتاده : يلحدون يشركون فى أسمائه . / ابن كثير ،جـ٢ ،ص ٢٥٨ .

واثبات الأسماء الحسنى لله وحده وأنه المتفرد بها .

(إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ) (١) .

جاء القصر فى الآية عن طريق تقديم الجار والمجرور على عامله .

المقصور : السجود

المقصور عليه : ضمير الجلالة .

قصر صفه على موصوف قصرا اضافيا قصر افراد .

سر القصر :

اختلف فى سر التقديم فى الآية ، فقيل : انه لرعاية الفاصله ، وان التخصيص والتعريض مستفاد من المقام . وذكر هذا الاختلاف الشهاب فى حاشيته فقال : (.. وجعل التقديم للتخصيص الاضافى ليفيد التعريض المقصود . وقيل : انه للفاصله والتخصيص من المقام ، وكذا التعريض ، لأنه تعليل لما قبله . أى ائتوا بما أمرتم به ، والا فانا مستغنٍ عنكم . وعن عبادتكم ، لأن لى عبادا مكرمين من شأنهم ذلك) (٢) .

وممن ذهب الى أنْ التقديم لرعاية الفاصله الامام أبو حيان ، فقال : (... قيل وتقديم المجرور يؤذن بالاختصاص . أى لا يسجدون الا له ، والذى يظهر أنه انما قدم المجرور ، ليقع الفعل فاصله ، فأخره لذلك ليناسب ما قبله من رؤوس الآى ....) (٣) .

وهذا الرأي غير مسلم به على اطلاقه .

---

١) آية : ٢٠٦ .

٢) حاشية الشهاب ، جـ٤ ، ص ٢٤٩ / ٢٥٠ .

٣) البحر المحيط جـ٤ ، ص ٤٥٤ .

وذهب الامام الفخر (١) والبيضاوى (٢) ،والشهاب فى حاشيته على البيضاوى (٣) وأبو السعود (٤) ،والالوسى (٥) ،الى أن التقديم فى الآية يفيد الحصر والسر فى مجيئه التعريض بغيرهم من المكلفين الذين عبدوا غيره أى أنهم يخصونه بغاية العبوديه ،والخضوع والتذلل ولا يشركون معه غيره .

---

١) الفخر ،جـ١٥ ،ص ١١٦ .

٢) البيضاوى ،جـ٣ ،ص ٤٠ .

٣) الشهاب ،جـ٤ ،ص ٢٤٩ / ٢٥٠ .

٤) تفسير أبى السعود م٢،ج ٣،ص ٣١٠ .

٥) روح المعانى ،جـ٩ ،ص ١٥٥ .

" الأنفـــال "

(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) (١) .

القصـــر هنا عن طـــريق تقـــديم الجار والمجرور على عـــامله .

المقصــــور : يتوكـــلون .

المقصور عليه : ربهـــم .

قصـــر صـــفه على موصـــوف قصـــرا حقيقيا تحقيقيا .

سـر القصـر :

اختلف (٢) المســـلمون فى أمـــر الغنائم ، وما كـان اختلافهم هذا الا لأن أمر الغنائـم كان مرتبطاً بشهادة حســـن البـلاء من اللـه ورســـوله . وكـان المســـلمون حريصـــين علـــى هـــذه الشهاده . فجـاء الامـر الفصل من اللـــه بأن أمـر هـذه الأنفـال للـه والرســـول ، وحتى يســـتسلم المسلمون لحكم اللـه هذا ، ويقطع خوضهـم

---

(١) آية : ٢

٢) قـال الامـام أحـمد حدثنا محمد بن ســـلمه ، عن ابن اسحق عن عبد الرحـمن عن سـليمان بن موســـى ، عن مكحـول ، عن أبى امامه الباهلى قال : سألـــت عباده بن الصامت عن الانفال ، فقال : فينا معشـــر أصحاب بدر نزلت ، حيـــن اختلفنا فى النفل وساءت فيه أخلاقنا ، فانتزعه اللـه من أيدينا ، وجعله الـــى رســـول اللـه صلى اللـه عليه وسلم فقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المسلمين عن

فـيه ذكـرهم بتقوى اللـه وبطاعتـه وطـاعة رسـوله ، وذكـرهم بصفات المؤمنين الحـقة

بأنه اذا ذكـر اللـه وجلت قلوبهم ، وخضعت لأمره .

بواء يقول على السواء ».. / مسند الى الامام أحمد ، حديث عباده بن الصامت ، م٥ ، ص ٣٢٢ .

وقال الامام أحمد أيضا : حدثنا عبد الله : حدثنى أبى ، ثنا معاويه بن عمرو ، ثنا أبو اسحق . عن عبد الرحمن بن عياش بن أبى ربيعه عن سليمان بن موسى عن أبى سلام عن أبى أمامه عن عباده بن الصامت قال : خرجنا مع النبى صلى الله عليه وسلم : فشهدت معه بدرا فالتقى الناس ، فهزم الله تبارك وتعالى العدو ، فانطلقت طائفة فى آثارهـم يهزمون ويقتلون ، فاكبت طائفة على العسكر يحوونه ويجمعونه ، وأحدقت طائفة برسـول الله صلى الله عليه وسلم ، لا يصيب العدو منه غرة حتى اذا كان الليل ، وفاء الناس بعضهم الى بعض قال الذين جمعوا الغنائم ، نحن حويناها وجمعناها ، فليس لأحد فيها نصيب وقال الذين خرجوا فى طلب العدو : لستم أحق بها منا ، نحن نفينا عنها العـدو وهزمناهم وقال الذين أحدقوا برسـول الله صلى اله عليه وسلم : لستم بأحق بها منـا نحـن أحدقنا برسـول الله صلى الله عليه وسلم ، وخفنـا أن يصيب العدو منه غـرة واشـتغلنا بـه . فنزلت يسألونك عن الانفال ، قل الانفال لله والرسول ، فاتقـوا اللـه وأصلحوا ذات بينكم . فقسمها رسـول الله صلى الله عليه وسـلم ، على فواق بيـن المسـلمين قال : وكـان رسـول اللـه صلى الله عليـه وسـلم ، اذا أغـار فى أرض العدو نفـل الربع ، واذا أقـبل راجعـا وكل الناس نفـل الثلث .

وكـان يكره الانفـال ، ويقـول ليرد قـوى المؤمنين على ضـعيفهم) . / مسـند الامام أحمد ، حديث عبـاده بن الصامت م ٥ ، ص ٣٢٤ .

وليلفت الانتباه ، ويذكر المؤمنين بصفه يجب عليهم التمثل بها ، جئ باسلوب القصر عن طريق التقديم ، لتأكيد أن جماع الايمان وأعلاه مرتبه تفويض الأمر الى الله والتوكل عليه لا على غيره ، (لا يرجون سواه ، ولا يقصدون الا اياه ، ولا يلوذون الا بجنابه ، ولا يطلبون الحوائج الا منه ، ولا يرغبون الا اليه . ويعلمون أنه ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن . وأنه المتصرف فى الملك وحده لا شريك له ولا معقب لحكمه وهو سريع الحساب ، ولهذا قال سعيد بن جبير : التوكل على الله جماع الايمان) (١) .

— (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) (٢) .

فى الآية الكريمه اسلوبا قصر كلاهما عن طريق التقديم .

الأول : عن طريق تقديم الاسم الظاهر على الخبر الفعلى المثبت فى قوله تعالى (أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ) .

وهو قد يفيد الاختصاص عند الشيخ عبد القاهر ولا يفيد الا التقوى عند السكاكى .

لأن ظاهر كلام الشيخ عبد القاهر ، أن المعرف اذا لم يقع بعد النفى ، وخبره مثبت أو منفى قد يفيد الاختصاص مضمرا كان أو مظهرا .

---

١) تفسير ابن كثير ، جـ ٣ ، ص ٢٧٩ .

٢) آية : ٢٤ .

وكلام السكاكي صريح في أنه لا يفيده الا المضمر (١) .

ويبدو لي أن في الآية اختصاصا حيث قصرت الحيلولة بين المرء وقلبه على الله وحده للتذكير والتنبيه بشده .

فالمقصور في الآية : الحيلولة .

المقصور عليه : الله .

قصر صفه على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا .

والقصر الثاني : في قوله تعالى : (وأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) .

المقصور : الحشر .

المقصور عليه : ضمير الجلاله .

قصر صفه على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا .

سر القصر :

عرضت الآيات السابقة أحداث معركة بدر وأظهرت قدرة الله في تلك المعركة ومدده ونصره للمسلمين ، فبعد توكيد هذه النصره وهذا التأييد ، قد يغتر المسلمون بهذا النصر ، فيتهاونون في طاعة الله ورسوله ، فكان لا بد من تنبيههم وتذكيرهم . فجاءت الآية مبدوءة بياء النداء لشد انتباههم للأمر الذي سيذكر ، وهو وجوب الاستجابه لله وللرسول ، والطاعة المطلقة لله ولرسوله ولترغيبهم في الاستجابه والطاعة ، بين لهم المولى عز وجل ، أن ما يدعوهم اليه الرسول فيه حياتهم وصلاحهم ، وبعد هذا الترغيب ، وهذا التلطف في النداء ، حيث قال : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) .

تعلو نبرة التذكير ، حيث نُزِّل المؤمنون منزلة من يجهل قدرة الله .

---

(١) الايضاح ، جـ١ ، ص ١٤٥ .

فجيء باسلوب القصر لتأكيد هذه القدره ،وبيان أن الحيلولة بين المرء ومقاصد قلبه ؛من اختصاص الله وحده دون غيره . وفى انزالهم منزلة من يجهل ،أشد فى التنبيه والتذكير حتى لا يغتر المؤمن بعطه ؛ ويهمل فى الطاعه ؛وأيضا فيه تذكير ،بأن كمال الايمان الخوف والرجاء .

وتزداد نبرة التذكير شده ،بمجيء اسلوب قصر آخر فى قوله تعالى : (وانه اليه تحشرون وقَصِر الحشر على الله وحده دون غيره ،وفى هذا غاية التنبيه لهم ،الى أن مرجعهم الى الله وحده ،فيجازيهم بحسب أعمالهم وما تُخْفِى صدورهم . وفى هذا ترغيب لهم فى الاسراع الى الاستجابه لله ورسوله وطاعتهما ، والترهيب من مخالفتهما .

ذكر الامام الفخر (أى واعلموا أنكم اليه تحشرون ،أى الى الله ولا تتركون مهملين معطلين . وفيه ترغيب فى العمل ؛وتحذير عن الكسل والغفلة)(١) .

---

١) الفخر الرازي ، م٨ ، حـ ١٥ ، ص ١٥٤ .

(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ) (١) .

القصر فى الآية مستفاد من تقديم الجار والمجرور على عامله .

المقصور : يحشرون .

المقصور عليه : جهنم .

قصر صفه على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا .

سر القصر :

كان المشركون ينفقون الأموال الطائلة للقضاء على دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهم بذلك الانفاق يظنون أنهم الغالبون المنصورون . فجاءت الآية لتبين لهم (أنهم لا يستفيدون من بذلهم أموالهم فى تلك الانفاقات الا الحسرة والخيبة فى الدنيا) (٢) .

وبعد أن خبر عن حالهم فى الدنيا وما يصيبهم من الحسره . جىء باسلوب القصر ليبين ما يؤول اليه حالهم فى الآخره . وللتحقير من شأنهم وتخويفهم قُصِر رجوعهم على جهنم ، ولم يقل الى الله تحشرون ، أو اليه تحشرون . وانما قال : الى جهنم ، للمبالغة فى تحقيرهم . وهذا (يوجب الزجر العظيم عن ذلك الانفاق) (٣) .

١) آية : ٣٦ .

٢) الفخر الرازى ، جـ ١٥ ، ص ١٦٦ .

٣) الفخر الرازى ، جـ ١٥ ، ص ١٦٦ .

(وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِى أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِى أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ اللَّهُ أَمراً كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ) (١) .

استفيد القصر فى الآية من طريق تقديم الجار والمجرور على عامله .

المقصور : ترجع الأمور .

المقصور عليه : الله .

قصر صفه على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا .

سر القصر :

ما زالت الآيات تُذَكِّر المسلمين بقدرة الله وفضله عليهم ،حتى يتمسكوا بطاعة الله ورسوله وفى الآية يصف لهم المولى عز وجل موقفا من مواقف المعركه ،يظهر فيه التدبير الالهى ،فقد حدث فى معركة بدر ،أن أُغْرَى الله تعالى : (كُلا من الفريقين بالآخر وقلله فى عينه ليطمع فيه ،وذلك عند المواجهة . فلما التحم القتال ،وأيد الله المؤمنين بألف من الملائكة مردفين ، بقى حزب الكفار يرى حزب الايمان ضعفيه) (٢) .

وجاء التعقيب على هذا الموقف باسلوب القصر ،فقَصَرَ رجوع الأمور على الله وحده دون غيره ،لتقرير وتوكيد أن الأمور جميعها مرجعها الى الله وحده وهى من تدبيره وقضائه ،ولا راد لأمره وفى هذا تنبيه للمسلمين ولفت لانظارهم بـ (.. ان أحوال الدنيا غير مقصوده لذواتها ،وانما المراد منها ما يصلح أن يكون زادا ليوم الميعاد) (٣) .

---

١) آية : ٤٤ .
٢) تفسير ابن كثير ، جـ٣ ،ص ٣٢٩ .
٣) الفخر الرازى ،جـ١٥ ،ص ١٧٥ .

" التوبه "

(قُلْ لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) (١)

القصر فى الآية عن طريق تقديم الجار والمجرور على عامله .

المقصور : التوكل .

المقصور عليه : الله .

قصر صفه على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا .

سر القصر :

كان المنافقون يعتمدون على الأسباب وحدها ،كما فى قوله تعالى : (وان تصبك مصيبه ،يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ،ويتولوا وهم فرحون) ، ويأخذون بظواهر الأمور ،ويحسبون أن البلاء شر فى جميع الأحوال . وأن فى التخلف والقعود خيرا لهم ،فهذه عقيدة المنافق ،أما عقيدة المسلم فجاء بيانها عن طريق القصر ،لتأكيد وجوب التوكل على الله وحده . دون الاعتماد على الأسباب وحدها ،(فقدم الظرف على الفعل لإفادة القصر ثم ادخل الفاء للدلالة على استجابة تعالى للتوكل عليه ، كما فى قوله تعالى اياى فارهبون) (٢) .

وفى هذا تعريض بالمنافقين وتنبيه على أن حالهم بالضد ،فى ذلك وأنهم لا يتوكلون الا على الأسباب الدنيويه واللذات العاجله الفانيه (٣) .

---

١) آية : ٥١ .
٢) تفسير أبى السعود ،م٢ جـ٤ ،ص ٧٣ .
٣) الفخر الرازى ،جـ١٦ ،ص ٨٩ .

(وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ) (١) .

القصر فى الآية عن طريق تقديم المسند اليه (الضمير) على الخبر الفعلى المثبت ، وهو يحتمل التخصيص والتقوى عند الشيخين (عبد القاهر السكاكى) .

المقصور فى الآية : العلم (نعلمهم) .

المقصور عليه : نحن .

قصر صفه على موصوف قصر افراد .

سر القصر :

لما اعتذر المنافقون عن غزوة تبوك وخرجوا بمقعدهم مع المخلفين من المرضى والنساء والصبيان ، كان لا بد من كشف حقيقتهم وخطرهم ، فنبه القرآن الرسول صلى الله عليه وسلم على بعض أصنافهم وفئاتهم ، وأن أشدهم خطرا هم المنافقون من الأعراب .

الا أن هناك فئة مردت على النفاق ، واستمرت فيه لخفاء أمرها ، ولتحذير الرسول منها أبلغ تحذير ، وتنبيهه الى وجوب اتخاذ الحيطه نُزِّل منزلة من يدَّعى العلم بها وجئ باسلوب القصر لِنَفى العلم عنه وقَصْرِه على الله وحده دونه .

---

١) آيــة : ١٠١ .

▬ (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ) (١) .

القصر فى الآية عن طريق تقديم المسند على المسند اليه .

المقصور : الجنة .

المقصور عليه : كونها لهم .

قصر موصوف على صفه قصر افراد .

سر القصر :

بعد بيان حال المتخلفين عن القتال وجزائهم ،جاءت الآية ترغب المؤمنين فى الجهاد ،(ولقد بولغ فى ذلك على وجه لا مزيد عليه ،حيث عبر عن قبول الله تعالى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم التى بذلوها فى سبيله تعالى ،واثابته اياهم بمقابلتها الجنة بالشراء على طريقة الاستعارة التبعيه . ثم جعل المبيع الذى هو العمدة والمقصد فى العقد أنفس المؤمنين وأموالهم ، والثمن الذى هو الوسيلة فى الصفقة الجنة ،ولم يجعل الأمر على العكس ،بأن يقال أن الله باع الجنة للمؤمنين بأنفسهم وأموالهم ، ليدل على أن المقصد فى القصر هو الجنة ،وما بذله المؤمنون فى مقابلها من الأنفس والأموال وسيلة اليها ،ايذانا بتعلق كمال العناية بهم وبأموالهم) (٢) .

---

١) آية : ١١١ .

٢) تفسير أبى السعود ،م٢ ،ج٤ ،ص ١٠٤ / ١٠٥ .

ثم جئ بأسلوب القصر فلم يقل بالجنة بل قال تعالى : (بأن لهم الجنة) فقصرت الجنة على كونها لهم وحدهم ، دون غيرهم من المتخلفين عن القتال (مبالغة فى تقرير وصول الثمن اليهم واختصاصه بهم ، كأنه قيل بالجنة الثابتة لهم المختصة بهم) (١) .

وفى تأكيد وتقرير وصول الثمن الى المجاهدين بهذا الأسلوب ، شحذ لهمم المسلمين ، بحيث لا يبقى للمؤمن رغبة فى ماله وفى نفسه ، يحتجزها دون الله تعالى . ودون الجهاد فى سبيله واعلاء كلمته .

— (إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ) (٢) .

القصر فى الآية مستفاد من طريق تقديم المسند على المسند اليه .

المقصور : ملك السموات والأرض .

المقصور عليه : كونه لله .

قصر موصوف على صفه قصرا حقيقيا تحقيقيا .

سر القصر :

لما أمر الله سبحانه وتعالى بالبراءة من الكفار مطلقا فى أول السورة أمر هنا بالبراءة من الكفار أولى القربى والتجرد من هذه الصلات ثم قرر

---

١) المرجع السابق ص ١٠٥ .

٢) آية : ١١٦ .

المولى عز وجل بأن له القدره الباهره والتصرف المطلق ، فكل ما فى السموات مختص به مقصور عليه ، وأن الحياة والموت والولاية والنصره كلها بيد الله دون سواه من ذوى الصلات ، وفى مجئ هذا القصر توكيد أن فى الصلة بالله وحده كفاية وغناء عن بقية الصلات ، وأن المسلم يجب أن لا تكون له صلات الا صلات العقيده .

(لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ . فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) (١) .

فى الآيتين الكريمتين أسلوبا قصر ، الأول فى قوله تعالى : (بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ) .

حيث قدّم المسند على المسند اليه لافادة الاختصاص .

فالمقصور : رؤوف رحيم .

المقصور عليه : المؤمنين .

قصر صفه على موصوف قصرا حقيقيا فيه مبالغة . أو هو قصر قلب .

أى رؤوف رحيم بالمؤمنين لا بغيرهم ، حيث أُنزلت رحمته بغير المؤمنين منزلة العدم .

والقصر الثانى فى قوله تعالى : (عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ) .

وهو قصر مستفاد من طريق تقديم الجار والمجرور على عامله .

المقصور : توكلت .

المقصور عليه : ضمير الجلاله فى عليه .

---

١) آية : ١٢٨ / ١٢٩ .

قصـر صـفه على موصـوف قصـرا حقيقيا تحقيقيا .

أو هـو قصر اضافى قصر افـراد . أى عليه توكلت لا عليكم .

سـر القصـر :

لمـا كان الرسـول صلى اللـه عليه وسلم يأمر قومه بالجهاد والقتال ، وهـو أمر صعب على النفس البشـريه ، فقد يَظُنّ ظـان أن فى هذا قسوة منه صلى اللـه عليه وسـلم ، فجاءت الآية تبين صفاته صلى الله عليه وسلم بأنـه رسـول من أنفسكم قريب الصـلة منكم ومن قلوبكم ، وهـو حريص عليكم ، لا يريد بكم الا الخـير رؤوف رحيم وبعـد هذا البيان لا يبقى لأحـد حجه فى معصـيته والتردد فى تنفـيذ أوامـره ثـم يجـئ أسـلوب القصـر لتهديد ووعـيد من تولـى وأعرض بعـد هذا البيان - الصـريح من اللـه ∴ فمـن تولى (فقل حسبى اللـه لا الـه الا هـو عليـه توكـلت) .

فأمر اللـه سـبحانه وتعالى رسـوله بتفويض أمره وقصر توكلـه على اللـه وحده لا عليكـم فان توليكـم عنه لـن يضـره لأنـه قـد قصر توكله علـى اللـه وحـده وفـى توكـيد نصـرة اللـه لرسـوله تسـلية لـه عن تولى المتولين واعراض المعرضـين .

الفصل الثالث

آ - ضمير الفصل
ب - تعريف الطرفين

مع بيان

- نوع القصر في كل آية
- أسرار الاستعمال في كل في كل موضع

ظهر من خلال تحليل الآيات المفيدة للقصر ، عن طريق الفصل ، وتعريف الجزئين ، أنه كثيرا مايجتمع الطريقان فى آية واحدة ، فيكون القصر مستفادا من الطريقين زيادة فى التأكيد ، ولذا آثرت تقسيم الآيات المفيدة للقصر فى هذا الباب ثلاثة أقسام :

القسم الاول : الآيات المتضمنه للقصر عن طريق ضمير الفصل.

القسم الثانى : الآيات المتضمنة للقصر عن طريق تعريف الجزئين .

القسم الثالث : الآيات التى اجتمع فيها الطريقان .

((الفاتحـــة))

١ - تعريف الجزئين :

(الْحَمْدُ لِلَّـــهِ) (١)

اختلف المفسرون فى نوع (أل) ، فمنهم من قال أنها لتعريف الجنـــس ومنهم من قال أنها تفيد الاستغراق ، فذكر الامام الزمخشرى ، أن اللام لتعريف الجنس . فقصر جنس الحمد على كونه لله فقال :(فان قلت : ما معنى التعريف فيه . قلت :

هو نحو التعريف فى : أرسلها العراك . وهو تعريف الجنس . ومعنـــاه الاشارة الى ما يعرفه كل أحد ، من أن الحمد ماهو ، والعراك ماهو من بين أجناس الأفعال ، والاستغراق الذى يتوهمه كثيرمن الناس ، وهم منهم)(٢).

وذكر ابن المنيرأن الامام الزمخشرى ، لايقصد هنا بقوله (تعريـــف الجنس) أنه الجنس بمعنى الحقيقة ، وانما يقصد معنى العهد الذهنى ، لأن نوعى العهد (الذكرى والذهنى) ، لايوجب الاستغراق ، وانما يوجبه الجنس فقال : " قال محمود رحمه الله : (وتعريف الحمد هو نحو : التعريف فى : ارسلها العراك ، وهو تعريف الجنس ، ومعناه ..الخ). قال احمد رحمه الله : تعريف التكرار باللام ، إما عهدى وإما جنسى. والعهدى : اما ان ينصرف فيه الى فرد معين من أفراد الجنس ، باعتبار يميزه عن غيره من الأفراد ، كالتعريف فى نحو : فعصى فرعون الرسول . واما أن ينصرف العهد فيه الى الماهيـــة ، باعتبار تميزها عن غيرها من الماهيات ، كالتعريف فى نحو : أكلت الخبز وشربت الماء ، والجنسى هو الذى ينضم اليه شمول الآحاد . نحو : الرجـــل أفضل من المرأة . وكلا نوعى العهد لايوجب استغراقها ، وانما يوجبه الجنسى خاصة . فالزمخشرى جعل تعريف الحمد من النوع الثانى من نوعى العهـــد ، وان كان قد عبرعنه بتعريف الجنس ، لعدم اعتنائه باصطلاح أصول الفقـــه ، وغير الزمخشرى جعله للجنس ، فقضى بافادته لاستغراق جميع انواع الحمـــد وليس ببعيد).(٣)

---

(١) آية : ٢

(٢) الكشاف ، م١ ، ص ٤٩

(٣) الكشاف ، حاشية ابن المنير ، م١ ، ص ٤٩

ويرى الشريف الجرجاني في شرحه لحاشية الكشاف ، " أن اللام عند الامام الزمخشري للجنس ، وأن قوله ان الاستغراق الذي يتوهمه كثير من الناس وَهْمٌ منهم " ، لايعني نفي الاستغراق ، ولكن ينفي كون الاستغراق هو معنى تعريف الجنس ، ويرى أن الاستغراق هنا يستفاد من الأمور الخارجية ، واقتضاء المقام فقال : . (وما نقل عن المصنف من أن اللام لاتفيد سوى التعريف والاشارة ، والاسم لايدل على مسماه ، فاذاً لايكون ثمة استغراق ، أراد به أن ليس ثمة استغراق : هو مدلول الاسم أو اللام ، لا أنه لا استفادة له من الأمور الخارجيه واقتضاء المقام" . وذكر أن الزمخشري جعل الحمد محمولا على الجنس دون الاستغراق ، لأنه اقتصر ههنا على ذكر جنس الحمد به ، ولم يقل على اختصاص المحامد . وأنه قيل أن اختياره الجنس على الاستغراق ، مبني على خلق الأعمال على طريقة الاعتزال ، لأن أفعال العباد ، لما كانت مخلوقة لهم ، كانت المحامد عليها راجعة اليهم ، فلا يصح جعل المحامد كلها مختصة به تعالى .

ورد الشريف الجرجاني على هذا القول ، بأنه ظاهر الفساد ، لأن اختصاص الجنس به تعالى مستلزم اختصاص أفراده أيضا . اذ لو وجد فرد منه لغيره لثبت الجنس له في ضمنه . وقيل مبني على أن هذه المصادر نائبة مناب أفعالها ، سادّة مسدها ، والأفعال لاتعدو دلالتها على الحقيقة الى الاستغراق ورد بأن ذلك لاينافي قصد الاستغراق بمعونة المقام ، واقتضاء الحال . وقيل انما اختاره بناء على أن الجنس ، هو المتبادر الى الفهم الشائع في الاستعمال ، لاسيما في المصادر ، وعند خفاء قرائن الاستغراق ، وهو أيضا مردود ، لأن المحلى بلام الجنس في المقامات الخطابية ، يتبادر منه الاستغراق ، وهو الشائع في الاستعمال ، سواء كان هناك مصدر أو غيره وأي مقام أولى بملاحظة الشمول والاحاطة من مقام تخصيص الحمد بالله تعالى تعظيما له وتمجيدا ، فقرينة الاستغراق فيما نحن فيه كنار على علم . وذكر أن السبب في الاختيار ، هو أن اختصاص الجنس مستفاد من جوهر الكلام ،

ومستلزم لاختصاص جميع الأفراد ، وأنه لاحاجة فى تأدية المقصود ، الذى هو ثبوت الحمد لله تعالى وانتفاؤه عن غيره ، الى أن يلاحظ الشمول والاحاطة ويستعان فيه بأمر خارج عن اللفظ ، بل ان اختصاص جميع الأفراد ثابت بطريق برهانى ، وهو أقوى من اثباته ابتداء .

ثم قال(فان قلت : فكيف صح على مذهبه تخصيص جنس الحمد بالله تعالى. قلت : صح ذلك بناء على أن أفعالهم الحسنة التى يستحقون بها الحمد عندهم انما هى بتمكين الله تعالى واقداره عليها. فمن هذا الوجه يمكنه جعل الحمد راجعاً اليه تعالى أيضا ، وقد أشار الى ذلك ، حيث قال فى سورة التغابن : قدم الظرفان ليدل بتقديمهما على اختصاص الملك والحمد بالله تعالى ، ثم قال : وأما حمد غيره ، فاعتداد بأن نعم الله تعالى جرت على يديه ، ولا يرد على ذلك أفعالهم القبيحة ، التى يستحقون بها الذم أيضا باقدار الله تعالى وتمكينه ، فتكون المذمة أيضا راجعة اليه ، لما تبين فى علم الكلام أن اقدار المختار على الأفعال الحسنه حسن ، وعلى القبيحة ليس بقبيح. وربما يجاب بأن يجعل الجنس فى المقام الخطابى منصرفا الى الكامل ، كأنه كل الحقيقه من باب - ذلك الكتاب - وحاتم الجواد. قيل ومن ههنا يظهر أن الحمل على الجنس دون الاستغراق محافظة على مذهبه. وفيه نظر لجواز الحمل على الاستغراق دون الجنس أيضا ، بتنزيل محامد غيره تعالى منزلة العدم بالقياس الى محامده. فلا فرق بين اختصاص الجنس والاستغراق ، فى أنهما ينافيان ظاهرا طريقة الاعتزال ، وأن منافاتهما تندفع بأحد الوجهين المذكورين)(١).

وقد رد الشهاب على بعض ماجاء فى كلام الشريف الجرجانى ، فقال:(وفيه أن ملخص ماذكر من أن اختصاص الجنس يستفاد من جوهر الكلام ، من غير حاجة

---

(١) الكشاف ج١ ، ص ٥٢ .

الى الاستعانة فيه بأمور خارجية ، أن الجنس هو المتبادر الى الفهم لأنه لامعنى للتبادر الا التسارع ، واذا كان فهمه من جوهره قبل ملاحظة أعراضه فلا شبهة في سرعته الى الفهم قبل كل شئ ، وقد رده آنفا . واذا كان اختصاص جميع الأفراد بطريق برهاني ، فلا شبهة في خفائه ، فكيف يقال أنه كنار على علم". ثم قال (ولما رأى المصنف رحمه الله ، أن كل ماذكر من الوجوه ، مقتضى لمرجوحية الاستغراق ، دون كونه وهما ، عدل عن عبارته في الكشاف ومبناه على معاني اللام ، كل منها أصل برأسه ، فاندفع عنه ماقيل أنه ان أراد المصنف رحمه الله ، أن التعريف للاستغراق في مقابلة كونه للجنس ، فهو ظاهر البطلان اذ اللام لتعريف مدخولها فقط ، وليس مدلول لام الجنس الاستغراق . وان أراد أن الحمد محمول على الاستغراق بمعونة المقام فصحيح ، الا أنه لايقابل قوله : والتعريف للجنس ، الا أن يحمل على أن التعريف للجنس بلا انضمام استغراق معه).(١)

وكذلك ذهب الامام ابوالسعود الى أن اللام هنا هي لام الحقيقة ، وأن اختصاص الحقيقة به سبحانه ، لاقتصار جميع أفرادها عليه بالطريق البرهاني.(٢)

ونهب الامام الشوكاني الى أن المقصود باللام هنا الاستغراق ، فيكون الحصر ادعائيا ، على اعتبار أن افراد الحمد مختصة به ، وأن حمد غيره لا اعتداد به ، أو أن حمده هو الفرد الكامل. فقال :" وتعريفه لاستغراق أفراد الحمد ، وأنها مختصة بالرب سبحانه ، على معنى أن حمد غيره لا اعتداد به ، لأن المنعم هو الله عز وجل ، أو على أن حمده هو الفرد الكامل ، فيكون الحصر ادعائيا . ورجح صاحب الكشاف : أن التعريف هنا هو تعريف الجنس لا الاستغراق ، والصواب ماذكرناه).(٣)

---

(١) حاشية الشهاب ، ج ١ ، ص ٨٤
(٢) تفسير ابوالسعود ، م٢ ، ج ٣ ، ص ١٠٤
(٣) فتح القدير.. ، م١ ، ص ١٩

ونهب الامام البيضاوى الى أن اللام تفيد الجنس، أو تفيد الاستغراق. فقال : (والتعريف فيه للجنس، ومعناه الاشارة الى مايعرفه كل أحد ، أن الحمد ماهو ، أو للاستغراق اذ الحمد فى الحقيقة كله له)(١)

والى مثل هذا نهب الامام أبوحيان ، فرأى ان اللام اما للعهد أى الحمد المعروف بينكم لله ، أو لتعريف الماهية أو لتعريف الجنس، فيدل على استغراق الاحمدة كلها.

وذكر فى النهر الماد أن الأظهر أنها للجنس، فتدل على الاستغراق ، وذكر أن للحمد قراءتين ، احداهما بالرفع ، وهى أمكن فى المعنى ، لأنها تدل على ثبوت الحمد واستقراره لله تعالى ، فيكون قد أخبر بأنه مستقر لله تعالى ، أى حمده وحمد غيره ، وعليها القراءات السبع ، وعلى قراءة النصب لابد من تقدير عامل ، فيتخصص الحمد بتخصيص فاعله.(٢)

ويبدو لى أنه يقصد بقوله : (بتخصيص ...) ، الاختصاص المفارق للحصر وهو تمييز شئ بصفة ، من غير النظر الى نفيه عن غيره ، فيرى الامام الألوسى أن اللام هنا تفيد الجنس، أو العهد ، أو الاستغراق ، فقال (وأنا لو خليت وطبعى ، لا أمنع أن تكون أل للحقيقة من حيث هى ، كما فى قولهم : الرجل خير من المرأة. أولها من حيث وجودها فى فرد غير معين كما فى : أدخل السوق. أولها فى جميع الأفراد وهو الاستغراق ، كما فى : (ان الانسان لفى خسر). ورد على من قال ان المقام يدل على كون اللام للاستغراق ، لأن اختصاص حقيقة الحمد به تعالى أبلغ من اختصاص أفرادها. جمعا وفرادى. ولاستلزام الأول الثانى ، وسلوك الطريق البرهانى اقضى لحق البلاغة. وأيضا أصل الكلام نحمد الله تعالى حمدا ، وحمدنا بعض لا كل. وفى اختصاص الجنس اشعار بأن حمد كل حامد لكل محمود حمد لله تعالى على الحقيقة

---

(١) البيضاوى ، ج ١ ، ص ٢٣ - ٢٤
(٢) البحر المحيط ، البحر الماد ، ج ١ ، ص ١٨

لأنه انما حمده على الصفات الكماليه المفاضة عليه من الفياض الحق جل وعلا ، فهو فعله على الحقيقة ، والحمد على الفعل الجميل. والمعتزلى وان قال بالاستقلال ، لايمنع أن الاقدار والتمكين منه تعالى ، فيمكنه من هذا الوجه ، أن يعمم عند المقتضى له. وقد صرح بهذا الزمخشرى أول التغابن فقال فى قوله تعالى : (له الملك وله الحمد) ، قدم الظرفان ، ليدل بتقديمهما على معنى اختصاص الملك والحمد بالله تعالى . ثم قال وأما حمد غيره ، فاعتداد بأن نعمة الله تعالى جرت على يده. وقد يقال أيضا على أصله : أن الحمد المستغرق لايجوز أن يختص ، بل الحمد الحقيقى الكامل الذى يقتضيه اجراء هذه الصفات. فاللام للحقيقة حتى كأنه كلها ، لا لأنها للاستغراق فى المقام الخطابى ، وتنزيل غير ذلك منزلة العدم ، فانه تطويل للمسافة مع قصرها كلام لا أقبله ، وان جل قائله ، ويعرف الرجال بالحق لا الحق بالرجال ، كيف ومن سنة الله تعالى التى لاتبديل لها اجراء الكلام على سبيل الخطابة ، وان كان برهانيا ، فهى أكثر تأثيرا فى النفوس ، وأنفع لعوام الناس ، فالتحرز عن الاستغراق احترازا عن المقام الخطابى نهول عن مقرئ كلام الله تعالى ، ثم لماكان المقام مقتضيا لدقائق النعم ورواد فها ، لم يكن تنزيل الحمد الغير الكامل منزلة العدم من مقتضيات المقام. وتصريح الزمخشرى فى التغابن بالتعميم ممنوع ، للتفرقة بين استغراق أفراد الحمد الخارجية ، والذهنية الحقيقية ، والمجازية الكاملة وغير الكاملة ، وبين اختصاص حقيقة الحمد كما يشعر به قوله. وذلك لأن الملك على الحقيقة له ، وكذلك الحمد ، فكما أنه لاينفى الملك عن غيره مطلقاً ، فكذلك لاينفى الحمد عنه كذلك ، فان من أصل المعتزلة أن نعمة الله تعالى جارية على يد العبد ، لكنه موجود لانضمامه ، فله حمد يليق بايجاده ولله تعالى حمد يليق بتمكينه وافاضته ، وهو الحمد الكامل المختص به عز شأنه لا ذاك ، وفى الكشاف مايؤيد ما قلناه لمن أمعن النظر . وأما حديث أن اختصاص حقيقة الحمد أبلغ من اختصاص الافراد ، لاستلزام الاول

الثانى ، فيُجاب عنه بأن اختصاص الافراد الخارجية والذهنية ـ كما قررنا ـ مستلزم لاختصاص الحقيقة أيضا ، اذ لم يبق لها فرد غير مختص فأين توجد. فالاستلزام متعاكس، على ان حقيقة الحمد يصدق عليها الحمد فهى فرد من أفراده ..).(١)

ويبدو لى أن قوله تعالى (الْحَمْدُ لِلَّهِ) مفيد للقصر ، سواء كانت اللام للجنس أو للاستغراق . فاذا كانت اللام للاستغراق يكون القصر ادعائيا ، بتنزيل محامد غيره منزلة العدم .

واذا كانت اللام جنسية فيقصر جنس الحمد كله على كونه لله عز وجل دون غيره من العباد ، أو ممن أشركوا معه فى الالوهية .

سـر القصـر :

ذكر الله سبحانه وتعالى أنه رب العالمين ، والعالم عبارة عن كل موجود سوى الله ، كما ذكر أنه الرحمن الرحيم ، وأن بيده ملك يوم الدين، وأن (كل موجود اما واجب الوجود لذاته ، واما ممكن الوجود لذاته. وواجب الوجود لذاته واحد وهو الله سبحانه وتعالى ، وما سواه ممكن ، وكل ممكن فلا يمكن دخوله فى الوجود الا بايجاد الله تعالى وتكوينه ، والوجود نعمة ، فالايجاد انعام وتربية. فلهذا السبب قال الحمد لله رب العالمين)(٢) فقصر الحمد على كونه لله وحده .

ومن أسرار قصر الحمد على الله تعالى(أن القلوب مجبولة على حب من أحسن اليها ، وبغض من أساء اليها، فاذا أمر الله تعالى العبد بالتحميد وكان الأمر بالتجميد مما يحمله على تذكر أنواع نعم الله تعالى ، صار ذلك التكليف حاملا للعبد على تذكر أنواع نعم الله عليه ، ولما كانت تلك

(١) روح المعانى ، ج ١ ، ص ٧٣ ـ ٧٤
(٢) الفخر الرازى، م ٢ ، ج ١٢ ، ص ١٥٤

النعم كثيرة خارجة عن الحد والاحصاء ، صار تذكر تلك النعم موجبة لرسوخ حب الله تعالى فى قلب العبد، فثبت أن تذكير النعم يفيد هاتين الفائدتين الشريفتين ،إحداهما الاستدلال بحدوثها عن الاقرار بوجود الله تعالى. وثانيتهما : أن الشعور بكونهما نعما ، يوجب ظهور حب الله فى القلب، ولا مقصود من جميع العبادات الا هذان الامران . فلهذا السبب وقع الابتداء فى هذا الكتاب الكريم بهذه الكلمة ، فقال :

((الحمد لله رب العالمين)).(١)

((البقرة))

١ - تعريف الجزين :

(الٓمٓ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَارَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ).(٢)

اختلف فى تعريف المسند هنا ، هل هو للجنس أو للعهد. فيرى الامام الزمخشرى : أن أل هنا تفيد الجنس ، وذلك اذا اعتبرنا الكتاب خبرا لذلك ، وكانت (الم) اسما للسورة. أما اذا اعتبرنا الكتاب صفة لذلك ، فأل هنا عهدية . فقال :

(ان جعلت (الم) اسما للسورة ، ففى التأليف وجوه : أن يكون (الم) مبتدأ ، ذلك : مبتدأ ثانيا ، والكتاب : خبره ، والجملة : خبر المبتدأ الاول . ومعناه : أن ذلك الكتاب هو الكتاب الكامل ، كأن ما عداه من الكتب فى مقابلته ناقص ، وأنه الذى يستأهل أن يسمى كتابا ، كما تقول هو الرجل : أى الكامل فى الرجولية ، الجامع لما يكون فى الرجال من مرضيات الخصال ، وكما قال : هم القوم كل القوم يا أم خالد. وأن يكون الكتاب صفة. ومعناه : هو ذلك الكتاب الموعود ، وأن يكون (الم) : خبر مبتدأ محذوف : أى هذه (الم) ، ويكون ذلك : خبرا ثانيا

(١) الفخر الرازى ، م٦ ، ج ١٢ ، ص ١٥٤-١٥٥
(٢) آية : ١ - ٢

أو بدلا ، على أن الكتاب صفة ، وأن يكون هذه (الٓمٓ) جملة ، وذلك الكتاب جملة أخرى، وان جعلت (الم) بمنزلة الصوت كان ذلك : مبتدأ خبره الكتاب أى : ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل ، أو الكتاب : صفة والخبر : مابعده. أو قدّر مبتدأ محذوف ، أى : هو . يعنى المؤلف من هذه الحروف ذلك الكتاب ، ..)(١)

وعلق الشريف الجرجانى على جعله اللام للعهد ، عند جعل الكتاب صفة ، فقال: (وجعل اللام فى الكتاب للعهد ، على تقدير كونه صفة . لذلك ، لأنه المتبادر عند الاشارة اليه ، وأيضا لا فائدة فى الاخبار عن السوره بصدق جنس الكتاب عليها ، وأن قصد الحصر كان اسم الاشاره لغوا..)(٢)

أما الامام ابوالسعود ففرق بينهما بحسب المقصود من المسمى. فاذا كان المقصود (السورة) ، كانت أل عهدية ، ولاوجه لافادتها الحصر. أما اذا كان المقصور بالكتاب (كل القرآن) ، فأل هنا جنسية مفيدة للحصر. قال : (واطلاق الكتاب على المنظوم عبارة لما أن مآله الكتابة. والمراد به على تقدير كون المسمى ، هى السورة جميع القرآن الكريم ، وان لم يتم نزوله جملة الى السماء الدنيا ، حسبما ذكر فى فاتحة الكتاب ، واللام للعهد والمعنى أن هذه السورة هو الكتاب ، أى العمدة القصوى منه ، كأنه فى احراز الفضل كل الكتاب المعهود ، الغنى عن الوصف بالكمال ، لاشتهاره به فيما بين الكتب. على طريقة قول صلى الله عليه وسلم:(الحج عرفة) وعلى تقدير كون المسمى كل القرآن. فالمراد بالكتاب الجنس ، واللام للحقيقة والمعنى ان ذلك هو الكتاب الكامل الحقيق بأن يخص به اسم الكتاب ، لغاية تفوقه على بقية الافراد فى حيازة كمالات الجنس ، كأن ماعداه من الكتب السماوية خارج منه بالنسبة اليه كما يقال : هو الرجل . أى الكامل فى الرجولية ، الجامع لما يكون فى الرجال من مراضى الخصال. وعليه قول

---

(١) الكشاف ، ج ١ ، ص ١١١-١١٢
(٢) الكشاف ، حاشية الشريف الجرجانى ، ج ١ ، ص ١١٣

من قال : (هم القوم كل القوم يا أم خالد)(١) فالمدح كما ترى من جهة حصر كمال الجنس في فرد من أفراده. وفي الصورة الاولى من جهة حصر كمال الكل في الجزء. ولامساغ هناك لحمل الكتاب على الجنس، لما أن فرده المعهود هو مجموع القرآن ، المقابل لسائر أفراده من الكتب السماوية ، لابعضه الذى ينطلق عليه اسم الكتاب، باعتبار كونه جزءا لهذا الفرد، لا باعتبار كونه جزئيا للجنس على حياله ، لأن حصر الكمال في السورة. مشعر بنقصان سائر السور. وان لم يكن الحصر بالنسبة اليها لتحقيق المغايرة بينهما. هذا على تقدير كون الكتاب خبرا لذلك)(٢)

ورد الشريف الجرجاني على القول الاخير ، بأنه لا مساغ لحمل الكتاب على الجنس، اذا كان المراد من المسمى السورة. لان حصر الكمال في السورة مشعر بنقصان سائر السور ، فقال :

(فان قلت : اذا كان (الم) اسما للسورة ، وذلك اشارة اليها ، كان حصر الكمال فيها اثباتا للنقصان في سائر الصور.(٣) فانها المقابلة لها لا الكتب المتقدمة، قلت : هذا انما يلزم ، اذا لوحظ في الحصر السورة من حيث خصوصها. وأما اذا لوحظت من حيث أنها قرآن فلا ، لأن مقابلها من هذه الحيثية هو الكتب المتقدمة لاسائر السور ، وأيضا يجوز ان يراد باسم السورة القرآن كله مجازا)(٤)

سر القصر :

ابتدئت السورة الكريمة بالحروف المقطعة ، وفي هذا اشارة الى اعجاز القرآن الكريم. وبها كان التحدى للمشركين ، بمثل أقصر سورة من القرآن فهذه الحروف هي من جنس كلامهم ، وقد عجزوا عن معارضته.

---

(١) وهو عجز بيت للاشهب بن رميله ، شطره (وان الذى حانت بفلج دماؤهم)/ شرح شواهد المغني ، ج ٢ ، ص٥١٧ ، رقم الشاهد ٣٠٥ / ديوان الحماسه المرزوقي ، ج ١ ، ص٣٤

(٢) تفسير ابى السعود ، ج ١ ، ص ٢٣ _ ٢٤

(٣) لعله خطأ مطبعي والمراد (السور).

(٤) الكشاف ، حاشية الشريف الجرجاني ، ج ١ ، ص ١١٢

ثم نزل البعد المعنوى منزلة البعد المكانى . وفى ذلك اشارة للبعيد الحسى، (ذا : اسم اشارة. واللام : عماد جئ به للدلالة على بعد المشار اليه والكاف : للخطاب والمشار اليه. هو المسمى فانه منزل منزلة المشاهد بالحس البصرى، ومافيه من معنى البعد ، مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو شأنه ، وكونه فى الغاية القاصية من الفضل والشرف)(١).

ثم جاء بعد قليل ذكر اليهود ، وهم أهل كتاب حرفوه ، ووصف القرآن بأنه لاريب فيه ، وأنه هدى للمتقين. ولكل هذا كان لابد من تفخيم شأنه فى أول السورة ، وبيان أنه وحده الكامل من بين الكتب السماوية. (فانه لما نبه أولا على اعجاز المتحدى به ، من حيث أنه من جنس كلامهم ، وقد عجزوا عن معارضته بالمرة ، ظهر أنه الكتاب البالغ أقصى مراتب الكمال وذلك مستلزم لكونه فى غاية النزاهة عن مظنة الريب ، اذ لا أنقص مما لم يعتريه الشك ، وماكان كذلك كان لا محالة هدى للمتقين).(٢)

وفى مجئ قوله تعالى(الم. ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين) بجعل كل جملة مستقلة برأسها ، متناسقة فيما بينها ، من غير حرف نسق تأكيدا لعظمته وكماله ، (وذلك لمجيئها متآخية ، آخذا بعضها بعنق بعض. فالثانية متحده بالاولى ، معتنقة بها ، وهلم جرا الى الثانية ، والرابعة. بيان ذلك أنه نبه أولا على أنه الكلام المتحدى به ، ثم أشير اليه بأنه الكتاب المنعوت بغاية الكمال ، فكان تقريرا لجهة التحدى وشداً من أعضاده . ثم نفى عنه أن يتشبث به ، طرف من الريب ، فكان شهادة وتسجيلا بكماله ، لأنه لا كمال أكمل مما للحق واليقين. و لا نقص أنقص مما للباطل والشبه).(٣)

---

(١) تفسير ابى السعود ، م١ ، ج ١ ، ص ٢٣
(٢) المرجع السابق ، ص ٢٩
(٣) الكشاف ، م١ ، ص ١٢١ ـ ١٢٢

- (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ).(١)

المقصور : الاشتراء

المقصور عليه : أولئك

قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا ، فيه مبالغة. أو قصر افراد ، لأن المقام ورد فيه الحديث عن صفات المؤمنين . وعن صفات المنافقين ، فيكون قصر اشتراء الضلالة على المنافقين دون المؤمنين.

سر القصر :

بينت الآيات السابقة أوصاف المنافقين وفظيع أعمالهم ، من ارادتهم خداع الله ، والذين آمنوا ، وادعائهم أنهم مقصورون على الاصلاح المحض لايتعداهم الى غيرهم . مشيرين (بانما) الى أن ذلك من الوضوح ، بحيث لاينبغي أن يرتاب فيه ، وهم في الحقيقة المفسدون. ورفضهم الايمان واطلاقهم السفة على المؤمنين - وهم السفهاء - ثم استهزاؤهم - وهم المستهزأ بهم في الحقيقة - فلإجتماع هذه الصفات الذميمة فيهم ، كان لابد من بيان كمالهم في الجهالة والضلال ،، فبدئت الآية باسم الاشارة (اولئك) (اشارة الى المذكورين ، باعتبار اتصافهم بما ذكر من الصفات الشنيعة المميزة لهم . عمن عداهم اكمل تمييز ، بحيث صاروا كأنهم حضّار مشاهدون على ماهم عليه ومافيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الشر وسوء الحال).(٢)

ثم جئ بأسلوب القصر عن طريق تعريف الخبر (الذين) ، (لكون تعريف الموصول للجنس ، بمنزلة تعريف اللام الجنسي، وفيه حصر المسند على المسند اليه وهو ادعائي ، باعتبار كمالهم في ذلك الاشتراء ، وان كان الكفار

---

(١) آية : ١٦
(٢) تفسير ابى السعود ، ج ١ ، ص ٤٨

الآخرون مشاركين لهم فى ذلك لجمعهم هاتيك المساوى الشنيعة ، والخلال الفظيعة ، فبذلك الاعتبار صح تخصيصهم بذلك).(١)

فجملة الحصر مسوقة لتقرير ما قبلها ، وبيان لكمال جهالتهم فيما حكى عنهم من الاقوال والافعال ، بإظهار غاية سماجتها ، وتصويرها بصورة مالايكاد ، يتعاطاه من له أدنى تمييز فضلا عن العقلاء.(٢) وللتقليل من شأنهم والحط من قدرهم ، أبرز كمال جهلهم عن طريق القصر ، الذى جاء فى صورة الاستعارة ، ليكون أثبت وأوضح فى ابراز صورتهم. فالضلالة هى الجور عن القصد ، والهدى هو التوجه اليه ، واستعير الاول : للعدول عن الصواب فى الدين ، والثانى : للاستقامة عليه ، فاشتراء الضلالة بالهدى ، مستعار لأخذها بدلا منه أخذا منوطا بالرغبة فيها والاعراض عنه ، ولما اقتضى ذلك أن يكون ما يجرى مجرى الثمن حاصلا للكفرة قبل العقد وما يجرى مجرى المبيع غير حاصل لهم اذ ذاك ، فلا ريب فى أنهم بمعزل عن الهدى ، مستمرون ودائبون على الضلال ، استدعى الحال تحقيق ماجري مجرى العوضين.(٣)

— (هُوَ الَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ).(٤)

المقصور : الخلق

المقصور عليه : هو

قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا .

---

(١) روح المعانى ، ج ١ ، ص ١٦٠
(٢) تفسير ابى السعود ، ج ١ ، ص ٤٨
(٣) تفسير ابى السعود ، ج ١ ، ص ٤٨
(٤) آية : ٢٩

سر القصر :

ذكرت الآيات السابقة قبائح الفاسقين ، ونقضهم لعهد الله ، وقطعهم لما أمرهم به أن يوصل ، وافسادهم في الارض. وهذه الافعال لا تصدر الا من منكر جاحد . فجئ بأسلوب الاستفهام للتعجب من حالهم في كفرهم بالله. فقال تعالى (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون) فلشدة انكارهم كان لابد من جذب انتباههم ، ولفت أنظارهم وتذكيرهم بما هو محسوس وموجود أمامهم ، فجئ بالخبر المعرف (الاسم الموصول). للدلالة على اختصاص المولى عز وجل بخلق ما في السموات والأرض وحده دون غيره وذلك لزجرهم وتربية المهابة في نفوسهم ، فمن كانت هذه قدرته ، فهو الحقيق بالطاعة والخضوع والتذلل له.

— (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ)(١)

المقصور : الشراء

المقصور عليه : اولئك

قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا فيه مبالغة

سر القصر :

بينت الآيات السابقة قبائح اليهود من نقضهم الميثاق ، الذى ينص على عدم الاشراك بالله والاحسان الى الوالدين وذوى القربى ، واقامة الصلاة وايتاء الزكاة وعدم سفك الدماء. فنقض هذا الميثاق العظيم من أقبح الاعمال ولذا كان لابد من بيان كمالهم في القبح ، فجئ باسم الاشارة

(١) آية : ٨٦ .

للإشارة الى بعد منزلتهم فى الشر ، وعُرّف الخبر(الاسم الموصول) لقصر شراء الحياة الدنيا بالآخرة عليهم ؛ لبيان كمال جهلهم وغفلتهم. ف(الجمع بين تحصيل لذات الدنيا ولذات الآخرة ممتنع غير ممكن ، والله سبحانه مَكّنَ المكلف من تحصيل أيهما شاء وأراد ، فاذا اشتغل بتحصيل أحدهما فقد فوت الآخرة على نفسه ، فجعل الله ما أعرض اليهود عنه من الايمان بما فى كتبهم وما حصل فى أيديهم من الكفر ، ولذات الدنيا ، كالبيع والشراء. وذلك من الله تعالى فى نهاية الذم لهم ، لأن المغبون فى البيع والشراء فى الدنيا ، مذموم حتى يوصف بأنه تغير فى عقله ، فبأن يذم مشترى قبائح الدنيا بالآخرة أولى)(١).

— (فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا وإِن تَوَلوا فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)(٢)

المقصور : السميع العليم

المقصور عليه : هو

قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا.

والقصر هنا عن طريق تعريف الخبر.

سر القصر :

لما أدعى اليهود والنصارى أنه لا دين ولا هداية الا باعتناق اليهودية أو النصرانية (وَقَالُوا كُونُوا هُوداً أَو نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)(٣).

---

(١) الفخر الرازى ، م ٢ ، ج ٣ ، ص ١٨٧
(٢) آية : ١٣٧
(٣) آية : ١٣٥

أجابهم القرآن بأن مايدعونه ليس بهدى ، وأن الهدى هو ملة ابراهيم عليه السلام ، وهى ملة الاسلام ، وأن من تولى فهو فى ضلال. ثم ذكر الايمان وضده ، وكل منهما مشتمل على أقوال وأفعال ، وعلى عقائد تنشأ عنها تلك الأقوال والأفعال . لذا ناسب أن يختم الآية بقوله (وهو السَّمِيعُ الْعَلِيمُ). أى السميع لأقوالكم ، العليم بنياتكم واعتقادكم.

ولماكانت الأقوال هى الظاهرة لنا ، الدالة على مافى الباطن ، قدمت صفة السميع على العليم ، ولأن العليم فاصلة أيضا.(١) وفى قصر هاتين الصفتين على المولى عز وجل عن طريق تعريف الخبر ، مبالغة فى بيان كمال اتصافه بهما دون غيره ، وفيها وعد ووعيد . وعد للرسول صلى الله عليه وسلم بأنه يسمع دعاءه ويعلم نيته ، وهو يستجيب له ويوصله الى مراده.(٢) ووعيد للمعرضين بمعنى أنه يسمع مايبدون ، ويعلم مايخفون ، وهو معاقبهم عليه.(٣)

▬ (قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ).(٤)

المقصور : الحق .

المقصور عليه : الضمير فى (أنه) الراجع الى التولى الى المسجد الحرام .

---

(١) البحر المحيط ، ج ١ ، ص ٤١١
(٢) الفخر الرازى ، م٢ ، ج ٤ ، ص ٩٤
(٣) البيضاوى ، ج ١ ، ص ١٩٣
(٤) آيـة : ١٤٤ .

قصر صفة على موصوف أو هو قصر اضافى قصر افراد ، اذا كان النفى بالنسبة للتولى الى المسجد الأقصى ، أى أن الحق هو التولى الى المسجد الحرام لا الى المسجد الأقصى .

سر القصر :

ان أمر تحويل القبلة من المسجد الأقصى الى المسجد الحرام كان معلوما عند أهل الكتاب ، لأنه كان فى بشارة أنبيائهم برسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يصلى الى القبلتين.

فكان لابد من توكيد هذا المعنى لرد افتراءات اليهود ، وتشكيكهم المسلمين فى أمر تحويل القبلة ، فجى بأسلوب القصر فقُصر الحق على تحويل القبلة لاغير (أى التحويل أو التوجه المفهوم من التولية (الحق) لاغيره لعلمهم بأن عادته سبحانه وتعالى جارية على تخصيص كل شريعة بقبلة ، ومعاينتهم لما هو مسطور فى كتبهم من أنه عليه الصلاة والسلام يصلى الى القبلتين . كما يشعر بذلك التعبير عنهم بالاسم الموصول بايتاء الكتاب ، وان مع اسمها وخبرها ساد مسد مفعولى يعلمون ، أو مسد مفعوله الواحد ، على أن العلم بمعنى المعرفة.(١)

(١) تفسير ابى السعود ، ج ١ ، ص ١٧٥ .

(الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الممترين).(١)

يحتمل أن يكون الحق : خبر لمبتدأ محذوف تقديره هو الحق . أو مبتدأ خبره : من ربك ، ويبدو لى أنه فى كلا الحالتين يفيد القصر ، الا أنه على التقدير الأول يفيد القصر عن طريق تعريف المسند.

أى هو الحق لا غيره ، مما يدعيه أهل الكتاب فهو باطل . فيكون قصر افراد من قصر الصفة على الموصوف .

والمقصور : الحق .

والمقصور عليه : هو .

وعلى التقدير الثانى يفهم القصر عن طريق المعنى - أى أنه عن طريق غير اصطلاحى ، أى الحق من ربك لا من غيره ، كما فى (التوكل على الله) أى لا على غيره . فيكون القصر حقيقيا تحقيقيا.

والمقصور : الحق

المقصور عليه : من ربك

قصر صفة على موصوف .

هذا على اعتبار كون (الـ) هنا تفيد الجنس . فقد ذكر الامام الزمخشرى أنها قد تفيد العهد ، فقال (يحتمل أن يكون الحق خبر مبتدأ محذوف ، أى هو الحق ، أو مبتدأ خبره : من ربك . وفيه وجهان أن تكون اللام للعهد والاشارة الى الحق الذى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو الى الحق الذى فى قوله ليكتمون الحق ، أى هو الذى يكتمونه هو الحق من ربك . وأن تكون للجنس على معنى الحق من الله لا من غيره ، يعنى أن الحق ما ثبت أنه من الله ، كالذى أنت عليه ، وما لم يثبت أنه من الله ، كالذى عليه أهل الكتاب فهو الباطل).(٢)

---

(١) آية : ١٤٦ ـ ١٤٧

(٢) الكشاف ، م ١ ، ص ٣٢١ .

سـر القصـــر :

أنكر أهل الكتاب أمر تحويل القبلة ، مع علمهم الأكيد بصحة ذلك لوروده فى كتبهم. وهذا اصرار على الانكار ، وماكان انكارهم هذا الا لعناد يقوده الهوى، وتؤجه المصلحة فقد عز عليهم أن يتحول الرسول والامة الاسلامية عن قبلتهم ، فيفقدوا بذلك حجة تعاظمهم ، فانطلقوا يلقون بذور الشك والريب فى قلوب المسلمين. ولهذا أنزل الرسول صلى الله عليه وسلم منزلة من ينكر. فالرسول صلى الله عليه وسلم من المعلوم أنه لم ينكر قط ، ولم يشك فى كون هذا الأمر هو الحق ، وكونه من عند الله لامن عند غيره. ولكن فى توجيه الخطاب الى النبى صلى الله عليه وسلم ، وانزاله منزلة من ينكر يحمل فى طياته ايحاءاً قوياً ، وزجرا عظيما الى من وراءه من المسلمين ، ممن كان يتأثر بأباطيل اليهود ، أو من يأتى بعدهم ممن تُؤثِر فيهم أباطيل اليهود وغيرهم .

— (إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُوْلَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)(١).

المقصـــور : التواب الرحيم .

المقصور عليه : أنـــا

قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا.

سـر القصـــر :

لما بين الله سبحانه وتعالى عظيم الوعيد وبالغ التهديد للذين يكتمون ما أنزل الله ، كان من الممكن أن يتوهم أن الوعيد يلحقهم على كل حال ، وفى هذا مايدعو الى اليأس من رحمة المولى عز وجل، والصد عن العودة الى الايمان به ، ولكن من عظيم رحمته ، بين لهم أنهم اذا تابوا

(١) آيـــة : ١٦٠ .

وأصلحوا تغير حكمهم . وليعيد الثقة فى النفوس، ويرغب فى التوبة ، أكد قبوله لتوبة من تاب وأناب . وذلك بتعريف الخبر ، والمجئ به عن طريق صيغة المبالغة ، فقصر التوبة على ذاته العليا . فهو وحده القابل لتوبة كل ذى توبه ، ثم عقب هذا القصر بصفة الرحمن ، للتنبيه (على أنه لرحمته بالمكلفين من عباده ، يقبل توبتهم بعد التفريط العظيم منهم).(١)

— (لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ).(٢)

فى الآية الكريمة أسلوبا قصر.

الاول عن طريق تعريف الجزءين فى قوله تعالى : (اولئك الذين صدقوا).

المقصور : الصدق .

المقصور عليه : أولئك .

قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا ، أو فيه مبالغة.

والقصر الثانى عن طريق تعريف الخبر ، وتوسط ضمير الفصل فى قوله تعالى: (وأولئك هم المتقون).

المقصور : المتقون

المقصور عليه : هم / أولئك .

قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا .

---

(١) الفخر الرازى ، م ٢ ، جـ ٤ ، ص ٧٢
(٢) آية : ١٧٧ .

سر القصر :

ان هذه الآية الكريمة حاوية جميع الكمالات البشرية برمتها تصريحا وتلويحا ، لأنها مع كثرت فنونها وتشعب شمولها منحصرة فى ثلاثة خلال ، صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة مع العباد ، وتهذيب النفس. وقد أشير الى الاولى بالايمان ، والى الثانية بايتاء المال ، والى الثالثة باقامة الصلاة .(١) ولأن هذه الصفات هى كمال الايمان ، رفع من شأن الحائزين لها ، بتكرير اسم الاشارة ، وتوسيط ضمير الفصل ، وتعريف الخبر ، لتأكيد انحصار التقوى فيهم وحدهم دون غيرهم. وفى وصف الحائزين على هذه الصفات بهذا الاسلوب ، مايحث الانسان على الاجتهاد فى طلب ماطلبوه ، ليفوز بما فازوا به .

ولقد ذكر الامام ابوالسعود أن تكرير الاشارة هنا لزيادة تقوية شأنهم وتوسيط الضمير للاشارة الى انحصار التقوى فيهم.(٢)

فيفهم من كلامه أن القصر من توسط ضمير الفصل . أما الامام الشهاب فيظهر لى من كلامه ، أن القصر ناتج عن تعريف الخبر ، فقال : (وعمم التقوى ليصح الحصرحقيقة).(٣)

ولقد ذكرت سابقا أنه يظهر لى أنه لامانع من كون القصر مستفاد من التعريف مع ضمير الفصل .

- (وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ واتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ).(٤)

المقصور : خير الزاد .

المقصور عليه : التقوى .

---

(١) تفسير ابى السعود ، ج ١ ، ص ١٩٤ - ١٩٥

(٢) تفسير ابى السعود ، ج ١ ، ص ١٩٤-١٩٥

(٣) حاشية الشهاب ، ج ٢ ، ص ٢٧٢

(٤) بعض آيات : ١٩٧ .

قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا فيه مبالغة .

سر القصر :

تضمنت الآيات السابقة جملة من المنهيات فى شهر الحج ، فنهت عن الرفث وعن الفسوق والجدال . ولما كانت هذه الامور من الرذائل ، التى يحتاج الانسان فى مقاومتها ، الى أن يتزود بما يعينه على ذلك ، قصر خير الزاد على التقوى ، لايتعداها الى غيرها ، لترغيب الناس فى تعمير القلوب والنفوس بتقوى الله ، لما لها من الفضل فى ردع النفس ، وتحذيرها من ركوب المعاصى .

٢ - ما اجتمع فيه ضمير الفصل وتعريف الجزءين :

- (أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ).(١)

قد سبق أن بينت رأى البلاغيين فيما اذا اجتمع فى الجملة ضمير فصل وخبر معرف بأل ، فرأى بعضهم أن القصر يستفاد من الخبر المعرف بأل فقط ، ورأى بعض آخر أنه يستفاد من كلا الطريقين .

ويبدو لى أنه يستفاد من كلا الطريقين ، لأن فى اجتماع الطريقين ما يزيد الجملة تأكيدا على تأكيد.

ويفهم من كلام الزمخشرى أن القصر فى هذه الاية مستفاد من كلا الطريقين ، اذ انه قال : ((وهم) فصل ، وفائدته الدلالة على أن الوارد بعده خبر لاصفة والتوكيد ، وايجاب أن فائدة المسند ثابته للمسند اليه دون غيره أو هو : مبتدأ ، والمفلحون : خبره ، والجملة : خبر أولئك)(٢) ثم ذكر معنيين للام ، المعنى الاول يفيد القصر ، والثانى لايفيده ،

---

(١) آية : ٥

(٢) الكشاف ، م١ ، ص ١٤٥

فذكر المعنى الأول فقال : (ومعنى التعريف فى المفلحون ، الدلالة على أن المتقين ، هم الناس الذين عنهم بلغك ، أنهم يفلحون فى الآخرة. كما اذا بُلِّغت أن انسانا ، قد تاب من أهل بلدك ، فاستخبرت : من هو فقيل : زيد التائب. أى هو الذى اخبرت بتوبته). وهذا ماذكره الامام عبدالقاهر عند حديثه عن الفرق بين زيد المنطلق ، وزيد منطلق ، حيث قال :

(واذا قلت : زيد المنطلق ، كان كلامك مع من عرف ، أن انطلاقا كان ، إمَّا من زيد ، وإمَّا من عمرو . فأنت تُعْلِمه أنه كان من زيد دون غيره. فأنت تثبت فعلا قد علم السامع أنه كان ، ولكن لم يعلمه لزيد ، فأفدته ذلك ، فصار الذى كان معلوما على جهة الجواز ، معلوما على جهة الوجوب).(١)

أما التعريف الثانى الذى ذكره (لأل) فقد قال فيه :(... أو على أنهم الذين ان حصلت صفة المفلحين ، وتحققوا ماهم ، وتصوروا بصورتهم الحقيقية فهم هم لايعدون تلك الحقيقة. كما تقول لصاحبك : هل عرفت الأسد ، وما جبل عليه من فرط الاقدام ؟ ان زيدا هو هو).

وهذا ماذكره الامام عبدالقاهر ، بعد أن بين وجوه افادة (أل) القصر ، فقال : (واعلم أن للخبر المعرف بالألف واللام معنى غير ماذكرت لك ، وله مسلك ثم دقيق ، ولمحة كالخلس ، يكون المتأمل عنده ، كما يقال : يعرف وينكر. وذلك قولك : هو البطل المحامى ، وهو المتقى المرتجى . وأنت لا تقصد شيئا مما تقدم، ولكنك تريد أن تقول لصاحبك هل سمعت بالبطل المحامى ؟ وهل حصلت معنى هذه الصفة ؟ وكيف ينبغى أن يكون الرجل ، حتى يستحق أن يقال ذلك له وفيه ؟. فان كنت قلته علما ، وتصورته حق تصوره فعليك صاحبك وأشدد به يدك ، فهو ضالتك ، وعنده بغيتك . كطريق قولك : هل سمعت بالأسد ، وهل تعرف ماهو . فان كنت تعرفه فزيد هو هو بعينه).(٢)

فالامام الزمخشرى لايوجب افادة (أل) هنا للقصر ، على اعتبار المعنى

---

(١) دلائل الاعجاز ، ص ١٢٤ .
(٢) المرجع السابق ، ص ١٢٧ .

الثانى ، فيكون القصر مستفاداً من الفصل .

أما على المعنى الاول ، فهو مستفاد من أل . والضمير .

ونهب الامام أبوحيان الى أن الألف واللام فى المفلحون ، لتعريف العهد فى الخارج ، أو فى الذهن . وأنه جئ بضمير الفصل هنا لتأكيد النسبة ، فقال (والألف واللام فى المفلحون ، لتعريف العهد فى الخارج ، أو فى الذهن وذلك أنك اذا قلت : زيد المنطلق . فالمخاطب يعرف وجود ذات ، صدر منها انطلاق ، ويعرف زيدا ويجهل نسبة الانطلاق اليه ، وانت تعرف كل ذلك ، فتقول له زيد المنطلق ، فتفيده معرفة النسبة التى كان يجهلها).(١)

فقال : (ودخلت "هو" فيه ، اذ قلت : زيد هو المنطلق ، لتأكيد النسبة).(٢)

وذكر الامام البيضاوى أن تعريف المفلحين اما أن يكون للدلالة ، على أن المتقين هم الناس ، الذين بلغك أنهم المفلحون فى الآخرة . أو الاشارة الى مايعرفه كل أحد من حقيقة المفلحين وخصوصياتهم .

وأما أن تكون أل للجنس ، فيراد بالمفلحين الكاملون فى الفلاح ، ويلزمه عدم كمال الفلاح عمن ليس على صفتهم ، لاعدم الفلاح له رأسا ، ويكون القصر مستفادا من أل الجنسية .(٣) وقد لخص الامام الالوسى القول فقال :

(وهذه الجملة لاتخلو عن افادة الحصر ، كما لايخفى وقد ذكر عنه غيرواحد ان اللام فى ـ المفلحون ـ حرف تعريف بناء على أن المراد الثبات على الفلاح ، فهو حينئذ مما غلبت عليه الاسمية ، أو الحق بالصفة المشبهة . فهى اما للعهد الخارجى للدلالة على أن المتقين ، هم الذين بلغك أنهم مفلحون فى العقبى ، وضمير الفصل اما للقصر ، أو لمجرد تأكيد النسبة . ولا استبعاد فى جريان القصر قلبا ، أو تعيينا ، بل افرادا أيضا . أو للجنس ـ فتشير الى مايعرفه كل أحد من هذا المفهوم ، فان أريد القصر ، كان الفصل

---

(١) البحر المحيط ، جـ ١ ، ص ٤٤

(٢) البيضاوى ، جـ ١ ، ص ٦٥

لتأكيد النسبة ، ولتأكيد الاختصاص ايضا • وان أريد الاتحاد كان لمجرد تأكيد النسبة) • [١]

وقد سبق هؤلاء جميعا الامام الطبرى فى القول بافادة الآية القصر ، ولكن لم يشر من أى طريق استفيد • فقال (•• فأخبر أنهم هم أهل الهدى والفلاح خاصة دون غيرهم •• وأن غيرهم هم أهل الضلال والخسار) • [٢]

فعبارته الاخيرة تشير الى معنى التعريض بغير المفلحين •

فالمقصور فى الآية : الفلاح

المقصور عليه : أولئك/هم .

قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا وذكر الامام الألوسى أنه لا استبعاد فى جريان القصر قلبا أو تعيينا أو افرادا • [٣]

سر القصر :

لما ذكر الله سبحانه وتعالى صفات المتقين وأنهم هم الذين يوقنون بالغيب ، ويقيمون الصلاة ، وحرضهم على الانفاق مما رزقوا • أشار الى أن من كانت هذه صفاتهم ، فهم أهل الهدى وأهل الفوز • ولبيان كمال العناية بتمييزهم [٤] واظهارا لمكانتهم ، وامتداحا لأفعالهم ، نبه سبحانه وتعالى ، على اختصاصهم بنيل مالا يناله أحد على طرق شتى ، منها تكرير اسم الاشارة ، تنبيها على أن اتصافهم بتلك الصفات ، يقتضى كل واحدة من الاثرتين ، وأن كلا منهما كاف فى تمييزهم بها عن غيرهم • [٥]

وفى تعريف المفلحين ، وتوسيط الفصل بينه وبين أولئك ، اظهار لمراتبهم وترغيب فى طلب ماطلبوا ، وتنشيط للمتقاعسين عن تقديم ما قدموا ، وتثبيط

---

(١) روح المعانى ، ج ١ ، ص ١٢٥
(٢) الطبرى ، م ١ ، ص ٨٢
(٣) روح المعانى ، ج ١ ، ص ١٢٥
(٤) المفتاح ، ص ٧٩ •
(٥) البيضاوى ، ج ١ ، ص ٦٥ •

عن الطمع الفارغ والرجاء الكاذب ، والتمني على الله مالا تقتضيه حكمته ، ولم تسبق به كلمته.(١) وفى وصفهم بأنهم الكاملون فى الفلاح . تعريض بغيرهم -كما ذكر الطبرى ، حيث قال (فأخبر أنهم أهل الهدى والفلاح خاصة دون غيرهم ، وأن غيرهم هم أهل الضلال والخسار).(٢)

— (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ).(٣)

المقصور : الافساد

المقصور عليه : الضمير فى (انهم) / هم

قصر صفة على موصوف قصر قلب ، لأنهم لما قصروا أنفسهم على الصلاح قصر افراد ناسب هنا قصرهم على الافساد قصر قلب . أى هم مقصورون على الافساد ، لاحظ لهم فى الاصلاح .

سر القصر :

لما ادعى المنافقون أنهم هم المصلحون ، وجاء ادعائهم مؤكدا ، وأخرجوه فى صورة الأمر المعروف ، الذى لاسبيل لانكاره . وذلك عن طريق قصر الاصلاح على أنفسهم قصر افراد ، وذلك عن طريق انما . وفى هذا تعريض بالمؤمنين أيما تعريض . ولذا جاء الرد عليهم ردا مبالغا فيه حيث سلك فيه مسلك الاستئناف المؤدى الى زيادة تمكن الحكم فى ذهن السامع . مع تأكيد الحكم وتحقيقه ، (بأن المقررة للنسبة وألا) الاستفتاحية ، المركبة من همزة الاستفهام وحرف النفى ، لاعطاء معنى التنبيه على تحقق مابعدها فان الهمزة الانكارية الداخلة على النفى ، تفيد تحقيق الاثبات قطعا كقوله تعالى :

---

(١) الكشاف ، م١ ، ص١٤٥ / البيضاوى ، ج١ ، ص٦٥
(٢) الطبرى ، م١ ، ص ٨٢
(٣) آية : ١١ - ١٢ .

(أليس الله بكاف عبده) . وقوله (أليس ذلك بقادر)(١) ثم عرف الخبر وسط ضمير الفصل ، لحصر الفساد فيهم ، فكل فساد صادر منهم ، لا من غيرهم من المؤمنين ، كما يدعون . وفي هذا مبالغة في قلب اعتقادهم ، ودفع تعريضهم بالمؤمنين . ثم ختمت الآية بقوله تعالى (ولكن لايشعرون) ، فقوله (لايشعرون) ، للدلالة على أن كونهم مفسدين ، قد ظهر ظهور المحسوس ، لكن لاحس لهم ليدركوه .(٢) وذكر بعض البلاغيين أن مجيء القصر لغرضين أحدهما : المبالغة في وصفهم بالافساد ، وهذا ناظر الى مافهم من كلامهم ، من قصرهم أنفسهم على الاصلاح ، والغرض الثاني المبالغة في دفع تعريضهم بالمؤمنين وهو أيضا مفهوم من كلامهم ، لكن هذا الغرض مستفاد من تعريف الخبر ، وتوسيط الفصل . ذكر الشريف الجرجاني :(وأما وجه المبالغة في تعريف الخبر ، وتوسيط الفصل . فقد قيل : الاول يفيد حصر المسند اليه على المسند والثاني يفيد تأكيد هذا الحصر ، وهذا وان كان مناسبا لرد دعواهم الكاذبة ، فانهم لما قصروا أنفسهم على الاصلاح قصر افراد ، ناسب في ردهم أن يقصروا على الافساد قصر قلب أي هم مقصورون على الافساد لاحظ لهم في الاصلاح ، لكن يرد عليه أن تعريف الخبر بلام الجنس يفيد حصره في المبتدأ كما هو المذكور في المفتاح ، والمشهور في الاستعمال وأن ضمير الفصل يفيد هذا الحصر أيضا أو يؤكده .. وقيل المبالغة في تعريف المفسدين على قياس مامر في المفلحين : أي ان حصلت صفة المفسدين ، وتحققوا ماهم ، وتصوروا بصورتهم الحقيقية ، فالمنافقون هم هم لايعدون تلك الحقيقة فيكون الفصل مؤكدا لنسبة الاتحاد ، الذي هو أقوى من القصر في افادة المقصود) .(٣)

وقد يقال أن توضيح المبالغة الحاصلة من تعريف الخبر ، أنه يدل على اتحاد المبتدأ معه في المفهوم والمعنى . وبهذا يحصل حصر المسند في المسند اليه

---

(١) الكشاف ، م١ ، ص١٨٠ / تفسير أبي السعود ، جا ، ص٤٤
(٢) الكشاف ، م١ ، حاشية الجرجاني ، ص١٨١
(٣) الكشاف ، حاشية الشريف الجرجاني ، م١ ، ص١٨١

لأنه اذا اتحد شيئان كان كل منهما مقصورا على الآخر . وكما قصر المسند على المسند اليه ، كان المسند اليه مقصورا على المسند ، فكانوا مقصورين على الافساد ، لايتجاوزونه الى الاصلاح ، وقصرهم على الافساد مبالغة فى كونهم مفسدين . فان قيل ان الاتحاد لايناسب القصر ، اذ قصر الشئ على الشئ يقتضى مغايرتهما ، اذ لاوجه لقصر الانسان على نفسه ، ولافائدة فيه ، أجيب على هذا الكلام ، بأن ادعاء الاتحاد بين شيئين متغايرين ، أمرغير مطابق ولا يجوز مثل هذا فى كلام الله تعالى ، ولكن من الممكن أن يقال : قصر الافساد عليهم مستفاد من تحلية الخبر باللام ، يدل بحسب الظاهر ، على أن كل فساد صادر منهم ، وهذا مبالغة فى اتصافهم بالافساد .(١)

— (الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) .(٢)

المقصور : الخسران .

المقصور عليه : هم / أولئك

قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا فيه مبالغة.

سر القصر :

لما ذكر الله سبحانه وتعالى صفات اليهود ، وصفات المنافقين من نقضهم لعهود الله ومواثيقه ، التى جاء بها على ألسنة رسله ، وأنهم يقطعون صلات القربى وصلات العقيدة ، ويفسدون فى الأرض وفسادهم هذا نابع من نقضهم لعهد الله ، وقطعهم الصلات ، ولماكانت هذه الامور المذكورة فى الآية من أهم أمور الاسلام ، وقد وقع منهم الاخلال بها . لذا جئ بإسم

---

(١) البيضاوى ، حاشية الكازرونى ، ج ١ ، ص ٨٣ ـ ٨٤

(٢) آية : ٢٧ .

الاشارة لما فيه من معنى البعد ، للدلالة على بعد منزلتهم فى الفساد[1] ثم عرف الخبر بأل الجنسية ، وجى بضمير الفصل ، لبيان أنهم هم الكاملون فى الخسران ، _ مبالغة فى الزجر والنهى عن ارتكاب هذه المعاصى .

— (وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ، قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)[2]

ذكر الامام البيضاوى أن (أنت) هنا فصل وقيل أنه تأكيد للكاف ، كما فى قولك : مررت بك أنت ، وان لم يجز ، مررت بأنت . اذ التابع يسوغ فيه ، مالا يسوغ فى المتبوع .[3] ويبدو لى من كلامه أنه يرجح كونه فصلا . وذكر الامام ابوحيان الاحتمالات الثلاثة . فيحتمل أن يكون توكيدا للضمير ، فيكون فى موضع نصب ، أو مبتدأ ، فيكون فى موضع رفع . والعليم : خبره ، أو فصلا فلا يكون له موضع من الاعراب . على رأى البصريين ، أو له موضع من الاعراب على رأى الكوفيين .[4]

والمشهور أنه فصل لا محل له من الاعراب .

فالمقصور : العلم والحكمة .

المقصور عليه : الضمير فى انك : انت

قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا .

سر القصر :

لما طلب المولى عز وجل من ملائكته ، أن ينبئوه بأسماء المخلوقات جاء جوابهم بماهو قمة فى التأدب مع المولى عز وجل ، حيث بدأوه

---

(١) تفسير ابى السعود ، ج ١ ، ص ٧٦
(٢) آية : ٣١ _ ٣٢
(٣) البيضاوى ، ج ١ ، ص ١٣٩
(٤) البحر المحيط ، ج ١ ، ص ١٤٨ .

بالتنزيه والتقديس ، ثم جئ بأسلوب القصر عن طريق النفى والاستثناء ، ليؤكدوا أن علمهم محدود . فقصروا علمهم على ماعلمهم الله اياه ، لايتعداه الى غير ذلك . ولبيان تسليمهم المطلق لالوهيته ، أنهوا كلامهم بقولهم (إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) ، فحصروا العلم والحكمة المطلقة له وحده ، لايتعداه الى غيره . وفى ذلك اظهار لكمال عجز المخلوقات جميعها أمام علمه المطلق ، وكمال العبودية لله وحده . وجئ بهاتين الصفتين بصيغة المبالغة التامة ، لأن المبالغة التامة لاتتحقق الا عند الاحاطة بكل المعلومات ، وماذاك الا هو سبحانه وتعالى ، فلاجرم ليس العليم المطلق الا هو . فلذلك قالوا " انك انت العليم الحكيم" . على سبيل الحصر ، وفى قصر العلم والحكمة المطلقة له بهذا الاسلوب مايثير الخوف العظيم ، لانه لايخفى عليه شئ من أحوال الضمائر ، فيجب أن يجتهد المرء فى تصفية باطنه ، وأن لايكون بحيث يترك المعصية لاطلاع الخلائق عليها ، ولايتركها عند اطلاع الخالق عليها .(١)

وشرح الامام الطبرى معنى القصر هنا ، فقال : " القول فى تأويل (انك انت العليم الحكيم) ، قال ابوجعفر أو تأويل ذلك أنك انت ياربنا العليم من غير تعليم ، بجميع ماقد كان ، وماهو كائن ، والعالم للغيوب دون جميع خلقك . وذلك أنهم نفوا عن أنفسهم بقولهم : لاعلم لنا الا ماعلمتنا ، أن يكون لهم علم الا ماعلمهم ربهم واثبتوا مانفوا عن أنفسهم من ذلك لربهم بقولهم : انك انت العليم ، يعنون بذلك العالم من غير تعليم ، اذ كان من سواك لايعلم شيئا ، الا بتعليم غيره اياه ، والحكيم هو ذو الحكمة)(٢)

---

(١) الفخر الرازى ، م١ ، ج ٢ ، ص٢٢٨ ـ ٢٢٩

(٢) الطبرى ، م ١ ، ص ١٧٥ .

▬ (فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)(١)

المقصـــور : التوبة والرحمة

المقصور عليه : الهاء فى انه / هو

قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا.

سـر القصـر :

لما عصى آدم عليه السلام رب العزة والجلال ، بأكله من الشجرة المحرمة ، باغواء من ابليس. ندم على فعلته ندما شديدا ، وأناب الى ربه ، وتاب اليه توبة نصوحا . فجاءت الآية لتقرر أنه لا ذنب مع الندم والتوبة ، وفى ذلك تسلية لآدم عليه السلام ، وتبشير له بقبول توبته ، بل وتبشير لكل من تاب. ففى مجئ الجملة الاسمية مايقوى رجاء المذنبين ويجبر كسر قلوب الخاطئين ، حيث افتتحت بأن المؤكدة ، ثم عرف الخبر ، ووسط ضمير الفصل ، لقصر التوبة على الله وحده دون غيره.

وجئ بها على صيغة المبالغة ، لتأكيد قبوله التوبة كلما تاب المذنب.
وقد يكون توسط الضمير هنا لتأكيد الحصر ، (وفى الجمع بين الوصفين ـ أى كونه توابا ورحيما ـ وعد للتائب الاحسان مع العفو).(٢)

▬ (ولَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ولَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَالَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ).(٣)

المقصـــور : الهدى

المقصور عليه : هدى الله / هو

(١) آية ٠ : ٣٧
(٢) البيضاوى ، جـ ١ ، ص ١٤٤
(٣) آيـة : ١٢٠.

قصر صفة على موصوف قصر قلب .

حيث قصر الهدى على هدى الله ، لايتعداه الى ماعليه اليهود والنصارى من الشريعة المنسوخة . ويظهر لى من كلام الامام أبى حيان ، أن القصر مستفاد من ضمير الفصل ، وذكر احتمال كونه عن طريق التعريف ، مع ضعف في ذلك فقال:(وأكد الجملة بأن وبالفصل الذى قبل ، فدل على الاختصاص والحصر ، وجاء الهدى معرفا بالألف واللام ، وهو مما قيل أن ذلك يدل على الحصر فاذا قلت : زيد العالم، فكأنه قيل : هو المخصوص بالعلم والمحصور فيه)(١) ويبدو لى أن القصر فى الآية مستفاد من كلا الطريقين(الفصل ـ تعريف الخبر).

سر القصر :

أخبر الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بحقيقة ثابته فى أهل الكتاب من اليهود والنصارى لتحذيره من مكائدهم، فأطلعه أنهم دائبون فى تدبير المكائد له ، ولن يرضوا عنه ، حتى يترك ما أمره الله به ، ويتبع ملتهم وذلك بزعمهم ولتأكيدهم أن ماهم عليه هو الحق والهدى ، وغيره هو الباطل. (فأجيبوا بالقصر القلبى ، أى دين الله هو الحق ، ودينكم هو الباطل ، وهدى الله الذى هو الاسلام هو الهدى ، ومايدعون الى اتباعه ليس بهدى ، بل هو على أبلغ وجه لاضافة الهدى اليه تعالى ، وتأكيده "بأن" واعادة الهدى فى الخبر على حد شعرى شعرى ، وجعله نفس الهدى المصدرى وتوسيط ضمير الفصل ، وتعريف الخبر).(٢)

ثم اتبع هذا الأمر الحازم والتوجيه الصادق (بوعيد شديد للرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، ان اتبع أهواءهم ، وحاول رضاهم، وأتعب نفسه فى طلب مايوافقهم . ويحتمل أن يكون تعريضا لامته ، وتحذيرا لهم ان يوافقوا شيئا من ذلك ، أو يدخلوا فى أهوية أهل الملل ، ويطلبوا رضا أهل البدع).(٣)

---

(١) البحر المحيط ، ج ١ ، ص ٣٦٨ .
(٢) حاشية الشهاب ، ج ٢ ، ص ٢٣١
(٣) فتح القدير ، م ١ ، ص ١٣٥ .

— (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ).(١)(٢)

المقصور : الخسران

المقصور عليه : هم / أولئك

قصر صفة على موصوف قصر قلب .

(وهم يحتمل أن يكون مبتدأ ، وأن يكون فصلا . وعلى كلا التقديرين يكون في ذلك توكيد).(٣)

سر القصر :

بعد أن بين الله سبحانه وتعالى قبائح اليهود والنصارى ، وتمسكهم بما هم عليه من الانحراف ، واعتقادهم أنه هو الهدى وأبطل الله زعمهم هذا برد قوى مؤكد بأنهع القصر بتعريف الخبر ، وتوسط ضمير الفصل ، فقصر الهدى على هدى الله وحده . وزيادة في ترغيب المؤمنين بالتمسك بهدى الله ، حذرهم ورهبهم من الرضا بغيره ، وشراء الكفر بالايمان . فقصر الخسران وعدم الربح على الذين يكفرون به ، لايتعداهم الى غيرهم من الذين اتبعوا هدى الله .

(١) الخطاب في الاية قيل: هو لمؤمني أهل الكتاب وقد ذكر ذلك الامام الزمخشري في الكشاف م١ ، ص٣٠٨ (والدليل عليه ان الذين تقدم ذكرهم ، هم اهل الكتاب فلما ذم طريقتهم وحكى عنهم سوء افعالهم ، اتبع ذلك بمدح من ترك طريقتهم بل تأمل التوراة وترك تحريفها ، وعرف منها صحة نبوة محمد عليه السلام. وقيل المقصود هنا بالذين آتيناهم الكتاب هم امة محمد صلى الله عليه وسلم ، الذين آتاهم الله القرآن واحتجوا عليه من وجوه ، (احدها) ان قوله (يتلونه حق تلاوته) حث وترغيب في تلاوة هذا الكتاب ، ومدح على تلك التلاوة والكتاب الذى هذا شأنه هو القرآن لا التوراة والانجيل. فان قراءتهما غير جائزة (وثانيها) ان قوله تعالى (اولئك يؤمنون به) يدل على ان الايمان مقصور عليهم ، ولو كان المراد اهل الكتاب ، لما كان كذلك (وثالثها) قوله (ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون) والكتاب الذى يليق به هذا الوصف هو القرآن وذكر ذلك الامام الفخر ، م٢ ، ج٣ ص ٣٥

(٢) آية : ١٢١

(٣) البحر المحيط ، ج١ ، ص ٣٧٠ .

— (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ).(١)

المقصور : السميع العليم .

المقصور عليه : الكاف الراجعه الى المولى / انت .

قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا.

والقصر فى الآية عن طريق تعريف الخبر ، مع توسط ضمير الفصل. ويبدو لى أن ضمير الفصل يفيد مع الحصر التوكيد أيضا .

سر القصر :

الموقف هنا موقف دعاء وتضرع ، وعمل من قبل ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ، فعملهم هذا واخلاصهم فيه ، نابع عن ايمانهم المطلق بالله ، وانهم ما قاموا بذلك العمل الا ابتغاء مرضاته ، فلا أحد يطلع على سريرتهما ، ولا أحد يسمع دعاءهما سوى الله سبحانه وتعالى. وأكدوا اختصاصه بالسمع والعلم بدخول ضمير الفصل زيادة فى التضرع. ويرى البعض انه قصر حقيقى فيه مبالغة لأنه جئ بهاتين الصفتين بصيغة المبالغة ، لبيان أنه لايعتد بسمع غيره ولا بعلمه ، فكل سمع من غيره كلا سمع ، وكل علم من غيره كلا علم . (وتقدمت صفة السمع - وان كان سؤال التقبل متأخرا - عن العمل للمجاورة... وتأخرت صفة العليم ، لكونها فاصلة. ولعمومها ، اذ يشمل علم المسموعات وغير المسموعات)(٢) قال الامام الفخر (انما عقب هذا الدعاء بقوله (إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) ، كأنه يقول تسمع دعاءنا وتضرعنا ، وتعلم مافى قلبنا من الاخلاص ، وترك الالتفات الى أحد سواك ، فان قيل : قوله (انك انت السميع العليم) يفيد الحصر ، وليس الأمر كذلك ، فان غيره قد يكون سميعا ، قلنا : انه سبحانه لكماله فى هذه الصفه ، يكون كأنه هو المختص بها دون غيره)(٣). ويبدو لى أن حمله على القصر الحقيقى التحقيقى أولى.

(١) آية : ١٢٧ .
(٢) البحر المحيط ، ج ١ ، ص ٣٨٨
(٣) الفخر الرازى ، م ٢ ، ج ٤ ، ص ٦٤

▬ (رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ).(١)

المقصـــور : التواب الرحيم

المقصور عليه : الكاف العائدة للمولى عز وجل / أنت
قصر صفه على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا او فيه مبالغة.
سـر القصـر :

مازال الموقف موقف تضرع ودعاء ، فقد دعا ابراهيم واسماعيل عليهما السلام الله سبحانه وتعالى بأن يجعلهما مسلمين ، وأن يجعل ذريتهما أمة مسلمة ، وسألوه التوبة والمغفرة ، ولاعتقادهم الجازم بقبوله التوبة ، وايمانهم المطلق بأنه لاتوبة ، يعتد بها أمام توبته ورحمته ، قصروا التوبة والرحمة على الله وحده ، لاتتعداه الى غيره ، وفي ذلك (..مزيد استدعاء للاجابة. قيل اذا أراد العبد أن يستجاب له ، فليدع الله عز وجل ، بما يناسبة من أسمائه وصفاته).(٢)

وقدم ذكر التوبة على الرحمة ، لمجاورة الدعاء الاخير في قوله : وتب علينا. وتأخرت صفة الرحمة لعمومها ، لأن من الرحمة التوبة ، ولكنها فاصلة والتواب لايناسب أن يكون كذلك ، لأن قبلها انك انت السميع العليم ، وبعدها انك انت العزيز الحكيم.(٣)

▬ (رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ).(٤)

المقصور : العزيز الحكيم.

المقصور عليه : الكاف العائده الى الذات العليا / أنت

---

(١) آيـة : ١٢٨
(٢) تفسير ابى السعود ، ج ١ ، ص ١٦١
(٣) البحر المحيط ، ج ١ ، ص ٣٩٢
(٤) آيـة ١٢٩

قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا.

سر القصر :

طلب ابراهيم واسماعيل عليهما السلام من الله سبحانه وتعالى ارسال الرسل والنذر الى البشرة ولما كان هذا الأمر لايقدر عليه الا من كان له القهر والغلبة المطلقة ، والحكيم الذى لايفعل الا ماتقتضيه الحكمة والمصلحة ، والذى لايجهل شيئا من اسرار الخلق ، ولايمانهم بأن هذا الأمر لايقدر عليه الا من يتصف بالعزة والحكمة ، قصروا صفتى العزيز والحكيم على الله عز وجل وحده لاتتعداه الى غيره ، لكماله فى الاتصاف بهما.

— (وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ. الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ).(١)

المقصور : الهداية

المقصور عليه : هم / أولئك

قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا فيه مبالغة.

ذكر الامام الشهاب ، والامام الكازرونى ، أن القصر فى الآية مستفاد من ضمير الفصل ، لأنه لو لم يكرر أولئك ، لم يلزم فرضا أن يكون الضمير ضمير فصل ، والمراد بحصر الاهتداء هنا ليس حصر مطلق الاهتداء ، بل حصر الاهتداء المخصوص. بما وجب عند المصائب ، على دعوى أنه لايوجد الا منهم.(٢) وذكر الامام ابو السعود أن الاهتداء المقصود هنا ، هو مطلق الاهتداء ، فقال :

---

(١) آية : ١٥٥ _ ١٥٦ _ ١٥٧

(٢) انظر/ حاشية الشهاب ، ج ٢ ، ص ٢٥٩. / البيضاوى حاشية الكازرونى ، ج ١ ص ٢٠٢

(المراد بالاهتداء فى قوله عز وجل : (هُمُ الْمُهْتَدُونَ) ، هو الاهتداء للحق والصواب مطلقا ، لا الاهتداء لما ذكر من الاسترجاع والاستسلام خاصة .. كأنه قيل وأولئك هم المختصون بالاهتداء لكل حق وصواب . ولذلك استرجعوا واستسلموا لقضاء الله تعالى).(١)

سر القصر :

لما أخبر الله سبحانه وتعالى ، أنه سيبلو المؤمنين بشئ من الخوف والجوع ونقص من الأموال فى قوله تعالى :(وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ)(٢) أكد أن هذه من المصائب الكبرى التى تحتاج الى الصبر ، وأن المؤمن الحق هو الذى اذا أصابته مصيبة ، أقر بمرجعه الى الله تعالى.

ولترغيب المؤمنين فى الصبر ، أمتدح المولى عز وجل الصابرين ، وأبرز منزلتهم حيث كرر اسم الاشارة (أولئك) ، لاظهار كمال العناية بهم . ثم جئ بأسلوب القصر عن طريق تعريف الخبر بالالف واللام ، وتوسط ضمير الفصل ، فقصر الاهتداء عليهم ، لايتعداه الى غيرهم.

ذكر الامام ابوحيان(وأكد بقوله هم وبالألف واللام ، كأن الهداية انحصرت فيهم ، وباسم الفاعل ليدل على الثبوت ، لأن الهداية ليست من الأفعال المتجددة . وقتا بعد وقت ، فيخبر عنها بالفعل ، بل هى وصف ثابت).(٣)

---

(١) تفسير ابى السعود ، ج ١ ، ص ١٨٠
(٢) آيـة : ١٥٥
(٣) البحر المحيط ، ج ١ ، ص ٤٥٢

— (الطَّلاَقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلاَيَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَاحُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيهِما فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ(١) فَلاَ تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)(٢).

المقصور : الظلم

المقصور عليه : أولئك / هم

قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا ، فيه مبالغة.

سر القصر :

جاءت هذه الآية الكريمة فى ضمن سلسلة من الآيات ، التى تتحدث عن الاحكام الخاصة بأمور الزواج ، والمعاشرة والايلاء ، والطلاق والعدة ، والنفقة والرضاعة والحضانة . ولم تذكر هذه الاحكام كما هى فى كتب الفقة ، أى مجرد أحكام فقط ، بل انها جاءت فى جو ، يشعر القلب البشرى أنه يواجه قاعده كبرى من قواعد العقيدة.

حيث أنتهت بنهاية تنبىء بضخامة هذه الأمور وخطورتها وعظمها ، فوضع الاسم الجليل فى المواقع الثلاثة الاخيرة ، لتربية المهابة وادخال الروعة.(٣) ثم جىء بالنهى عن تعدى حدود الله وتجاوزها ، ثم أعقب هذا النهى الوعيد الشديد للمتخطين لهذه الحدود. وذلك مبالغة فى التهديد ، ثم جىء باسم الاشارة للتنبيه على بعد منزلتهم فى الظلم ، وكمال اتصافهم به. وللتغليظ عليهم جىء بأسلوب القصر ، فقصر الظلم عليهم لايتعداهم الى غيرهم.

وفى هذا الاسلوب ملاحقة للضمير الانسانى ملاحقة موقظة موحية ، لأن تنفيذ هذه

---

(١) تلك حدود الله أى(التى مضت من نكاح المشركات الوثنيات ، وانكاح المشركين المسلمات ، واتيان النساء فى المحيض ، وما قد بين فى الآيات الماضية مثل قوله : تلك حدود الله مما أحل لعباده ، وحرم عليهم وما أمرونهى). الطبرى ، م٢ ، ص ٢٨٩

(٢) آية : ٢٢٩

(٣) تفسير ابى السعود ، ج ١ ، ص ٢٢٧ .

هذه الأمور مرتبط بتقوى القلب وحساسية الضمير.

ويظهر لى أن الامام أبوالسعود حمل الآية على افادتها القصر مع المبالغة أو المبالغة فقط دون القصر. حيث قال : (فجمع وأكد بقوله هم.. بالألف واللام التى تفيد الحصر ، أو المبالغة) ، فلعله يريد بقوله(أو المبالغة) مجرد المبالغة ، فيكون معنى الأسلوب هكذا ، (تفيد الحصر الذى تضمه المبالغة ، أو تفيد مجرد المبالغة دون الحصر).

— (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّارَزَقْنَاكُم مِّنْ قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّابَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ).(١)

المقصور : الظلم

المقصور عليه : هم / الكفر (تارك الزكاة)

قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا ، فيه مبالغة.

جملة القصر فى الآية معرفة الطرفين بأل ، فيجوز أن يكون القصر من قصر ألمسند على المسند اليه، أو المسند اليه علىالمسند ، لأن كلا الطرفين معرف بأل. وفضل الدسوقى أن يكون القصر من قبيل قصر المبتدأ على الخبر.

ويبدو لى أن تحديد المقصور والمقصور عليه فى الجملة المعرفة، الطرفين يكون بحسب المقام وبحسب المعنى. فالقصر فى هذه الآية من قصر الخبر على المبتدأ.وهذا مايناسب معنى الآية ، فانه لو قصر الكفر على الظالمين لحكم على كل ظالم بالكفر، ولم يخلص من مغبة الكفر الا من عصمه الله.وهذا من عظيم رحمته بعباده. ولذا قال بعض المفسرين (الحمد لله الذى قال : (والكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ) ، ولم يقل وَالظَّالِمُونَ هُمَ الْكَافِرُونَ).(٢)

---

(١) آية : ٢٥٤

(٢) ذكر الامام الفخر أنه هذا القول نقل عن عطاء بن يسار. الفخر، م٣ ، جا ص ٢٢٣ . وذكره ايضا الامام الشوكانى / م١ ، ص ٢٧١

سـر القصـر :

لماكان بذل الروح وبذل المال من الأمور التى تصعب على النفوس البشرية كان لابد من تهذيب هذه النفوس وترويضها ، وتطهيرها باقرار الايمان فيها. وأنه لايصعب فى سبيل الايمان شئ ، فكل مادونه رخيص. فجاء التخويف من اليوم الآخر ، وانقطاع الأمل والعمل فيه وانتهت الآية بالوعيد الشديد فقصر الظلم على الكافرين ، وبين أنهم (هم الكاملون فى الظلم، البالغون المبلغ العظيم فيه. كما يقال العلماء هم المتكلمون ، أى هم الكاملون فى العلم فكذاههنا) (١).

قيل ان المقصود بالكافرين هنا هم تاركو الزكاة. وانما قال الكافرون للتغليظ عليهم. ذكر الامام الزمخشرى : (أراد والتاركون الزكاة هم الظالمون ، فقال والكافرون للتغليظ . كما قال فى آخر آية الحج : ومن كفر مكان ، ومن لم يحج . ولأنه جعل ترك الزكاة من صفات الكفار ، فى قوله : وويل للمشركين الذين لايؤتون الزكاة.).(٢)

وذكر الكازرونى أنه لو أريد بتارك الزكاة ، فليس هو بكامل فى الظلم ، بل الكامل فيه الكافر. ويمكن أن يقال الكمال مراتب ، منها مرتبة الظلم الحاصل لمانع الزكاة، وأن كان الكافر أشد ظلما).(٣) ويبدو لى أن جُعِل تاركى الزكاة هم الكاملون فى الظلم ، مع أن الكفار هم الكاملون فيه ، ولم يعتد بهم. فالقصر هنا قصر حقيقى ، فيه مبالغة.

أما اذا كان المقصود هنا الكفار على الحقيقة ، فالقصر حقيقى تحقيقى .

---

(١) الفخر الرازى ، م ٣ ، ج ٦ ، ص ٢٢٤
(٢) الكشاف ، م ١ ، ص ٢٨٤
(٣) البيضاوى ، حاشية الكازرونى ، ج ١ ، ص ٢٥٧

((آل عمـــران))

١ - ضـمير الفصـل :

(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَـيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ).(١)

ذكر الامام الألوسى أن هم : هنا يحتمل أن يكون مبتدأ ، ويحتمل أن يكون فصـلا.(٢)

المقصـور : وقود النار

المقصور عليه : هـم

قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا ، فيه مبالغة.

سـر القصـر :

بدأت السورة الكريمة بمواجهة المنكرين فبدأت بالحروف المقطعـة كما ذكرنا سابقا ، للتحدى وبيان الاعجاز. ثم جئ بالأدلة الدالة علـى ألوهيته وقيومته ، حيث أثبت أنه هو منزل التوراة والانجيل ، ومنزل الفرقـان وأنه المصور فى الأرحام ، وهكذا قامت الحجة ، فالكفر بعد اقامة تلك الحجج البالغة أمر بليغ العظم فى القبح ، ولذا أشار الى الكافرين بقوله : (أولئك) للايذان ببعد منزلتهم فى القبح والشر. ثم جئ بأسلوب القصـر عن طريق توسط ضمير الفصل حيث قصر وقود النار عليهم وحدهم ، وكأن النـار ليس لها ما يضرمها الا هم. قال الامام أبوحيان (وأتى بلفظ "هم" المشـعِرَه بالاختصاص ، وجعلهم نفس الوقود مبالغة فى الاحتراق ، كأن النار ليس لهـا ما يضرمها الا هم).(٣)

---

(١) آيـة : ١٠
(٢) روح المعانى ، ج ٢ ، ص ٩٣
(٣) البحر المحيط ، ج ٢ ، ص ٣٨٨

٢ ـ تعريف الجزءين :

ـ (هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ)(١)

المقصــور : الذي يصوركم في الارحام.

المقصورعليه : هــو

قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا.

سـر القصـر :

كان للنصارى تصورات منحرفة في أمر المسيح عليه السلام ، فقالوا أن الله ثالث ثلاثة ، وقالوا ان الله هو المسيح بن مريم ، واتخذوه وأمه الهين من دون الله ، الى غير ذلك من التصورات الخاطئة ، ولذا كان لابد من بيان كمال قدرته في الخلق ، وهيمنته التامة عليه ، واختصاصه المطلق بايجاده . فقصر التصوير في الارحام على ذاته العليا ، فجملة القصر (جملة مستأنفة ناطقة ببعض احكام قيوميته تعالى ، وجريان أحوال الخلق في أطوار الوجود ، وحسب مشيئته المبنية على الحكم البالغة ، مقررة لكمال علمه مع زيادة بيان لتعلقه بالاشياء قبل دخولها تحت الوجود ، ضرورة وجوب علمه تعالى بالصور المختلفة المترتبة على التصوير المترتب على المشيئة قبل تحققها بمراتب. وفيه من الدلالة على بطلان زعم من زعم ربوبية عيسى عليه السلام ، وهو من جملة أبناء النواسيت المتقلبين في هذه الاطوار على مشيئة البارى عز وجل ، وكمال ركاكة عقولهم مالايخفى)(٢)

ـ (هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الفِتْنَةِ

---

(١) آيــة : ٦

(٢) تفسير ابى السعود ، م ١ ، ج ٢ ، ص ٦

وابْتِغَاءَ تَأْويلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ والرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الأَلْبَابِ).(١)

المقصور : الذى أنزل عليك الكتاب .

المقصور عليه : هو

قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا .

سر القصر :

قد سبقت الاشارة الى سر القصر فى هذه الآية فى فصل النفى والاستثناء ولا مانع من ايجازه هنا .

فقد أنكر أهل الكتاب نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم، وحاولوا اثبات ألوهية عيسى عليه السلام بالمتشابه من الآيات زاعمين أنهم على علم بكنهها . فكان لابد من مواجهة هذا الانكار . فبدئت السورة بالحروف المقطعة اشارة الى اعجازه ، وأن هذا الكتاب مؤلف من أحرف وكلمات ، شأنه فى ذلك شأن الكتب السماوية السابقة ، وفى اثبات الانزال لله وحده دون غيره تأكيد لنبوة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فما هو الا وحى يوحى ، ولذا جئ بالخبر معرفا بالالف واللام ، لقصر الانزال على الله وحده دون غيره .

— (هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ) (٢)

المقصور : العلو

المقصور عليه : أنتم

قصر صفة على موصوف قصر قلب .

---

(١) آية : ٧

(٢) آية : ١٣٨ ـ ١٣٩

لما كان المسلمون بعرض الوهن والحزن كأنهم توهموا فى أنفسهم الذلة والاستكبار فجئ بالقصر لقلب ما اعتقدوه .

سر القصر :

قصر العلو فى الآية على الضمير الراجع للمؤمنين ، لتأكيد نصرتهم والرفع من شأنهم ، ولتسليتهم وتصبيرهم عما أصابهم يوم أحد . (أى والحال أنكم (الاعلون الغالبون) دون أعدائكم ، فان مصيرهم مصير أسلافهم المكذبين فهو تصريح بعد الاشعار بالغلبة والنصر).(١)

وانتهت الآية بقوله تعالى :"ان كنتم مؤمنين" مع أن ايمانهم ثابت للتهييج والتحريض . ذكر الشهاب (وقوله : ان كنتم مؤمنين . ليس على ظاهره ، لأن ايمانهم مقرر ثابت ، ولكنه تهييج وتحريض).(٢)

٣ ـ ما اجتمع فيه ضمير الفصل وتعريف الجزءين :

(رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ).(٣)

المقصور : الوهاب

المقصور عليه . : أنت او الكاف

فيجوز فى انت التوكيد للضمير ، والفصل والابتداء .

والقصر فى الآية قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا .

سر القصر :

أنكر اهل الكتاب نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم ولمواجهة هذا الانكار أبتدئت السورة الكريمة بالحروف المقطعة ، مشيرة الى اعجاز القرآن

---

(١) روح المعانى : ج ٤ ، ص ٦٧
(٢) حاشية الشهاب ، ج ٣ ، ص ٦٥
(٣) آية : ٨

الكريم . وتلاها اثبات الألوهية لله وحده دون غيره ، كل ذلك للاشارة الى أن هذا الكتاب منزل من الله ، وهو مؤلف من أحرف وكلمات ، شأنه في ذلك شأن الكتب السماوية السابقة . ثم جاء التهديد للذين كفروا بآيات الله والانتقام الأكيد منهم ، وزيادة في التهديد ، جاء قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَايَخْفَى عَلَيهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ). كما تضمنت الآيات الرد على النصارى ، وتصوراتهم في عيسى عليه السلام ، ثم جاء ذكر المتشابه والمحكم من الآيات ، وأن الذين في قلوبهم زيغ ، يتبعون ما تشابه منه لاجل الفتنه. فالايمان بما أُنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم من الكتاب المشار اليه في أول الآيات ، والايمان بوحدانية المولى عز وجل ، والنجاة من عذابه وسخطه الذي أعده للمنكرين . كل ذلك لايكون الا برحمة من الله ، ولذا اتجه الراسخون في العلم والمؤمنون بالله الى التماس رحمته ، فهم بوحي ايمانهم يعرفون أنهم لايقدرون على شيء الا بفضل الله ورحمته ، وأن قلوبهم بيده ، ولذا اتجهوا اليه في ضراعة ، أن يعدهم بالعون والنجاة وللمبالغة في التضرع والدعاء قصروا صفة الوهاب على المولى عز وجل ، (وفيه دليل على أن الهدى والضلال من الله ، وأنه متفضل بما ينعم على عباده ، لايجب عليه شيء).(١)

▬ (إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ).(٢)

ذكر الامام الزمخشري أن (هُوَ) : هنا اما فصل بين اسم ان وخبرها ، واما مبتدأ . والقصص الحق : خبره ، والجملة : خبر ان ، فان قلت : لم جاز دخول اللام على الفصل . قلت : اذا جاز دخولها على الخبر ، كان دخولها

(١) البيضاوي ، ج ٢ ، ص ٥
(٢) آيـة : ٦٢ .

على الفصل أقوى · لأنه أقرب الى المبتدأ منه ، وأصلها ان تدخل علــــى المبتدأ)(١)

والقصر هنا مستفاد من ضمير الفصل · وتعريف الطرفين · ذكر الامــــام الالوسي والشهاب أنه قيل أن الضمير للقصر والتأكيد ، لو لم يكن فــــي الكلام مايفيد ذلك · وان كان كما هو هنا ، فهو لمجرد التأكيد · وردا علــى ذلك بأن الأوجه والمشهور هو كون القصر من الضمير وتعريف الطرفين.(٢) ويبدو لي أن هذا أقوى في افادة الحصر ·

فالمقصــــور : القصص الحق

المقصور عليه : هذا / هــو

قصر صفة على موصوف قصرا اضافيا

قصر قلب ، فهو اضافي لاحقيقي · اذ ليس الحق منحصرا فيما ذكر حقيقـــــة ، بل بالاضافة الى ماذكروه من أمر عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام.(٣)

وفي الآية قصر ثاني في قوله تعالى : (إن الله هو العزيز الحكيم)
المقصور : العزيز الحكيم ... المقصور عليه : الله / هو ... قصر صفة على موصوف قصر إفراد .

سر القصر :

كان موقف النصارى من عيسى عليه السلام موقفا مليئا بالأكاذيـــــب والافتراءات، فادعوا أنه وأمه الهان من دون الله ، ومنهم من قال أنــــه ابن الله ، واعتقدوا أن ماقالوه هو الحق ·

فسرد السياق القرآني قصة عيسى عليه السلام وقصة أمه مريم ، وبين حقيقـــة وجودهما ، وأنهما مخلوقات من مخلوقات الله ، ثم جيء بأسلوب القصر عـن طريق ضمير الفصل وتعريف الخبر، لتأكيد حقيقة ماحكاه القرآن ، أي أن مـا قصه (من نبأ عيسى وأمه عليهما السلام ، (لهو القصص الحق دون ماعـــداه من أكاذيب النصارى).(٤) وما ادعوه من كونه الها أو ابنا لله ·

---

(١) الكشاف ، م١ ، ص٤٣٤
(٢) روح المعاني ، ج ٣ ، ص ١٩٠
حاشية الشهاب ، ج ٣ ، ص ٣٢
(٣) البيضاوي ، حاشية الكازروني ، ج ٢ ، ص٢٢
(٤) تفسير ابى السعود ، ج ٢ ، ص ٤٧

ولزيادة الجزم والتأكيد والمبالغة فى رد دعوى النصارى ، أدخلت اللام على ضمير الفصل ، قال الامام الشوكانى (وضمير الفصل للحصر ، ودخول اللام عليه لزيادة تأكيده).(١)

ثم جئ بأسلوب قصر آخر عن طريق النفى والاستثناء ، لاثبات الالوهية لله وحده ونفيها عن عيسى وأمه عليهما السلام . وزيادة فى ابطال ما ادعوه وبيانا لفساده على أكمل وجه ، جئ بعد قصرى القلب بقصر ثالث ، عن طريق قصر الافراد ، فقصرت صفتا العزيز والحكيم على المولى عز وجل ، وأكد هذا القصر بدخول اللام. ف (لا أحد سواه يساويه فى القدرة التامة والحكمة البالغة ليشاركه فى الالوهية).(٢)

وفى قصر هاتين الصفتين اللتين تبينان أنه الغالب وحده ، والقادر وحده والحكيم وحده مبالغة فى التهديد والوعيد للمنكرين ، بعد اثبات الدلائل ، ووضوح الحجج . قال الامام الالوسى (أى الغالب غلبة تامة ، أو القادر قدرة كذلك أو الذى لانظير له (الحكيم) أى المتقن فيما صنع ، أو المحيط بالمعلومات والجملة تذييل لما قبلها ، والمقصود منها أيضا قصر الالهية عليه تعالى ردا على النصارى ، أى قصر افراد . فالفصل والتعريف هنا ، كالفصل والتعريف هناك - أى فى قوله لهو القصص الحق - فما قيل أنهما ليسا للحصر ، اذ الغالب على الأغيار ، لايكون الا واحدا . فيلغو القصر فيه الا أن يجعل قصر قلب ، والمقام لا يلائمه ، مما لا عصام له كما لايخفى).(٣)

فلا يجوز أن يكون قصر قلب لانه لايجوز أن تكون آلهة متفاوتا قدرهم وحكمتهم لأن الالوهية وهى المعبود بالحق ، تقتضى أن يكون المعبود على أكمل حال ، ولو كان أحد أكمل منه لكان ذلك الأكمل هو المعبود ، لا من هو ناقص عنه.(٤)

---

(١) فتح القدير ، م ١ ، ص ٣٤٧
(٢) البيضاوى ، ج ٢ ، ص ٢٣
(٣) روح المعانى ، ج ٣ ، ص ١٩١
(٤) البيضاوى ، حاشية الكازرونى ، ج ٢ ، ص ٢٣

— (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ).(١)

المقصور : الضلال

المقصور عليه : هم / أولئك .

قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا فيه مبالغة .

سر القصر :

جاء فى سياق الآيات السابقة انكار أهل الكتاب لنبوة الرسول صلى الله عليه وسلم ، على الرغم من أخذه عز وجل الموثق الغليظ من كل رسول ، أنه مهما آتاه الله من العلم والحكمة والنبوة ، ثم جاء رسول بعده مصدقا لما معه ، أن يؤمن به وينصره . ثم أخذ هذا الموثق الاكيد من النبى صلى الله عليه وسلم وأمته ، أن يؤمنوا بالله ورسله فى قوله تعالى :

(قُلْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ).(٢)

فبعد هذا الاقرار والاستسلام ، وأخذ البارئ الموثق بنفسه من النبيين عامة ثم من الرسول صلى الله عليه وسلم وأمته خاصه . فمن يكفر ويصر على كفره وانكاره ، فهو الجدير بأن يقصر الضلال عليه ، لبيان وتأكيد كماله فى الضلال ، وقد فسر بعض المفسرين قوله تعالى : (أولئك هم الضالون) بمعنى الثابتون فى الضلال ، لأن مطلق الضلال ليس مخصوصا بهم ، بل يشملهم وغيرهم ويظهر لى أن السياق يوجب اختصاصهم بالضلال ، وكمالهم فيه ، للمبالغة فى اتصافهم بهذه الصفة لما يفيده ضمير الفصل ، وتعريف الخبر .

ذكر الامام الكازرونى فى شرحه لقول الامام البيضاوى (الثابتون على الضلال)(٣)

---

(١) آية : ٩٠ .   (٢) آل عمران آية : ٨٤

(٣) البيضاوى ، جـ ٢ ، ص ٣٠

(انما فسره بذلك لأن مطلق الضلال ، ليس مخصوصا بهم ، بل يشملهم وغيرهم لكن الترتيب يدل على الاختصاص بسبب ضمير الفصل ، وكون الخبر محلى بالـلام فوجب أن يفسر بما ذكر ، حتى يصح الاختصاص ولك أن تقول الثبات على الضلال ليس مخصوصا بهم ، لأن غيرهم قد يكون ثابت الضلال والاولى أن يفسر بكامل الضلال لأن لهم كمال الضلال ، لارتدادهم بعد الايمان ، وتصديق النبى صلى الله عليه وسلم، أو لكفرهم بعيسى والانجيل ، وبمحمد والقرآن ، وحمل الضلال على كماله ذكره العلامه النيسابورى (١) ويمكن أن يقال الثبات على الضلال ، مستفاد من عدم قبول التوبة ، ويكون القصر اضافيا احترازا عمن تقبل توبتهم). (٢)

— (كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي اسْرَائِيلَ إِلاَّ مَاحَرَّمَ اسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ (٣) قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (٤).

المقصور : الظلم

المقصور عليه : هم / أولئك

---

(١) الطبرى ، تفسير القمي النيسابورى، م٢ ، ج ٣ ، ص ٢٤٦

(٢) البيضاوى ، حاشية الكازرونى، ج ٢ ، ص ٣

(٣) قال الامام احمد: حدثنا عبدالله ، حدثنى أبى ، ثنا هاشم بن القاسم ثنا عبدالحميد ، ثنا شهر ، قال: قال ابن عباس حضرت عصابة من اليهود نبي الله صلى الله عليه وسلم يوما فقالوا : يا أبا القاسم حدثنا عن خلال نسألك عنهن ، لايعلمهن الا نبى قال: سلونى عماشئتم، ولكن اجعلوا لى ذمة الله وما أخذ يعقوب عليه السلام على بنيه ، لئن حدثتكم شيئا فعرفتموه لتتابعنى على الاسلام ، قالوا : فذلك لك . قال: فسلونى عماشئتم. قالوا اخبرنا عن أربع خلال نسألك عنهن : أخبرنا اى الطعام حرم اسرائيل على نفسه ، من قبل أن تنزل التوراة . واخبرنا كيف ماء المرأة وماء الرجل كيف يكون الذكر منه، وأخبرنا كيف هذا النبى الامى في القوم ، ومن وليه من الملائكة ، قال فعليكم عهدالله وميثاقه ، ولئن أنا اخبرتكم لتتابعنى قال

(٤) آيــة : ٩٣ ــ ٩٤

قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا ، فيه مبالغة .

سر القصـــر :

لما ذكر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، أن ماجاء به هو تصديق لماجاء فى التوراة والانجيل ، بدأ اليهود ينسجون الحيل ، ويوردون الشبهات لينفذوا منها الى الطعن فيماجاء به . فقالوا لو أن ماجاء به محمد - صلى الله عليه وسلم - مطابق للتوراة ، فلِمَ أحل القرآن ماكان محرما على بنى اسرائيل؟ وكان الفصل فى القضية هو الِاحتكام الى كتاب الله ، ومراجعة ماجاء فى التوراة . ولكن صدر منهم الاصرار على الافتراء والكذب ، على الرغم من ثبات الحجة عليهم .

لذا جئ باسم الاشارة لـ (مافيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم فى الضلال والطغيان ، أى فأولئك المصرون على الافتراء بعدما ظهرت حقيقة الحال وضاقت عليهم حلبة المحاجة والجدال)(١).

ثم جئ بأسلوب القصر عن طريق تعريف الخبر ، وتوسط ضمير الفصل لبيان أنهم (.. المفرطون فى الظلم المتبالغون فيه ، فانه لا أظلم ممن حوكم الى كتابة وما يعتقده شرعا صحيحا ، ثم جادل من بعد ذلك مفتريا على الله الكذب ، ثم لما كان مايفترونه من الكذب ، بعد قيام الحجة عليهم بكتابهم باطلا

فاعطوه ماشاء من عهد وميثاق . قال : فأنشدكم بالذى أنزل التوراة على موسى صلى الله عليه وسلم ، هل تعلمون أن اسرائيل يعقوب عليه السلام مرض مرضا شديدا ، وطال سقمه ، فنذر لله نذرا ، لئن شفاه الله تعالى من سقمه ، ليحرمن أحب الشراب ، وأحب الطعام اليه ، وكان أحب الطعام اليه لحمان الابل ، وأحب الشراب اليه ألبانها ، وقالوا : اللهم نعم ، قال اللهم اشهد عليهم ..الخ/
مسند الامام احمد ، مسند ابن عباس ، م ١ ، ص ٢٧٨

(١) تفسير ابى السعود ، ج ٢ ، ص ٥٩

مدفوعا ، وكان ماقصه الله سبحانه فى القرآن وصدقته التوراة صحيحا صادقا وكان ثبوت هذا الصدق بالبرهان الذى لايستطيع الخصم دفعه)(١) وبعد تسجيل الكذب عليهم ، وتأكيد أنهم المفرطون فى الظلم ، أخبر المولى عز وجل بصدقه فقال تعالى (قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)(٢) وذلك للتعريض بهم وبكذبهم.(٣)

- (وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ).(٤)

المقصور : الفلاح

المقصور عليه : هم / أولئك

قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا ، فيه مبالغة.

سر القصر :

لما ورد فى سياق الآيات الامر بتقوى الله والاعتصام بحبل الله ، والحث على الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، كان لابد من الترغيب ، والحض على التسابق فى الاتصاف بهذه الأمور. ولذا وصف المتمثلون بها ، بأنهم الكاملون فى الفلاح.(أى هم الاخصاء بكمال الفلاح دون غيرهم)(٥).

واستفيد هذا القصر من توسط ضمير الفصل ، وتعريف الخبر كما صرح بذلك الامام الشهاب فقال :

(... اشارة الى الحصر المستفاد من الفصل ، وتعريف الطرفين ، أو أنه باعتبار الكمال ، أوقد يوجد الفلاح فى غيرهم..).(٦)

---

(١) فتح القدير ، م ١ ، ص ٣٦١
(٢) آية : ٩٥
(٣) الكشاف ، م١ ، ص ٤٤٦
(٤) آية : ١٠٤
(٥) الكشاف ، م١ ، ص ٤٥٢
(٦) حاشية الشهاب ، حـ ٣ ، ص ٥٣

ويظهر لى أن قوله (أو انه باعتبار الكمال) يشعر أن هذا المعنى غير الحصر، وأنه قسيم له . ويبدو لى أن اعتبار الكمال يستفاد من الحصر. كما عبر عن ذلك الألوسى فقال: (أى الكاملون فى الفلاح ، وبهذا صح الحصر المستفاد من الفصل وتعريف الطرفين)(١).

أما الامام (ابوالسعود) فيرى أن القصر مستفاد من توسط ضمير الفصل فقط وأن اللام فى المفلحين للعهد ، أو للاشارة الى مايعرفه كل أحد من حقيقة المفلحين .(٢)

وفى هذا القصر تبشير عظيم ووعد كريم ، لمن اتصف بما قبل هذه الجملة من التقوى والاعتصام بحبل الله ، والامر بالمعروف والنهى عن المنكر.(٣)

---

(١) روح المعانى ، ج ٤ ، ص ٢٢
(٢) تفسير ابى السعود ، م١ ، ج ٢ ، ص ٦٨
(٣) البحر المحيط ، ج ٣ ، ص ٢١

٢ - تعريف الجزئين :

(تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ).(١)

المقصور : الفوز العظيم

المقصور عليه : ذلك

قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا وتحقيقيا .

سر القصر :

بدأت السورة الكريمة بأسلوب النداء القوى المؤثر ، والأمر بتقوى الله ، لتذكير الناس بمصدرهم ، وردهم الى خالقهم ، لأن فى تذكيرهم بحقيقتهم كسراً للعناد ، والكبر الجاثم فى نفوسهم.

وفى هذا تمهيد وتهيئة لهذه النفس ، لتقبل التشريعات الآتية لأن التشريعات الواردة فى السياق لاتحتاج الى رقابة قانونية خارجية ، ولكنها تحتاج الى رقابة داخلية ، والى ضمير حى يقظ ، حيث ورد فيها رعاية حقوق اليتامى والضعفاء ، وصيانة حقوق المرأة وكرامتها ، والمحافظة على أموال الفرد والجماعة ، بذكر أمر الميراث . ولأهمية هذه الأمور سماها الله بالحدود ، للتعظيم من شأنها ، ولأن هذه الحدود صعبة على النفس البشرية ، وأنها تحتاج الى الرقابة الداخلية - كما ذكرنا - جيء بأسلوب يرغب النفوس فى الجد والسعى فى تنفيذها ، بأن وعدها الجنة وزيادة فى الترغيب قصر الفوز العظيم على هذا الوعد من التبشير بالجنة والخلود فيها . وجيء باسم الاشارة (ذَلِكَ) لما (فيه من معنى البعد للايذان بكمال علو درجته) (٢).

كل ذلك ليحفز النفوس على تَقَبُّلْ هذه الحدود ، والاسراع فى الاستجابة لها .

---

(١) آية : ١٣
(٢) تفسير أبى السعود ، م ١ ، ج ٢ ، ص ١٣٧

- (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيباً مِّنَ الكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ(١) وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ سَبِيلاً. أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيراً).(٢)

المقصور : الذين لعنهم الله

المقصور عليه : أولئك

قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا فيه مبالغة.

سر القصر :

ذكرت الآيات السابقة عددا من قبائح اليهود وافتراءاتهم التى منها : شراؤهم الضلالة بالهدى. وتحريفهم الكلم عن مواضعه ، وتزكيتهم أنفسهم بادعائهم أنهم أبناء الله وأحباؤه ، وأنهم قوم مغفور لهم ، ويفترون على الله الكذب. ومن عظيم قبائحهم ايمانهم بغير الله ، واصرارهم على كفرهم ، وايمانهم بالجبت والطاغوت ، وقولهم للذين كفروا :(هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ سَبِيلاً).

ولارتكابهم هذه القبائح العظام ، جئ باسم الاشارة ومافيه من معنى البعد مع قرب ذكرهم ، للايذان ببعد منزلتهم فى الضلال. ثم جئ بأسلوب القصر عن طريق تعريف الخبر (الذين) ، فقصر اللعن عليهم دون غيرهم، للتقبيح من شأنهم.

---

(١) روى أن حى بن أخطب وكعب بن الاشرف اليهوديين ، خرجا الى مكة فى سبعين راكبا من اليهود ليحالفوا قريشا عن محاربة رسول الله صلى الله صلى الله عليه وسلم. وينقضوا العهد الذى كان بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم. فقالوا أنتم أهل كتاب ، وأنتم أقرب الى محمد منكم الينا ، فلا نأمن مكركم ، فاسجدوا لآلهتنا نطمئن اليكم ، ففعلوا فهذا ايمانهم بالجبت والطاغوت لانهم سجدوا للاصنام ، وأطاعوا ابليس فيما فعلوا أو قال ابوسفيان لكعب ، انك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ، ونحن أميون لانعلم ، فأينا أهدى طريقا ، نحن ام محمد فقال ماذا يقول محمد؟ قال : يأمر بعبادة الله وحده وينهى عن الشرك. قال: ومادينكم قالوا نحن ولاة البيت نسق الحاج ونقرى الضيف. ونفك العانى. وذكروا افعالهم فقال: أنتم أهدى سبيلا). تفسير ابى السعود ، ج ٢ ، ص ١٨٩

(٢) آية : ٥١ / ٥٢

— (ذَلِكَ الفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيماً)(١)

ذلك : مبتدأ ، (الفضل) : صفته ، (من الله) : خبره. أو الفضل : خبر. ومن الله: حال، والعامل فيه معنى الاشارة .(٢)

ذكر الامام ابوالسعود أن ذلك : مبتدأ . وقوله تعالى: (من الله) خبره . أى ذلك الفضل العظيم من الله تعالى لا من غيره.(٣)

ويبدو لى أنه علىهذا الاعراب ، يكون معنى الحصر مستفادا من المقام . وليس من الطرق الاصطلاحية الستة المعروفة. أما اذا اعتبرنا (ذلك) مبتدأ ، و (الفضل من الله) : خبره ، فيكون القصر مستفادا من تعريف المسند. (الفضل). أى ذلك الفضل لاغيره من الله.

كماأشار الى ذلك الكشاف ، فقال(ويجوز أن يكون ذلك : مبتدأ ، والفضل : خبره).(٤)

سر القصر :

ذكر السياق جملة من الاحكام والأوامر الالهية ، التى منها تأدية الامانة ، والحكم بالعدل وطاعة الله ورسوله وولاة الامر ، والتحاكم الى كتاب الله . قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامرمنكم ، فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا).(٥)

وجاء الامر بتحكيم الله ورسوله ، ونفى الايمان عمن يعرض عن ذلك (فَلاَ وَرَبِّكَ لاَيُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَيَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً).(٦) ولماكانت طريقة القرآن فى تربية النفس على الطاعة

---

(١) آية : ٧٠
(٢) انظر الكشاف ، م١ ، ص٥٤١
البيضاوى ، ج ٢ ، ص٩٩
(٣) تفسير ابى السعود ، م ١ ، ج ٢ ، ص١٩٩
(٤) الكشاف ، م ١ ، ص٥٤١
(٥) آية : ٥٩ من نفس السورة.
(٦) آية : ٦٥ من نفس السورة

تسير على اسلوب الترغيب والترهيب ، جاء الترغيب من الله عز وجل والوعد للذين يطيعون الله ورسوله ، بأن مقامهم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين . وهذه أعلى مراتب الفضل .

ولتأكيد هذا الترغيب جيء بأسلوب القصر ، لبيان كمال ذلك الفضل ، فيكون القصر حقيقيا فيه مبالغة أو لبيان أن الفضل من الله لا من غيره . فاذا علم الانسان أن الفضل منه ، تأكد لديه تحقق هذا الوعد ، فيكون بذلك قصرا حقيقيا تحقيقيا . أو على اعتبار أن الفضل من الله ، لا أنه بسبب أعمال المكلفين . فيكون قصر قلب .

٢ _ ما اجتمع فيه ضمير الفصل وتعريف الجزءين :

(أُولَئِكَ هُـــمُ الكَافِرُونَ حَقاً وَاعْتَدْنَا لِلكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِينَـاً).(١)

المقصـــور : الكفـر .

المقصور عليه : هم / أولئـك

قصـر صفة على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا.

سـر القصـــر :

من أقبح القبائح هو التفريق بين الرسل ، والايمان ببعضهم والكفـــر بالبعض الآخر. فقد آمنت اليهود بالانبياء الا عيسى ومحمد عليهما الســـلام ، والنصارى آمنوا بالانبياء جميعهم وكفروا بخاتمهم واشرفهم محمد صلى اللـــه عليه وسلم ، والسامرة لايؤمنون بنبى بعد يوشع خليفة موسى بن عمـــران ، والمجوس يقال انهم كانوا يؤمنون بنبى لهم يقال له زرادشت ، ثم كفـــروا بشرعه فرفع بين أظهرهم .(٢)

ولعظيم هذا الأمر ، وأنه مغاير للعقيدة ، جاء قوله تعالى(أولئـــك هم الكافرون حقا) ، فقصر الكفر عليهم لايتعداهم الى غيرهم ، لبيان أنهم هم الكاملون فى الكفر. قال الامام الزمخشرى (أى هم الكاملون فى الكفـــر، وحقا تأكيد لمضمون الجملة كقولك هو عبدالله حقا : أى حق ذلك حقـــا ، وهو كونهم كاملين فى الكفر ، أو هو صفة لمصدر الكافرين . أى هم الذين كفروا حقا ثابتا يقينا لاشك فيه).(٣)

وذكر الشهاب فى حاشيته :(اعتبر الكمال ليكون الخبر مفيدا وليصـــح الحصر ، وقد يقال هو مستفاد من توسيط الفصل ، وتعريف الجنس).(٤)

وجاء القصر هنا وبين أنهم الكاملون فى الكفر، لتفظيع هذا الأمـــر، وتنفير النفوس من التفرقة بين الأنبياء، وأنه كفر يخرج عن ملة الاسلام .

---

(١) آية : ١٥١
(٢) تفسير ابن كثير ، ج ٢ ، ص ٤٣٥
(٣) الكشاف ، م١ ، ص ٥٧٦
(٤) حاشية الشهاب ، ج ٣ ، ص ١٩٥

((المائـــدة))

١ ـ ضمير الفصل :

(يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ).(١)

المقصـــور : علام الغيوب

المقصور عليه : أنت .

قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا . أو هو قصـر افراد .

سـر القصـر :

عرضت السورة الكريمة ما تعرضت له الرسالات السماوية من الانكار والجحود من قبل المرسل اليهم ، وما دخل عليها من التبديل والتحريف ، الذى أخرجها عن أصلها السماوى ، فجاءت هذه الآية الكريمة لتهديد ووعيد كل من تعـرض لهذه الرسالات السماوية بالانكار والجحود ، يوم يجمع الله الرسل فى ذلك اليوم الرهيب ، فيسألهم عن حال أقوامهم ، فيكون الرد من جانب الرسـل فى غاية التأدب ، ومطلق الاستسلام ، بأنه لاعلم لهم بجانب علمه الشامل. فينفون عن أنفسهم العلم الا الظاهر منه ، ويقصرونه على الله عز وجـل ، أى (لاعلم لنا لأنك تعلم ما أظهروا وما أضمروا ، ونحن لانعلم الا ما أظهـروا فعلمك منهم أبعد من علمنا ، فلهذا المعنى نفوا العلم عن أنفسهم ، لأن علمهم عند الله كلا علم).(٢)

فقصرهم العلم على الله وحده وأن علمهم كلا علم تفويض وتوكيل لأمرهم الـى علمه واحاطته . وفى هذا اظهار للتشكى واللجوء الى ربهم فى الانتقام مـن أقوامهم ، لما كابدوا من سوء اجابتهم ومعاملتهم ، وذلك أعظم على الكفـرة وأفت فى أعضادهم ، وأصلب لحسرتهم وسقوطهم فى أيديهم ، اذ اجتمع توبيـخ الله ، وتشكى انبيائه عليهم.(٣)

---

(١) آيـة : ١٠٩
(٢) الفخر الرازى ، م٦ ، ج ١٢ ، ص ١٣٠
(٣) الكشاف ، م١ ، ص ٦٥٢

— (وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى بْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ).(١)

المقصور : علام الغيوب

المقصور عليه : أنت

قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا ، أو قصر افراد ، اذا كان النفى بالنسبة الى علم عيسى عليه السلام ، أى انك أنت علام الغيوب ، لا أنا .

سر القصر :

ان القول بأن عيسى بن مريم وأمه إلهان من دون الله ، معناه الإشراك بالله ، فجاء السؤال هنا لعيسى عليه السلام ، على جهة توبيخ عباد المسيح وأمه من النصارى ، اذ يبين لهم المولى عز وجل اقرار المسيح بأنه متبرئ من فعلتهم هذه ، ويبدأ العبد المنيب جوابه بقوله : سبحانك . أى تنزهت وعلوت علوا كبيرا عما يقولون . وبعد هذا التنزيه والاجلال ، يقرر أنه ما ينبغى له أن يَدّعى لنفسه ما ليس بحقها ، ثم يأتى أسلوب القصر ليؤكد الضعف البشرى ، أمام العظمة الالهية باقرار العلم لله وحده ، فقصر علم الغيب على الله وحده دون غيره ، وفى هذا الاقرار مطلق التسليم بألوهيته لله عز وجل ، وفى هذا أبلغ رد على المؤلهين لعيسى وأمه ، فاذا كان عيسى عليه السلام يعترف بأن العلم كله بيد الله ، وأن علمه بجانبه كلا علم فوجب أن يكون المتفرد بالألوهية هو الله عز وجل ، وما عداه فهو تحت علمه وسلطانه . ذكر الامام الالوسى ان قوله : (إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ) ، (تقرير لمضمون الجملتين ، منطوقا ومفهوما لما فيه من الحصر ، ومدلوله الاثبات . فيقرر (تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي) لان ما انطوت عليه النفوس من جملة الغيوب ، ويلزمه النفى ، فيقرر لا أعلم ما فى نفسك لانه غيب أيضا ، ومدلول النفى أنه لايعلم الغيب غيره تعالى شأنه).(٢)

(١) آية : ١١٦
(٢) روح المعانى ، جـ ٧ ، ص ٦٧

٢ ـ تعريف الجزئين :

ـ (قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)(١)

المقصور : الفوز العظيم

المقصورعليه : ذلك

قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا والقصرهنا عن طريق تعريف الخبر . أى هو الفوز الكامل ، الذى دونه كل فوز .

سر القصر :

عرضت السورة الكريمة المفتريات حول حقيقة الألوهية ، وكان الرد عليهم دائما مؤكدا لتفرد المولى عز وجل بها . دون غيره ، وتوعد وتهدد المنكرين لهذه الحقيقة . ولما كان أسلوب القرآن الترغيب والترهيب ، ختمت السورة الكريمة بتوعد المشركين والجاحدين ، بأنه لن ينجو من ذلك اليوم الا الصادقون . ولترغيب البشر فى توحيد الله وتطهير العقيدة ، كان لابد من بيان كمال الوعد للصادقين ، فقصر الفوز العظيم الكامل على دخول الجنة ، والحصول على رضى الله عز وجل فلا فوز الا ذلك الفوز العظيم .

---

(١) آية : ١١٩

٣ - ما اجتمع فيه ضمير الفصل وتعريف الجزءين :

(لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ بْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ بْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمواتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ).(١)

ذكر الامام الالوسى أن القصر فى الآية من قصر المسند اليه على المسند. كما يقال : الكرم هو التقوى ، وأن الله تعالى هو الدهر ، أى الجالب للحوادث لاغير الجالب.(٢)

فالمقصور : الله

المقصور عليه : هو / المسيح

قصر صفة على موصوف . قصر قلب .

لأن قصر النصارى الالوهية على المسيح ، كان ردا وقلبا لمن أعتقد خلاف ذلك .

سر القصر :

أصر النصارى على ادعائهم بكون الله هو المسيح لاغيره ، وأكدوا ذلك على الرغم من أنه قد تقدم لهم أن المسيح هو عبدالله ورسوله ، وأن أول كلمة نطق بها فى المهد ، قوله انى عبدالله ، ولم يقل أنى أنا الله ، ولا ابن الله ، بل قال : انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا) الى قوله (وأَنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ).(٣) ولكنهم لاصرارهم وعنادهم ، جاءوا بأسلوب القصر عن طريق تعريف الطرفين ، وتوسط ضمير الفصل ، وفى هذا (بت القول على أن حقيقة الله هو المسيح لاغيره).(٤)

ولاصرارهم على هذا الكفر ، وتأكيدهم لادعائهم ، أعلن المولى عز وجل ثبوت كفرهم ، ثم برهن لهم عن خطأ نظرتهم وادعائهم بأنه لاراد لأمره ، أن أراد انزال الهلاك بالمسيح وأمه ومن فى الارض جميعا فهذا بيان لكمال قدرته وسيطرته التامه على الكون ومن فيه .

---

(١) آية : ١٧

(٢) روح المعانى ، ج ٦ ، ص ٩٨

(٣) تفسير ابن كثير ، ج ٢ ، ص ٦١٤

(٤) الكشاف ، م ١ ، ص ٦٠١

(وَمَنْ لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ) (وَمَن لَّمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ).(١)

المقصور : الكفر / الظلم / الفسق

المقصور عليه : أولئك / هم

سر القصر :

هذه الآيات الثلاث نزلت في قوم من اليهود ، ارتكبوا جرائم - اختلفت الروايات في تحديدها ، فقيل الزنا ، وقيل السرقة(٢) - وما ارتكبوه كان من جرائم الحدود المذكورة في التوراة ، ولكن رفض هؤلاء القوم تطبيقها على الشرفاء منهم ، فأصطلحوا على تغييرها ، وأحلوا مكانها بعض عقوبات التعازير ، واتفقوا فيما بينهم أن يعرضوا أمرهم على الرسول ، فان قضى بما اصطلحوا عليه اتبعوا رأيه ، وان خالفهم وقضى بغير ما رأوه تركوه وانصرفوا عنه . وفي تغيير ما أنزل الله بحسب الاهواء انكار لحكم الله

---

(١) آية : ٤٤ / ٤٥ / ٤٧

(٢) روى الامام احمد عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما ، ان اليهود أتوا النبي صلى الله عليه وسلم برجل وامرأة منهم قد زنيا . فقال: ماتجدون في كتابكم فقالوا : نحمم وجوههما ويخزيان. فقال: كذبتم ان فيها الرجم فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين فجاؤا بالتوراة وجاؤا بقارئ لهم أعور يقال له ابن صوريا ، فقرأ حتى اذا انتهى الى موضع منها . وضع يده عليه ، فقيل له ارفع يدك فرفع يده ، فاذا هي تلوح فقال : أوقالوا : يامحمد ان فيها الرجم ، ولكنا كنا نتكاتمه بيننا ، فأمر بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجما . قال: فلقد رأيته يجانئ عليها يقيها الحجارة بنفسه / مسند الامام احمد ، مسند عبدالله بن عمر ، ج ٢ ، ص ٥ .
وروى الامام احمد باسناده عن ابن عباس قال : انزلهما الله في الطائفتين من اليهود وكانت احداهما قد قهرت الاخرى في الجاهلية حتى ارتضوا أو اصطلحوا على ان كل قتيل قتلته الذليلة من العزيزة فديته مائة وسق ، فكانوا على ذلك حتى قدم النبي صلى الله عليه وسلم .. فقتلت الذليلة من العزيزة قتيلا ، فأرسلت العزيزة الى الذليلة ان ابعثوا لنا بمائة وسق ، فقالت الذليلة :وهل كان هذا في حيين قط دينهما واحد ونسبهما واحد ، وبلدهما واحد ، دية بعضهم نصف دية بعض، انما اعطيناكم هذا ضيما منكم لنا ، وفرقا منكم ، فأما اذا قدم محمد فلا نعطيكم ذلك ، فكادت الحرب تهيج بينهما ، ثم ارتضوا على ان يجعلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم ثم ذكرت العزيزة ، فقالت : والله ما محمد بمعطيكم منهم ضعف

واستهانة بأوامره ، فلقبيح فعلهم وفداحة أمرهم ، جِئ بثلاث آيات كلها تشمل معنى القصر ، لتهديدهم وتوبيخهم فى اقدامهم على تحريف حكم الله والتمرد عليه ، فقصرت الآية الاولى الكفر عليهم ، ف (الجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها ، أبلغ تقرير وتحذير عن الاخلال به أشد تحذير).(١) وذكر الامام الفخر (أن المقصود من هذا الكلام تهديد اليهود فى اقدامهم على تحريف حكم الله تعالى فى حد الزانى المحصن ، يعنى أنهم لما أنكروا حكم الله المنصوص عليه فى التوراة ، وقالوا : انه غير واجب ، فهم كافرون على الاطلاق لايستحقون اسم الايمان بموسى ، ولا بمحمد والقرآن).(٢)

وقصرت الآية الثانية الظلم عليهم ، قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا ، فيه مبالغة . فمجئ (ضمير الفصل مع اسم الاشارة ، وتعريف الخبر يستفاد منها أن هذا الظلم الصادر منهم ظلم عظيم بالغ الى الغاية)(٣) أى هم (المبالغون فى الظلم ، المتعدون لحدوده تعالى ، الواضعون للشئ فى غير موضعه . والجملة تذييل مقرر لايجاب العمل بالاحكام المذكورة).(٤)

ثم قصرت الآية الثالثة الفسق عليهم قصرا حقيقيا فيه مبالغة لخروجهم عن منهج الله . فقصر الكفر فى الآية الاولى عليهم ، وهو أعظم التهديدات ، ثم ذكر الظلم وهو أخف من الكفر ، لأن الكفر من حيث انه انكار لنعمة المولى ، وجحود بها فهو كفر ، ومن حيث أنه يقتضي ابقاء النفس فى العقاب الدائم الشديد ، فهو ظلم على النفس . ففى الآية الاولى ذكر مايتعلق بالتقصير فى حق الخالق سبحانه ، وفى الآية الثانية ذكر مايتعلق بالتقصير فى حق النفس (٥)

ما يعطيهم منكم ، ولقد صدقوا ما أعطوناهذا الاضيما منا ، وقهرا لهم ، فدسوا الى محمد من يخبر لكم رأيه ان اعطاكم ماتريدون حكمتموه ، وان لم يعطكم حذرتم فلم تحكموه ، فدسوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم - ناسا من المنافقين ليخبروا لهم رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم - فلما جاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم - اخبر الله رسوله بأمرهم كله وما أرادوا فأنزل الله عزوجل :(ياايها الرسول لايحزنك الذين يسارعون فى الكفر) الى قوله (الفاسقون) ثم قال فيهما ، والله نزلت واياهما عنى الله عزوجل/ مسند الامام احمد ، مسند ابن عباس ، م١ ، ص ٢٤٦ .

(١) روح المعانى ، ج ٦ ، ص ١٤٥ (٢) الفخر الرازى ، م٦ ، ج ١٢ ، ص ٦

(٣) فتح القدير ، م٢ ، ص ٤٧ (٤) تفسير ابى السعود ، م٢ ، ج ٣ ، ص ٤٣

(٥) الفخر الرازي ، م٦ ، ج ١٢ ، ص ٦ .

وكذلك ذكر الامام البيضاوى أنه لاستهانتهم وتمردهم ، بأن حكموا بغير ما أنزل الله ، وصفهم المولى عز وجل بقوله : الكافرون ، والظالمون والفاسقون. فكفرهم لانكاره ، وظلمهم بالحكم على خلافه ، وفسقهم بالخروج عنه. ويجوز أن يكون كل واحدة من الصفات الثلاث ، باعتبار حال انضمت الى الامتناع عن الحكم به. ملائمة لها ، أو لطائفة كما قيل أن صفة (الكافرون) متعلقة بالمسلمين لاتصالها بخطابهم ، والظالمون فى اليهود والفاسقون فى النصارى.(١)

(وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ)(٢)

المقصور : الغلبة.

المقصورعليه : هم / حزب الله

قصر صفة على موصوف قصر قلب.

أى أن حزب الله هم الغالبون لاحزب يهود. وهم هنا (يحتمل أن يكون فصلا ويحتمل أن يكون مبتدأ)(٣).

سر القصر :

جاء فى السياق النهى عن موالاة اليهود والنصارى ، الذين هم أعداء الاسلام وأهله. فهم أولياء بعض ، ولا يوالون غيرهم ، الا على سبيل الخداع. ثم وصفهم المولى عز وجل بأن فى قلوبهم مرض وحقد للاسلام والمسلمين. ولترغيب الخلق فى موالاة الله ، وتحذيرهم من موالاة أعدائه ،

---

(١) البيضاوى ، جـ ٢ ، ص ١٥١
(٢) آية : ٥٦
(٣) البحر المحيط ، جـ ٣ ، ص ٥١٤

كان لابد من تعظيم شأن أولياء الله. فجيء بالقصر عن طريق ضمير الفصل، وتعريف الطرفين. فقصرت الغلبة والنصرة على الله وحده، ونفيت عن حزب أعدائه. وفي ذلك تعريض بحزب الاعداء، وفي جملة القصر لطائف بلاغية تلفت الانظار، وتشد القلوب، وترغب النفوس في الانضمام الى حزب المولى عز وجل، فأقيم الظاهر مقام المضمر، ومعناه فانهم هم الغالبون ولكنهم بذلك جعلوا أعلاما لكونهم حزب الله.(١)

وفي اضافة الحزب الى الله تعالى خاصة - وهو أيضا من باب وضع الظاهر موضع المضمر - تنويه بذكرهم، وتعظيم لشأنهم، وتشريف لهم بهذا الاسم، واثبات لغلبتهم. كأنه قيل: ومن يتولى هؤلاء فهم حزب الله، وحزب الله هم الغالبون، وفي هذا تعريض لمن يوالي غيرهم بأنه حزب الشيطان.(٢)

---

(١) الكشاف، م١، ص ٦٢٤.

(٢) البيضاوي، ج٢، ص ١٥٧.

— (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ بْنُ مَرْيَمَ). (١)

قد سبق بيان القصر في هذه الآية . في الآية (١٧) من نفس السورة.

— (قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ). (٢)

المقصور : السميع العليم

المقصورعليه : الله / هو

قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا.

سر القصر /

اعتقد النصارى أن عيسى وأمه الهان من دون الله ، ومنهم من اعتقد أنه ابن الله وأنه أحد الاقانيم الثلاثة (الأب ـ الابن ـ روح القدس). الى غير ذلك ، من التصورات الباطلة ، ولخطأ هذه المعتقدات لما فيها من الانكار لتوحيد الرب ، وتفرده بالعبودية. ورد المولى عز وجل عليهم ، بأسلوب القصر ، عن طريق النفي والاستثناء ، لتأكيد الالوهية لله وحده ، دون مايدعوه ، فقال تعالى(مَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ) ، (ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل). ثم جاء التعجيب من حالهم(قل اتعبدون من دون الله ، مالا يملك لكم ضرا ولا نفعا).

ثم جيء بأسلوب قصر آخر عن طريق ضمير الفصل ، وتعريف الخبر لتوبيخهم وتهديدهم ، حيث قصر السمع والعلم على الله وحده دون غيره ، (أي ، أتعبدون غير الله تعالى وتشركون به سبحانه مالا يقدر على شيء ، ولاتخشونه والحال أنه سبحانه وتعالى ، المختص بالاحاطة التامة بجميع المسموعات ، والمعلومات ، التي من جملتها ما أنتم عليه من الاقوال الباطلة والعقائد الزائفة). (٣)

---

(١) آية : ٧٢
(٢) آية : ٧٦
(٣) روح المعاني ، ج ٦ ، ص ٢١٠

(مَاقُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَادُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ).(١)

المقصور : الرقيب

المقصور عليه : الضمير فى كنت / أنت

قصر صفة على موصوف قصر افراد .

ولقد ذكر الامام ابن السبكى ، أن القصر هنا عن طريق ضمير الفصل . ولم يذكر احتمال كونه من تعريف الجزءين. ويبدو لى أنه من كلا الطريقين ويلاحظ أن تحديد نوع القصر هنا من حيث الحقيقة والاضافة لم يعتمد فيه على حال المخاطب ، لأن المخاطب هنا هو الله سبحانه وتعالى ، ولايمكن القول أنه قد صدر منه انكار أو غيره. ويبدو لى أن تحديد نوع القصر هنا ، اعتمد فيه على حال المتكلم ، أى كنت انت الرقيب ، لا أنا .

سر القصر :

سبق أن أشرت الى سر القصر فى الآية فى فصل النفى والاستثناء ، عند الحديث عن قوله تعالى : (ماقُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ). الا أن الحديث هناك كان منصبا على النفى والاستثناء ، ويبدو لى أنه لاتكرار فى اعادة بيان سر القصر ، لأن توجيه الحديث هنا الى قوله تعالى :(كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ) لماوجه الله سبحانه وتعالى الى عيسى عليه السلام سؤالا بصيغة الاستنكار: (يَاعِيسَى أَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ) ، أى هل ادعيت الألوهية من دون الله. والغرض من هذا السؤال ليس طلب الجواب ، بل توبيخ المؤلهين وذلك باثبات اقرار عيسى عليه السلام بعبودتيه المطلقة واذعانه وتسليمه لله عز وجل ، حيث أكد أن ماتلفظ الا بما أمر به ، وأكد هذا الاعتراف باستعمال أسلوب القصر .

---

١) آية : ١١٧

وزيادة فى اقراره وتبرئة نفسه ، ذكر أنه كان شاهدا على أقوالهم ، أثناء حياته فقال : (وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ). أى (رقيبا كالشاهد على المشهود عليه أمنعهم من أن يقولوا ذلك ويتدينوا به)[١]. وزيادة فى تأكيد التبرئة استعمل أسلوب القصر ، فقال : (فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ) أى كنت أنت الحافظ لاعمالهم والمراقب ، فمنعت من أردت عصمته عن المخالفة ، بالارشاد الى الدلائل الواضحة ، والتنبيه عليها بارسال الرسل ، وانزال الآيات وخدلت من خذلت من الضالين فقالوا ما قالوا.[٢]

---

(١) الكشاف ، م١ ، ص ٦٥٧ .

(٢) انظر الكشاف ، م١ ، ص٦٥٧ / تفسير ابى السعود ، م٢ ، ج٣ ، ص١٠٢ .

- (إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ).(١)

المقصور : العزيز الحكيم

المقصور عليه: الكاف في (فانك) / أنت

قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا.

سر القصر :

بعد أن أثبت عيسى عليه السلام براءته ، مما ارتكبه قومه من تأليههم له وأمه ، وأن ما فعلوه من وحي أنفسهم ، وَكَّلَ الأمر وفوضه الى الله عز وجل. فقصر صفتي العزيز والحكيم على المولى عز وجل. أي أنت القوي القادر على جميع المقدورات ، ومن جملتها الثواب والعقاب (الحكيم) الذي لا يريد ولا يفعل الا ما فيه حكمة ومصلحة ، فـ (هذا الكلام يتضمن رد المشيئة الى الله عز وجل ، فانه الفعال لما يشاء الذي لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، ويتضمن التبرئة من النصارى ، الذين كذبوا على الله وعلى رسوله ، وجعلوا لله ندا وصاحبة وولدا. تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا. وهذه الآية لها شأن عظيم ونبأ عجيب)(٢) لأن في تقرير المشيئة ، والتصرف المطلق في مصير العباد ، بهذا الأسلوب توكيد لألوهيته وتفرده بها دون المسيح ، ودون كل من عبد من دونه .

---

(١) آية : ١١٨
(٢) تفسير ابن كثير ، ج ٢ ، ص ٦٨٨

((الأنعـــام))

١ ـ ضـــمير الفصـــل :

(وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِى الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّـــنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)(١)

المقصـــور : العلم .

المقصورعليه : هـــو .

قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا .

اى (ان ربك هو أعلم من كل أحد يعلم من يضل عن سبيله).(٢)

سـر القصـــر :

لما أخبر الله عز وجل عن حال أكثر أهل الأرض ، وهو الضلال ، مـــع الادعاء والجزم بأنهم على حق ويقين. وفى هذا اضلال واغواء للمهتدين. لذا أكد الله سبحانه وتعالى ، أنه هو العالم وحده بخبايا النفوس، وفـــى هذا غاية التهديد والوعيد لهم. حيث قصر العلم على ذاته العليا ، ونفـاه عن كل ماعداه.

وأيضا فى القصر تحذير للرسول وللمؤمنين من اتباعهم واطاعتهم بعد كشـــف حقيقتهم فالجملة(تقرير لمضمون الشرطيه ومابعدها ، وتأكيد لما يفيده مـن التحذير. أى هو أعلم بالفريقين ، فاحذر أن تكون من الأولين).(٣)

---

(١) آيـة : ١١٦ ـ ١١٧
(٢) البيضاوى ، حاشية الكازرونى ، ج ٢ ، ص ٢٠٥
(٣) تفسير ابى السعود ، م ٢ ، ج ٣ ، ص ١٧٩

(وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ).(١)

المقصـــور : العلم .

المقصورعليه : هـــو .

قصـــر صـــفة على موصوف قصـــرا حقيقيـــا تحقيقيا.

سـر القصـــر :

لما كانت الاية الكريمة تتضمن أمر الله باتباع ماجاء فيها من شأن المأكل والمشرب ، ثم أنه تعالى ذكر أن كثيرا من الناس يضلون لاتباعهم أهوائهم وأغراضهم ، لهذا كان لابد من التحذير من اتباع الهوى. فجاء أسلوب القصر عن طريق توسط ضميرالفصل بين المبتدأ والخبر، فأكد علم الله عز وجل بالمعتدين ، أى المجاوزين الحد فى الاعتداء والطغيان ، فيحللون ويحرمون من غير اذن الله ، وهذا إخبار يتضمن الوعيد الشديد لمن اعتدى. أى فيجازيهم على اعتدائهم (٢) لانه اذا كان عالما بأحوالهم فلا شك أنه قادر على مجازاتهم .

---

(١) آيـــة : ١١٩

(٢) البحرالمحيط ، ج ٤ ، ص ٢١٢

٢ ـ تعريف الجزئين :

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ).(١)

سبق أن بينت ـ في سورة الفاتحة(٢) ـ اختلاف العلماء في افادة (أل) هنا القصر ، فذهب بعضهم الى أنها للجنس ، فتفيد الحصر. وذهب بعضهم الى أنها للاستغراق ، فلا تفيده .

ويبدو لي أنها سواء كانت للجنس أو للاستغراق ، فهي مفيدة للحصر.

سر القصر :

لما ذكر الله سبحانه وتعالى في آخر سورة المائدة ، ما قالته النصارى في عيسى وأمه من كونهما الهين من دون الله ، وجرت تلك المحاورة ، وذكر ثواب ما للصادقين ، وأعقب ذلك بأن له ملك السموات والارض وما فيهن ، وأنه قادر على كل شيء(٣) ولما كان موضوع سورة الانعام الاساسي هو اثبات الالوهية لله وحده ، والرد على المشركين. ذكر بأن الحمد مختص به دون غيره مستغرق لجميع المحامد . ومن كان كذلك فلا يمكن ان يثبت معه شريك في الالهيه فيحمد. ثم وصف المولى عز وجل ذاته العليا ، بأنه الذي خلق السموات والارض وعدد دلائل قدرته ، فذكر أنه خلق السموات والأرض ، وانه جعل الظلمات والنور ، وخلق الانسان من طين ، وأن اليه الآجال ، وذكر علمه بالسر والجهر. كل ذلك اخبارا عن قدرته الكاملة الموجبة لاستحقاقه لجميع المحامد ، فان من اخترع ذلك وأوجده هو الحقيق بالافراد بالثناء وتخصيصه بالحمد. وخص خلق السموات والارض بالذكر لاشتمالهما على جملة الآثار العلوية والسفلية ، وعامة الآراء الجلية والخفية التي من أجلها نعمة الوجود الكافية في ايجاب حمده تعالى على كل موجود.(٤) فبدأت السورة بقصر الحمد كله لله عزوجل ، لإقامة الحجة على الذين هم بربهم يعدلون.

---

(١) آية : ١ ،
(٢) آية : ٢
(٣) البحر المحيط ، ج ٤ ، ص ٦٧

— (وَلَهُ مَاسَكَنَ فِى اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ)(١).

المقصـــور : السميع العليم

المقصورعليه : هـــو

قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا.

سـر القصـــر :

ذكرت الآيات السابقة محاورات الكفار المكذبين ، ومجادلاتهم فى حقيقة الالوهية ، واستهزاءهم بالرسل ، كماذكرت الحشر الذى فيه الجزاء والحساب لذا ، ناسب قصر صفتى السمع والعلم على المولى عز وجل ، مبالغة فـــى الوعيد والتهديد . وهو قصر حقيقى تحقيقى ، لأنه وحده السميع لكل مسموع العليم بكل معلوم. ذكر الامام ابوحيان : (لما تقدم ذكر محاورات الكفـــار المكذبين ، وذكر الحشر الذى فيه الجزاء ، ناسب ذكر صفة السمع ، لمـــا وقعت فيه المحاورة ، وصفة العلم لتضمنها معنى الجزاء ، اذ ذلك يـــدل على الوعيد والتهديد).(٢)

— (قُلْ إِنِّى أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ، مَن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِـــذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ).(٣)

المقصـــور : الفوزالمبين .

المقصورعليه : ذلك .

قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا .

سـر القصـــر :

ذكر السياق انكار المنكرين لتوحيد الله وألوهيته ، وجاء الـــرد عليهم من طرق عدة ، كلها تثبت أنه اله متفرد فى الالوهية حيث بـــدأت

---

(١) آية : ١٣

(٢) البحر المحيط ، ج ٤ ، ص ٨٣

(٣) آية : ١٥ ، ١٦ .

السورة بالحمد والثناء على الله ، فلتفرده استحق قصر الحمد والشكر عليه وحده .

وتوالت الادلة لاثبات هذه الوحدانية ثم جاء التهديد والوعيد ، لمن يعصى هذا الاله المتفرد ، بعد ثبوت الادلة ووضوحها .

ولترغيب الخلق فى الابتعاد عن المعاصى الجالبة للعذاب العظيم ، قُصر الفوز المبين على صرف العذاب والنجاة من الهلكة ، مبالغة فى عظم النعمة .

— (وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ).(١)

المقصور : القاهر / الحكيم / الخبير

المقصور عليه : هـو

فى الآية أربعة أساليب للقصر ، ثلاثة منها عن طريق التعريف بأل ، والرابع عن طريق النفى والاستثناء . وقد بيناه فى موضعه . والقصر هنا قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا .

سر القصر :

جِئ بالحصر هنا لتأكيد الرد على المنكرين فلما ذكر سبحانه وتعالى انفراده فى التصرف بما يريد جِئ بقوله : (وهو القاهر فوق عباده) تصويرا لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة . ثم جِئ بقوله تعالى :((هو الحكيم)، فى كل مايفعله ويأمر به : (الخبير) بأحوال عباده وخفايا أمورهم ، واللام فى الثلاثة مواضع للحصر.(٢) فأفادت أن(صفات الكمال محصورة فى العلم والقدره ومعناه أنه لاموصوف بكمال القدرة وكمال العلم الا الحق سبحانه ، وعند هذا يظهر أنه لاكامل الا هو ، وكل من سواه فهو ناقص.(٣) وفى هذا التأكيد لقدرته وعلمه ، عظيم التهديد والوعيد للمنكرين .

---

(١) آية : ١٧ ـ ١٨

(٢) وقد ذكر ذلك الإمام ابوالسعود ، م٢ ، ج٣ ، ص١١٧ وتبعه الالوسى ج٧ ، ص١١٧

(٣)

— (وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَاجَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُم ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)(١)

المقصور : التوفى بالليل والعلم بما جرح فى النهار .

المقصورعليه : هو .

قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا .

سر القصر : .

جاءت هذه الآية فى ضمن سلسلة من الآيات التى ترد على منكرى الالوهية . وجاء الرد على هذا الانكار عن طريق القصر ، بتعريف الخبر(الاسم الموصول). وكان الدليل السابق عن طريق النفى والاستثناء والتقديم(وعنده مفاتح الغيب لايعلمها الاهو). فلما ذكر استئثاره بالعلم التام للكليات والجزئيات عن طريق القصر ذكر أيضا استئثاره بالقدره التامة ، فقصر التوفى بالليل والبعث بالنهار على المولى عز وجل دون غيره ، وهو أمر محسوس قاهر للانام ، وكلا الامرين ليس للانسان فيه قدرة ، بل هو أمر يوقعه الله تعالى بالانسان .(٢)

وذكر هنا القصر الدال على كمال قدرته ، تنبيها على ما تختص به الالهية .

— (وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَايُفَرِّطُونَ).(٣)

المقصور : القاهر .

المقصورعليه : هو .

قصر صفة على موصوف قصر حقيقيا تحقيقيا .

---

(١) آية : ٦٠
(٢) البحر المحيط ، ج ٤ ، ص١٤٦
(٣) آية : ٦١

سر القصر :

بينت الآية السابقة كمال قدرته عز وجل ، ولتأكيد هذا الكمال جيء بالقصر هنا ، فقصر القهر والغلبة على الله وحده دون غيره ، فهو المتصرف فى أمور عباده لاغيره ، يفعل مايشاء ، ايجادا واعداما ، احياء واماته وتعذيبا واثابة الى غير ذلك.(١) فهو صاحب السلطان القاهر ، وهم مقهورون تحت سلطانه ، فهم عباد ضعاف لا قوة لهم ، ولا ناصر الا هذا المولى المتصف بكمال القدرة.

فالقصر هنا لإدخال الروعة والرعب فى قلوب المنكرين ، ولتحقيق العبودية المطلقة للاله القاهر المسيطر.

— (قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُم عَذَاباً مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُم أَوْ يُلْبِسَكُم شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ أنظرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ).(٢)

المقصور : القادر .

المقصور عليه : هو .

قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا.

سر القصر:

فى هذه الآية الكريمة يقرر المولى ألوهيته ، فيُحَكِّم الفطر الانسانية تلك الفطرة التى تهرع الى الهها الحق ، فى ساعة الشدة والهول والكرب. فتكون النجاة بقدرته ثم يأتى بعد ذلك أسلوب القصر ، عن طريق تعريف الخبر ، لتهديد المنكرين. لأن القادر على انجائهم مع اعترافهم بهذه القدرة ، قادر أيضا على انزال العذاب بهم ، ذلك العذاب القاهر المزلزل ، الذى يأتيهم من فوقهم ،

( ) تفسير ابى السعود ، م ٢ ، ج ٣ ، ص ١٤٤

(٢) آية : ٦٥

ومن تحتهم بل الاشد من ذلك يذيق بعضهم بأس بعض ، فيجعلهم شيعا وأحزابا فهو (استئناف مسوق لبيان أنه تعالى القادر على القائهم فى المهالك ، اثر بيان أنه هو المنجى لهم منها ، وفيه وعيد ضمنى بالعذاب ، لاشراكهم المذكور على طريقة قوله عز وجل : أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر ، الى قوله تعالى: أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى).(١)

— (وَأَنْ أَقِيمُوا۟ الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ).(٢)

فى الآية اسلوبا ، قصر الأول عن طريق تعريف الخبر ، والثانى عن طريق التقديم وقد سبق ذكره فى بابه.

المقصور فى الاسلوب الاول : الحشر .

المقصور عليه : هو .

قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا.

سر القصر :

جئ بالقصر فى هذه الاية ، عن طريق تعريف الخبر (الاسم الموصول).

وجئ بجملة الصلة عن طريق التقديم والتأخير المفيد للحصر. لأنه لما أمر المولى عز وجل با لاستسلام له ، جاء بالتكاليف التعبدية ، فأمر باقامة الصلاة وتقوى الله ، ولما كانت ثمرات فعل هذه الاعمال ، وحسرات تركها ، انما يظهر يوم الحشر والقيامة .(٣)

جئ بالقصر لتأكيد الحشر ، واختصاص أمره به وفى هذا تهديد بالغ ، ووعيد شديد ، حيث نبه أن مرجع الامور مقصور على الله وحده دون غيره ، فلا مفر لهم من الحساب.

---

(١) تفسير ابى السعود ، ج ٣ ، ص ١٤٦
(٢) آية : ٧٢
(٣) البحر المحيط ، ج ٤ ، ص ١٦٠

— (وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الحَقُّ وَلَهُ المُلْكُ يَومَ يُنفَخُ فِى الصُّورِ عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الحَكِيمُ الخَبِيرُ).(١)

فى الاية الكريمة ثلاثة أساليب للقصر .

الاول : فى قوله تعالى : (وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ) وهو عن طريق تعريف الجزءين .

فالمقصور فيه : خلق السموات والارض .

المقصورعليه : هو .

قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا .

والثانى : فى قوله تعالى : (وَلَهُ المُلْكُ يَومَ يُنفَخُ فِى الصُّورِ). وهو عن طريق تقديم المسند على المسند اليه .

والمقصور فيه : الملك .

المقصورعليه : كونه لله .

قصر موصوف على صفة قصرا حقيقيا تحقيقيا .

والقصر الثالث : فى قوله تعالى : (وَهُوَ الحَكِيمُ الخَبِيرُ).

والمقصور هنا : الحكيم الخبير .

المقصور عليه : هو .

قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا .

سر القصر :

لما بين الله سبحانه وتعالى فى الآيات المتقدمه فساد طريقة عبدة الاصنام ، وأمر باقامة الصلاة واتباع أوامره . وهدد التاركين لهذه الاوامر بالجزاء . نبه على مايؤكد الحشر ، حيث قصر خلق السموات والارض عليه وحده ، فمن كانت لديه هذه القدرة على الخلق ، فلاشك أن بيده منتهى هذا العلم ،

---

(١) آية : ٧٣

وفى هذا القصر تقرير لألوهيته.

ثم قصر الملك يوم النفخ فى الصور على المولى عز وجل دون غيره، زيادة فى الترهيب والوعيد. ثم ختمت الآية بأسلوب قصر ثالث، لتأكيد أن له كمال الحكمة والعلم.

— (وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) (وَهُوَ الَّذِى أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ)(١)

(وَهُوَ الَّذِى أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُتَرَاكِباً وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ).

المقصور فى هذه الآيات الثلاث.

(١) الذى جعل النجوم للاهتداء.

(٢) الذى انشأكم من نفس واحدة.

(٣) الذى أنزل من السماء ماء.

المقصور عليه : هو

قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا.

سر القصر :

ان موضوع السورة الاساسى، هو مواجهة المنكرين لوحدانية الله عز وجل، وهذه الآيات جيء بها بأسلوب القصر، لتشد الانتباه، وتلفت الانظار

---

(١) آية : ٩٧ - ٩٨

الى صفحة الوجود ، التى يمر بها الغافلون فى كل لحظة ، ولا يستشعرون منها سر الوجود . فأول تلك المشاهد هى دورة الفلك العجيبة ، ذات النظام الدقيق ، والتى ترتبط بها حياة الفرد من حيث الانتفاع فى الاهتداء ، فقصر هذا الامر المبدع على المولى عز وجل ، لبيان كمال قدرته ورحمته وحكمته وانتهت الآية بقوله تعالى :(قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون).

فختمت الآية بهذه الخاتمة ، للفت أنظارهم الى التأمل والاستدلال بالمحسوس على المعقول ، والانتقال من الشاهد الى الغائب.

فهذه النجوم كما يمكن أن يستدل بها على الطرقات فى ظلمات البر والبحر فكذلك يمكن أن يستدل بها على معرفة الصانع الحكيم ، وكمال قدرته وعلمه.(١)

ولتأكيد ألوهيته جاء بآيات تشد العقول الى مشهد أكثر قربا الى العقل ، ذلك هو تكوين النفس البشرية ، ولفت الانظار الى قصة هذه النفس وعجائب صنعها ، وأن كل ذلك مقصور عليه وحده . فمن كانت له القدرة على خلقها وبعثها ، فهو الحقيق بالتفرد والوحدانية. وختم الآية بقوله : لقوم يفقهون . مع ختمه الآية السابقة بقوله : يعلمون. لأن(انشاء الانس من نفس واحده وتصريفهم بين أحوال مختلفه . ألطف وأدق صنعة وتدبيرا . فكان ذكر الفقه ههنا لأجل أن الفقيه يفيد مزيد فطنة وقوة ذكاء وفهم).(٢)

وبعد أن قصر خلق النفس على ذاته العليا ، جاء بقوله تعالى:(هو الذى أنزل من السماء ماء) ، فقصر رزق هذه النفس على ذاته العليا أيضا ، ليبين أن وجود هذه النفس واحياءها كله بيده تعالى. وختم هذه الآيات الدالة على كمال قدرته بقوله : (لقوم يؤمنون) ، لأن فهم الغرض من عرض هذه الحقائق المؤدية الى توحيد الله لن يلتفت اليها الا القوم المؤمنون. فهذه الآيات الدالة على كمال قدرته ، فيها (خطاب الكينونة البشرية بحقيقة الالوهية ، وفى بيان موقف العبودية منها ، يجعل حقيقة الخلق والانشاء

---

(١) الفخر الرازى ، م ٧ ، ج ١٣ ، ص ١٠٧
(٢) المرجع السابق ، نفس الجزء ، ص ١١٠

للكون ، وحقيقة الخلق والانشاء للحياة ، وحقيقة كفالة الحياة بالرزق ، الذى ييسره لها الله فى ملكه ، وحقيقة السلطان الذى يخلق ويرزق ويتصرف فى عالم الأسباب بلا شريك ... يجعل من هذه الحقائق مؤثرا موحيا ، وبرهانا قويا على ضرورة مايدعو اليه البشر، من العبودية لله وحده ، واخلاص الاعتقاد ، والعبادة والطاعة والخضوع له وحده. وكذلك يجئ فى السياق بعد استعراض صفحة الوجود ، وانكشاف حقيقة الخلق ، والانشاء والرزق والكفالة والسلطان . الدعوة الى عبادة الله وحده، أى الى افراده سبحانه بالالوهية وخصائصها فى حياة العباد كلها ، وجعل الحاكمية والتحاكم اليه وحده فى شئون الحياة كافة ، واستنكار ادعاء الالوهية أو احدى خصائصها).(١)

— (وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ).(٢)

المقصـــور : السميع العليم .

المقصور عليه : هـــو

قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا .

سـر القصـــر :

لما ذكر الله سبحانه وتعالى اختصاصه بالحكمية والاستقلال بما يوجب ذلك من انزال الكتاب الفاصل بين الحق والباطل ، وتمام صدق كلامه ، وكمال عدله فى أحكامه (٣). خص كمال السمع والعلم به ، لبيان كمال احاطته بجميع المسموعات والمعلومات ، وفى ذلك تهديد ووعيد لمن يخالف ماجاء فى الكتاب المنزل بعد تمامه وكماله.

---

(١) فى ظلال القرآن ، ج ٢ ، ص ١١٥٣ (٢) آيـة : ١١٥
(٣) روح المعانى ، ج ٨ ، ص ١٠

٣ ـ ما اجتمع فيه ضمير الفصل وتعريف الجزءين :

ـــ(قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ).(١)

المقصـــور : الهدى .

المقصورعليه : هدى الله .

قصر صفة على موصوف قصر قلب .

ذكر الامام الشهاب (٢) ، والالوسى (٣) ، أن القصر هنا مستفاد اما من ضمير الفصل ، واما من تعريف الطرفين ، قال الامام الشهاب : " وقوله (اى الامام البيضاوى) : هو الهدى وحده (٤) ، الحصر من تعريف الطرفين ، أو ضمير الفصل).(٥)

ويبدو لى أنه مستفاد من كليهما .

سر القصر :

أظهر السياق أن هناك دعوى الى غير دين الله ، ومحاولة اضلال للمسلمين ، باغرائهم بترك دين محمد صلى الله عليه وسلم ، بادعاء أن ما عليه المشركون هو الهدى والايمان . فجاءت الآية بأسلوب القصر لقلب هذا الاعتقاد ، فقصر الهدى على هدى الله . لتأكيد أن ماعداه ضلال ، وليكون أبلغ فى الزجروالتحذير من الاعتداد بغيره ، قال الامام الزمخشرى أى (هو الهدى) وحده ، وماوراءه ضلال وغى ، ومن يتبع غير الاسلام دينا ـ فماذا بعد الحق الا الضلال).(٦)

والقصر هنا (.. توطئة لما بعده ، فان اختصاص الهدى بهداه تعالى ، مما يوجب الامتثال بالأوامرالوارده بعده) (٧) حيث جاء بعده الامربالاستسلام لرب العالمين ،

---

(١) بعض آية : ٧١
(٢) حاشية الشهاب ، ج ٤ ، ص ٨٢
(٣) روح المعانى ، ج ٧ ، ص ١٨١
(٤) البيضاوى ، ج ٢ ، ص ١٩٤
(٥) حاشية الشهاب ، ج ٤ ، ص ٨٢
(٦) الكشاف ، م ٢ ، ص ٢٨
(٧) تفسير أبي السعود ، م ٢ ، ج ٣ ، ص ١٥٠ .

والامر باقامة الصلاةوالامر بالتقوى.

وفسر الامام الفخر القصر هنابمعنى الكمال ، فقال (يعنى هو الهدى الكامل النافع الشريف ، كما اذا قلت : عِلْمُ زيد هو العلم ، وملك عمرو هو الملك ، كان معناه ماذكرناه من تقرير أمر الكمال والشرف)(١).

---

(١) الفخر الرازى ، م ٧ ، ج ١٣ ، ص ٣٢

« الأعراف »

١ـ تعريف الجزءين :

(وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ).(١)

المقصور : ارسال الرياح .

المقصورعليه : هو .

قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا.

سر القصر :

لما كان موضوع السورة الاساسي ، هو اثبات العقيدة في نفوس البشر ولما ذكر سبحانه وتعالى أنه خالق السموات والارض ، المتفرد بالحكم ، المدبر لجميع الامور ، فله كمال العلم والقدرة ، وهذه من آثار العلم العلوي ذكر في هذه الآية أنه أيضا المختص والمتفرد بالدلائل والآثار السفلية ، فقصر ارسال الرياح ، وانزال المطر على ذاته العليا ، وفي هذا اثبات لالوهيته. فجاء القصرهنا عن طريق تعريف الخبر ، (الاسم الموصول). وذكر الامام أبوحيان أن اللام هنا للعهد. قال :(دلالة على كون ذلك معهودا عند السامع ، مفروغا من تحقق النسبة فيه والعلم به ، ولم يأت التركيب أن ربكم خلق ، ولا وهو يرسل الرياح).(٢)

---

(١) آية : ٥٧

(٢) البحر المحيط ، ج ٤ ، ص ٣١٦ .

٢ ـ ما اجتمع فيه ضمير الفصل وتعريف الجزئين

(والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون) (١)

المقصور : الفلاح .

المقصور عليه : اولئك/هم .

قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا . وهم ضمير فصل يفصل بين الخبر والصفة ، ويؤكد النسبة ، ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه . أو مبتدأ خبره : المفلحون ، والجملة : خبر لأولئك ، وتعريف المفلحون للدلالة على أنهم الناس ، الذين بلغك أنهم مفلحون فى الآخرة ، أو إشارة الى ما يعرفه كل أحد من حقيقة المفلحين وخصائصهم (٢) .

سر القصر :

ان ما يطلبه القران من البشر ، لهو مطلب ضخم عظيم ، اذ يتضمن التغيير الاساسى والجذرى لتصورات البشر . وأفكارهم وقيمهم وأخلاقهم ، وتقاليدهم وعاداتهم ، ونُظمهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية . ولأن هذا التغيير مطلب ضخم ، يأتى السياق بما يهز الضمائر هزا عنيفا مؤثرا . فبدأت الصورة الكريمة بالحروف المقطعة ، دلالة على اعجاز القرآن ، ثم بين أن هذا القرآن المعجز انما أُنزل للانذار ، ولترهيب الناس من الكفر ، بما جاء فيه.ذكر أن من أحوال يوم القيامة السؤال والحساب ، ووزن الأعمال ، وبعد هذا الترهيب يأتى أسلوب القصر ، ليرغب الناس فى الايمان بهذا القرآن المعجز . فقصر الفلاح على من ثقلت موازينه ، فهو الفلاح الكامل والفوز العظيم .

وفى مجئ الترغيب بهذا الأسلوب شحذ للهمم ودفع لها الى الايمان بهذا القرآن الذى أشار اليه فى بداية افتتاح السورة ، بأنه معجز .

---

(١) آية : ٨

(٢) تفسير أبى السعود ، م ٢ ، ح ٣ ، ص ٢١٣ .

(وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُواْ إِنَّ لَنَا لَأَجْراً (١) إِنْ كُنَّا نَحْنُ الغَالِبِينَ) (٢)

المقصور : الغلبة .

المقصور عليه : نحن أو الضمير في كنا

قصر صفة على موصوف قصر قلب ، فهم يَرُدُّونَ على موسى عليه السلام الذي يعتقد أنه الغالب . فتوسط ضمير الفصل ، وتحلية الخبر باللام للقصر .

أي كنا نحن الغالبين لا موسى عليه السلام (٣) .

سر القصر :

لما ألقى موسى عليه السلام عصاه ، وكانت المفاجأة ، وكانت المعجزة التي عجز عن ادراكها قوم فرعون ، فتمادوا في طغيانهم فأنكروها . وجاء السحرة في محاولة لاثبات أن موسى ما هو الا ساحر له خبرة ، لا يعتد بها في مجال الكهانة ، فَقَصَروا الغلبة على أنفسهم ، لتأكيد قدرتهم وغلبتهم ، وكأن نصرهم أمر مفروغ منه ، لا مجال للشك فيه ، وأن ما أتى به موسى عليه السلام لا يساوي شيئا بجانب خبرتهم . وفي هذا استصغار لشأن معجزته .

ولثقتهم بفوزهم ، أشترطوا الأجر على فرعون وأوجبوه .

(قَالُواْ يَا مُوسَى إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ المُلْقِينَ) (٤)

المقصور : الالقاء .

المقصور عليه : نحن / الضمير في نكون .

قصر صفة على موصوف قصر قلب أي نحن الملقين لا أنت

---

(١) والمقصود من الاخبار ، ايجاب الأمر واشتراطه ، كأنهم قالوا : بشرط أن تجعل لنا أجرا ان غلبنا ، ويحتمل أن يكون الكلام على حذف أداة الاستفهام ، وهو مطرد ويؤيد ذلك ، أنه قرأ ابن عامر وغيره (ائن) باثبات الهمزة ، وتوافق القراءتين أولى من تخالفهما / روح المعاني ، ح ٩ ، ص ٢٤ .

(٢) آية : ١١٣ .

(٣) روح المعاني ، ح ٩ ، ص ٢٤ .

(٤) آية ١١٥

سـر القصـر :

خَيَّر السحرة موسى عليه السلام في الالقاء ، وذلك من باب الادلال لما يعلمونه من السحر ، وايهام الغلبة والثقة بأنفسهم ، وعدم الاكتراث والابتهال بأمر موسى (١) . ثم جئ بأسلوب القصر لتأكيد غلبتهم ، وللتعاظم بمقدرتهم ، وقيل أن تخييرهم كان من باب التأدب ، ثم أظهروا رغبتهم في التقديم بتغيير النظم ، عن طريق تعريف الخبر ،وتوسيط ضمير الفصل ، وتأكيد الضمير المتصل(٢)

ويبدو لي أن مجئ القصر هنا ، يضعف كون التخيير للتأدب ، فقصر الالقاء على أنفسهم ، دليل على تصميمهم على البدء بالالقاء ، وانما خيروه استهانة بأمره واستصغارا لشأنه .

(الَّذين يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِى يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُم فِى التَّوْرَاةِ والإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ المُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلَالَ الَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِى أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ) (٣) .

المقصور : الفلاح .

المقصور عليه : هم / أولئك .

قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا .

سـر القصـر :

لما نعت الله سبحانه وتعالى الذين آمنو بالرسول ـ من أهل الكتاب ، الذين وجدوه مكتوبا في التوراة والانجيل أو غيرهم ـ بنعوت جليلة ، منها الايمان به ونصرته واتباعه وتعزيزه ، ولاتصافهم بهذه الصفات ، كان لابد من تعظيم شأنهم ، واجلال قدرهم . فجئ باسم الاشارة (وما فيه من معنى البعد ، للايذان بعلو درجتهم ، وسمو طبقتهم في الفضل والشرف) . ثم جئ بأسلوب

---

(١) البحر المحيط ، حـ ٤ ، ص ٣١٦ .

(٢) الكشاف ، م ٢ ، حـ ١٠٣ . / تفسير أبي السعود ، م ٢ ، حـ ٣ ، ص ٢٦٠ .

(٣) آية : ١٥٧ .

القصر ، فقصروا على الفلاح ، أى (هم الفائزون بالمطلوب ، الناجون عن المكروب لا غيرهم من الأمم) (١) .

— (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُم آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالانْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الغَافِلُونَ) (٢) .

المقصور : الغفلة .

المقصور عليه : أولئك / هم .

قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا فيه مبالغة .

سر القصر :

لقد منح الله الناس القلوب ، ليفقهوا بها دلائل وجوده ، ومنحهم الأعين ليبصروا بها آيات الكون ، وزودهم بالأسماع ليصغوا الى آياته ، ولكن الكثير منهم عطل هذه الأجهزة ، ولم يستخدمها ، ففقد القدرة على الادراك والتصور الصحيح .

لذا حقر من شأنهم وجعلهم فى مرتبة أدنى من مرتبة الأنعام ، لأن للأنعام استعدادات فطرية تهديها . ولاتصافهم بهذه الصفات الشنيعة ، استحقوا قصر الغفلة عليهم ، وبيان أنهم الكاملون فيها . (اذ الغفلة فى كثير عداهم ، لكنها كلا غفلة بالنسبة الى غفلتهم ، وكمال غفلتهم يعلم مما أسلفه من عدم الادراك) (٣) . وكذلك ذكر الامام أبو السعود (٤) والامام الألوسى (٥) أن القصر هنا لبيان أنهم الكاملون فى الغفلة عما فيه صلاحهم .

(١) تفسير أبى السعود ، م ٢ ، حـ ٣ ، ص ٢٨٠ .
(٢) آية : ١٧٩ .
(٣) الشهاب ، حـ ٤ ، ص ٣٣٨ _ ٣٣٩
(٤) تفسير أبى السعود ، م ٢ ، حـ ٣ ، ص ٢٩٦ .
(٥) روح المعانى ، حـ ٩ ، ص ١٢٠ .

▬ (هُوَ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ)(١).

المقصور : الخلق من نفس واحدة

المقصورعليه : هو

قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا.

سر القصر :

ذكر السياق انكار المنكرين لوجود الله ، والتعجب من حال هؤلاء المنكرين ، لأن توحيد الله أمر فطرى فى البشر ، ولكنه العناد والتكبر والجبروت ، الذى أعمى الأبصار.

فأخذت الآيات تُذَكِّر الخلق بالميثاق الذى أخذه الله منهم وشهد عليه ، وهم بعد فى مرحلة الذر . ثم أخذت الآيات تذكرهم بآيات الله ، وآلائه وتصرفه الكامل فى شأن خلقه. ثم جئ بهذه الآية ، لتفلت الانتباه وتشد الانهان الى قصة الخلق العجيبة ، التى لايقدر عليها الا من كانت له القدرة الكاملة والتصرف التام. وجئ بها عن طريق القصر (.. لبيان كمال عظم جناية الكفرة فى جراءتهم على الاشراك ، بتذكير مبادئ أحوالهم المنافية له ، وايقاع الموصول خبرا ، لتفخيم شأن المبتدأ . أى هو ذلك العظيم الشأن ، الذى خلقكم جميعا وحده ، من غير أن يكون لغيره مدخل فى ذلك بوجه من الوجوه)(٢) فمن كانت له هذه القدرة العجيبة على الخلق ، فهو المستحق للعبادة والتوحيد وحده دون غيره.

---

(١) آية : ١٨٩
(٢) تفسير أبى السعود ، م٢ ، ج ٣ ، ص٣٠٢

((الأنفـــال))

١ - ما اجتمع فيه ضمير الفصل وتعريف الجزءين .

(أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) (١) .

المقصور : المؤمنون .

المقصور عليه : أولئك / هم .

قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا ، تحقيقيا .

سر القصر :

لما وقع الاختلاف بين الصحابة فى أمر الأنفال ، خاطبهم الله بقوله تعالى :(وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين) (٢) . ثم ذكرهم بخصال المؤمنين الحميدة وصفاتهم الجليلة ،من مخافة الله عند ذكره ، وأنهم اذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا ، وأنهم لا يتوكلون الا على ربهم ، ويقيمون الصلاة ويحرصون على الأنفاق مما رزقهم الله . وجاء التذكير بهذه الصفات عن طريق انما ، للتعريض بمن يخالفهم ، ومبالغة فى تعظيم شأنهم ، وتفخيم أمرهم .

جئ باسم الاشارة لما فيه من معنى البعد ، للايذان بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم فى الشرف ، ثم وسط ضمير الفصل بين المبتدأ ، والخبر المحلى بأل ، فقصر الايمان عليهم ، للدلالة على أنهم متميزون بذلك عمن عداهم أكمل تمييز ، (أى أن هؤلاء هم الكاملون فى الايمان ، البالغون فيه الى أعلى درجاته وأقصى غاياته) . (٣)

وأكد هذا القصر بقوله تعالى : " حقا " (لأنهم حققوا ايمانهم ، بأن ضموا اليه مكارم أعمال القلوب من الخشية والاخلاص ، والتوكل ومحاسن أفعال الجوارح التى هى العيار عليها من الصلاة والصدقة) (٤) .

وفى بيان صفات المؤمنين بهذه الطريقة ، وتأكيد أنهم هم المؤمنون ، ترغيب

---

(١) آية : (٤) . (٢) آية : ١ .

(٣) فتح القدير ، م ٢ ، ص ٢٨٦ .

(٤) البيضاوى ، حـ ٣ ، ص ٤١ .

للمختلفين فى أمر الأنفال وغيرهم ، بالتمثل بهذه الصفات حتى ينالوا الايمان الكامل ، وتذكيرهم بضرورة اطاعة الله ورسوله ، ليستحقوا هذه الصفة العظيمة واثارة لأطماعهم فى الوصول الى هذه المرتبة، ثم ذكر بعد ذلك ما أعد من الكرامة والفضل للجامعين بين هذه الصفات . فقال تعالى : (لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) .

(وَإِذْ قَالُواْ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الحَقَّ (١) مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)(٢) .

اختلف المفسرون فى مدلول اللام فى كلمة (الحَقَّ) ، ففهم البعض من كلام الزمخشرى أنها للجنس ، بدليل أن قوله تعالى : (إِن كَانَ هَذَا هُوَ الحَقَّ)، تهكم بمن يقول على سبيل التخصيص والتعيين، هذا هو الحق .

وقيل أن الامام البيضاوى عدل عن مسلك الامام الزمخشرى فى كون اللام للجنس ، وأن كلامه لا يدل على عهد ولا على حصر .واستدل على عدم ارادته الحصر أنه قال فى تعريف الآية : (ان كان هذا القرآن حقا منزلا فأمطر (٣) حيث نكر لفظ (حقا) مع تعريفه فى النظم ، فقيل : أنه اشارة الى أن ما ذكره الزمخشرى من التخصيص والتعيين ، انما هو على سبيل المجازاة لقولهم : أنه هو الحق لاعلى قصد الحصر ، وإلا كان المنكر انحصار الحقيقة فيه ، لاحقيتة من أصلها وليس مراده . بل مراده أن حقيته محال من أصلها ، فلذا نكره وترك الفصل فى بيان المعنى وتقريره ، ليدل على عدم قصده للحصر .وذكر الامام الشهاب أنه قيل : (وانما عدل عن مسلك الكشاف ، لعدم ثبوت قول قائل : أولا على وجه التخصيص ، ولا يخفى أنه ليس فى كلامه ما يدل على العهد ، ولا على الحصر) (٤). وأن هذا القائل حمل كلام البيضاوى على أن اللام للعهد الخارجى ، لا للجنس

---

(١) قائل ذلك أبو جهل / البخارى ، م ٢ ، حـ ٦ كتاب التفسير ، ص ٧٧ ـ ٧٨ .وقال الجمهور قائل ذلك كفار قريش / البحر المحيط ، حـ ٤ ، ص ٤٨٨ .

(٢) آية : ٣٢ .

(٣) البيضاوى ، حـ ٣ ، ص ٤٩ .

(٤) حاشية الشهاب ، حـ ٤ ، ص ٢٧١ .

كما في الكشاف وفسره بقوله : أى الحق المعهود المنزل من عند الله ، هذا لا أساطير الأولين . فأفاد تخصيص المسند اليه بالمسند فإنه يأتى له أيضا ، وأكده الفصل كما حقق في قولهم ألا انهم هم المفسدون [١].

ورد الامام الشهاب [٢] والألوسى [٣] بأن في هذا الاعتراض على مسلك الكشاف بعدم ثبوت قائل أولا على وجه التخصيص ، يتهكم به ، وكون الأولى حمل اللام على العهد دون الجنس قول ظاهر التعسف .

ويرى الامام الشهاب أن كلام الزمخشرى ، لا يحتمل كون اللام للجنس ، بل انها للعهد . فقال (ان القول بأن الامام البيضاوى ، عدل عن مسلك الكشاف لعدم ثبوت قائل أولا على وجه التخصيص . فليس بشىء لأن قول النبى صلى الله عليه وسلم أنه كلام الله ، ليس معناه الا ذلك عند التأمل ، وكون الزمخشرى قال : ان التعريف للجنس لا وجه له ، بل ظاهر كلامه أنه للعهد ، اذ المجازاة تقتضية ، فما اختاره تعسف ظاهر) [٤] .

ويبدو لى أن الآية مفيدة للقصر ، سواء كانت أل للجنس أو للعهد ، لوجود ضمير الفصل المفيد للتخصيص . هذا على قراءة نصب (الحق) ، على أنه خبر كان ، فيكون الضمير للفصل [٥] . وهذه هى قراءة الجمهور [٦] . أما على قراءة الرفع فيكون هو : مبتدأ ، لا فصل [٧] .

سر القصر :

لما عرض الله سبحانه وتعالى مكائد المضلين والمنكرين لوحدانيته ، بين في هذه الآية عظيم اصرارهم على الانكار والجحود .

---

(١) الشهاب ، حـ ٤ ، ص ٢٧١ .
(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة .
(٣) روح المعانى ، حـ ٩ ، ص ١٩٩ .
(٤) حاشية الشهاب ، حـ ٤ ، ص ٢٧١ .
(٥) فتح القدير ، م ٢ ، ص ٣٠٣ .
(٦) البحر المحيط حـ ٤ ، ص .
(٧) تفسير أبى السعود ، م ٢ ، حـ ٤ ، ص ١٩ .

حيث قصروا الحق على ماجاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، (وهذا أسلوب من الجحود بليغ)(١). لأن المراد منه التهكم ، واظهار اليقين ، والجزم التام على كونه باطلا).(٢) وجزموا بكونه باطلا ، لأن انتفاء كونه حقا لا يوجب على منكره عذابا. فكان تعليق العذاب بكونه حقا ، مع اعتقاد أنه ليس بحق كتعليقه بالمحال.(٣)

— (لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ).(٤)

المقصور : الخاسرون

المقصور عليه : أولئك / هم

قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا ، فيه مبالغة .

سر القصر :

لما ذكر الله سبحانه وتعالى صفات المشركين ، وما ارتكبوه من القبائح في حق الرسالة المحمدية ، من وصفهم اياها بأنها أساطير الأولين ، وحثهم على الصد عن المسجد الحرام، وانفاقهم الأموال الطائلة ، وتجنيدهم أنفسهم للصد عن سبيل الله ، واقامة العقبات في وجه هذه الرسالة الطاهرة. ولشنيع هذه الأفعال وصفهم بالشئ الخبيث ، ثم بالغ في تحقيرهم ، وجعل الخبيث كأنه كومة من الاقذار ، يركم بعضها فوق بعض ، ويقذف بها في النار دون أدنى اعتبار أو اهتمام. ومبالغة في ذمهم ، جئ باسم الاشارة للايذان ببعد درجتهم في الخبث ، ثم قَصر الخسران عليهم ، لبيان أنهم (الكاملون في الخسران لأنهم خسروا أنفسهم وأموالهم).(٥)

---

(١) الكشاف ، م٢ ، ص ١٥٥
(٢) البيضاوي ، ج ٣ ، ص ٤٨ ـ ٤٩
(٣) الكشاف ، م ٢ ، ص ١٥٥
(٤) آية : ٣٧
(٥) البيضاوي ، ج ٣ ، ص ٥٠

(وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ).(١)

المقصور : السميع العليم .

المقصور عليه : هو / الضمير فى (انه) .

قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا

سر القصر :

جاء فى السياق القرآنى ذكر العهود التى كانت بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين أعدائه ، ونقضهم لتلك العهود ، واتصافهم بالخيانة . وجاء ذكر المنافقين وخفاء أمر بعضهم . ثم جاء الأمر للرسول صلى الله عليه وسلم بأن يجنح للصلح ، إن طلب أعداؤه ذلك . ولما كان هؤلاء الاعداء لايؤمن جانبهم فى تنفيذ العهود والعقود ، جئ بأسلوب القصر عن طريق تعريف الخبر ، وتوسط ضمير الفصل ، لِيُطَمْئِنَ الله رسوله بأنه هو الرقيب والسميع لكل قول ، والعليم بكل دقائق الامور ، فلا يخشى منهم شيئا .

وأيضا فى قصر السمع والعلم عليه وحده ، تهديد وتخويف لمن يحاول نقض العهود أو الخيانة ، وتدبير المكائد فى الخفاء .

(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) (٢).

المقصور : المؤمنون .

المقصور عليه : أولئك / هم .

قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا . كما هو مستفاد من المقام ، ومن كلمة حقا ، فهو قصر حقيقى تحقيقى ، لأنه لا يوجد من هو مؤمن حق الايمان غيرهم.

سر القصر :

لما ذكر الله فضل المهاجرين الذين آمنوا بالله ورسوله ، وبذلوا أنفسهم رخيصة فى سبيله ، وصدقوا ايمانهم وحققوه ، بتحصيل مقتضياته ، من هجرة الوطن ، ومفارقة الأهل ، والانسلاخ من المال لأجل الدين (٣) . وجاء أيضا ذكر

---

(١) آية : ٦١ .   (٢) آية : ٧٤

(٣) الكشاف ، م ٢ ، ص ١٧٠ .

عظيم فعال الأنصار من ايوائهم للمهاجرين ، ونصرهم للرسول صلى الله عليه وسلم . كان لابد من الاعلاء من شأنهم ، والرفع من قدرهم ،فجيء بأسلوب القصر عن طريق تعريف الخبر ، وتوسط ضمير الفصل ، لبيان أنهم هم الكاملون في الايمان ،والبالغون فيه أعلى الدرجات وأقصى المراتب دون غيرهم وزيادة في تشريفهم. أُكِّدَ هذا القصر بقوله : (حقا) ، مع بيان ما آل اليه مآلهم من المغفرة والرزق الكريم . ذكر الامام أبو حيان أن (هذه الآية فيها تعظيم المهاجرين والأنصار ، وهي مختصرة ، اذ حذف منها بأموالهم وأنفسهم ، وليس تكرارا لأن السابقة تضمنت ولاية بعضهم بعضا ، وتقسيم المؤمنين الى الأقسام الثلاثة ، وبيان حكمهم في ولايتهم ونصرهم ، وهذه تضمنت الثناء والتشريف والاختصاص ، وما آل اليه مآلهم من المغفرة والرزق الكريم) (١) .

((التوبة))

١ - تعريف الجزئين

(هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) (٢) .

المقصور : ارسال رسوله .

المقصور عليه : هو .

قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا .

سر القصر :

لما حكى الله سبحانه وتعالى ما كان عليه من أمر المشركين ، وعزمهم وتصميمهم على اطفاء نور الرسالة المحمدية في قوله تعالى : (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم) بين المولى عز وجل أنه يأبى ذلك الاطفاء ، وأنه

---

(١) البحر المحيط ، حـ ٤ ، ص ٥٢٣ .
(٢) آية : ٣٣ .

متم أمره ولوكره الكافرون . وأكد ذلك عن طريق قصر الارسال على ذاته العليا ، وأن ما أرسله انماهو الهدى والحق . فهو ليس من كلام البشر ، حتى يستطيعون ابطاله . وفى هذا القصر تأكيد لعجزهم ، لأن تأكيد كون الارسال من الله معناه استحالة الابطال .

— (أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ)(١).

المقصور : الخزى

المقصور عليه : ذلك

قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا .

سر القصر :

عدد السياق القرآنى مخازى المنافقين وأفعالهم الشنيعة ، وأقوالهم السيئة، ومكائدهم للرسالة المحمديه ، التى منها التخلف عن الجهاد، وتحريض بعض ضعاف النفوس من المسلمين على ذلك ، وفرحهم العظيم إنْ أصاب المسلمين مصيبة ، وحزنهم العميق ان أصابتهم حسنة ، (ان تصبك حسنة تسوءهم ، وان تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون). (٢) ومن رذائلهم حلفهم بالكذب أنهم من المسلمين ، ليستروا انفسهم ، ويتمكنوا من الكيد فى الخفاء ، ومنها لمزهم فى الصدقات ، ومنها ايذاؤهم للنبى صلى الله عليه وسلم، ومحاداة الله ورسوله الى غير ذلك ، ولكثرة قبائحهم وتعدد مخازيهم ، كان لابد من المبالغة فى اهانتهم فجئ بالاستفهام للتأنيب والتوبيخ ، ثم جئ بأسلوب القصر ، فقُصِر الخزى على أعمالهم ، لبيان أنهم هم الكاملون فيه . أى هو (الخزى البالغ الى الغاية التى لايبلغ اليها غيره ، وهو الذل والهوان).(٣)

---

(١) آية : ٦٣ (٢) آية ٥٠

(٣) فتح القدير ، م٢ ، ص٣٧٦

— (وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ)(١).

المقصور : الفوز .

المقصور عليه : ذلك .

قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا .

سر القصر :

لما ذكر الله سبحانه وتعالى فضائل الاعراب الذين يتخذون ما ينفقون قربات عند الله ، وما أعد لهم من الثواب ، بين أن فوق منزلتهم منازل أعلى وأعظم منها ، وهى منازل السابقين الأولين . فالسبق الى الهجرة صفة عظيمة ، من حيث كونها شاقة على النفس ، ومخالفة للطبع .

فمن أقدم أولا صار قدوة لغيره فيها .

وكان ذلك مترتبا لقلب الرسول وسببا لزوال وحشته ، وكذلك السابقون فى النصرة لهم فضل كبير (٢) لذا ذكر الله ما أعد لهم من الثواب العظيم وقصر الفوز على الثواب المعد لهم ، فشتان بين ما أعد الله لهؤلاء المؤمنين وما أعده لأولئك الاعراب المؤمنين ، فهناك قال : الا أنها قربة لهم . وهنا رضى الله عنهم ، وهناك سيدخلهم الله فى رحمته ، وهنا وأعد لهم جنات تجرى ، وهناك ختمت الآية بـ(إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) ، وهنا (ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ).(٣)

---

(١) آيـة : ١٠٠

(٢) الفخر الرازى ، م ٨ ، ج ٦ ص ١٧٣

(٣) البحر المحيط ، ج ٥ ، ص ٩٢ .

٢ ـ ما اجتمع فيه ضمير الفصل وتعريف الجزءين .

— (لَايَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ). (١)

المقصور : المعتدون .

المقصورعليه : أولئك / هم .

قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا ، فيه مبالغة.

سر القصر :

ان من صفات المشركين عدم مراعاة العهود ، والتزام الحدود القائمة بينهم وبين المسلمين . وفي هذا مجاوزه للحدود ، وتعدى على القيم والمُثُل ولذا بدأت السورة الكريمة بالبراءة من الله ورسوله من المشركين وفي هذا عظيم توبيخ لهم ، وتحقير لأفعالهم ، وزيادة في ذمهم جيء بأسلوب القصر ، فأكد أنهم هم المعتدون ، حيث قَصر الاعتداء عليهم وهو المبالغة في مجاوزة الحد والتمرد ، أى هم المجاوزون الغاية في الظلم والشراره. (٢)

— (الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ) (٣)

المقصور : الفوز .

المقصورعليه : هم / أولئك .

قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا ، فيه مبالغة. اذا كان نفى الفوز بالنسبة الى جميع من عداهم ، وهذا ما فضله الامام الفخر ، فقال : (واعلم أنه تعالى لم يقل أعظم درجة من المشتغلين بالسقاية والعمارة ، لأنه لو عين ذكرهم ، لأوهم أن فضيلتهم انما حصلت بالنسبة اليهم ، ولما ترك ذكر المرجوح دل ذلك على أنهم أفضل من كل من سواهم على الاطلاق ، لانه لايعقل

(١) آية ١٠ (٣) آية : ٢٠
(٢) الكشاف ، م٢ ، ص ١٧٧

حصول سعادة وفضيلة للانسان أعلى وأكمل من هذه الصفات).[١]

ويفهم من كلام الامام الزمخشرى أن القصر قصر افراد ، لأنه أوقع النفى بالنسبة الى أهل السقاية والعمارة فقال (هم أعظم درجة عند الله) من أهل السقاية والعمارة عندكم ، (وأولئك هم الفائزون). لا أنتم والمختصون بالفوز دونكم)[٢]

وذكر الامام ابوالسعود وتبعه الالوسى [٣] أن القصر فى الآية اما حقيقى ادعائى ، أو قصر افراد . فقال : (والقصر فى قوله تعالى وأولئك هم الفائزون بالنسبة الى درجة الفريق الثانى ، أو الى الفوز المطلق ادعاء)[٤]

سر القصر :

لما نعت الله سبحانه وتعالى المؤمنين بتلك النعوت الفاضلة ، من الايمان والهجرة والجهاد فى سبيله بالمال والنفس ، ذكر أنهم أعظم درجة عند الله من الذين يفضلون السقاية والعمارة على الهجرة والجهاد ، أو أعظم درجة من كل من عداهم . ولإتصافهم بهذه الصفات الجليلة ، عَظَّمَ من شأنهم ورفع من قدرهم ، فجيء باسم الاشارة للدلالة على بعد منزلتهم فى الرفعة ، ثم قصر الفوز عليهم ، فهم (المختصون بالفوز العظيم ، أو بالفوز المطلق . كأن فوز من عداهم ليس بفوز بالنسبة الى فوزهم . وفيه تعريض وتوبيخ لمن يؤثر السقاية والعمارة من المؤمنين على الهجرة والجهاد)[٥].

---

(١) الفخر الرازى ، م ٨ ، ج ١٦ ، ص ١٥ .
(٢) الكشاف ، م ٢ ، ص ١٨٠ .
(٣) روح المعانى ، ج ١٠ ، ص ٦٩ .
(٤) تفسير أبى السعود ، م ٢ ، ج ٤ ، ص ٤٧
(٥) المرجع السابق ، م ٢ ، ج ٤ ، ص ٥٣ .

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَاتَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُم مِّنْكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ).(١)

المقصور : الظلم .

المقصورعليه : أولئك / هم .

قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا ، فيه مبالغة .

سر القصر :

ان ولاية الله وولاية المشركين ، لايمكن أن تجتمع فيقلب واحد. لذا جاء النهى عن اتخاذ الكافرين أولياء ، فهذه أوامرالعقيدة التى تقطع أواصر الدم والنسب ، ولا تعترف الا بآصرة الايمان وحب الله.

ثم جاء التهديد والوعيد لمن يخالف هذا الحكم ، ويضع الموالاة فى غير موضعها ، فجئ باسم الاشارة للايذان ببعد درجتهم فى الشر، ثم قُصِرالظلم الذىهو مجاوزة الحد ـ على الذين يتولونهم بعد هذا النهى الأكيد- فجعل ظلم غيرهم كلا ظلم ، بالنسبة الى ظلمهم ، وفيهذا زجر وتوبيخ عن موالاة الكافرين . ذكر الامام ابوالسعود فى توجيه هذا القصر :

((فأولئك أى أولئك المتولون (هم الظالمون) ، بوضعهم الموالاة فى غير موضعها ، كأن ظلم غيرهم كلا ظلم عند ظلمهم)(٢)

وذكر الامام الألوسى ان القصر هنا ادعائى ، جئ به للزجر عن موالاةالكافرين فقال : (..والحصر ادعائى كأن ظلم غيرهم كلا ظلم عند ظلمهم. وفى ذلك من الزجر عن الموالاة مافيه).(٣)

---

(١) آية : ٢٣

(٢) تفسير ابيالسعود ، م ٢ ، ج ٣ ، ص ٥٤

(٣) روح المعانى ، الألوسى ، ج ١٠ ، ص ٧٠

— (إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ[1] هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)[2]

المقصور : العليا .

المقصورعليه : كلمة الله / هى .

قصر صفة على موصوف قصر افراد .

سر القصر :

ذكر السياق عزم الكافرين على اطفاء كلمة الله (يريدون أن يطفئوا نورالله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون) ، وهنا يشير الموقف الى تقاعس البعض عن غزوة تبوك ، وفى هذا التقاعس عدم نصرة لكلمة الله.

لهذا كان لابد من بيان فضل كلمة الله ، وأنها على الرغم من كيد الكافرين ستظل هى النافذه المنتصره ، وجىء بأسلوب القصر لتأكيد فضلها وبيان كمال علوها ، وأنها المختصه به دون غيره. قال الامام الزمخشرى :((هى فصل أو مبتدأ ، وفيها تأكيد فضل كلمة الله فى العلو وأنها المختصه به دون سائر الكلم))[2]

ومما يزيد من رفعة شأن هذه الكلمة وعلو قدرها ، تغيير الأسلوب حيث جىء بقوله تعالى : (وجعل كلمة الذين كفروا السفلى) ، عن طريق الجملة الفعلية من غير توسط ضمير الفصل ، أما قوله تعالى (كلمة الله هى العليا) فجىء به عن طريق الجملة الاسمية مع توسط ضمير الفصل ، للدلالة على أنها فى نفسها كذلك . لايتبدل شأنها ولا يتغير حالها دون غيرها من الكلم ، لأن الجعل

---

(١) آية : ٤٠
(٢) الكشاف ، م٢ ، ص١٩١

لم يتطرق لها ، وأنها في نفسها عالية ، بخلاف علو غيرها ، فانه غير ذاتي بل بجعل وتكلف فهو عرض زائل وامر غير قار .(١)

ـــ (الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)(٢)

المقصور : الفسق .

المقصورعليه : المنافقين / هم .

قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا ، فيه مبالغة . كأن فسق غيرهم ، كلا فسق بجانب فسقهم .

أو هو قصر قلب ، لأنهم ادعوا الايمان وأكدوه ، وفي هذا مايدعو المسلمين الى الاعتقاد ، بأنهم مؤمنين . فجاء القصر هنا لقلب ذلك الاعتقاد وتأكيد فسقهم .

سر القصر :

وَضَّحَ السياق القرآني مخازي المنافقين ، وقبائحهم التى من أجلها وصفت بأنها الكاملة في الذل والهوان . وأن من أعظم تلك القبائح ادعاءهم أنهم من المؤمنين ، وتأكيدهم ذلك بالحلف والقسم . (وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ ، وَمَاهُم مِّنكُمْ ، وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ)(٣)

ثم جيء بقوله تعالى :(الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ...) ، لتقرير حقيقتهم و تقرير الصفة التى تميزهم عن المسلمين الحقيقيين ، وهى الامر بالمنكر ، والنهى عن المعروف وهذا أعظم قبح لانه قلب لمنهج القرآن ، الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ،

---

(١) تفسير ابي السعود ، م٢ ، ج ٤ ، ص ٦٧/ روح المعاني ، ج ١٠ ، ص ٩٩
(٢) آية : ٦٧
(٣) آية : ٥٦

والذى يحث على الامر بالمعروف والنهى عن المنكر. ولذا جئ بأسلوب القصر للمبالغة فى ذمهم، ببيان أنهم (هم الكاملون فى التمرد والفسق، الذى هو الخروج عن الطاعة والانسلاخ عن كل خير)، وفى هذا زجر لمن يحاول اتباعهم من المسلمين. قال الامام الزمخشرى: وكفى المسلم زاجرا أن يلم بما يكسبه هذا الاسم الفاحش، الذى وصف الله به المنافقين حين بالغ فى ذمهم).(١)

— (كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلَاداً فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ)(١).

المقصور : الخسران.

المقصورعليه : اولئك / هم.

قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا، فيه مبالغة.

سر القصر :

لما ذكر الله سبحانه وتعالى أن المنافقين عدلوا عن طاعته، وسعوا فى طلب ملذات الدنيا، وغفلوا عن الآخرة، شبههم بمن قبلهم فى الغفلة عن الآخرة، وكان الغرض من هذا التشبيه ذم هؤلاء المنافقين، وللمبالغة فى ذمهم ذكر الاستمتاع بالخلاق فى حق الاولين أولا، ثم فى حق المنافقين ثانيا. ثم تكريره فى حق الاولين ثالثا، والفائدة من ذلك أنه تعالى ذم الاولين بالاستمتاع، بما أوتوا من حظوظ الدنيا، وحرمانهم من سعادة الآخرة، بسبب استغراقهم فى تلك الحظوظ، فلما قرر تعالى هذا، عاد فشبه حال المنافقين بحالهم، فيكون ذلك نهاية فى المبالغة.

---

(١) الكشاف، م ٢، ص ٢٠١
(٢) آية : ٦٩
(٣) الخلاق : النصيب، أى ما قدر لهم من ملاذ الدنيا.

ولاتصافهم بهذه الاوصاف الذميمة ، التى أوجبت حبوط أعمالهم ، جيء باسم الاشارة للايذان ببعد منزلتهم فى الشر ، ثم جِئ بأسلوب القصر ، لبيان أنهم هم(الكاملون فى الخسران فيالدارين ، الجامعون لمباديه واسبابه طرا ، فانه قد ذهبت رؤوس أموالهم التى هى أعمالهم فِيْمَاضَرَّهم ولم ينفعهم قط ، ولو أنها ذهبت فيمالايضرهم ولا ينفعهم لكفى به خسرانا . وايراد اسم الاشارة فى الموضعين للاشعار بعلية الاوصاف المشار اليها للحبوط والخسران).(١)

(وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)(٢)

المقصور : الفوز العظيم .

المقصور عليه : ذلك / هو .

قصر صفة على موصوف قصر قلب .

سر القصر :

ذكر السياق أن المشركين والمنافقين هم الكاملون فى الخسران ، لغفلتهم عن الآخرة ، ثم ذكر صفات المؤمنين التى منها الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واقامة الصلاة وايتاء الزكاة ، ولعظيم فعلهم هذا ، عُظِّم أجرهم ووعدوا بجنات تجرى من تحتها الانهار ، وأكبر من ذلك رضوان الله عزوجل ، وزيادة فى اجلال قدرهم وتعظيمهم ، بُولِغ فى تعظيم هذا الأجر ، حيث جِئ باسم الاشارة لـ (مافيه من معنى البعد للايذان ببعد درجته فى العظم والفخامة (هو الفوز العظيم). دون مايعده الناس فوزا من حظوظ الدنيا ، فانها مع قطع النظر

(١) تفسير ابى السعود ، م٢ ، ج ٤ ، ص ٨١ ـ ٨٢
(٢) آية : ٧٢

عن فنائها وتغيرها ، وتنغصها وتكدرها ، ليست بالنسبة الى أدنى شئ من نعيم الآخرة . بمثابة جناح بعوضة).(١)

أو كما قال الامام الفخر : (ان هذا هو الفوز العظيم ، لا مايطالبه المنافقون والكفار من التنعيم بطيبات الدنيا).(٢)

— (لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)(٣).

المقصور فى الآية الاولى : الفلاح

المقصور عليه : أولئك / هم

قصر صفة على موصوف قصر قلب

المقصور فى الآية الثانية : الفوز العظيم .

المقصور عليه : ذلك .

قصر صفة على موصوف قصر قلب .

سر القصر :

جاء فى السياق ذكر المنافقين الذين اختاروا الدعة ، وكرهوا الجهاد ، وفروا من القتال ، ورضوا بأن يكونو مع الخوالف ، وفى هذا ضعف ومهانة ، ولذا وصفهم القرآن بأنهم قوم لايفقهون ، ثم جئ بالصورة المقابلة لهم ، وهى صورة الرسول والمؤمنين الذين بذلوا أنفسهم رخيصة فى سبيل الله ، ولاتصافهم بهذه الصفة الجليلة رفع الله من مكانتهم ، بأن قصر الفلاح عليهم ، دون غيرهم من المنافقين الذين رضوا بأن يكونوا مع الخوالف ، فلهم الفلاح

(١) تفسير ابى السعود ، م ٢ ، ج ٤ ، ص ٨٣
(٢) الفخر الرازى ، م ٨ ، ج ١٦ ، ص ١٣٧
(٣) آية : ٨٨-٨٩

في الدنيا بالعيش الكريم ، والفلاح في الآخرة بالاجر العظيم. أي(هم الفائزون بالمطلوب ، لامن حاز بعضا من الحظوظ الفانية عما قليل ، وكرر اسم الاشارة تنويها لشأنهم ورِبءً لمكانهم).[1]

وزيادة في تكريمهم قصر الفوز ، ووصفه بأنه عظيم. على ماوعدهم به من جنات عدن ، التي تجري من تحتها الأنهار ، وأن كل فوز عداها كَلاَ فوز وفي هذا تعريض بالمنافقين ، الذين رضوا بالمكوث مع الخوالف وظنوا أن في ذلك فوزهم .

(أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَـٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ)[2]

ذكر الامام الزمخشري أن في قوله تعالى : (ان الله هو يقبل التوبة عن عباده).

أسلوب قصر عن طريق توسط ضمير الفصل ، فقال : (وهو للتخصيص والتأكيد ، وأن الله تعالى من شأنه قبول توبة التائبين ، وقيل معنى التخصيص في هو ، أن ذلك ليس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انما الله سبحانه هو الذي يقبل التوبة ويردها ، فاقصدوه بها ووجهوها اليه)[3]

والى مثل هذا ذهب الامام ابوحيان[4] والامام الفخر[5] والامام ابوالسعود[6]

وذكر الامام الالوسي أن الضمير هنا يحتمل أن يكون للتأكيد فقط ، أو للتأكيد مع التخصيص . فقال :

(والضمير إما للتأكيد ، أو له مع التخصيص ، بمعنى أن الله سبحانه

---

(١) تفسير ابي السعود ، م٢ ، ج ٤ ، ص ٩١ .
(٢) آية ١٠٤ .
(٣) الكشاف ، م٢ ، ص ٢١٢ .
(٤) البحر المحيط ، ج ٥ ، ص ٩٦ .
(٥) الفخر ، م٨ ، ج ١٦ ، ص ١٩٠ .
(٦) تفسير ابي السعود ، م٢، ج ٤ ، ص ١٠٠ .

يقبل التوبة لاغيره ، أى أنه تعالى يفعل ذلك البتة ، لما قرر أن ضمير الفصل يفيد ذلك ، والخبر المضارع من مواقعة ، وجعل بعضهم التخصيص بالنسبة الى الرسول صلى الله عليه وسلم. أى أنه جل وعلا يقبل التوبة لارسوله عليه الصلاة والسلام ..)(١)

فقول الامام الالوسى : أن ضمير الفصل يفيد القصر ، والخبر المضارع من مواقعه ، ماهو الا رأى الامام عبدالقاهر الجرجانى والزمخشرى ، والامام الخطيب القزوينى . ويبدو لى أن ضمير الفصل هنا للتوكيد فقط ، وأن الحصر هنا مستفاد إما من المعنى والمقام ، أو من تقدم الضمير على الخبر الفعلى وذلك لان من شروط ضمير الفصل أن لايقع بعده فعل وهنا وقع كذلك .

ورد ابن السبكى على من قال أن الضمير هنا فصل ، فقال : (وَمُثِّل فى الايضاح بقولك : زيد هو يقوم ، وليس بصحيح ، لأنه ليس بفصل، لأن بعده فعلا مضارعا . وأما المصنف والبيانيون فاتبعوا فيه الجرجانى ، فانه ذكر ذلك فى شرح الايضاح والجمهور على خلافه)(٢).

وفى الآية قصر فى قوله تعالى (وان الله هو التواب الرحيم).

المقصـــور : التواب .

المقصور عليه : الله / هو .

قصر صفه على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا أو فيه مبالغة.

سـر القصـر :

ان سياق الآيات يبين أن هناك قوما اخطأوا ثم اعترفوا بخطئهم ، والانسان المخطىء يُحِسُّ فى قرارة نفسه بالاسى والندم والخوف ، وبخاصة اذا كان الخطأ فى جانب المولى عز وجل ، ولصدق توبتهم جىء بأسلوب القصر ، فقصرت التوبة والرحمة على الله سبحانه وتعالى ، لبيان أنه المختص المستأثر ببلوغ الغاية القصوى ، من قبول التوبة والرحمة . وأن ذلك سنته المستمرة وشأنه الدائم.(٣)

---

(١) روح المعانى ، ج ١١ ، ص ١٥.
(٢) شروح التلخيص ، ج١ ، عروس الافراح ، ص ٣٨٧ .
(٣) تفسير ابى السعود ، م٢ ، ج ٤ ، ص ١٠٠

ففى صيغة المبالغة فى التواب والرحيم مع توسط ضمير الفصل والتأكيد من التبشير والترغيب للعباد مالا يخفى .(١)

ـــ (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِى بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ).(٢)

المقصور : الفوز العظيم .

المقصورعليه : هو .

قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا .

سر القصر :

فى الآية الكريمة عقد بيع وشراء بين الله وبين المؤمنين ، ونَصّ هذا العقد على بيع النفس والمال فى سبيل الله . وهذا العقد تستثقله النفس البشرية لحبها للحياة ، ولكن هناك فئة خاصة ترحب بقبول هذا العقد ، وهى الفئة المؤمنة المستسلمة لله . لذا وعدها المولى عز وجل وأكد وعده ، بأن عظم لها الثمن ، وجاء عرضه بالتبشير (فاستبشروا ببيعكم) ، ثم جيء باسم الاشارة لما فيه من معنى البعد ، وعلو منزلة المشار اليه ، وسمو رتبته فى الكمال ، ثم جيء بأسلوب القصر لبيان عظم ثوابهم ، حيث قُصِر الفوز الذى لافوز أعظم منه ، على وعد الله لهم . وفى هذا ترغيب وتطمين للنفس بفوزها وربحها ، وفيه الهاب حماسة الخلق على بذل النفس ليفوزوا بما فازت به هذه الفئة .

---

(١) فتح القدير ، م ٢ ، ص ٤٠٠ .
(٢) آية ١١١

(وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ).(١)

المقصور : التواب الرحيم

المقصور عليه : الله / هو

قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا .

سر القصر :

سبق أن أشرت الى ان هناك قوما قد تخلفوا عن غزوة تبوك ، ثم ندموا على فعلتهم ، واعترفوا بذنبهم ، وصدقت توبتهم ، ولصدقهم فيها جيء بأسلوب القصر لتفريج همهم وكربهم ، بتبشيرهم بقبول توبتهم حيث قصرت صفة التواب الرحيم على المولى عز وجل دون غيره .

(١) آية : ١١٨

خاتمة

بعد أن انتهيت بفضل الله تعالى من هذا البحث المتواضع سألخص - ان شاء الله - أهم النتائج التى ظهرت أو أظهرتها فى هذا البحث فمنها :

- أن حظ مبحث القصر من الدراسات الحديثة ضئيل جدا وأن ما قام به المحدثون ينحصر فى ثلاثة أشياء :

١ - افراد بعض العلوم بالتأليف.

٢ - نقل فصل من الفصول أو الأبواب من علم الى علم آخر.

٣ - الاكثار من الشواهد .

- لقد ادعى بعضهم وجود فرق بين القصر والاختصاص منهم ابن السبكى - نقلا عن والده - ، والسيوطى ، والامام الشهاب.

وهذا ما دعانى الى تتبع المعنى اللغوى لهذه الالفاظ فى كثير من المعاجم مع ملاحظة تطور كل لفظ .

فظهر لى :

أن الالفاظ الثلاثة بمعنى لغوى واحد.

وأن هناك علاقة وثيقة بين المعنى اللغوى والمعنى الاصطلاحى للقصر مما ترتب عليه القول بأن لها معنى اصطلاحيا واحدا.

ويبدو لى أن الفرق بينها فى التعدية فقط فقولنا :

تخصيص شئ بشئ يكون المقصور عليه هو الشئ الأول والباء داخلة على لفظ شئ الثانى ، وهو المقصور. أما قولنا قصرت كذا على كذا فالعكس يكون المقصور هو الشئ الأول ، والمقصور عليه هو الشئ الثانى .

- اعترض بعض المحدثين منهم الشيخ سليمان نوار على قـــول العلماء في تعريف القصر (بطريق مخصوص) ووضع له تعريفا يدخل فيه كل مايؤدى معنى القصر ، ويظهر لى أن فى تعريفه توسعا وتعميما وفتحا لمجال الفوضى فى علوم اللغة ، وأن اقتصار العلماء على الطرق الاصطلاحيه المذكورة لما يترتب عليها من لطائف وأحكام هو الأمثل .

- ان موضوع القصر موضوع له جذور ضاربة فى القدم ترجع الـــى القرن الثانى الهجرى حيث ظهر بمعناه عند سيبويه ولكنه لم يظهـــر مصطلحا بلاغيا الا فى القرن الخامس الهجرى عند الامام عبدالقاهـــر الجرجانى .

- ان قول العلماء فى قصر الموصوف على الصفة من القصـــر الحقيقى التحقيقى (لايكاد يوجد لتعذر الاحاطة بصفات الشىء) بنـــوه على النظر الى نفى جميع الصفات على الاطلاق ويظهر لى (من خـــلال تحليلى للآيات) أنه من الممكن وجوده ، اذا نظرنا الى النفـــى ليس بالنسبة الى جميع الصفات على الاطلاق - بل الى جميع الصـــفات المقابلة للصفة المنفيه ، بشرط الا تكون معينة فقولنا :

(ما محمد الا شـــاعر)

قصرنا محمدا على الشاعرية ونفينا عنه جميع الصفات المقابلـــة للشاعريه ان كان فى الحقيقة لايجيد غيرها ، وليس القصد نفـــى جميع الصفات من الأكل والشرب والطول والقصر ، فهذا ليس فـــى

قصد المتكلم نفيه ، وانما القصد فى النفى الى جميع الصفات المقابله للشاعريه على الحقيقه.

أما اذا كان يجيد الشاعرية والخطابة والكتابه وأردنا أن نبين كماله فى الشاعريه ، فاننا ننفى عنه الخطابة والكتابة وغيرها من الصفات المقابلة على سبيل الادعاء.

وقد أشار الى هذا الامام عبدالقاهر فقال :

(واعلم أن قولنا فى الخبر اذا أخر نحو (مازيد الا قائم) انك اختصصت القيام من بين الأوصاف التى يتوهم كون زيد عليها ونفيت ماعدا القيام عنه فانما نعنى أنك نفيت عنه الأوصاف التى تنافى القيام نحو : (أن يكون جالسا أو مضطجعا أو متكئا أو ما شاكل ذلك ، ولم نرد أنك نفيت ماليس من القيام بسبيل اذ لسنا ننفى عنه بقولنا : ماهو الا قائم أن يكون أسود أو أبيض أو طويلا أو قصيرا أو عالما أو جاهلا كما أنا اذا قلنا : ماقائم الا زيد لم نرد أنه ليس فى الدنيا قائم سواه ، وانما نعنى ماقائم حيث نحن وبحضرتنا وماأشبه ذلك).(١)

- بنى العلماء القصر الاضافى على حال المخاطب فقط ويظهر لى أن هناك آيات لاتعتمد على حال المخاطب كأن يكون المخاطب هو

---

(١) دلائل الاعجاز ، تحقيق محمد رشيد رضا ، ط ٦ ، ص ٢٢٥

المولى عز وجل أو أن يكون المتكلم يعبر عن فكرة تدور فى داخله فينبنى القصر على حال المتكلم وهناك آيات ليس فيها مخاطب وانما يفهم كون القصر اضافيا من السياق .

- أن حصول القصر الحقيقى لايمنع كون القصر الاضافى مقصودا مثال ذلك قوله تعالى " بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون"(١) لأنه لما كان التعريض بقوم معينين وهم اليهود والنصارى مراعىً كان ذلك ايماءا الى قصد الاضافة من القصر الحقيقى ، أى أن التعريض كان بمعين فجاءت الاضافة .

- ان مجئ القصر فيما من شأنه أن يكون معلوما أو غير منكر ، أو ما ينزل هذه المنزلة ليس خاصا بانما .
وكذلك مجئ القصر فيما من شأنه أن يكون منكرا أو مجهولا أو ما ينزل هذه المنزله ليس خاصا بالنفى والاستثناء فقد يأتى فى القصر عن طريق التقديم وضمير الفصل وتعريف الجزءين .

- ذكر العلماء أن النفى والاستثناء يأتى فيما من شأنه أن ينكره المخاطب أو ما ينزل هذه المنزلة . ولكن الامام أبا السعود يلفتنا الى نوع جديد وهو كون المخاطب عالما مقرا بالأمر غير منكر له فيأتى القصر لزيادة التعيين وذلك عند تفسيره لقوله تعالى :
(وما يخدعون الا أنفسهم).(٢)

---

(١) البقرة آية ١١٢ (٢) البقره آية ٩

- قد يجتمع فى الآية أسلوبا التقديم وإنما مثل قوله تعالى : (فإنما عليك البلاغ).(١) وقد اختلف العلماء فى طريق القصر هنا هل هو التقديم أو إنما ؟

ويظهر لى أن نقدم مايقتضيه المقام .

- لقد ذكر الامام عبدالقاهر أن من أبرز مواضع انما التعريض ، وهذا ليس خاصا بها فان من أبرز مواضع التقديم التعريض وكذلك ضمير الفصل وتعريف الجزءين . وقد يأتى فى النفى والاستثناء .

- ان أسلوب القصر عن طريق العطف ب (لا - بل - لكن) لم يرد فى الثلث الأول من القرآن .

- ان لطرق القصر عامة أغراضا بلاغية كثيره منها :

- الوعد والوعيد .
- الزجر والتقريع .
- التخويف .
- قطع الاطماع
- التهوين من الشأن والتحقير .
- التوبيخ .
- التنبيه ولفت الأنظار .
- التذكير .

---

(١) آل عمران آية (٢٠) .

- الاستهزاء.
- العتاب بشده.
- تحفيز الهمم .
- الهاب الحماسه.
- الحث والترغيب،وكثيرا ما تجمع الأداة بين الترهيب والترغيب.
- البشاره .
- الاشعار بالعفو والصفح والرحمه .

وأخيرا أقول :

ان من أهم مافى هذه الرسالة أنها عالجت القصر من الناحية التطبيقية، وفىمجال أفصح كلام وأبلغه وهذا بحث جديد لم يسبقنى به أحد-فيماأظن- ، وقد لقيت عنتا شديدا وتحملت مشقة بالغه فى التوفيق. بين قواعد القصر التى ذكرها العلماء وبين الأساليب التى ورد فيها القصر .

وأحمد الله تعالى أن وفقنى الى إتمام هذه الرسالة وأسأله سبحانه أن ينفع بها ، وان يتقبلها منى خالصة وهو حسبى ونعم الوكيل .

المصـــادر والمراجـع

مصادر ومراجع البلاغة :

١ - الايضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني ، شرح وتعليق محمد عبدالمنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني.

٢ - بغية الايضاح لتلخيص المفتاح ، عبدالمتعال المعيدى ، ط ٧ مكتبة الآداب ، المطبعة النموذجية ، ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٣م .

٣ - البلاغة في ثوبها الجديد " علم المعاني" بكرى شيخ أمين . ط ١ ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٣٩٩هـ .

٤ - البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشرى ، " وأثرها في الدراسات البلاغية" محمدحسين ابوموسى ، دار الفكر العربي .

٥ - البلاغة الواضحة (البيان والمعاني والبديع) على الجارم و مصطفى أمين .

٦ - التلخيص في علوم البلاغة ، جلال الدين القزويني ، ضبطه وشرحه عبدالرحمن البرقوقي ، ط ٢ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .

٧ - توضيح المعاني في البلاغة ، د. على محمد حسن ، ط ٦ ، مكتبة الجامعه الأزهريه ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٨ - جواهر البلاغة فى المعانى والبيان والبديع ، احمد الهاشمى ، ط ١٢ ، دار احياء التراث العربى ، بيروت لبنان .

٩ - دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، محمدعبدالخالق عضيمه ، ط ١ مطبعة السعادة ، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م .

١٠ - دلالات التراكيب" دراسة بلاغية " محمد أبوموسى ، ط ١ ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

١١ - دلائل الاعجاز ، عبدالقاهر الجرجانى ، وقف على تصحيحه وطبعه وعلق حواشيه ناشره محمد رشيد رضا ، ط ٦ ، مكتبة ومطبعة محمد على صبيح وأولاده ، ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م .

١٢ - شرح العمرى - على هامش عقود الجمان - ط ٢ ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده ، مصر ١٩٧٤هـ - ١٩٥٥م .

شروح التلخيص :

١٣ - حاشية الدسوقى على شرح السعد .

١٤ - عروس الأفراح فى شرح تلخيص المفتاح ، بهاء الدين السبكى .

١٥ - مختصر سعد الدين التفتازانى على تلخيص المفتاح .

١٦ - مواهب الفتاح فى شرح تلخيص المفتاح . مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه ، مصر .

١٧ - الطراز " المتضمن لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز " ، يحى بن حمزه بن على بن ابراهيم العلوى، أشرفت على مراجعته وتدقيقه جماعة من العلماء باشراف الناشرة دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان .

١٨ - عقود الجمان " فى المعانى والبيان" ، السيوطى ، ج ٢ ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده ، مصر ، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م .

١٩ - علم المعانى ، درويش الجندى ، دار نهضة مصر ، القاهرة .

٢٠ - علم المعانى ، عبدالعزيز عتيق ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٤م .

٢١ - علوم البلاغة" البيان والمعانى والبديع" احمد مصطفى المراغى صححه ابوالوفا مصطفى المراغى ، ط ٥ ، المكتبة المحمودية التجارية .

٢٢ - المثل السائر " فى أدب الكاتب والشاعر" ضياء الدين بن الاثير، قدم له وحققه وعلق عليه احمد الحوفى وآخرون ط ١ ، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها ، القاهرة ، ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م .

٢٣ - مذكرات الشيخ سليمان نوار .

٢٤ - مفتاح العلوم ، السكاكى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

مصادر ومراجع التفسير :

١ - ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم ، أبى السعود محمد العمادى ، دار احياء التراث العربى بيروت ، لبنان .

٢ - املاء مامن به الرحمن" من وجوه الاعراب والقراءات فى جميع القرآن" ، أبى البقاء عبدالله بن الحسين العكبرى ، تصحيح وتحقيق ، ابراهيم عطوه عوض ، ط ٢ ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى واولاده ، مصر ١٣٨٩هـ ، ١٩٦٩م .

٣ - أنوار التنزيل من أسرار التأويل ، ناصر الدين أبى سعيد البيضاوى ، مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع ، بيروت .

٤ - البحر المحيط ، أثير الدين أبى عبدالله بن حيان الاندلسى ، مكتبة ومطابع النصر الحديثة ، المملكة العربية السعودية ، الرياض .

٥ - تفسير ابن كثير ، عمادالدين ابى الفداء بن كثير ، ط ١ ، دار الاندلس ، بيروت ، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م .

٦ - تفسير الجلالين ، جلال الدين محمدبن احمد المحلى ، جلال الدين السيوطى ، مكتبة المثنى ، دار احياء التراث العربى ، بيروت .

٧ ـ تفسير القرآن الكريم الشهير بتفسير المنار ، محمد رشيد رضا
ط ٢ ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت
لبنان .

٨ ـ التفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، الفخر الرازى ، دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤٠١هـ .

٩ ـ تفسير النسفى ، عبدالله بن احمد بن محمود النسفى ، دار الكتاب
العربى ، بيروت ، لبنان .

١٠ ـ الجامع لأحكام القرآن ، عبدالله محمد الانصارى القرطبى ، دار
احياء التراث العربى ، بيروت ، لبنان ،
١٩٦٥ ـ ١٩٦٦م .

١١ ـ جامع البيان فى تفسير القرآن ، أبى جعفر جرير الطبرى ، ط ٣
دار المعرفه للطباعة والنشر ، بيروت ،
لبنان ، ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨م .

١٢ ـ حاشية العلامة أبى الفضل القرشى الكازرونى ـ على هامش
البيضاوى ـ مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع
بيروت .

١٣ ـ حاشية الجمل على الجلالين " المسماه بالفتوحات الالهية بتوضيح
تفسير الجلالين للدقائق الخفية " ، سليمان
الجمل ، المكتبة الاسلامية .

١٤ - حاشية الشهاب " عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي"
دار صادر ، بيروت .

١٥ - حاشية الشريف الجرجاني - على هامش الكشاف . ، آفتاب ،
تهران .

١٦ - حاشية العلامة الصاوي على تفسير الجلالين ، أحمد الصاوي
المكي ، دار الفكر العربي، ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م.

١٧ - روح المعاني في "تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني" ،
الألوسي البغدادي ، دار احياء التراث العربي
بيروت ، لبنان .

١٨ - غرائب القرآن ورغائب الفرقان - على هامش جامع البيان ،
نظام الدين الحسن بن محمد القمي النيسابوري
ط ٣ ، دار المعرفه للطباعة والنشر ، بيروت
لبنان ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

١٩ - فتح القدير " الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير"
محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، دار المعرفة
للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان .

٢٠ - في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ط ٤ ، دار الشروق ، بيروت ،
القاهرة ، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م .

٢١ ـ كتاب الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال ـ على هامش الكشاف ـ ناصر الدين احمد بن محمد بن المنير الاسكندرى ، آفتاب ، تهران .

٢٢ ـ كتاب التسهيل لعلوم التنزيل ، محمد بن احمد بن جزى الكلبى ، ط ٢ ، دار الكتاب العربى ، بيروت ، لبنان ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م .

٢٣ ـ كتاب الدر اللقيط ـ على هامش البحر المحيط ـ ، تاج الدين محمد بن عبد القادر القيسى الحنفى ، مكتبة ومطابع النصر الحديثة ، المملكة العربية السعودية ، الرياض .

٢٤ ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل فى وجوه التأويل ، أبى القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى آفتاب ، تهران .

٢٥ ـ لباب التأويل فى معانى التنزيل ، علاء الدين على بن محمد بن الصوفى المعروف بالخازن ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان .

٢٦ ـ المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز ، أبى محمد عبد الحق بن عطية الغرناطى ، تحقيق احمد صادق الملاح وزارة الاوقاف المجلس الأعلى للشئون الاسلامية لجنة القرآن والسنة ، القاهرة ، ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩م .

٢٧ ـ مجاز القرآن ، أبى عبيده معمر بن المثنى التيمى ، عارضه بأصوله وعلق عليه محمد فؤاد سزكين ، مكتبة الخانجي ، مصر .

٢٨ ـ معانى القرآن أبى زكرياء يحى الفراء ، تحقيق عبدالفتاح اسماعيل شلبى وآخرون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٢م .

٢٩ ـ النهر الماد ـ على هامش البحر المحيط ـ مكتبة ومطابع النصر الحديثه ، المملكة العربية السعودية ، الرياض .

الحـــديث :

١) أسباب النزول الواحدى النيسابورى ، دار الكتب العلميـــة ، بيروت ، لبنان ، ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م

٢) زاد المعاد فى هدى خير العباد ، شمس الدين أبى عبدالله محمد بن قيم الجوزيه ، ط ٢ ، مكتبة ومطبعـة مصطفى البابى الحلبى ، مصر ، ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م

٣) سنن أبى داود ، أبى داود سليمان السجستانى ، راجعه وضبطـه محمد محى الدين عبدالحميد ، دار احيـاء السنه النبوية ، دار الفكر .

٤) سنن الترمذى " الجامع الصحيح " ، ابى عيسى محمد بن عيسـى الترمذى ، حققه وصححه عبدالوهاب عبداللطيف دار الفكر ، ط ٣ ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

٥) صحيح البخـارى ، دار مطابع الشعب .

٦) صحيح مسلم بشرح النووى ، ط ١ ، دار احياء التراث العربـى ، بيروت ، لبنان ، ١٣٤٧هـ - ١٩٢٩م.

٧) لباب النقول فى أسباب النزول ، جلال الدين السيوطى ، دار أحياء العلوم ، بيروت ، ١٩٧٨م .

٨) المستدرك على الصحيحين ، ابى عبدالله الحاكم النيسابــورى ، دار الكتاب العربى، بيروت ، لبنان .

٩) مسند الامام احمد بن حنبل ، ط ٢ ، المكتب الاسلامى ، بيـــروت ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

مصادر ومراجع النحو :

١ - أوضح المسالك الى ألفية ابن مالك ، محمد محي الدين عبدالحميد ، ط ٥ ، دار احياء التراث العربى ، بيروت ، لبنان ، ١٩٦٦م .

٢ - شرح شذور الذهب فى معرفة كلام العرب ، ابن هشام الانصارى ، محمد محي الدين عبدالحميد ، ط ١١ ، المكتبه التجارية الكبرى ، القاهرة ، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م .

٣ - شرح شواهد المغنى ، جلال الدين السيوطى ، تصحيح محمد محمود الشنقيطى ، دار مكتبة الحياة ، بيروت لبنان .

٤ - شرح الكافية الشافية ، جمال الدين ابى عبدالله بن مالك الطائى ، حققه وقدم له عبدالمنعم احمد هريدى ، دار المأمون للتراث .

٥ - شرح المفصل ، موفق الدين بن يعيش بن على بن يعيش النحوى عالم الكتب ، بيروت ، مكتبة المثنى ، القاهرة .

٦ - ألصاحبى ، ابن فارس ، تحقيق السيداحمد صقر ، طبع بمطبعة يحيى البابى الحلبى وشركاه ، القاهرة ١٩٧٧م .

٧ - الكتاب ، ابى بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، تحقيق وشرح عبدالسلام هارون ، ط ٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٩م .

٨ - مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب ، ابن هشام الانصارى ، حققه محمد محى الدين عبدالحميد ، دار الكتاب العربى ، بيروت ، لبنان .

المعاجــــــم :

١ ـ أساس البلاغة ، جارالله ابى القاسم محمود بن عمر الزمخشرى تحقيق عبدالرحيم محمود، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت، لبنان ، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م .

٢ ـ تاج العروس، الزبيدى، م ٣ ، م ٤ ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت، لبنان .

٣ ـ جمهرة اللغة ، ابى بكر محمد بن الحسن بن دريد ، ط ١ ، مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، الدكن ، ١٣٤٥ هـ .

٤ ـ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، اسماعيل بن حماد الجوهرى ، تحقيق ، احمد عبدالغفور عطار ، ط ٢ ، ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩م .

٥ ـ القاموس المحيط ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادى ، دار الجيل .

٦ ـ لسان العرب ، أبى الفضل جمال الدين ابن منظور ، دار صادر بيروت .

٧ ـ المحكم والمحيط الأعظم فى اللغة ، على بن اسماعيل بن سيده ، تحقيق عبدالستار احمد فراج ، ط ١ ، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ، ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م .

٨ ـ مختار الصحاح ، محمد بن ابى بكر بن عبدالقادر الرازى ، عنى بترتيبه ، السيد محمود خاطر ، دار التراث العربى للطباعة والنشر .

٩ ـ المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير ، الرافعى احمد بن محمد بن على المقرى الفيومى ، صححه مصطفى السقا ، دار الفكر .

كتب التراجم :

١ - الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، أبي عمر يوسف بن عبدالله بن عبدالبر تحقيق علي محمد البيجاوي ، مكتبة نهضة مصر ، مصر .

٢ - الأعلام ، خير الدين الزركلي ، ط ٥ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٠م .

٣ - بغية الوعاه في طبقات اللغويين والنحاة ، جلال الدين السيوطي ، تحقيق محمدابوالفضل ابراهيم ، ط ٢ ، دار الفكر ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

٤ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ابن العماد الحنبلي ، دار الآفاق الجديده ، بيروت .

٥ - فوات الوفيات والذيل عليها ، محمد بن شاكر الكتبي ، تحقيق احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ١٩٧٣م .

٦ - معجم الأدباء ، ياقوت الحموي ، ط ٣ ، دار الفكر للطباعة والنشر ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .

٧ - معجم المؤلفين ، عمر رضا كحاله ، م١ ، مكتبة المثنى ، دار احياء التراث العربي ، بيروت .

٨ - نزهة الالباء في طبقات الأدباء ، أبي البركات كمال الدين عبدالرحمن الانباري ، تحقيق محمدابوالفضل ابراهيم ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة .

٩ - وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان ، أبي العباس شمس الدين احمد بن محمد بن خلكان ، تحقيق : احسان عباس ، دار صادر ، بيروت .

الدواويـــــن :

١ - ديوان أبى الطيب المتنبى ، بشرح أبى البقاء العكـــبرى ، ضبطه وصححه مصطفى السقا وآخرون ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٨م

٢ - ديوان الأعشى ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م .

٣ - ديوان البحترى ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيـــروت ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .

٤ - ديوان الحماسه ، المرزوقى ، نشره احمد امين - عبدالســلام هارون ، ط ٢ ، مطبعة لجنة التأليـــف والترجمة والنشر ، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م .

٥ - ديوان كثير عزه ، حققه احسان عباس ، دار الثقافة ، بيـروت لبنان ، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م .

٦ - شرح ديوان جرير ، محمد اسماعيل عبدالله الصاوى ، دار الاندلس ، بيروت .

مصادر ومراجع متفرقة :

- كتب الفقه :

١ - المختصر فى أصول الفقه على مذهب الامام احمد بن حنبل
على بن محمد بن على بن شيبان المعروف
بابن اللحام .

- كتب التوحيد :

مجموعة التوحيد ، ابن تيميه ، محمد بن عبدالوهاب ، طبعة
منقحه ومصححه ، دار التراث العربى
١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

- كتب علوم القرآن :

الاتقان فى علوم القرآن ، جلال الدين عبدالرحمن السيوطى ،
ط ٤ ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى
واولاده ، مصر ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

- كتب فقه اللغة :

من أسرار اللغه ، ابراهيم أنيس ، ط ٦ ، مكتبة الانجلو
المصريه ، مصر ، ١٩٧٨م .

- كتب تاريخ :

السيره النبويه ، ابن كثير ، تحقيق مصطفى عبدالواحد ،
ط ٢ ، دار الفكر ، بيروت ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

- المجلات :

مجلة الفيصل " الحركة الثقافية في الوطن العربي " ، العدد (٧١)
جمادي الأولى ١٤٠٢ هـ .

الفهارس

فهرس الآيـــات

((سورة الفاتحة))

((سورة البقرة))

الآيات الوارده فى ((انمـــا)) :

الآيات الوارده فى تعريف الجزئين :

ما اجتمع فيه ضمير الفصل وتعريف الجزءين :

((آل عمـــران))

((النســـاء))

الآيـــة	رقمها	رقم الصفحة
الآيات الوارده فى النفى والاستثناء :		
يا أيها الذين آمنوا ..ولاتعضلوهن لتذهبوا ببعض مـــا اتيتموهن الا أن يأتين بفاحشة مبينة.	١٩	١٣١
يا أيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة ..ولاجنبا الاعابرى سبيل.	٤٣	١٣٣
من الذين هادوا يحرفون الكلم.. فلا يؤمنون الا قليلا ..	٤٦	١٣٤
وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله..	٦٤	١٣٦
ولو أنا كتبنا عليهم..ما فعلوه الا قليل منهم..	٦٦	١٣٧
فقاتل في سبيل الله لاتكلف الا نفسك ..	٨٤	١٣٩
الله لا اله الا هو ليجمعنكم الى يوم القيامه..	٨٧	١٤٠
ودوا لو تكفرون كما كفروا..ولاتتخذوا منهم وليا ولا نصيرا الا الذين يصلون الى قوم..	٨٩ـ٩٠	١٤١
ولولا فضل الله عليك .. وما يضلون الا أنفسهم..	١١٣	١٤٢
ان يدعون من دونه الا اناثا وان يدعون الا شيطانا مريدا	١١٧	١٤٣
يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا..	١٢٠	١٤٤
ان المنافقين يخادعون الله..ولايذكرون الله الا قليلا ..	١٤٢	١٤٥
الآيات الوارده فى " انمـــا ":		
ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فـــى بطونهم نارا ..	١٠	٢٦٢
انما التوبة على الله ..	١٧	٢٦٤

الآيات الوارده فى التقديم :

الآيات الوارده فى تعريف الجزءين :

ما اجتمع فيه ضمير الفصل وتعريف الجزءين :

((المـــائدة))

الآيات الوارده فى ضمير الفصل :

ما اجتمع فيه ضمير الفصل وتعريف الجزءين :

((الأنعـــــام))

الآيات الوارده فى " انمـــا " :

((الاعـــراف))

ما اجتمع فيه ضمير الفصل وتعريف الجزئين :

((الأنفـــال))

((التوبـــــة))

فهرس الموضوعات

((فهـرس الموضـوعات))

انمـا :

الفصل الثاني :
